رفع المسهم
عز الله لي ولوالدي

دواوين شعراء الحنابلة
(١)

ديوان الإمام
عبد القادر بن بدران

المسمّى بـ

تسلية اللبيب عن ذكرى حبيب

اعتنى به

نور الدين طالب

دار النوادر

رفع المسهم
عز الله لي ولوالدي

رفع المسهم
غراء الله على الدين

2011-06-30
www.alukah.net
www.almosahm.blogspot.com

ديوان الإمام

عبد القادر بن بدران

المسمّى بـ

تسلية اللبيب عن ذكرى حبيب

نظم الشاعر

العلّامة عبد القادر بن بدران الدّومي الحنبلي

رحمه الله تعالى

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

رفع المسهم
غراء الله على الدين

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَة

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

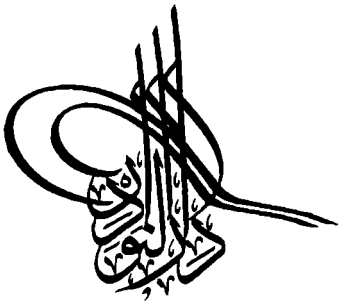

لصاحبها ومديرها العام
نور الدين طالب

سوريا - دمشق - ص . ب : ٢٤٢٠٦
لبنان - بيروت - ص . ب : ١٤/٥١٨٠
هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ (٠٠٩٦٣١١) فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
www.daralnawader.com

رفع المسيهما

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه ونستهديه ونسترشدُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سَيِّئاتِ أعمالِنا، من يهدهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلن تجدَ له وليّاً مرشدا، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، لا شيءَ قبلَه ولا شيءَ بعدَه، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله، بلَّغَ الرسالَة، وأَدَّى الأمانَة، وجمعَ الأمَّة على كلمةِ التوحيد.

أما بعد:

فإنَّه من المؤكَّدِ لدى المتتبِّع لسيرةِ العلاَّمةِ الفقيهِ المحدِّثِ المؤرِّخِ الشاعرِ الأديبِ عبدِ القادرِ بنِ بدارنَ ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّ عطاءاتِه المثمرةَ، مَعِينٌ لا يَنْضُب، ونهرٌ لا ينقطعُ، وإن لديه همةً عاليةً حالت بينه وبينَ التوقُّف عن العطاءِ، ونفْساً رضيَّةً قدَّمَتْ ما تحسَبُ أنه سيكونُ فيه خير كبير لدينِه وأمَّته.

وهذا أثرٌ جديدٌ ـ بعد كلِّ أثرٍ جديدٍ ـ من عطاءاتِهِ المتتاليةِ، وهو ديوانُه الكبيرُ، الذي نقدِّمُهُ لمحبِّيه ومتابعي آثارِه في حُلّةٍ ـ نرجو أن لو رآها العلامةُ ابن بدارنَ لأعجبتْهُ وراقَتْه ـ.

وقد افتتحَ ـ رحمه الله تعالى ـ ديوانَه هذا بمقدِّمةٍ بليغةٍ، ذكر فيها فضلَ

رفع المسيهما

الشِّعرِ وطرائقَه، وأسبابَ نُزوعِه إليه، ورغبتِه فيه، وبَيَّن حالَه من هَجْرِهِ للأوطانِ لطلبِ العلمِ في سائرِ البلدانِ، وأنه كانَ في أثناءِ المطالعةِ، وتكرارِ البحث والمراجعةِ، يُرَوِّح نفسَه ببعضِ الأبياتِ، فتارةً يتذكَّر الدِّمَنَ والأطلالَ، وتارةً يكونُ في إحدى الرياضِ بجانبِ العذبِ الزُّلالِ، فَيَتَسلَّى ببعضِ الغزليَّاتِ، أو يقتضِي حالُه نظمَ بعضِ المرثياتِ.

وتأسَّفَ لفقدِ أكثرِ شعرِه بعدَ عودتِه من الرحلةِ المغربيَّةِ الشهيرةِ، فراحَ يبحثُ في ذاكرتِه عن بقايا تلكَ الأطلالِ، مما حرَّكَ هِمَّتَهُ لجمعِها؛ لتكونَ له تَذْكاراً وسَميراً على ما مضى من الأحوالِ.

ثم ابتدأ ديوانَه، فقسَّمَه إلى أربعةِ أبوابٍ:

البابُ الأولُ: خَصَّصه لما قاله وهو في دمشقَ الفيحاءِ، وذلك في أثناءِ طلبِهِ للعلمِ، وقد قسَّمَ هذا البابَ إلى خمسةِ فُصولٍ:

الفصلُ الأولُ: في المدائحِ، مفتتِحاً به مدائحَ الرسولِ ﷺ، ثم امتداحَ جملةٍ من شيوخه الذين تلقَّى عنهم العلم: كالشيخ سليمٍ العطارِ، والشيخِ أحمد الشَّطِّيِّ، والشيخِ محمدِ بنِ حسنٍ الشطِّي، والشيخِ محمد بدرِ الدينِ الحسنيِّ، والشيخِ عمرَ العطَّارِ، ثم ثلَّثَ بمدحِ جملةٍ من الأعيانِ: مثلِ عثمان باشا، وغيرِه.

وقد تضمن هذا الفصلُ: اثنتي عشرة مقطوعة، في مئتين وخمسةٍ وأربعين بيتاً.

الفصلُ الثاني: في الفخر والحماسَةِ، ومعظمُه في وصفِ حالِه، وأخلاقِه وشمائلِه، وكثرةِ تَطْلابِه للعلم، وتحريرِه لمعضلاتِه، وذَكَرَ أموراً متعلقةً بالعُزلةِ، والبعدِ عن الناسِ، وتقلُّبات الدهرِ به.

وقد تضمن هذا الفصلُ: ثلاثةَ عشرَ مقطعاً، في اثنين وثمانينَ بيتاً.

رفع المسيهما

الفصلُ الثالثُ: في الغَزَل والتشبيبِ والنسيبِ، وذكر أنَّ هذا الفصلَ كان يمكنُ أن يكونَ قطبَ هذا الديوان لو أنه حَضَر وتذكَّر من قصائده كلَّ ما كان، وذكرَ فيه نمطاً مشهوراً من الغزلِ والتشبيب، وأظهرَ فيه براعةً أدبيةً متألقةً، وتطرقَ إلى كلِّ المعاني الدائرةِ في ذلك، كالسُّكْرِ والصَّحْوِ، والهَجْرِ والصُّدودِ، والوِصالِ والصَّبرِ على البعدِ، والضَّنَى من الافتراقِ، ولم ينسَ الوصفَ الماديَّ لمحبوبِه؛ كالجفونِ، واللِّحاظِ، والقُدودِ، والمَبْسَم، وغيرِها، وتفنَّنَ هنا غايةَ التفنُّن.

وقد تضمن هذا الفصل: ثلاثةً وتسعينَ مقطعاً، في ثلاث مئةٍ وتسعةٍ وخمسينَ بيتاً.

الفصلُ الرابعُ: في المراسلاتِ: وذكرَ فيه مراسلاتهِ معَ بعضِ طلبةِ العلمِ من أصدقائِه بدومةَ، وحلبَ، واللاذقيةِ، وغيرِها.

وقد تضمَّن هذا الفصلُ: عشرةَ مقاطعَ، في ثمانيةٍ وتسعينَ بيتاً.

الفصلُ الخامسُ: في جملةٍ باقيةٍ من الغزلِ والتاريخِ والنصيحةِ والهجاءِ، وبه خَتَم النظمَ الدمشقيِّ، وذكر فيه تأريخاً لبعضِ الحوادثِ، وهجواً لبعضِ الشخصيَّاتِ الهزليَّةِ، ومَدْحاً للعلمِ وأهلِه وفوائدِه، وتقريظاً لبعضِ الرسائلِ العلمية، . . . إلخ.

وقد تضمن هذا الفصلُ: تسعةً وخمسين مقطوعةً، في مئتين وسبعةٍ وسبعين بيتاً.

البابُ الثاني: فيما قالَه في الرحلةِ المغربيَّةِ، وقد افتتحَهُ بقصيدةٍ رائعةٍ أثناء انتظارهم للوابور في مدينة بيروت، والذي سيقلُّهم إلى فرنسا، وافتتحها بقوله:

رفع المسيهم

ما كانَ أسرعَ نَقْضَ الوُدِّ يا أَمَلي ... إذْ أبطأَتْ في الجوابِ عنهمُ رُسُلي
أُسائِلُ الريحَ عنهُمْ كُلَّما لَعِبَتْ ... مِنْها الغُصونُ ومَوْجُ البحرِ كالجَبَلِ

وذكر في هذا الباب صُحبته وصداقاتِه ولقاءاتِه بالأعيان، وما تعرَّضَ له هو ورفاقُه في أثناءِ رحلته من أهوالٍ عِظام في البحرِ وغيرِه، وذكرَ مراسلةً بديعةً لوالدتِه، ورسالةً أخرى أرسلَها إلى «دومةَ» مادحاً لها ولأهلها:

حَيَّا الحَيا «دُوما» البديعةَ إنَّها ... أضحَتْ جَمَالَ الغُوطَةِ الفَيحاءِ
وَسَمَتْ على المَرْجَيْنِ في عِزٍّ وفي ... طِيبِ الهواءِ وباليدِ البَيْضَاءِ
بَلَدٌ لَدى الإنصافِ أطيبُ مَوْضِعٍ ... رَغْمَاً عَلَى أَنْفِ العَدُوِّ النَّائِي
أَكْرِمْ بها من غادةٍ كَمْ أَسْكَرَتْ ... بِسُلافَةِ النُّدَمَاءِ والخُلَطَاءِ
منْ أينَ للمُدُنِ العظيمةِ ما لَها ... بِالنَّيْرَبَيْنِ ومنْ كَمَالِ بَهَاءِ
مَا «جِلَّقٌ» إلا رياضُ مَحَاسنٍ ... ومفاخِرٍ وَمَكارمٍ وَهَنَاءِ
هي جنةُ الدنيا ودُرَّةُ تَاجِها ... ومعادِنُ العُلَمَاءِ والأُدَبَاءِ
هيَ دُرَّةٌ مَا مَسَّها مِنْ فَاسِقٍ ... إلاَّ أتتْهُ تَواتُرُ الَّلأْواءِ
مَا مَاتَ فيها فاضِلٌ إلا أَتى ... مِنْ بَعْدِهِ بيتيمةٍ عَذْرَاءِ
أو عَاثَ فيها جاهِلٌ إلا وَقا ... مَ مَقَامَه أُسْدُ الحِمى بِلِواءِ
مَنْ قَال: إنَّ الغربَ أَحْسَنُ مَوطِناً ... فلقدْ رآهُ بمُقْلَةٍ عَمياءِ

وقد تضمن هذا الباب ستّاً وعشرينَ مقطوعةً، في مئتين وثلاثٍ وثلاثين بيتاً.

البابُ الثالثُ: فيما قالَه في أثناءِ إقامتِه في «دومةَ»، وفي أثناءِ رواحِهِ إلى غيرِها حَسْبَ التنقُّلِ، وذكرَ فيه كافةَ فُنونِ الشعر: غزلاً، ومَدْحاً، وهجاءً، وحماسةً، وفخراً، وبِكافَّةِ أنواعه: تشطيراً، وتخميساً، وغيرها.

رفع المسيهم

وقد تضمَّن هذا المقطعُ مئةً وإحدى وتسعين مقطوعةً، في ألفٍ وسبع مئةٍ وخمسةٍ وأربعين بيتاً.

[البابُ الرابعُ]: السَّوانحُ في المستشفى، وذلك فيما قالَه عَقِبَ مرضِه سنةِ (١٣٤٢هـ)، حيثُ أُدخل «مستشفى الغرباء» بدمشقَ الفيحاءِ، وبقيَ فيه مدةً، وقد أُصيب بفالجٍ في طَرَفِهِ الأيمنِ، مما عطَّل له يدَه اليمنى عن الكتابة، فاستعانَ بيدِه اليسرى، وكتب بها شعراً أودعَهُ خاتمةَ ديوانِه هذا.

وقد تضمَّن هذا البابُ أربعةً وأربعين مقطوعةً، في خمس مئةٍ وستةٍ وثمانين بيتاً[1].

* * *

هذا وقد تمَّ العملُ في تحقيق هذا الديوان على النحو التالي:

١ـ نسخُ الديوان من المخطوطِ الأصل.

٢ـ معارضةُ المنسوخِ بالمخطوطِ لإثباتِ صحةِ النسخِ.

٣ـ تفصيلُ الديوان إلى مقاطعَ شعريةٍ، بلغت أربع مئةٍ وثمانيةً وأربعين مقطعاً، مع ترقيمها.

٤ـ ضبطُ الديوان بالشكلِ الكاملِ، حتى تَسْهُلَ قراءتُه على قارئِهِ.

٥ـ التعليقُ على مواطنَ يسيرةٍ منه، مما اقتضى التنبيهُ عليه، وبخاصَّةٍ فيما يتعلقُ بالأمورِ العقائديةِ.

٦ـ كتابةُ ترجمةٍ لصاحبِ الديوان، مفصَّلَةٍ لحياتِه وآرائِهِ.

٧ـ صناعةُ فهارسَ شاملةٍ لأعلامِهِ وأماكنِهِ وأبياتِهِ وموضوعاتِهِ.

---

(١) وعليه، فأبيات الديوان كاملة (٣٨٩٥) بيتاً في (٤٤٨) مقطوعة.

رفع المسيهما

هذا وأسألُ الله تعالى أن يتقبل مني عملي هذا، وألاَّ يحرمني ثوابه، وأن يجزي خيراً كل مَنْ أعان عليه، آمين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه

نور الدين طالب

(روما، الزاهرة)

مطلع سنة ١٤٢٧هـ

رفع المسيهما

ترجمة الشاعر (١)

*** اسمهُ ونسبُهُ:**

هو العَلاَّمَةُ الفَقيهُ الأُصوليُّ المحدِّثُ المفسِّرُ النَّحْوِيُّ المُتَفَنِّنُ عبدُ القادرِ بنُ أحمدَ بنِ مصطفى بنِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ

---

(١) **مصادر الترجمة:**

* «منتخبات تواريخ دمشق» لتقي الدين الحصني (٢/ ٧٦٢ـ٧٦٣).

* «أعلام الأدب والفن» لأدهم الجندي (١/ ٢٢٤، وما بعدها).

* «أعيان دمشق» لمحمد جميل الشطي الحنبلي (ص: ٣٤٥).

* مقدمة «منادمة الأطلال» لمحمد بهجت البيطار، (ط: المكتب الإسلامي).

* خاتمة «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» لمحمد بن سعيد الحنبلي.

* «الأعلام» لخير الدين الزركلي (٤/ ٣٧).

* «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٢/ ١٨٤ـ١٨٥).

* «الأعلام الشرقية» لزكي مجاهد (٢/ ١٢٨ـ١٣٠).

* «معجم المطبوعات العربية والمعربة» لسركيس (ص: ٥٤١).

* «معالم وأعلام» لأحمد قُدامة (١/ ١٢٣).

* «معجم المؤلفين السوريين» لعبد القادر عياش (ص: ٢٥٧).

* «تاريخ دومة» لمعروف زريق (ص: ١٠٣ـ١٠٤).

* «شعراء من دومة» له أيضاً (ص: ٩٨، وما بعدها).

رفع المسيهما

بَدْرانَ، السَّعْدِيُّ، الدُّومِيُّ، ثمَّ الدِّمَشْقِيُّ، الحنبليُّ، الأَثَرِيُّ السَّلَفِيُّ[1].

= * «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» لمحمد مطيع الحافظ (١/ ٣٠٠).

* «علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي» لمحمد بن ناصر العجمي.

* مواضع متفرقة من كتب المترجم؛ كـ«تهذيب تاريخ دمشق»، و «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، و«منادمة الأطلال»، و «نزهة الخاطر العاطر»، و«حاشية أخصر المختصرات»، و «تسلية اللبيب»، و «العقود الياقوتية»، وغيرها.

* مشافهات عديدة من أهل دومة تُعَدُّ تتمة لبعض المواضع الغامضة من سيرة ابن بدران.

(١) **تفصيل النسبة:**

ـ **بدران**: اسم الجد الأكبر لأسرة ابن بدران، وهو بدران السَّعْدي، حجازيٌّ من قبيلة بني سَعْدٍ، وهذه الأسرةُ أسرةٌ كبيرةٌ ممتدةٌ في دومةَ.

ـ **السَّعْدِيُّ**: نسبة إلى بني سعد، وهي قبيلة حجازية، ترجع أصول آل بدران إليها، كما أشار إلى ذلك في غير موضع من كتبه، من ذلك قوله في «تهذيب تاريخ دمشق» (١/ ٦) بعد ذكر نسبه: «المشهور كأسلافه بابن بدران، المنتمي أصله ونِجارهُ لبني سعد، جيران الصَّفا».

ـ **الدُّومِيُّ**: نسبة إلى دومة، موطنِ ولادة المترجَم ونشأته، ومقرِّ إقامةِ أسرته، وهي بلدة تبعد عن دمشق ثلاثة عشر كيلاً من الجهة الشرقية الشمالية، وقد صارت الآن مدينة ممتدة، وهي مركز الغوطة ـ حرسها الله وسائر بلاد المسلمين ـ.

وينتسب أهل دومة إلى المذهب الحنبلي منذ أكثر من خمسة قرون، وقد خرج منها جماعة من أعلام الحنابلة، منهم: الشيخ سليمان بن عثمان بن محمد المَرداوي ـ فقيه دومة ـ (ت: ٩٥٠ هـ تقريباً)، والشيخ عبد القادر التغلبي ـ صاحب «نيل المآرب» ـ (ت: ١٠٥٧هـ)، والشيخ أحمد الدُّومي قاضي الحنابلة بدمشق (ت: ١١٠٧هـ)، والشيخ حمزة بن يوسف الدُّومي، أحد مدرسي الجامع الأموي (ت: ١١١٦هـ)، والشيخ مصطفى الدُّوماني، شيخ الحنابلة بالأزهر =

رفع المسيهما

* ولادتُهُ ونشأتُهُ:

وُلِدَ ابنُ بَدْرانَ في بلدةِ دومةَ سنة (١٢٦٥هـ)، ونشأَ بها في أسرةٍ تقيَّةٍ صالحةٍ، فكانَ والدُه الشَّيخُ أحمدُ المُتَوَفَّى سنة (١٣١٧هـ) رجلاً صالحاً، وجدُّه الشَّيخُ مصطفى المتوفَّى سنة (١٣٢٢هـ) من أهلِ العلمِ والفضلِ، وانتسبَ في صغرِهِ إلى كُتَّابِ الشَّيخِ عدنانَ بنِ محمَّدِ عَدَس في جامع المَسْيَدِ[1]، فتعلَّمَ لديه مبادئَ القراءةِ والكتابةِ.

= (ت: ١١٩٦هـ)، والشيخ محمد بن عثمان الخطيب ـ مفتي الحنابلة بالمدينة المنورة ـ (ت: ١٣٠٨هـ)، والشيخ عبد القادر بن بدران الدُّومي (ت: ١٣٤٦هـ)، والشيخ أحمد بن صالح الشامي مفتي دومة وفقيهها (ت: ١٤١٤هـ) ـ وغيرهم كثير، وقد فصَّلت الكلام عليهم في كتاب مستقل سميته: «أَعْلاَمُ دُومَة»، يَسَّر الله إتمامه.

ـ **الدمشقيُّ**: نسبة إلى دمشق، موطن هجرة المترجَم ووفاته.

ـ **الحنبليُّ**: نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى، ـ وهو المذهب الفقهي للمترجَم.

ـ **الأثريُّ**: نسبة إلى الأثر، وهو الحديث، ينسب إليه كل من سلك مذهب المحدِّثين في الاعتقاد.

ـ **السَّلَفِي**: نسبة إلى السَّلَف الصَّالح، ينسب إليه كلُّ منِ اقتفى أثَرهم في العقيدة والسلوك.

وهاتان النسبتان (الأثريُّ السلفيُّ) ذكرهما المترجَم عن نفسه في غير موضع، من ذلك في كتابه «العقود الياقوتية» (ص: ٢٠٤).

(١) مسجد من مساجد دومة القديمة، بناه أحد الأشراف السادة، فأخذ لقبهم، ويقع الآن في وَسَط دومة، وكان به كُتّابٌ قديمٌ، تخرَّج فيه كثيرٌ من أولاد دومة في الحقبة الماضية.

قلت: ثم أفادنا الشيخ العلامة محمد بن الأمين بوخبزة التطواني ـ حفظه الله تعالى ـ أن لفظ «المسيد» يطلقه المغاربة على «الكُتَّاب» الذي يتعلم فيه الأطفال القرآن الكريم، وفعلاً فقد كان هذا المسجد في أول أمره «كُتَّاباً» ثم تحول إلى مسجد، والله أعلم.

رفع المسيد

ثمَّ انتقلَ بعدَ ذلكَ لتلقِّي العلم على يدِ جَدِّهِ الشيخِ مصطفى بنِ عبدِ الرحيمِ بدرانَ، كما قرأ كتابَ «دليلِ الطَّالبِ» على بعض شيوخِ دومةَ.

ثمَّ اشتغلَ على يدِ العلاَّمةِ الفقيهِ المُفتي محمَّدِ بنِ عثمانَ بنِ عباسٍ الخطيبِ الدُّوميِّ الحنبليِّ المتوَفَّى سنة (١٣٠٨هـ)، فقرأ عليه كتابَ «مختصرِ الإفاداتِ» للعلاَّمة البَلْبانِيِّ الحنبليِّ، وتأثَّرَ بأسلوبِ شيخِه وطريقتِه، وأُعجِبَ بعلمِه وفضلِه، مما جعله يُكثِرُ من الثَّناءِ عليه في مَطاوي كتبِه ومصنَّفاتِهِ.

ولمَّا وجدَ كفايتَهُ من شيخِه الخطيبِ، ارتحلَ إلى دمشقَ حالاً بدارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ، حيثُ كانَ يُقيمُ مُحدِّثُ الشَّامِ العلاَّمَةُ محمَّدُ بدرِ الدِّينِ الحَسَنِيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ، فاتَّصلَ ابنُ بدرانَ به، وأخذَ عنهُ، ومدحَهُ، وأثنى عليهِ.

وأخذَ عنِ العلاَّمةِ الفقيهِ الحَيْسوبِيِّ محمَّدِ بنِ مصطفى الطَّنطاويِّ الأزهريِّ (ت: ١٣٠٦هـ) عِلْمَ الهيئةِ والميقاتِ والحسابِ، إلى أنْ برعَ فيها، فألَّفَ وناظرَ وتصدَّى لتدريسها.

وأخذَ عن العلاَّمةِ الفقيهِ أحمدَ بنِ حَسَنٍ الشَّطِّيِّ الحنبليِّ (ت: ١٣٠٦هـ) الفقهَ والفَرائِضِ، وأشارَ عليهِ بوضع حاشيةٍ على «الرَّوضِ المربعِ»، فابتدأَ بها، ووصَلَ فيها إلى بابِ السَّلَمِ سنة (١٣٠٤هـ)، ثمَّ انصرفَ عنها.

كما تلقَّى على يدِ العلاَّمةِ المحدِّثِ سليمِ بنِ ياسينَ العَطَّارِ الدِّمشقيِّ ـ مُسْنِدِ الشَّامِ ـ (ت: ١٣٠٧هـ)، فقرأَ عليهِ الحديثَ، وأجازَهُ إجازةً عامَّةً.

واشتغلَ على جماعةٍ من شُيوخِ دمشقَ، كالشَّيخِ عَلاءِ الدِّينِ عابدينَ الدِّمشقيِّ الحَنَفِيِّ (ت: ١٣٠٦هـ)، والشَّيخِ محمَّدِ بنِ ياسينَ العطَّارِ

رفع المسيهما

الدِّمشقيِّ الشَّافعيِّ (ت: ١٣٠٧هـ)، والشَّيخِ عمرَ بنِ طهَ بنِ أحمدَ العَطَّارِ الدِّمشقيِّ الشَّافعيِّ (ت: ١٣٠٨هـ)، والشَّيخِ محمَّدِ بن محمَّدٍ الأَنْبابِيِّ المِصْرِيِّ (ت: ١٣١٣هـ).

وقدِ استمرَّ طلبُهُ للعلمِ في دمشقَ قُرابةَ سِتِّ سنواتٍ، حَصَّلَ خلالَها بجدِّهِ واجتهادِهِ ما لم يحصِّلْهُ غيرُه في السَّنواتِ الطِّوالِ، وكانَ ذلكَ من آثارِ المَنْهَجِيَّةِ العلميَّةِ الَّتي لَقَّنَهُ إيَّاها شيخُه العلاَّمةُ محمَّدُ بنُ عثمانَ الخطيبُ ـ رحمه الله تعالى ـ.

لكنَّهُ لم يقتصرْ على ما أخذ، وإنَّما أَكَبَّ بعدَ ذلكَ على المُطالعةِ بنفسِه، حتَّى برعَ في الكتاب والسُّنَّةِ، والأَصْلَيْنِ، والمذهبِ، ومعرفةِ الخِلافِ، وسائرِ العُلوم العقليَّةِ والأدبيَّةِ والرياضيَّةِ.

وعادَ إلى دومةَ، وبدأ يُلقي دروساً منتظمَةً في جامِعها الكبيرِ، يشرحُ فيها الفقهَ الحنبليَّ في كتابِ «شرحِ مُنْتهى الإرادات» للبهوتيِّ.

إلى أنْ حصلَتْ له فتنةٌ كبيرةٌ، ومِحْنَةٌ عظيمةٌ؛ حيثُ سَعَى به حُسّادُهُ ومناهِضوهُ إلى قرينهِ الشَّاعرِ صالحِ بنِ أحمدَ طهَ الدُّومِيِّ (ت: ١٣٢٥هـ)، وكانَ آنذاكَ رئيسَ بلديَّةِ دومةَ، فاستصدَرَ أمراً بإبعادِ ابنِ بدرانَ عن دومةَ.

وتمَّ لشانِئيهِ ما يُريدونَ، فهاجرَ إلى دمشقَ، وعانى فيها من الغُربةِ والبُعدِ، والعُزلةِ والفقرِ، لكِنْ ممَّا خفَّفَ ذلكَ عنهُ ما لَقِيَهُ من الوجيهِ التَّاجرِ محمودِ البارودِيِّ من تَرحابٍ وحُسْنِ ضيافةٍ، نزلَ عندَه مدَّةَ سنتينِ ونصفٍ، قامَ خلالَها بمساعدةِ ابنهِ «فخري» في بعضِ العُلومِ والفنونِ.

ثمَّ استقرَّ بهِ الأمرُ في مدرسةِ عبدِ اللهِ باشا العَظْمِ، جنوبَ المسجدِ الأُمَوِيِّ، وسكنَ فيها بغرفةٍ عُلْوِيَّةٍ، كانَ فيها مُقامُهُ وطعامُهُ ومَنامهُ وتدريسُهُ، وبقي فيها قُرابةَ نصفِ قَرْنٍ.

رفع المسيهم

*** وَظائِفُهُ وأَعْمالُهُ:**

تنقَّلَ ابنُ بدرانَ بينَ عدَّةِ وظائفَ في حياتِهِ، وهي لا تَعْدُو مَجالَ العلمِ والتَّعليمِ، ومنها:

١ ـ التَّدريسُ:

تصدَّرَ ابنُ بدرانَ للتَّدريسِ منذُ إقامتِه في دومةَ، فأقرأَ الفقهَ في الجامعِ الكبيرِ، مُقَرِّراً كتابَ «شرحِ مُنْتَهى الإراداتِ» للبُهوتي، وفي أثناءِ ذلكَ وضعَ عليهِ حاشيةً مفيدةً.

وبعدَ انتقالِه إلى دمشقَ بمدَّةٍ، عُيِّنَ مُدَرِّساً تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ في الجامعِ الأُمويِّ، وكانَ يدرِّسُ الفقهَ والتفسيرَ والحديثَ، ويميلُ في دروسِه إلى الإصلاحِ والتجديدِ، وممَّا درَّسَهُ تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ كتابُ «عُمْدَةِ الأحكامِ» للحافظِ عبدِ الغنيِّ المقدسيِّ.

ودرَّسَ ـ أيضاً ـ في المدرسةِ السُّميساطِيَّةِ، إضافةً إلى الدُّروسِ الخاصَّةِ لطلبةِ العلمِ، والَّتي كانَ يقومُ بها في مدرسةِ عبدِ اللهِ باشا العظم مقرِّ إقامتِهِ.

وكانَ ـ معَ ذلكَ ـ كثيرَ التنقُّلِ بينَ قُرى غوطةِ دمشقَ لتعليمِ العامَّةِ وإرشادِهم، وتلقينِ الطلَّبَةِ الَّذينَ لا يقدِرون على الرِّحلةِ.

٢ ـ عُضْوِيَّةُ شُعبةِ المعارفِ بدومةَ:

تشكَّلَتْ في دومةَ سنة (١٣٠٩هـ) شُعبةٌ للمعارفِ، مَهَمَّتُها نشرُ العلمِ والثَّقافةِ والتَّربيةِ، وشَحْذُ هِمَمِ النَّاسِ على تعليمِ أطفالِهم وإرسالِهم إلى الكَتاتيبِ والمدارسِ.

وكانَ ابنُ بدرانَ أحدَ أعضاءِ هذهِ الشُّعبةِ.

رفع المسيهم

٣ ـ تَوَلِّي إفتاءِ الدِّيارِ الحجازيَّةِ بسوريَّةَ:

عَيَّنَ الملكُ عبدُ العزيزِ آلِ سُعودٍ ـ رحمه الله ـ ابنَ بدرانَ، مُفْتِياً للدِّيارِ الحجازيَّةِ في سوريَّةَ، وذلكَ لشدَّةِ وُثوقِهِ بهِ واعتمادهِ عليهِ.

وقدْ أشارَ الزِّرِكْلِيُّ في «الأَعلام» إلى أنَّ ابنَ بدرانَ تولَّى إفتاءَ الحنابلةِ، ولعلَّ مقصودَهُ تَوَلِّيهِ لهذا المنصبِ تبرُّعاً منه، وإقبالاً من النَّاسِ عليهِ، لا كوظيفةٍ رسميَّةٍ، إذْ أنَّ منصبَ إفتاءِ الحنابلة بدمشقَ كانَ بالتَّناوب بين آل السُّيوطي، وآل الشَّطِّيِّ منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وكانَ آخرَهم الشيخُ محمَّدُ جميلٍ الشَّطِّيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ.

٤ ـ التَّصحيحُ في المطابعِ وإدارةُ تحريرِ الجرائدِ:

عملَ ابنُ بدرانَ مُصَحِّحاً ومُحَرِّراً بمطبعةِ الولايةِ وجريدتِها في دمشقَ، كما شاركَ بتحريرِ جريدةِ «المُقْتَبَسِ» الدِّمشقيَّةِ.

وأنشأَ مجلَّةَ «موارِدِ الحِكمةِ» سنةَ (١٣٩٢هـ).

وكتبَ في الصُّحفِ الدِّمشقيَّةِ؛ كـ «المِشكاةِ»، و«الشَّامِ»، و«الكائناتِ» و«الرَّأي العامِّ».

٥ ـ التَّنْقيبُ عنْ آثارِ دمشقَ:

انصرفَ ابنُ بدرانَ مدَّةً من حياتِهِ للتَّنقيبِ عنْ آثارِ دمشقَ، وما بقيَ من أطلالِها، حتَّى كانَ يستعيرُ سُلَّماً خشبيّاً، وينقُلُهُ بيديهِ ليقرأَ كتابةً على جدارٍ، أو اسماً فوقَ بابٍ.

وكانَ السَّبَبُ في عملِه هذا، تكليفَ قاضي دمشقَ الشَّيخِ المُعَمَّرِ عبدِ المُحْسِنِ بنِ عبدِ القادرِ الأُسْطوانِيِّ (ت: ١٣٨٣هـ) لجنةً على رأسِها ابنُ بدرانَ، للطَّوافِ على مدارسِ دمشقَ، ووصفِ حالتِها، وما فيها من

رفع المسيهم

الطُّلاَّبِ، وما قدْ تحتاجُ إليهِ منْ إصلاحٍ وترميمٍ، فقامَتِ اللَّجنةُ بالعملِ المكلَّفَةِ بهِ، وقدَّمَتِ التَّقريرَ إلى القاضي في (١٨/ صفر/ ١٣٢٨هـ)، وقدْ نشرَ هذا التَّقريرَ الدُّكتورُ صلاحُ الدِّينِ المنجِّدِ في «مجلَّةِ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العربيِّ بدمشقَ» بعُنوان: «وثيقةٌ رسميَّةٌ عن مدارسِ دمشقَ القديمةِ».

ويظهرُ أنَّ ابنَ بدرانَ جمعَ ما عثرَ عليه خلالَ هذا التَّنقيبِ، فكانَ ذلكَ نَواةَ كتابِه «مُنادَمَةُ الأَطْلالِ ومسامَرَةُ الخَيالِ في الآثارِ الدِّمشقيَّةِ والمدارس العلميَّةِ»، وقد أثارَ هذا الكتابُ مباحثَ مهمَّةً في تعدِّي كثيرٍ من النَّاسِ على أوقافِ المسلمينَ، وإهمالِ مسؤولي الأوقافِ الإسلاميَّة المُطالَبَةَ بحقوقِ المساجدِ والمدارسِ الوقفيَّةِ الإسلاميَّةِ، ولله الأمرُ.

* رَحَلاتُهُ:

أُولَى رَحَلاتِ ابنِ بدرانَ هيَ رحلتُه في طلبِ العلمِ إلى دمشقَ، واستقرارهُ بها مُدَّةً في دارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ.

ثمَّ اتَّصلَ ابنُ بدرانَ بالأميرِ عبدِ القادرِ الجزائريِّ، ورافقَهُ في رحلتِه إلى المغربِ وأوربَّا، وزارَ الجزائرَ، وتونِسَ، وإيطاليا، وفَرَنسا، ودامتْ رحلتُه ستَّةَ أشهُرٍ، صاغَ مذكِّراتِهِ فيها شِعْراً أودَعَهُ ديوانَه: «تَسْليةُ اللَّبيبِ».

وكانتْ رحلتُه الثَّانيةُ إلى دمشقَ مُهاجِراً إليها بعدَ مِحْنَتِهِ في دومةَ.

وفي خلالِ إقامتِه في دمشقَ زارَ لُبنانَ ضيفاً على الأميرِ السَّيِّدِ عبدِ الرَّحمنِ باشا اليوسُفِ صَدْرِ سوريَّةَ وأميرِ الحَجِّ.

ويُحتمل أنَّه رحلَ إلى مصرَ، فأخذَ فيها عن شيخِ الأزهرِ محمَّدٍ الأَنْبابيِّ (ت: ١٣١٣هـ)، أو أنَّه التقاهُ في دمشقَ، إذ أنَّ شيوخَ الأزهرِ كانوا يتردَّدونَ إلى دمشقَ.

رفع المسيهم

لكنْ ممَّا يقوِّي أمرَ رحلتِه إلى مصرَ ذكرُه في كتابِه «المدخل» أنَّهُ اطَّلَعَ على بعضِ كتبِ الحنابلةِ في خزانةِ الكتبِ الخديويَّةِ بمصرَ، واللهُ أعلمُ.

* صِلاتُهُ:

عُرِفَ ابنُ بدرانَ بحبِّ العُزلةِ والانفرادِ، وذلكَ بعدَ تَواصُلِ المِحَنِ عليهِ، وحَسَدِ كثيرٍ من مُعاصريهِ لهُ.

ومعَ هذِه العُزلةِ فقدْ كانتْ لهُ صِلاتٌ جيِّدةٌ بجماعةٍ من العلماءِ والأدباءِ، والحُكَّامِ والسِّياسِيِّينَ، ومنهم:

١ـ الأميرُ عبدُ القادرِ الجزائريُّ: الَّذي اصطحبُهُ معهُ في رحلتِه إلى المغربِ وأوربَّا.

٢ـ والوجيه محمودٌ البارودِيُّ ـ أحدُ رجالِ السِّياسةِ والتِّجارةِ في سوريَّةَ ـ حيثُ نزلَ ابنُ بدرانَ في ضِيافتِهِ سنتينِ ونِصْفَ السَّنَةِ بعدَ هجرتِه إلى دمشقَ.

٣ـ والعَلاَّمةُ المُصلِحُ المُفَسِّرِ المُحَدِّثِ محمَّدُ جمالِ الدِّينِ القاسِمِيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ، والتقى الرَّجلانِ على العَقيدةِ السَّلَفِيَّةِ، والمنهجِ الإصلاحيِّ، وكانَ لهما أملٌ كبيرٌ، وسعيٌ عظيمٌ في تجديدِ النَّهضةِ الدِّينيَّةِ العلميَّةِ في بلادِ الشَّامِ.

٤ـ والعَلاَّمَةُ الرَّحَلَةُ الأستاذُ خليلُ بنُ بدرٍ الخالديُّ المقدسيُّ (ت: ١٣٦٠هـ) الَّذي كانَ أُعجوبةً في معرفةِ المخطوطاتِ وأماكنِ وجودِها.

وقدِ استضافَهما في مجلسِ واحدِ العَلاَّمةُ الشَّيخُ محمَّدُ بَهْجَةَ البيطارُ.

٥ـ وأميرُ الحَجِّ وصَدْرُ سوريَّةَ الأميرُ عبدُ الرحمنِ باشا اليوسفُ (ت: ١٣٣٩هـ)، وتَوَّجَ ابنُ بدرانَ صِلتَهُ بهِ بأنْ أَلَّفَ كتاباً في سيرتِه سمَّاهُ:

رفع المسيهم

«الكواكب الدُّرِّيَّة في تاريخِ عبدِ الرَّحمنِ باشا اليُوسُفِ صَدْرِ سوريَّةَ»، وطُبع في مطبعةِ الفيحاءِ بدمشقَ سنة (١٣٣٩هـ).

٦ـ والملكُ عبدُ العزيزِ آل سعودٍ ـ رحمه الله ـ، وأهداهُ كتابَه: «نُزْهَة الخاطِرِ العاطِر شرح رَوْضَةِ النَّاظِر»، فأمرَ الملكُ عبدُ العزيزِ بطبعِ الكتابِ على نفقتِهِ.

وكانَ الملكُ عبدُ العزيزِ يرسلُ لابنِ بدرانَ جماعاتٍ من أهلِ نجدٍ، يستفيدونَ منه، وينهَلُونَ من علمِهِ.

ولذا كانَ ابنَ بدرانَ يذكرُ أنَّ سببَ تنشيطِ همَّتِهِ لعددٍ منْ تآليفِه هو زيارةُ بعضِ طلبةِ العلمِ من نجدٍ له، وسؤالُهم إيَّاه وضعَ بعضِ الحواشي والشُّروحِ على كتبِ الفقهِ خاصَّةً.

ومن ذلكَ: «حاشيةُ أَخْصرِ المُخْتَصراتِ»، و«البدرانيَّة شرحُ المنظومةِ الفارضيَّة»، و«حاشية روضةِ النَّاظر»ـ المارُّ ذكرُها ـ.

٧ـ ولعلَّ أبرزَ علماءِ نجدٍ ممَّنْ كانتْ لهُ صلةٌ بابنِ بدرانَ هو علاَّمةُ الكُويتِ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ خَلَفِ بنِ دحيانَ، فقد كانَ ابنُ بدرانَ يَوَدُّهُ ويُحِبُّهُ، وكانَتْ بينَهما مُراسلاتٌ علميَّةٌ، ومُذَاكراتٌ فقهيَّةٌ، حتَّى كانَ ابنُ بدرانَ يتألَّمُ أحياناً ـ كما ذكر عن نفسه في كتابه «العقود الياقوتية» ـ منِ انقطاعِ رسائلِ ابنِ دحيانَ، ـ رحمهما الله تعالى ـ.

*** إجازاتُهُ:**

تقدّمَ أنَّ ابنَ بدرانَ حصلَ على الإجازةِ العامَّةِ في الحديثِ وسائرِ العلومِ الشرعيَّةِ من محدِّثِ الشَّامِ الشَّيخِ سليمِ بنِ ياسينَ العَطَّارِ ـ رحمه الله تعالى ـ.

رفع المسيهما

ويظهرُ أنَّه أخذَ إجازاتٍ من شيوخٍ عِدَّةٍ، يدلُّ على ذلكَ قولُه في «نزهةِ الخاطرِ العاطرِ» (١/ ٢٠٦): «. . .وقد صنَّفَ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ ثابتٍ الخطيبُ البغداديُّ جزءاً في الإجازةِ للمَعْدومِ، وحكى حُجَجَهُ وأقوالَ النَّاسِ فيه، فالموجودُ أولى.

أقولُ ـ أي: ابنُ بدرانَ ـ: هذا إنمَّا هو باعتبارِ المحدِّثينَ، وأما في زمننا فإنَّهُ يكونُ المُجيزُ أشبهَ بالعامِّيِّ، وقد يُجيزُ بكتابٍ لا يعرفُ منهُ إلاَّ اسمَهُ، وقدْ حصلَتْ لنا إجازاتٌ بمسنَدِ الإمامِ أحمدَ، ومسنَدِ عبدِ الرَّزَّاقِ، وابنِ أبي شَيْبَةَ، وغيرهم من أناسٍ ما رأوا هذهِ الكتبَ، ولا اطَّلعوا عليها، فما فائدةُ هذه الإجازةِ؟! فَلْيَتَبَصَّرِ المُجَازُ، ولْيعلَمْ عمَّنْ يَستجيزُ».

ويشتكي ابنُ بدرانَ من طَلَبةِ العلمِ الَّذينَ وُلِعوا بالإكثارِ منَ الإجازاتِ، والتَّفاخرِ بعددِ الشُّيوخ، والاستجازةِ عمَّنْ دَبَّ ودَرَجَ، فيقولُ ـ أيضاً ـ في «النُّزْهَةِ» (١/ ٢٠٢): «. . قالَ الجُوَينيُّ: وشرطُ صحَّةِ هذه الطَّريقةِ ـ يعني: طريقةَ العرضِ على الشَّيخِ ـ أن يكونَ الشَّيخُ عالِماً بما يقرأُ عليهِ التِّلميذُ، ولو فُرِضَ منهُ تَصْحيفٌ أو تَحْريفٌ لَرَدَّهُ عليهِ، وإلاَّ لم تصحَّ الرِّوايةُ عنهُ، قالَ: وأيُّ فرقٍ بينَ شيخٍ يسمعُ أصواتاً وأجراساً، ولا يأمَنُ تدليساً وإلباساً، وبينَ شيخٍ لا يسمعُ ما تقْرَأُ عليه؟.

قلتُ ـ أي: ابنُ بدرانَ ـ: وهذا هو الصَّوابُ، وبهذا تعلَمُ أنَّ أكثرَ الإجازاتِ في زمنِنا، لاثقةَ بها، فَلِمَ يتلَقَّى الطَّالبُ على شيخٍ كتابَ حديثٍ، والشَّيخُ لا علمَ لهُ بضبطِ ألفاظِه، ويجيزُ بكتابٍ لم يرَهُ ولمْ يسمعْ بهِ إلاَّ في بُطونِ الأثباتِ والتَّراجِمِ؟! فاللهُ يُلهمُنا الرُّشد والصَّوابَ».

*** عقيدتُهُ:**

كانَ ابنُ بدرانَ سَلَفِيَّ العقيدةِ، حكى ذلكَ عن نفسِه في مواضعَ كثيرةٍ من

رفع المسيهما

كتبه، وقد صَرَّحَ في كتابِه «المدخل» (ص: ٤٢ـ٤٣) بأنَّهُ كانَ في بَدْءِ أمرِهِ لاهثاً وراءَ منهجِ المُتَكَلِّمينَ، فكانَ تارةً يُطَوِّحُ نفسَهُ فيما سلكَهُ ابنُ سينا في «الشِّفا»، و«الإشاراتِ»، وتارةً يَتَلَقَّفُ ما سبكَهُ الفارابيُّ من صناعةِ المَنْطِقِ وتلكَ العباراتِ، وتارةً يجولُ في مواقفِ «المقاصدِ» و«المواقفِ»، وأحياناً يطلبُ «الهدايةَ» لابن رُشْدٍ ظَنّاً منه أنَّها تَهْدي إلى رُشْدٍ. . فلا يَحْصُلُ من معرفةِ اللهِ ـ تعالى ـ إلاَّ على أوهامٍ وخَطراتٍ، ووَساوسَ وإشكالاتٍ، ويرتدُّ إليهِ الطَّرفُ خاسِئاً وهو حَسيرٌ، إلى أنْ ناداهُ مُنادي الهُدَى الحقيقيُّ أَنْ هَلُمَّ إلَى الشَّرفِ والكَمالِ، ودَعْ نجاةَ ابنِ سينا الموهومةَ إلى النَّجاةِ الحقيقيَّةِ، وما ذاكَ إلاَّ بأنْ يكونَ على ما كانَ عليهِ السَّلَفُ الكِرامُ منَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، والتَّابعينَ لهمْ بإحسانٍ، فهُنالكَ هَدَأَ رُوعُهُ، وجعلَ عقيدتَه كتابَ اللهِ، يَكِلُ علمَ صفاتِه لهُ بِلا تَجْسيمٍ ولا تأويلٍ، ولا تَشبيهٍ ولا تعطيلٍ.

هكذا كانَ ابنُ بدرانَ في عقيدتِه، ولِذا فإنَّهُ يُكْثِرُ من الثَّناءِ على أَئِمَّةِ السَّلَفِ الصَّالحِ، وينقلُ عنهمْ في كتبه؛ كالإمامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، والإمامِ ابنِ القَيِّمِ، وغيرهما ـ رحمَ اللهُ الجميع ـ.

*** مَذْهَبُهُ:**

نشأَ ابنُ بدرانَ في بيئةٍ حنبليَّةٍ، وأَوَّلُ ما ابتدأَ بهِ دراسةُ الفقهِ الحنبليِّ، كما حكى ذلكَ عن نفسِه، وقد مرَّ آنِفاً.

ولأجلِ ذلكَ تَوَجَّهَتْ عنايتُهُ لخدمةِ هذا المذهبِ، والذَّبِّ عنهُ، وتوضيحِ مقاصدِهِ، وزادَ من همَّتِهِ في ذلك اتِّصالُ أهلِ نَجْدٍ بهِ، وتشجيعُهم إيَّاهُ على وضعِ الحواشي والنُّكَتِ على الكتبِ المعتمَدَةِ، وكانَ من أشهرِ كتبِه في خدمةِ المذهبِ كتابُه «المَدْخَل إلى مذهبِ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَل» الَّذي لم يؤلَّفْ في موضوعِه قبلَه مِثْلُه، وقد تحدَّثَ فيه عن تاريخِ نشأةِ

رفع المسيهما

المذهبِ، وعنِ الأُصولِ الَّتي بُنِيَ عليها، وعنْ مصطَلَحاتِ المصنِّفينَ في المذهبِ؛ وأشهرِ الكتبِ المدوَّنَةِ فيه، ولذا كَثُرَ الانتفاعُ به، وتوجَّهَتِ العنايةُ إليهِ، فطُبِعَ عِدَّةَ طَبَعاتٍ، واستفادَ منهُ خَلْقٌ كثيرٌ منَ الحنابلةِ وغيرِهم، وكانَ أحدَ الكتبِ المقرَّرَةِ لَدَى مُتَفَقِّهَةِ الحنابلةِ في بلادِ الشَّامِ.

ووضعَ ابنُ بدرانَ حواشِيَ الحنابلةِ؛ كـ «أَخْصَرِ المُخْتَصَراتِ»، و«شَرْحِ مُنْتَهى الإرادات»، و«الرَّوْضِ المُرْبِعِ»، و«مُخْتَصَرِ الإفاداتِ».

وأَلَّفَ في تاريخِ المذهبِ ورجالِه «ذيلاً» على طَبقاتِ الحافظِ ابنِ رَجَبٍ.

وكتبَ في الفرائضِ كتابين هما: «كِفايةُ المُرْتَقي إلى معرفةِ فَرائضِ الخِرَقي»، و«البَدْرانيَّة شرحُ المنظومةِ الفارِضيَّة».

وتولَّى الإجابةَ عنِ الأسئلةِ والفَتاوى المُوَجَّهَةِ إليه، فخرجَتْ تلكَ الإجاباتُ في مؤلَّفاتٍ مستقلَّةٍ؛ كـ «روضةِ الأرواح»، و«دُرَّةِ الغَوَّاصِ»، و«العُقودِ الياقوتيَّةِ»، و«الفَريدَةِ اللُّؤْلُئِيَّةِ»، و«تَشْنيفِ الأسماعِ»، و«الأَجْوِبَةِ عنِ الأسئلةِ البَيْروتيَّةِ»، وغيرِها.

وقد أغربَ الأستاذُ محمَّدُ بنُ سعيدٍ العُمَانِيُّ الحَنْبَلِيُّ في ترجمتِهِ لابنِ بدرانَ؛ حيثُ ذكرَ أنَّهُ كانَ شافِعِيّاً فتحوَّلَ، وهذا النَّقْلُ غريبٌ، إذْ أنَّ المُتَتَبِّعَ لسيرةِ ابنِ بدران ـ فيما حكاهُ عنْ نفسِه ـ يرى أنَّهُ نشأَ نشأةً حنبليَّةً، ودرسَ في بدءِ أمرِه «دليلَ الطَّالبِ»، وتفقَّهَ على الشَّيخِ محمَّدِ بنِ عثمانَ الخطيبِ مُفْتي الحنابلةِ، وقرأَ عليهِ: «مختصرَ الإفاداتِ»، وكُلُّ ذلكَ قبلَ رحلتِهِ إلى دمشقَ، فمِنْ أينَ جاءَهُ المذهبُ الشافعيُّ، ودومةَ لم تعرفْ مذهباً غيرَ المذهبِ الحنبليِّ؟!.

ومعَ ذلكَ فيُمكِنُ توجيهُ كلامِ العُمانيِّ من أحدِ وَجْهينِ:

رفع المسيهم

الأَوَّلُ: أنَّ لابن بدرانَ تَحَوُّلَيْنِ: مرَّةً منَ المذهبِ الحنبليِّ إلى المذهبِ الشَّافعيِّ، والأُخْرَى منَ الشافعيِّ إلى الحنبليِّ! ـ وهذا بعيدٌ ـ.

الثاني: أنَّ مقصودَ ابنِ بدرانَ في كلامِه تَحَوُّلُهُ في الأُصولِ لا في الفُروع، حكى ذلكَ عنْ نفسِه على طريقةِ المتقدِّمينَ الَّذينَ كانوا يعبِّرونَ عن الأشاعرةِ بالشافعيَّةِ، وعن أهل الحديثِ بالحنابلةِ، فظنَّ السامعُ لهُ، أو النَّاقِلُ عنهُ، أنَّ مقصودَهُ في ذلكَ في الفروعِ.

وهذا التوجيهُ ـ عندي ـ أرجحُ وأصحُّ.

ومن هنا تعلمُ خطأَ إدخالِه في «التحوُّلِ المذهبيِّ»، وكذا خَطَأَ مَنْ تابعَ الأستاذَ العُمانيَّ على ما ذكرَهُ في ترجمتِه لابنِ بدرانَ مِنْ تحوُّلِهِ. واللهُ أعلمُ.

*** اخْتياراتُهُ الفِقْهِيَّةُ:**

تقدَّمَ أنَّ ابنَ بدرانَ حنبليُّ المذهبِ، إلاَّ أنَّه إذا اتَّضَحَ لهُ دليلٌ صحيحٌ صريحٌ خلافَ مذهبِه، لم يلتفتْ إلاَّ للدَّليلِ، ولذا فإنَّهُ وافقَ مذهبَهُ في أشياءَ، وخالفَهُ في أشياءَ أُخرى، وسوفَ أُلَمِّحُ هنا إلى بعضِ اختياراتِه الفقهيَّةِ، تاركاً اسْتِقْصاءَها إلى دراسةٍ مُطَوَّلَةٍ مُوعِبَةٍ.

فمِنِ اختياراتِهِ:

ـ أنَّ المعتبرَ في تطهيرِ المُتَنَجِّسِ زوالُ عينِ النَّجاسةِ دونَ اشتراطِ عددٍ معينٍ.

ـ وأنَّهُ يجوزُ المسحُ على الخُفِّ الممزَّقِ ما لمْ يظهرْ أكثرُهُ.

ـ وأنَّ لمسَ الأَمْرَدِ بشهوةٍ ناقضٌ للوضوءِ.

ـ وأنَّ خِتانَ الأُنثى مُسْتَحَبٌّ لا واجِبٌ.

ـ وأنَّهُ يجوزُ ضبطُ وقتِ الصَّلاةِ بالسَّاعةِ العصريَّةِ إذا تكرَّرَتْ إصابتُها.

رفع المسيهم

ـ وأنَّهُ لا يجبُ على المرأةِ سترُ كَفَّيْها في الصَّلاةِ؛ لأنَّهما ليسا بِعورَةٍ.

ـ وأنَّ النيَّةَ المُعْتَبَرَةَ في الصَّلاةِ هي نيَّةُ القلبِ.

ـ وأنَّ لفظَ «السُّلطانِ» يَعُمُّ كُلَّ ذي سُلطةٍ، حتَّى شيخُ القريةِ، ورئيسُ البلديَّةِ!.

ـ وأنَّهُ لا يُكْرَهُ السَّفَرُ قبلَ الزَّوالِ من يومِ الجُمُعَةِ إذا خافَ فواتَ السَّفَرِ.

ـ وأنَّ صلاةَ الجُمعةِ تنعقدُ بحضورِ ثلاثةِ أشخاصٍ ممَّنْ تجبُ عليهم، وتحديدُ العددِ لم يصحَّ فيه دليلٌ.

ـ وأنَّ استعمالَ الدَّواءِ أفضلُ من تركِهِ.

ـ وأنَّ حكمَ زكاةِ العُمْلَةِ الوَرَقيَّةِ كحكمِ زكاةِ الدَّيْنِ.

ـ وأنَّهُ يجوزُ تركيبُ أسنانِ الذهبِ، وإنْ قامَ المَعْدِنُ والفِضَّةُ مَقامَها.

ـ وأنَّ صومَ رمضانَ يَثْبُتُ بالإخبارِ عنهُ بالتِّلِغْرافِ إذا كانَ المُخْبِرُ عَدْلاً.

ـ وأنَّهُ يجوزُ إخراجُ الكَفَّارَةِ عنِ الصَّومِ بعدَ الموتِ على نحوِ ما يفعلُه الحنفيَّةُ في إسقاطِ الصَّلاةِ وغيرِها كطوافٍ واعتكافٍ!!.

ـ وأنَّهُ يجوزُ بيعُ المُعاطاةِ في قليلِ المالِ وكثيرِه.

ـ وأنَّ المرجعَ في الكيلِ والوزنِ إلى العُرْفِ بالحجازِ.

وغيرُ ذلكَ كثيرٌ.

*** شِعْرُهُ :**

كانَ ابنُ بدرانَ أديباً، شاعِراً، ناظماً، ناثِراً.

فقد تفوَّقَ في مجالِ الشِّعرِ، فتركَ لنا ديواناً كامِلاً أَوْدَعَهُ مقاطِعَ من شعرِهِ، سمَّاهُ: «تَسْلِيَة اللَّبيبِ عنْ ذِكْرى حَبيب».

رفع المسيهم

كما تفوَّقَ في النَّثْرِ، فصاغَ كتبَهُ التاريخيَّةَ والفقهيَّةَ بأسلوبِ الأدباءِ لا بأسلوبِ الفُقهاءِ، فجاءَتْ كتبُه سهلَةً مُيَسَّرَةً، مُذَلَّلَةَ الصِّعابِ.

ولعلَّ القارئَ لديباجةِ كتابِهِ «المُنادَمَة» يتذَوَّقُ رِفْعَةَ أسلوبِ ابنِ بدرانَ، وتحليقَه في سماءِ البلاغةِ الأدبيَّةِ، وقدرتَهُ على صياغةِ ما يريدُ في أساليبَ متنوِّعَةٍ.

ولأجلِ ذلكَ ذكرَ جميعُ من ترجَمَ لابنِ بدرانَ أَنَّهُ شاعرٌ وأديبٌ.

فقالَ الجُنْدِيُّ: «كانَ شاعِراً وأديباً وقُطْباً وعالِماً فَذّاً بَليغاً، جَمَعَ شعرَهُ في ديوانٍ.. وكانَ يهوَى المُطارحاتِ والمُساجَلاتِ الشعريَّةَ معَ الشُّعراءِ والأُدباءِ».

وقالَ الحصْنِيُّ: «سَبَقَ كثيراً من إخوانِه وأقرانِه في الأدبِ واللُّغةِ».

وقال الزِّرِكْليُّ: «... عارفٌ بالأدبِ والتَّاريخِ، له شِعْرٌ».

وقد شَمِلَ شعرُ ابنِ بدرانَ فُنونَ الشِّعرِ كُلَّها؛ كالمديحِ والغَزَلِ والوَصْفِ والرِّثاءِ والهِجاءِ والحِكْمَةِ والمُراسلاتِ، وغيرِها.

كما نَرى فيه جمالَ صنعةِ الشِّعرِ من تَوْرِيَةٍ وجِناسٍ وطِباقٍ وتَشْطيرٍ وتَخْميسٍ وتَطْريزٍ ومُوَشَّحاتٍ وتَضْمينٍ وإجازاتٍ، وغيرِ ذلكَ.

وسيرى المطالِعُ لديوانِهِ هذا جملةً وافرةً من النَّماذجِ المشرِقَةِ لما تقدَّمَ.

* مَكْتَبَتُهُ:

امتلكَ ابنُ بدرانَ مكتبةً علميَّةً جَيِّدَةً، تضمُّ نفائسَ المخطوطاتِ، وخاصَّةً في المذهبِ الحنبليِّ، وَرِثَ بعضَها عن جَدِّهِ لأُمِّهِ الشَّيخِ الفقيهِ أحمدَ بنِ مصطفى بنِ حسينِ النَّعْسان (ت: ١٢٨١هـ)، وبعضُها الآخَرُ تَمَلَّكَهُ لنفسِهِ، أو وُهِبَ لهُ.

رفع المسيهم

ثمَّ إنَّه لمَّا حَصَلَتْ لهُ تلكَ الفتنةُ المُظْلِمَةُ في بلدِه، وهاجَ عليهِ جَهَلَةُ الخَلْقِ، واستَعْدَوْا على مكتبتِهِ، فأحرقوا ما وجدوهُ فيها ـ كما حدَّثني بذلكَ بعضُ كبارِ السِّنِّ في دومةَ ـ، ولذلكِ حُقَّ لهُ أنْ يَصِمَهُم بالحُمُر المستنفِرَةِ، ويَصُبَّ جامَ غضبِهِ عليهمْ في ديباجةِ كتابهِ «المُنادَمَةِ».

وما بقي معَه من مكتبتِه احتملَه إلى دمشقَ، وأَوْدَعَهُ غُرْفَتَهُ إلى آخرِ حياتِهِ، ثمَّ إنَّ مكتبتَهُ بعدَ وفاتِه قدْ صارتْ لعدَّةِ أشخاصٍ منهم:

١ـ الشَّيْخُ عبدُ الغَنِيِّ بنُ إبراهيمَ الدُّرَّة الدُّوميُّ، وكانَ شابّاً مُحِبّاً للعلمِ، عاشِقاً للكتبِ، حتَّى اجتمعَتْ لديهِ مكتبةٌ غنيَّةٌ بالنَّفائس، اشتراها من عددٍ منَ الأُسرِ الَّتي ورثتِ الكتبَ ولمْ تعرفْ قدرَها، ثمَّ إنَّه تُوُفِّيَ وهو شابٌّ، فقامَ وَرَثَتُهُ ببيعِ مكتبتِه، وكانَ بعضُها منْ نصيبِ الأستاذِ شامِل الشاهين، منها خمسةٌ من مُؤَلَّفاتِ ابنِ بدرانَ بخطِّهِ، وقدْ نُشِرَ تقريرٌ وَصْفِيٌّ لهذِهِ المخطوطاتِ في «مجلَّةِ معهدِ المخطوطاتِ العربيَّةِ» الصادرةِ في الكويتِ (مج٣٢/ ج٢/ ص: ٢١٣ـ٢٣٩).

٢ـ ومنهمُ الأستاذُ محمَّدُ بنُ سعيدٍ العُمَانيُّ الحنبليُّ، حيثُ قالَ في ترجمةِ ابنِ بدرانَ بعدَ ذكرِ كتبِهِ: «هذا سوى ما لديَّ منَ الرَّسائلِ والفَتاوى منْ أصنافِ العلومِ، مِمَّا لو جُمِعَ لَبَلَغَ مُجَلَّداتٍ، وما كانَ يقعُ في كُرَّاسٍ أو كُرَّاسَيْنِ أضرَبْنا عنهُ خوفَ الإطالةِ».

قلتُ: وليتَهُ لمْ يَخَفْ منْ هذهِ الإطالَةِ، فلقدْ حَرَمَنا هذا الخوفُ كثيراً منَ النَّفائِس.

٣ ـ وصارَ جُزْءٌ آخَرُ بحَوْزَةِ الأستاذِ الشَّيْخِ مُحَمَّد زُهَيْر الشَّاويش، في مكتبتِهِ في بيروتَ.

أقولُ: ولا زِلْتُ أسمعُ بوجودِ كتبٍ أُخرى من مكتبةِ ابنِ بدرانَ لَدَى

رفع المسيهم

بعضِ الأُسرِ في دارسةَ، ولكنْ لمْ أستطعِ الوصولَ إلى شيءٍ ملموسٍ في الواقعِ، فاللهُ يُيسره بفضلِهِ وَمَنِّهِ.

*** مُؤَلَّفاتُهُ:**

تركَ العَلاَّمَةُ ابنُ بدرانَ مُؤَلَّفاتٍ كثيرةً، في موضوعاتٍ شَتَّى، دلَّتْ على جَلالَةِ قدرِهِ، وجَميلِ فضلِهِ، وسَعَةِ اطِّلاعِهِ، وتنوُّعِ علومِهِ ومَعارِفِهِ.

ولأجلِ هذهِ المُؤَلَّفاتِ الجَليلَةِ ذاعَ صِيتُهُ، وانتشرَ في الآفاقِ اسمُهُ، وأصبحَ عَلَماً من أعلامِ التَّجديدِ والإصلاحِ في القَرْنِ المنصرمِ.

ولو لَمْ يُوَفَّقْ لصنعِ هذِهِ المُؤَلَّفاتِ، لَما عَرَفَهُ أَحَدٌ، ولا تَوَجَّهَ إليهِ اهتمامٌ، ولا خُلِّدَ ذكرُهُ في سجلِّ التَّاريخِ.

وقدْ بلغَتْ مؤلَّفاتُه قُرابةَ الخمسينَ، أُوردُها هنا مَرَتَّبَةً حسبَ موضوعِها، وقد رمزتُ للكتابِ المطبوعِ بـ: (ط)، وللمخطوطِ بـ: (خ)، وللمفقودِ أو ما في حكمِه بـ: (؟) ـ واللهُ الموفِّقُ ـ.

ـ مؤلَّفاتُهُ في القرآنِ وعلومِهِ:

١ـ «جَواهرُ الأفكارِ ومعادِنُ الأَسْرارِ في تفسيرِ كلامِ العزيزِ الجَبَّار» (ط).

٢ ـ «الكَشْفُ عن حالِ قصَّةِ هاروتَ وماروتَ» (خ).

ـ مؤلَّفاتُهُ في الحديثِ وعلومِهِ:

١ـ «شرحُ الأربعينَ حديثاً المُنْذِريَّةِ» (خ).

٢ـ «شرحُ ثُلاثِيَّاتِ مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ» (؟).

٣ـ «شرحُ حَديثِ أُمِّ هانِئٍ في صلاةِ الضُّحَى» (خ).

رفع المسيهما

٤ـ «شرحُ سُنَنِ النَّسائِيِّ» (خ).

٥ـ «شرحُ شِهابِ الأخبارِ للقُضَاعِيِّ» (ط).

٦ـ «مقدِّمَةٌ في علومِ الحديثِ» (ط).

٧ـ «مواردُ الأَفهامِ من سَلْسَبيلِ عُمْدَةِ الأحكامِ» (خ).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في الفقهِ وأُصولِهِ:

١ـ «تَشنيفُ الأَسماع في بيانِ تَحريرِ المُدِّ والصَّاع» (خ).

٢ـ «تَعليقٌ على مختَصَر الإفاداتِ، لِلْبَلْبانِيِّ» (خ).

٣ـ «حاشيةٌ على أَخْصَرِ المُخْتَصراتِ، للبلبانيِّ» (ط).

٤ـ «حاشيةٌ على رسالةِ ذَمِّ المُوَسْوِسينَ، لابنِ قُدامةَ» (؟).

٥ـ «حاشيةٌ على مُنْتَهى الإراداتِ، للبُهوتِيِّ» (خ).

٦ـ «حاشيةٌ على الرَّوْضِ المُرْبِعِ شَرْح المُستقْنِع، للبُهوتِيِّ» (خ).

٧ـ «نُزهةُ الخاطِرِ العاطِرِ شرح رَوْضَةِ النَّاظِر، لابنِ قُدامةَ» (ط).

٨ـ «المَدْخَلُ إلى مذهبِ الإمامِ أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ» (ط).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في الفَرائِضِ:

١ـ «البَدْرانيَّةُ شَرْحُ المَنْظُومَةِ الفارِضِيَّةِ» (ط).

٢ـ «كِفايةُ المُرْتَقي إلى معرفةِ فرائضِ الخِرَقي» (ط).

ـ الفتَاوى:

١ـ «الأَجوبةُ عنِ الأسئلةِ البيروتيَّةِ» (ط).

٢ـ «دُرَّةُ الغَوَّاص في حُكْمِ الزَّكاةِ بالرَّصاص» (ط).

رفع المسيهما

٣ـ «رَوْضَةُ الأَرْواح» (ط).

٤ـ «العُقودُ الياقوتيَّة في جَيِّدِ الأسئلةِ الكُويتيَّة» (ط)

٥ـ «الفَريدَةُ اللُّؤْلُئِيَّة في العُقودِ الياقوتيَّة» (ط).

٦ـ «العقودُ الدُّرِّيَّة في الأجوبةِ القازانيَّة» (ط).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في العقيدةِ:

١ـ «تَعْليقٌ على لُمْعَةِ الاعتِقاد الهادي إلى سبيلِ الرَّشاد، لابنِ قدامة» (ط).

٢ـ «رسالةٌ تَهَكُّمِيَّة على الصُّوفيَّة» (خ).

٣ـ «شرحُ نونيَّةِ ابنِ القَيِّم» (؟).

٤ـ «الصَّحيحُ من حديثِ المِعْراج» (خ).

ـ مؤلَّفاتُه في التَّاريخِ والتَّراجمِ:

١ـ «تاريخُ دومةَ منذُ فجرِ الدَّولةِ العباسيَّة حتَّى القرنِ الرَّابعَ عَشَرَ الهجريِّ» (؟).

٢ـ «تهذيبُ تاريخِ الأميرِ عبدِ القادرِ الجزائريِّ» (؟).

٣ـ «تهذيبُ تاريخِ دمشقَ، لابنِ عساكرَ» (ط).

٤ـ «ذَيْلٌ على طبقاتِ الحنابلةِ، لابنِ رجبٍ» (؟).

٥ـ «الرِّحْلَةُ المغربيَّةُ» (؟).

٦ـ «الرَّوضُ البَسَّامُ في تراجمِ المُفْتينَ بدمشقَ الشَّام» (؟).

٧ـ «الكواكبُ الدُّرِّيَّة في تاريخِ عبدِ الرحمنِ اليوسفِ صدرِ سوريَّة» (ط).

رفع المسيهم

٨ ـ «مُنادَمَةُ الأَطْلال ومُسامَرَةُ الخَيال» (ط).

٩ ـ «مُنْتَخَبُ النَّفائِس في تهذيبِ الدَّارِس» (خ).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في اللُّغةِ والأدبِ:

١ ـ «آدابُ المُطالَعَة» (؟).

٢ ـ «إيضاحُ المعَالِم من شرحِ العَلاَّمَةِ ابنِ النَّاظِم» (خ).

٣ ـ «ديوانُ تسليةِ اللَّبيب عنْ ذِكْرى حَبيب» (ط).

٤ ـ «رسالةٌ في علمِ البَديع» (خ).

٥ ـ «المَنْهَلُ الصَّافي في شَرْحِ الكافي في العروضِ والقَوافي» (خ).

ـ مُؤَلَّفاتُهُ في الوَعْظِ والخَطابَةِ:

١ ـ «ديوانُ الخُطَبِ المِنْبَرِيَّةِ» (؟).

٢ ـ «سبيلُ الرَّشاد إلى حقيقةِ الوَعْظِ والإرشاد» (؟).

ـ مؤلَّفاتُه في عِلْمِ الفَلَكِ:

١ ـ «رسالةٌ في الرُّبْعِ المُجَيَّب» (؟).

٢ ـ «رسالةٌ في الرُّبْعِ المُقَنْطَر» (؟).

*** ثَناءُ العلماءِ عليهِ:**

أثنى على العلاَّمةِ ابنِ بدرانَ كلُّ مَنْ عرفَهُ وأنصفَهُ، وقَدَرَهُ حقَّ قَدْرِهِ.

ومن هؤُلاءِ:

ـ العلاَّمةُ الشَّيخُ عبدُ الرزَّاقِ بنُ حسنٍ البيطارُ؛ حيثُ قالَ عنه في تقريظِه لكتابِ «المَنْهَلِ الصافي»: «. . الأديبُ الكامِلُ، والأريبُ العالِمُ العامِلُ».

رفع المسيهم

ـ والمُؤَرِّخُ تقيُّ الدِّينِ الحصنيُّ فقالَ: «..وهوَ مُتَضَلِّعٌ من العلومِ العصريَّةِ، والفُنونِ الكثيرةِ، اشتُهِرَ في الشِّعْرِ والتَّاريخِ..كانَ سَلَفِيِّ العَقيدةِ، يُحِبُّ التَّقَشُّفَ، ويميلُ طبعُهُ إلى الانفرادِ عنِ النَّاسِ والبُعْدِ عنِ الأمراءِ..ولهُ اختِصاصٌ في علمِ الآثارِ والكتبِ القديمةِ، ومعرفةِ أسماءِ الرِّجالِ ومؤلَّفاتِهم من صدرِ الإسلامِ إلى اليومِ».

ـ والعَلاَّمَةُ مُحِبُّ الدِّينِ الخطيبُ في ترجمتهِ لهُ بمجلَّةِ «الفتحِ» حيثُ قالَ: «وهوَ من أفاضلِ العلماءِ، تلقَّى العلمَ عنِ المشايخِ مدَّةَ خمسِ سنواتٍ، ثمَّ انصرفَ إلى تعليمِ نفسِهِ بنفسِهِ، فكانَ من أهلِ الصَّبْرِ على التَّوَسُّعِ في اكتسابِ المعارفِ من العلومِ الشرعيَّةِ والأدبيَّةِ والعقليَّةِ والرِّياضيَّةِ».

ـ والأستاذُ أدهمُ الجنديُّ، فقالَ: «وبرعَ في سائرِ العلومِ العقليَّةِ والأدبيَّةِ والرِّياضيَّةِ، وتبَحَّرَ في الفقهِ والنَّحْوِ، فكانَ ـ رحمه اللهُ ـ علماً منَ الأعلامِ».

وقالَ ـ أيضاً ـ: «كانَ شَيْخاً جَليلاً، زاهداً في حُطَامِ الدُّنْيا، مُتَقَشِّفاً في مَلْبَسِهِ ومَسْكَنِه ومَعِيشَتِهِ، وكانَ ـ رحمه اللهُ ـ ذا قَرْعَةٍ طويلةٍ امتدَّتْ إلى أسفلِ رقبتِهِ، أعْمَشَ العينين».

ـ والأستاذُ خيرُ الدِّينِ الزِّرِكْلِيُّ، فقالَ: «فقيهٌ، أُصوليٌّ، حنبليٌّ، عارفٌ بالأدبِ والتَّاريخِ، له شِعْرٌ..كانَ حَسَنَ المُحاضرةِ، كارهاً للمَظاهِرِ، قانعاً بالكَفافِ، لا يُعْنَى بِملبسٍ أو بمأكلٍ، يصبغُ لحيتَهُ بالحِنَّاءِ، وربَّما ظهرَ أثرُ الصَّبْغِ على أطرافِ عِمامتِهِ، ضَعُفَ بصرُه قبلَ الكُهولة، وفُلِجَ في أعوامِهِ الأخيرةِ».

هذا غَيْضٌ من فَيْضٍ لما قالهُ العُلماءُ في مدحِ ابنِ بدرانَ، ولا أعرفُ أحداً تكلَّم بذمِّه، أو تَنَقَّص من علمِه، سوى ما كتبهُ الشَّيخُ الفقيهُ محمَّدُ

رفع المسيهما

جَميل الشَّطِّيُّ ـ سامحَه الله ـ عندمَا أشارَ إلى ابنِ بدرانَ في خاتمةِ كتابِه «أَعيان دمشق»، فقالَ: «عالِمٌ مُتَطَرِّفٌ!».

ولا غرابةَ فيما قالَهُ الشَّطِّيُّ؛ لأنَّ بعضَ آلِ الشَّطِّيِّ وقفوا منِ ابنِ بدرانَ موقفَ الخصمِ؛ لِما كانَ يدعو إليهِ منَ الإصلاحِ والتَّجديدِ، ونَبْذِ البِدَعِ والخُرافاتِ، وقد ذهبَ الجميعُ لرحمةِ اللهِ وعفوِه، فنسألُ اللهَ ـ تعالى ـ أَلاَّ يجعلَ في قلوبِنا غِلاًّ للَّذينَ آمنوا.

*** وفاتُهُ:**

أصيبَ العَلاَّمَةُ ابنُ بدرانَ في أواخِرِ حَياتِه بِداءِ الفالِجِ، وذلكَ في ليلةِ النِّصْفِ من شَوَّالٍ سنة (١٣٤٢هـ)، ونُقِلَ في اليومِ التَّالي إلى المستشفى العامِّ بدمشقَ، وانقطعَ النَّاسُ عنهُ، وكانَ العامِلون في المستشفى ـ وهُمْ منَ النَّصارى ـ يعرفون قَدْرَهُ، ويُلاطفونَه أحسنَ مُلاطفةٍ.

وكانَ في أَثْناءِ إقامتِه في المستشفى يُسَلّي نفسَه بنَظْمِ الشِّعرِ، يُرَوِّضُ بذلكَ يدَهُ اليُسْرى على الكتابةِ، حتَّى اجتمعَ من شعرِهِ هذا الديوان الذي سَمَّاه: «تَسْلِيَةَ اللَّبيب عَنْ ذِكْرى حبيب».

وقدْ مكثَ في المستشفى نَحْوَ سِتَّةِ أَشْهُر، ثمَّ خرجَ منها إلى غرفتِه في مدرسةِ عبدِ اللهِ باشا العَظْم، وأَكبَّ على المُطالعةِ حتَّى أُصيبَ بضعفٍ في بصرِه، وبقيَ كذلكَ مدَّةَ ثلاثِ سنواتٍ، حتَّى وافاهُ أجلُهُ في مدينةِ دمشقَ يومَ الأحدِ التاسِعِ والعِشرينَ من شهرِ ربيعٍ الأَوَّلِ سنةَ (١٣٤٦هـ)، الموافق للخامسِ والعشرينَ من شهرِ أَيلول سنةَ (١٩٢٧م)، وذلكَ في مستشفى الغُرباءِ بدمشقَ، ودُفن في مقبرةِ البابِ الصَّغير ـ رحمَهُ اللهُ وغفرَ له ـ.

❑ ❑ ❑

رفع المسيهم

صور المخطوطات

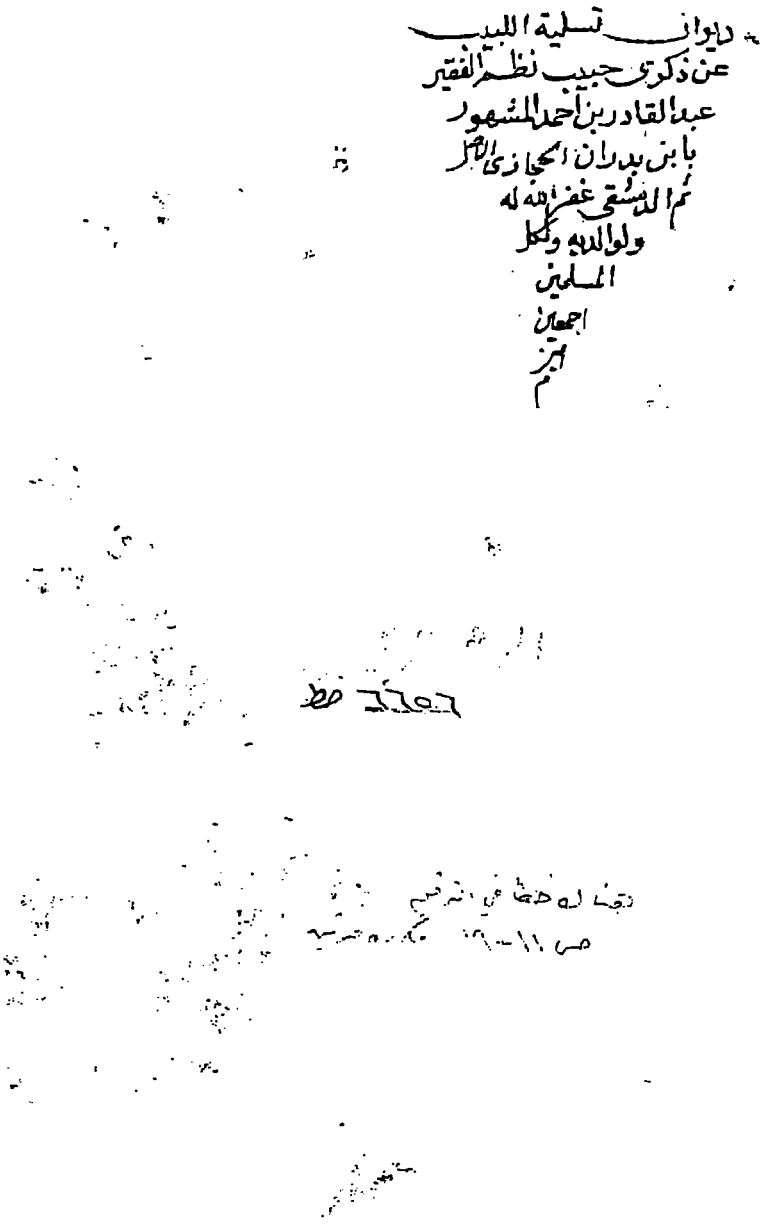
ديوان تسلية اللبيب
عن ذكرى حبيب نظم الفقير
عبد القادر بن أحمد المشهور
بابن بدران الحجازي الأثر
ثم الدمشقي غفر الله له
ولوالديه ولكل
المسلمين
اجمعين
امين

صورة الصفحة الأولىٰ من الديوان بخط الشاعر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الشعر ديوان العرب ، واختصهم ببدائع المعاني وبديع الأدب ، وبرقة الطبع وجودة الفكر ، وبمحاسن الأحاسن التي تضمنها سحر النثر والشعر ، فالتقطوا من بحر المعاني ما لا يصل اليه فكر المعاني من درر المعاني ، وقلبوا الأحداق في زهر سماء المعاني ، وفي زهر رياض البديع فاطربوا ولاكطرب المثاني ، واظهروا اعجازيات المثاني فسبحان القدوس الذي ليس له ثاني ، والصلوة والسلام على افصح العرب العرباء ، ومخرج من خلقه الله في الارض والسماء ، من قال في مدحه من قبل وفضله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، الا وان ذلك لصيانة معجزة القرآن وللرد على من قال انه شعر او من مقالة الكهان ، القائل ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وقد سمع الشعر وعلى قائله يا ربرة اجرى صلى الله عليه وعلى اله ما اشتاق الى الفقار فؤاد المحب الواله وما سجعت حمائم الافكار على افنان البلاغة واستغرغ المصقع في مدح الرسول بلاغه وبعد فيقول افقر الورى لرحمة المنان عبد القادر بن احمد بدران الدمشقي فتح الله عليه فتوح العارفين واذاقه حلاوة التحقيق من عين اليقين لما كانت بنات الافكار اغلى من البنات الابكار ومحاسن التشبيه رياض الاديب النبيه وبدائع البديع ابدع من ازهار الربيع وتذكر الدمن والمنازل اكرم من احتفاء البلابل واسحر من سحر بابل والغزل والنسيب نسيبي تذكري حبيب وشكوى الاراق والبعد ارق من نسيم النجر والفخر والحماسة حكما تخذ من العدو انفاسه والتفنن بفنون الاساليب لفظا حملت بتوتر الاعاجيب مرنو في مشرقات النظم در سحاب جرى في صحائف تحر اللجين وخالص للزرياب

واذا ترقرق في الصحيفة ماؤه عبق النسيم فذاك ماء شباب يصغي اليه ذوو الالباب فيقسم لبهم بين التعجب والاعجاب فهو جد يطير منه الشرر وفكاهة تستعطف الاحباب للاحباب وان كان الجيب نهر جوى

افاضل البلغاء وشنوا الغارة الشعواء لاقتناص شوارد معانيه واقتناص من يلم بمعانيه وتعاطوا كؤوس محاضرته ولحادوا فنون محاورته فما منهم الا من نظم او روى شعرا او استنبط منه معنى البر جواد فكره اجرى بيدان بضاعته رميت في زمننا بالكساد وسلعتها الحاد بالسنة حداد واولعوا بامتداح القديم وتفاخروا بالعظم الرميم واكبوا على ذم الحديث الغير الذميم

لابن سُرُف

أولع الناس بامتداح القديم وبذم الحديث غير السديم
ليس الا لانهم حسدوا الحي وما زالوا الى العظام الرميم

وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يقتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحقه وكم ترك الاول للآخر وسرحكم تخفى على اولى البصائر نعم الشعر عقل الشخص والحلى كماله والنقص وان احسن بيت قاله الانسان ما كان صدقا كما قال حسان

وانما الشعر عقل المرء يعرضه على البرية ان كيسا وان حمقا
وان احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

هذا ولما كان الامر كما تقرر وخلد في بطون الدفاتر وسطر وكانت الرحلة في طلب العلم علامة النبل ودليل الحلم لا جرم هجرت الاوطان وواصلت وشاق وغيرها من البلدان فكنت في اثناء المطالعة وتكرار البحث والمراجعة وملازمة الخلوات اروح النفس ببعض الابيات تارة تذكر الدمن والاطلال وتارة اكون في احدى الرياض بجانب العذيب الزلال فاتسلى ببعض الغزليات او يقتضي الحال النظم بعض المرثيات ثم لما قدر الله السفر الى المغرب فعد من اكثر الامور التي فر ارع عنقاء مغرب ونشتت ما كنت فطنته وتفرق عني ما جمعته ولما قدر الله الرجوع الى الوطن تذكرت تلك الاطلال والدمن فرايتها شيئا يسيرا فاردت جمعها لتكون لي تذكارا على ما مضى وسميرا مع اني لم اكلف نفسي نظما ولا اتعبت لها فريحة ولا فهما بل شيء وقع عفوا ترويحا للبال وفي الخلوات نجوى وجعلت ما نظمته مرتبا على ابواب وفصول حسب

فهو السعيد على مدام وصده ... يسقى لذلة خاسئا مطرودا
بجمال أدا التي الكماة عمت له ... شم الانوف وقمت الجلمودا
يا من لعبوب بصائبات فكره ... ويرى الجحا حاضرا مشهودا
وموفق فاذا اراد قضية ... مهد الاله سبيلها تمهيدا
حفظ الكريم لنا السعيد تفضلا ... وادام وردنواله مورودا

وقلت مودعا رئيسة المستشفى

شمسنا الشمس المضيه ... فيلومينا اليا زجيه
بيد بعدنا عن حماها ... صبحة اضحى عشيه
شيعت فينا الاعادي ... بالسعايات المرديه
فافترقنا في قلوب ... جامعات بالسويه
روحها روح عفاف ... خصت منها الطوية
الفت روحي حماها ... وبه صارت شجية
ان ترم ترك ودادي ... ولها في ذاك نيه
فانا قيس هواها ... وهي ليلاي العامريه
ساعة التوديع حانت ... ولهبنا النفس أبيه
بس ذاك باختياري ... بل بدا عكس القضيه
فاذكريني يا حياتي ... واجعلي النفس رضيه
علّ أيام الفراق ... بالتلاقي عادت تحيه
زالت الداء شفاء ... مذهب عني البليه
وخلصت من أذاه ... بوباض عبهربه
عندما تقضى حقوقا ... وجبت لي بالسجيه
يا نسيم الفجر حيي ... بالنسيمات الشذيه
معهد الاحباب اقرئ ... فيه اصناف التحيه
أنني بالرغم عني ... صرت في ارض قضيه

وخيال الحب أنسى ... والمزايا العبقريه
انا لا ابغي سواها ... ان تكن عني غنيه
كيف لا اهوى فتاة ... بالذكاء المعبه

هذا آخر ما اتممت نظمه في المستشفى وكتبته بيدي اليسرى والحمد لله على كل حال

نموذج لما كتبه بيده اليسرى أثناء مرضه

روح مقدسة تدانت برهة ... وتصاعدت لمكانها تحويلا
من شاء أن يحصى مزاياها التى ... خصت بها وحبا المقام مقولا
وتركت فينا رحمة بنفوسنا ... شبلين أضحيا للعلى تحجيلا
أمرا الوغا غيظ العدى بحراتهما ... وعلى المعالى قد جريا ذيلا
فسعيد فى السعد فاز بحظه ... شمس الكمال وما تريد أفولا
وأمام أهل المجد عبد القادر ... والمجد منه مهلل تهليلا
لا يمكن التمييز بينهما كما ... نرة وليس لنا لهم مجهولا

يا آل طه أنتم أهل النبا ... ت بكل خطب قد غدا مأمولا
فالصبر شيمتكم وأنتم أهله ... فدعوا الحسود يصيركم مخذولا
فرسول رب الخلق لم يك خالدا ... والموت سيف لم يزل مسلولا
ما مات من ترك الخلائف مثلكم ... بل كان حيا فى الأنام جليلا
فعلى الأمير سلام ربى والرضا ... ما أنهل غيث بكرة وأصيلا
أو ما على فى الجنان له الهنا ... مع جده أرخ (رجوا تنعيلا) ١٢٩٦

وقلت مرتجلا بالقاس بعض الرحاب مطرزا

سلام على الحب الصفى مع الوفا ... وأهلا بمن هو للتباعد والجفا
محال بأن تنسى المودة بيننا ... وإن زال رضوى والمجون مع الصفا
يهون على الموت فى ترك حبكم ... وإنى بذكراكم يدوم لى الصفا
حلال لدى العشاق سفح دموعهم ... وزال عن العشاق دوما وقد عفا
صيانا لمن كان الحبيب جليسه ... فهنيئا لعشاق النعيم وقد كفى

وقلت مادحا فخر الدين باشا مدير اوقاف سوريه

فاقت دمشق بفخر الدين إذ ظهرا ... وعز أوقافها للأوج فى سرى
حفت بفضل بدا فى طيه أثر ... فى وصفه حارت الكتاب والشعرا
رعاك يا أوحدا تسمى العلوم به ... بالفخر إذ صبها والنور يبدو يرى
بحر علوك أهل العلم فى زمن ... ضاقت مذاهبهم فجاورها النقل

بالمجد والفضل لا زال العلاء له ... بحكم أثر للفضل قد أسرا
كيف المدائح لا تهوى أكفكم ... أسنى مقام على أوج العلا ظهرا

وقلت بعد الحرب الكبرى مناسبا على البلاد الاسلامية وعلى ما حل بها وقد نشرت فى جريدة الاقبال البيروتية

إيه ذكر سعدى والزمان الماضى ... واشرح بربك علة الامراض
ترنك سلما واستدت غيرها ... وبنت صفا معها على الانقاض
لله درك يا زمان فانى ... هادمت حيا نلت عنك براضى
يا دار سلمان سكان حلما ... قوضت معالمهم بلا مقراض
قل لى سليمى بين أنياب الاسو ... د تقول ويلى من برم الماضى
يا أيها النعمان أنعمت الأذى ... ك أما علمت عكر دنى الأعراض
وتحطمى عبد الحطيم وبدلوا ... عهد الحبيب بذلة الأعراض
لا دعا عبد الملك يا ابن نوح فاسد ... واحكم بما تهوى فأنت القاضى
حكمت نفسك طامعا فى نعمة ... تولى بها تمزق الاعراض
والوعاء لم تفطر الوشا ... ه بحبه فغدا على إرماض
يشكو الى العقبان شوم حريه ... يبتز الفؤاد بزمعه الفياض
يا يد رو الحديقة حل عى ... وادى الفضا أجرى بها الفياض
عهدى بدار أحبتى بالمنحنا ... قد بدلت بالسعد والانس ضده
قد يوعها الصحب تنادم حصها ... لترى من النادى ذاق بياض
يتمتع الوراد من قرح الظما ... لكنه شرب على ادحاض
يا للعشيرة للمنيرات ... لم تؤنسه تؤنس برياض
هوا الفؤاد الى الحمى أثر كما ... مر النسيم بعرفه الفياض
قد كان يجمعها معا مهجى فى ... روضا تعاوض من أعواض

الى

دواوين شعراء الحنابلة
(١)

ديوان الإمام
عبد القادر بن بدران

المسمّى بـ

تسلية اللبيب عن ذكرى حبيب

نظم الشاعر

العلّامة عبد القادر بن بدران الدُّومي الحنبلي

رحمه الله تعالى

إعتنى به
تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً
نور الدين طالب

رفع المسهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الَّذي جَعَلَ الشِّعْرَ دِيوانَ العَرَب، واخْتَصَّهُم بِبَدائعِ المعاني وبَديعِ الأَدَب، وبرِقَّةِ الطَّبْعِ، وجَوْدَةِ الفِكْر، وبمَحَاسِنِ الأحاسِنِ الَّتي تَضَمَّنَها سِحرُ النَّثر والشِّعْرِ، فالتَقَطوا من أبحُرِ المَعَاني، ما لا يَصِلُ إِلَيه فِكْرُ المُعَاني مِنْ دُرَرِ المَعَاني، وقَلَّبُوا الأَحْدَاقَ في زَهْرِ سَمَاءِ المَبَاني، وفي زَهْرِ رِيَاضِ البَديعِ فأَطْرَبُوا ولا كَطَرَبِ المَثَاني، وأظْهَرُوا إِعْجَازَ آياتِ المَثَانِي، فَسُبْحَانَ القُدُّوسِ الَّذي لَيْس لَهُ ثَانِي.

والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أَفْصَحِ العَربِ العَرْبَاء، ومَفْخَرِ مَنْ خَلَقَهُ اللهُ في الأَرْضِ والسَّمَاء، مَنْ قَالَ في مَدْحِهِ مَنْ كَمَّلَهُ وفَضَّلَه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يسٓ: ٦٩]، أَلا وإِنَّ ذَلِكَ لصيانةِ مُعْجِزَةِ القُرآنِ، وللرَّدِّ علىٰ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ شِعرٌ أَوْ مِنْ مَقَالَة الكُهَّانِ، القَائلِ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً، وإِنَّ مِنَ البَيَان لَسِحْراً»، وقَدْ سَمِعَ الشِّعْرَ، وعَلىٰ قَائِلِهِ تَيَّارَ بِرِّهِ أَجْرَىٰ، صَلَّى الله عَلَيهِ وعلىٰ آلِهِ، ما اشْتَاقَ إلى اللِّقاءِ فُؤادُ المُحِبِّ الوَالِه، وما سَجَعَتْ حَمَائِمُ الأفكارِ علىٰ أَفنانِ البَلاغَه، واستَفْرَغَ المِصْقَعُ في مَدْحِ الرَّسُولِ بلاغَه.

وَبَعدُ: فَيَقُولُ أَفْقَرُ الوَرَىٰ لِرَحْمَةِ المَنَّانِ، عَبْدُ القَادِرِ بنُ أحمدَ بدرانَ

رفع المسيهم

الدِّمَشْقِيُّ ـ فَتَحَ اللهُ عليهِ فتوحَ العَارِفينَ، وأذَاقَهُ حلاوةَ التَّحقيقِ مِنْ عَينِ اليَقينِ ـ: لَمَّا كانَتْ بناتُ الأَفكارِ أَغْلىٰ من البَنَاتِ الأَبْكارِ، ومَحَاسِنُ التَّشبيهِ، رِياضَ الأديبِ النَّبيهِ، وبَدائِعُ البَديعِ، أَبْدَعَ من أَزْهارِ الرَّبيعِ، وتَذَكُّرُ الدِّمَنِ والمَنَازِل، أَسْكَرَ منِ احْتِسَاءِ البَلابِل، وأَسْحَرَ مِنْ سِحْرِ بَابِل، والغَزَلُ والنَّسيبُ، نَسِيبَيْنِ لِذِكْرَى حَبيب، وشَكْوَى الأَرَقِ والهَجْرِ، أَرَقَّ من نَسِيم الفَجْر، والفَخْرُ والحَماسَه، حِكَماً تُخمِدُ من العَدُوِّ أَنْفَاسَه، والتَفَنُّنُ بفنونِ الأَساليب، لَفْظاً صَقَلَتْ مُتُونَهُ الأَعاجيب، فَهُوَ في مُشْرِقَاتِ النَّظْمِ دُرُّ سَحَاب، جَرَىٰ في صَفَحَاتِه حُرُّ اللُّجَيْنِ وخَالِصُ الزِّرْياب. [من الكامل]

وَإِذَا تَـرَقْـرَقَ فـي الصَّحيفَـةِ مَـاؤُهُ عَبَـقَ النَّسيـمُ فَـذَاكَ مَـاءُ شبـابِ

يُصغِي إِلَيْهِ ذَوُو الأَلبابِ، فَيَقْسِمُ لُبَّهُمْ بَيْنَ التَّعَجُّبِ والإِعْجَابِ، فَهُو جِدٌّ يطيرُ مِنْهُ الشَّرَر، وَفُكاهةٌ تَستَعْطِفُ الأَحْبَابَ للأَحْبَابِ وإِنْ كانَ الحَبيبُ نَفَر، جَرَىٰ أَفَاضِلُ البُلَغَاء، وشَنُّوا الغَارَةَ الشَّعْواء؛ لِاقْتِنَاصِ شَوارِدِ مَعَانِيه، وانْتِقَاصِ مَن يَلُمُّ مُعَافِيه، وتَعَاطَوْا كُؤوسَ مُحاضَرَتِهِ، وتَهَادَوْا فُنونَ مُحَاوَرَتِهِ، فَما مِنْهم إلاَّ مَنْ نَظَم أَو رَوَىٰ شِعْرا، أو استَنْبَطَ مِنْهُ مَعنًى إِلَيهِ جَوادَ فِكْرِهِ أَجْرىٰ، بَيْدَ أَنَّ بِضَاعَتَهُ رُمِيَتْ في زَمننا بالكَسَاد، وسَلَقَتْها الحُسَّادُ بِأَلْسِنَةٍ حِداد، وأُولِعوا بامتِدَاحِ القَديم، وتَفَاخَرُوا بالعَظْمِ الرَّمِيم، وأَكَبُّوا علىٰ ذَمِّ الحَديثِ غَيرِ الذَّمِيم.

لابن شرف: [من الخفيف]

أُولِـعَ النَّـاسُ بـامْتِـداحِ القَـدِيـمِ وبِـذَمِّ الحَـديـثِ غَيْـرِ الـذَّمِيـمِ
لَيْـسَ إلاَّ لأَنَّهُـمْ حَسَـدُوا الحَـيَّ ومَـالـوا إلـى العِظَـامِ الـرَّمِيـمِ

ولَيْسَ لِقِدَمِ العَهْدِ يُفَضَّلُ القَائِلُ، ولا لِحِدْثَانِ العَهْدِ يُهْتَضَمُ المُصِيبُ،

رفع المسيهم

ولٰكن يُعْطَىٰ كُلٌّ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وكَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ للآخِرِ! ولله حِكَمٌ تَخْفَىٰ علىٰ أُولي البَصائِرِ.

نَعَمْ، الشِّعرُ عَقْلُ الشَّخْص، دَالٌّ علىٰ كَمَالِه أو النَّقْص، وإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ قَالَهُ الإِنسانُ، ما كَانَ صِدْقاً كَمَا قَالَ حَسّانُ: [من البسيط]

وإِنَّمَا الشِّعْرُ عَقْلُ المَرْءِ يَعْرِضُهُ ... عَلَى البَرِيَّةِ إِنْ كَيْساً وَإِنْ حَمَقَا
وإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ ... بَيْتٌ يُقَالُ إِذا أَنْشَدْتَهُ: صَدَقَا

هٰذا ولَمَّا كَانَ الأَمْرُ كَمَا قُرِّر، وخُلِّد في بُطونِ الدَّفاتِرِ وسُطِّر، وكَانَتِ الرِّحْلَةُ في طَلَبِ العِلْم، عَلاَمَةَ النُّبلِ وَدَليلَ الحِلْم، لا جَرَم هَجرْتُ الأَوطان، وواصَلْتُ دِمَشْقَ وغَيرَها منَ البُلْدان، فَكُنْتُ في أَثْناءِ المُطَالَعةِ، وتكرَار البَحْثِ والمُراجَعَةِ، ومُلازَمةِ الخَلَواتِ، أُرَوِّحُ النَّفْسَ بِبَعضِ الأَبياتِ، تَارةً أَتَذَكَّرُ الدِّمَنَ والأَطلال، وتَارَةً أَكُونُ في إِحدى الرِّياضِ بِجَانِبِ العَذْبِ الزُّلاَل، فَأَتَسَلَّىٰ بِبَعضِ الغَزَلِيَّاتِ، أو يَقْتَضِي الحَالُ نَظْمَ بَعْضِ المَرْثِيَّاتِ.

ثُمَّ لَمَّا قَدَّرَ اللهُ السَّفَرَ إلى المَغْرِبِ، فُقِدَ مِنِّي أَكْثَرُ الأَوْراق، فِرَاراً مَعَ عَنْقاء مُغْرِب، وتَشَتَّتَ ما كُنْتُ نَظَمْتُه، وتَفَرَّقَ عَنِّي ما جَمَعْتُهُ.

وَلَمَّا قَدَّرَ اللهُ الرُّجُوعَ إلى الوَطَن، تَذَكَّرْتُ تِلكَ الأَطلالَ والدِّمَنْ، فَرَأَيتُها شَيْئاً يسِيرَا، فَأَرَدْتُ جَمْعَهَا لِتَكُونَ لِي تِذْكَاراً عَلىٰ مَا مَضَىٰ وَسَمِيرا، مَعَ أَنِّي لَمْ أُكَلِّفْ نَفْسِي نَظْمَا، ولا أَتْعَبْتُ لَهُ قَرِيحَةً ولا فَهْما، بَلْ شَيءٌ وَقَعَ عَفْوَا؛ تَرْوِيحاً للبَال، وفي الخَلَوات نَجْوىٰ، وجَعَلْتُ ما نَظَمْتُهُ مُرَتَّباً علىٰ أبوابٍ وفُصُول؛ حَسْبَ الإِقَامَةِ والظُّعُون، وعَلى اللهِ أَعْتَمِدُ في كُلِّ الأُمورِ، وَبِهِ أَسْتَعينُ وَهُوَ الغَفور.

❑ ❑ ❑

رفع المسيهم

البَابُ الأَوَّلُ

فيما قُلْتُهُ وأنا في دِمَشْقَ الفَيْحَاء

فَصْلٌ فِي المَدَائِحِ

(١)

وقلت في مدحهِ ﷺ: [من الكامل]

أَزِفَ الصَّبَاحُ فَجَدَّ فَرْطُ جَوَائِي ... وتَوَالَتِ الزَّفَرَاتُ في الرَّمْضَاءِ

أمْسَيْتُ فِي حُرَقِ التَّأسُّفِ مَا شدَا ... طَيْرُ السَّمَا فِي الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ

أشْكُو مَرَارَاتِ النَّوَىٰ فَيَزِيدُنِي ... ذِكْرِي لَهَا شَغَفاً وَطُولَ عَنَاءِ

فَأَنَا الصَّبِيبُ دِماءَ عَيْنِي حَيْثُما ... لَمْ يُغْنِنِي فِي النَّائِبَاتِ بُكَائِي

أَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي المَدِيحِ وَلَمْ أَجِدْ ... فِي مَدْحِ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ وَفَائِي

أَشْتَاقُهُم وَأَوَدُّهُم وأَظُنُّهُمْ ... ذُخْراً إِذَا جَالَتْ خُيُولُ بَلائِي

أَوَّاهُ كَمْ عَكَفُوا علىٰ حَسَدي كَمَا ... عَكَفَ الشَّقِي لِعِبَادَةِ الأَنْوَاءِ

إِنْ يَسْمَعُوا مِنْ فِرْيَةٍ طَارُوا بِهَا ... فَرَحاً وَيُمْقِتُهُم أَرِيجُ ثَنَائِي

أَوَلَم يَرَوْا أَنِّي بِمَدْحِ المُصْطَفَىٰ ... مُتَفَنِّنٌ ولَهُ بَسَطْتُ رِدَائِي

الهَاشِمي المُخْتَارُ أَفْضَلُ مَنْ مَشَىٰ ... فَوْقَ الثَّرَىٰ وسَرَىٰ إِلَى العَلْيَاءِ

الطَّاهِرُ ابْنُ الطَّاهِرِ ابنِ الطَّاهِرِ ابْنِ الطَّاهِرِ الآبَاءِ

النَّاصِرُ المَلْهُوفَ مِنْ أَعْدَائِهِ ... والكَاشِفُ الدَّيْجُورَ بالأَضْوَاءِ

إِنْ تَسْتَجِرْ يَوْماً بِعِزِّ جَنَابِهِ ... تَجِدْ بِهِ عِزّاً وَطِيبَ ثَنَاءِ

رفع المسيهم

أَغْنَتْ حِمَايَتُه عَنِ البِيضِ الَّتي سَفَكَتْ مَوَاضِيهَا دَمَ الأَعْداءِ
أُهْدِيهِ مِنِّي أَفْضَلَ التَّسْلِيمِ مَا أَزِفَ الصَّباحُ فَجَدَّ فَرْطُ جَوَائِي

(٢)

وقلتُ: [من الكامل]

يا قَلْبُ لا تُبْدِي التَّضَجُّرَ واتَّئِدْ إِذْ ضِيقُ حَالِكَ لِلْمَسَرَّةِ صَائِرُ
وَاسْتَغْنِ بِاللهِ الكَرِيم فَإِنَّهُ نِعْمَ المُعِينُ لَنا ونِعْمَ النَّاصِرُ
وَانْزِلْ حِمَىٰ طٰهَ الشَّفِيعِ المُصْطَفىٰ فَهُوَ المُرَجَّىٰ والحَبيبُ الطَّاهرُ
خَيْرُ الأَنَامِ وَنُخْبَةُ العَلْيا وَمَنْ لِلْمُسْتَجِيرِ بِهِ فَلاَحٌ ظَاهِرُ

(٣)

وقُلتُ مَادِحاً فَخْرَ المُفَسِّرينَ، وعُمْدَةَ المُحَدِّثِينَ العَلاَّمَةَ الأَوْحَدَ الجَهْبَذَ النِّحْريرَ كَوكَبَ الدِّيارِ الشَّامِيَّةِ سَيِّدي وأُستاذِي الشَّيخَ سَليمَ العَطَّار: [من الكامل]

مَا رُمْتُ فِي رَوْضِ المَحَاسِنِ نَظْرَةً إِلاَّ رَمَتْنِي بِالسِّهَامِ نَوَاظِرُ
تَاللهِ لَوْلا الحِبُّ أمْسىٰ فَاتِنِي مَا بِتُّ لَيْلاً للنُّجُومِ أُسَامِرُ
نَشْوانَ فِي أَلَمِ الصُّدُودِ وَحَبَّذا طَرْفٌ بِحُبِّكَ فِي الدَّيَاجِي سَاهِرُ
يَصْبُو إِلىٰ تَذْكارِ عَهْدٍ قَدْ مَضَىٰ فِي طِيبِ عَيْشٍ وَالهَزَارُ مُحاضِرُ
وَلَهُ الحَمَامُ يَحِنُّ شَوْقاً عِنْدَما لاحَ الصَّبَاحُ وللسُّرُورِ بَشَائِرُ
وَالغُصْنُ فِي رَوْضِ التَّهَانِي يَنْثَنِي طَرَباً وَزَهْرَاتُ الرُّبا تَتَنَاثَرُ
وَلَطَائِفُ النُّدْمَانِ قَدْ فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ العُقَارِ وبالتُّقَىٰ نَتَفَاخَرُ
وَالبَدْرُ يَخْجَلُ مِنْ جَمَالِ مُنَادِمِي وَلَهُ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ أَسَاوِرُ
وَكَذَا الغَزَالَةُ مَا تَبَدَّىٰ أَوْ رَنَا إِلاَّ انْثَنَتْ وَلَها الكُسُوفُ حَظَائِرُ

رفع المسيهم

ظَبْيٌ مِنَ الأَتْراكِ صُبْحُ جَبِينِهِ ... أَنَّىٰ تَبَلَّجَ فَالظَّلاَمُ مُسَافِرُ

مُذْ دَبَّ آسُ عِذَارِهِ في خَدِّه ... أَصْبَحْتُ فِي خَلْعِ العِذَارِ أُنَاظِرُ

مَا العِشْقُ إلاَّ لَمْحَةٌ سِحْرِيَّةٌ ... مِنْ طَرْفِ ظَبْيٍ للعُقُولِ يُقَامِرُ

يَا لَلْعَشِيرَةِ مَنْ لِصَبٍّ قَدْ صَبَا ... وَعَلَيْهِ دَارَتْ مِنْ نَوَاهُ دَوائِرُ

يَشْتاقُ طَيْفَ الطَّيْفِ في جُنْحِ الدُّجَىٰ ... وعَلَى الرُّبُوعِ دُمُوعُهُ تَتَقاطَرُ

هَجَرَ المَنَامَ وَواصَلَتْ زَفَرَاتُهُ ... فَالصَّبْرُ نَاءٍ والتَّأَوُّهُ حَاضِرُ

لَوْ كَانَ يُمْكِنُهُ الفِرَارُ لَفَرَّ مِنْ ... قَفَصِ الغَرَامِ وَصَفْوُهُ مُتَوَاتِرُ

لٰكِنَّهُ المَحْبُوسُ فِي لَوْعَاتِهِ ... يَرْضَى الأَسِيرُ ولاَ يَرِقُّ الآسِرُ

إنَّ الكئِيبَ إِذَا أَسَاءَ زَمَانُهُ ... عَزَّ الصَّدِيقُ وَقَلَّ فِيهِ النَّاصِرُ

يَرْنُو إِلى الأَصْحَابِ رَمْقَةَ وَامِقٍ ... وَعَلَيْهِ مِنْ كَيْدِ الأَعَادِي سَاتِرُ

لَمْ أَلْقَ مِنْ هٰذا الزَّمانِ وأَهْلِهِ ... عِنْدَ المَضِيقِ سِوىٰ فُلانٌ شَاعِرُ

دَهْرٌ إِذَا أَبْدَى الجَمِيلَ رَأَيْتَهُ ... مُتَنَدِّماً وَلَدى الإِسَاءَةِ جَائِرُ

ما حِيلَتي مَنْ مُنْصِفي مَنْ مُنْجِدي ... والدَّهْرُ يَسْطُو والهُمُومُ مَوَاطِرُ

لا أَرْتَجي فِي النَّائِبَاتِ سِوَىٰ عُلا الشَّهْمِ الَّذي لِكَسِير قَلْبِيَ جَابِرُ

يَكِلُ النَّزِيلَ بِهِ إِلى البُشْرَىٰ فَكَمْ ... عُقِدَتْ على الأَفْضَالِ مِنهُ خَنَاصِرُ

فَهُوَ السَّلِيمُ مَدَى الزَّمانِ وحَمْدُهُ ... مُتَحَرِّقٌ مُتَحَسِّرٌ بَلْ دَائِرُ

الفَاضِلُ العَطَّارُ مَنْ أَسْرَارُهُ ... للمُسْتَبِينِ الحَقَّ نُورٌ ظَاهِرُ

عَلاَّمَةُ العُلَمَاءِ والحِبْرُ الَّذي ... مِنْ بَعْدِ «أَمَّا بَعْدُ» بَحْرٌ زَاخِرُ

يُرْوَىٰ حَدِيثُ المَجْدِ عَنْهُ مُسَلْسَلاً ... عَنْ مَكْرُمَاتٍ مَا لَهُنَّ أَوَاخِرُ

فِي هِمَّةٍ حَسَدَ السِّمَاكُ مَحَلَّها ... وَلِعَزْمِهَا ذَلَّ الهَصُورُ الكَاسِرُ

وَرِثَ النَّجَابَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ ... وَبِلَفْظِهِ قُسُّ الإِيادِي حَائِرُ

لَوْ أَنَّ سَحْبَانَ رَآهُ بِدَرْسِهِ ... لارْتَدَّ مَبْهُوتاً وَقَالَ أُهَاجِرُ

شَمْسُ المَعَارِفِ وَالحَقَائِقِ مَنْ غَدَا ... أَهْلُ العُلا عَنْ شَأْوِهِ تَتَقاصَرُ

بَحْرُ العُلُومِ تَلاطَمَتْ أَمْوَاجُهُ ... فِي المَدِّ والقَبْضِ لَدَيهِ جَواهِرُ

وَلَهُ مَعَ المَجْدِ الرَّفِيعِ تَوَاضُعٌ ... وكَمَالُهُ للكَامِلِينَ مَصَادِرُ

لَوْ كَانَ في عَصْرِ الجَهَابذَةِ الأُلى ابْـ ... ـتَكَرُوا العُلُومَ لَسُرَّ مِنْهُ الخَاطِرُ

أَوْ لَوْ رَآهُ سِيبَوَيْهِ مُنَاظِراً ... فِي فَنِّهِ لَغَدَا بِهِ يَتَفَاخَرُ

و«دَلائِلُ الإِعْجَازِ» ظَاهِرَةٌ بِهِ ... مِنْهُ اسْتُمِدَّتْ للنُّقُوشِ مَحَابِرُ

ما لِلْقُرانِ ولِلصَّحِيحَيْنِ سِوَىٰ ... قُطْبِ العُلا ذَاكَ الإِمَامُ المَاهِرُ

والفِقْهُ بَعْدَ الشَّافِعِيِّ لَهُ انْتَمَىٰ ... فَبَدْرُكُمْ يا شَافِعِيَّةُ بَاهِرُ

بِـ«مُطَوَّلِ» الإِسْعَادِ دَام عَلاؤُهُ ... مَا هَزَّ عِطْفَ «الكَامِلِينَ» مَآثِرُ

فِي كُلِّ فَنٍّ إِنْ تَبَدَّىٰ شَارِحاً ... أَلْفَيْتَ بَحْرَ عُلُومِهِ يَتَزَاخَرُ

وَبِهِ المَسَرَّةُ إِن تُلِمَّ بِبَابِهِ ... وَبِجَاهِهِ للوَارِدِينَ شَعَائِرُ

شَهِدَتْ لَهُ الأَعْداءُ بَعْدَ تَلَعْثُمٍ ... واللهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ضَمَائِرُ

لَمْ يَحْكِهِ في جُودِهِ وَسَخَائِهِ ... وَنَوالِهِ إِلاَّ السَّحَابُ المَاطِرُ

قُلْ للبَلِيغِ وَقَدْ أَرَادَ مَدِيحَهُ ... هَيْهَاتَ أَنْ تُحْصِي ثَنَاهُ دَفَاتِرُ

وَلِلْجَحُودِ إِذا بَدا إِنكَارُهُ ... أَأَلامُ في شَمْسِ النَّهارِ تُكابِرُ

مَا رَامَ نَظْمٌ حَصْرَ كُلِّ صِفَاتِهِ ... إِلاَّ رَأَىٰ طَوَلَ المُنَىٰ يَتَقاصَرُ

مِنْ أَجْلِ ذَا قَصَّرْتُ في تَطْوِيلِهِ ... وَجَنَحْتُ نَحْوَ الإِخْتِصارِ أُبَادِرُ

وَأَتَيْتُهُ نَظْمي البَدِيعَ هَدِيَّةً ... وَكَذَاكَ ما يُهْدِي المُقِلُّ الخَاسِرُ

يا سَيِّداً بَزَّ الأَنَامَ بِفَضْلِهِ ... وَلَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ حَظٌّ وَافِرُ

خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً ... أَمْسَتْ لِسِحْرِ البُحْتُرِيِّ تُذَاكِرُ

زُفَّتْ إِلىٰ عَلْيَاكَ بِكْراً دُونَها ... نَظْمُ الهِلالِي وَالكَمَالِ مظاهِرُ

تَخْتَالُ في ثَوْبِ الحَياءِ وَقَصْدُهَا ... حُسْنُ القَبُولِ وذَاكَ مِنْكَ مَفَاخِرُ

رفع المسيهم

وَارْفُلْ بِثَوْبِ العِزِّ في رَوْضِ الهَنَا ... فَـدَوَامُ سَعْـدِكَ بـالمَسَـرَّةِ ظَـافِـرُ
وَقَـرَّ بـالأَنْجَـالِ عَيْنـاً مَـا بَـدَا ... بَـدْرٌ علىٰ أُفُـقِ الـدَّيـاجِـي زَاهِـرُ
أَوْ صَـاحَ قُمْـرِيُّ الـرِّيَـاضِ مُغَنِّيـاً ... فَأَجَابَهُ الشَّادِي الرَّخِيمُ الزَّامِرُ
وَارْفُـل بِعِـزٍّ مَـعْ سُـرُورٍ دائِـمٍ ... مَـا لاَحَ بَـرْقٌ أَوْ تَـرَنَّـمَ طَـائِـرُ

(٤)

وقلتُ لَمّا خَتَم شَيخُنَا «صَحيحَ البُخاري» وبقيةَ دُروسِنَا حين جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَدَعَانا لبيتِهِ العَامِرِ: [من الكامل]

طِيبِـي ثَنَـاءً يـا دِمَشْـقُ وَغَـرِّدِي ... فَلَـكِ المَنَـازِلُ فَـوْقَ هَـامِ الفَـرْقَـدِ
وَاشْدِي علىٰ أَغْصَانِ دَوْحَاتِ الهَنا ... وَاتْلي المَحَامِدَ في الصَّباحِ وَرَدِّدِي
فَلَقَدْ حَوَيْتِ اليَوْمَ شَهْماً قَدْ سَمَا ... عِنْـدَ المَفَـاخِـرِ كُـلَّ شَهْـمٍ أَوْحَـدِ
تَتَقَـاسَـمُ الأَقْطَـارُ طِيـبَ ثَنَـائِـهِ ... فَتَعودُ في سَعَةِ المَلِيكِ الأَمْجَدِ
مَوْلَى الفَضَائِلِ شَيْخُ أَهْلِ الحَقِّ مَنْ ... كُـلُّ الأَنَـامِ لِمَجْـدِهِ كَـالأَعْبُـدِ
بَحْـرُ العُلُـومِ سَلِيـمُ طَبْـعٍ مَـا لَـهُ ... فِـي كُـلِّ عَصْـرٍ مِـنْ نَظِيـرٍ مُـرْشِـدِ
بِمَكَـارِمِ الأَخْـلاقِ والعِلْـمِ الَّـذي ... بَهَـرَ العُقُـولَ أَنَـارَ نَهْـجَ المُهْتَـدِي
طُوبىٰ لَنا هُوَ شَيْخُنَا بُشْرَىٰ لَنَا ... فَلَقَدْ وَرَدْنَا صَفْوَ عَذْبِ المَوْرِدِ
يـا سَيِّـداً بَهَـرَ الأَنَـامَ بِفَضْلِـهِ ... أَنْـتَ الإِمَـامُ لِكُـلِّ شَهْـمٍ مُقْتَـدِي
فَاسْلَمْ وَدُمْ مَا غَنَّتِ الوَرْقا عَلىٰ ... دَوْحِ الرِّيَاضِ وَجَادَها الطَّلُّ النَّدِي

(٥)

وقَدْ أَمرني أُستاذي المُقَدَّمُ ذِكْرُهُ بتَشْطيرِ بَيْتٍ لأَبي نُواسٍ، فشَطَّرْتُهُ وخَمَّسْتُهُ، وجَعَلْتُ المَدْحَ له، فقلتُ: [من الطويل]

عُلُومٌ مِنَ الوَهَّابِ أَعْظَمُ مِنْحَةٍ ... كَسَاها شَذَا «العَطَّارِ» أَطْيَبَ نَفْحَةِ

رفع المسيهم

«سَليمٌ» لَهُ التَّمْدَاحُ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ (إِذَا جَرَتِ الأَلْفَاظُ يَوماً بِمِدْحَةِ
فَعَنْ مَوْرِدِ التَّصْرِيْحِ إِفْضَالُهُ يُغْنِي)

نَظَمْنا دَرارِي الشُّهْبِ مَدْحاً بِلَوْحِنا فَلَمْ نَبْلُغِ المِعْشَارَ مِنْهُ بِشَرْحِنَا
فَمَدْحُكَ قَصْدٌ وَالرَّجَاءُ لِنُجْحِنَا (فَإِنْ نَرْتَجِي العَلْيا ونَقْصِدْ بِمَدْحِنَا
لِغَيْرِكَ إِنْسَاناً فَأَنْتَ الَّذي نَعْنِي)

وبَيْتُ أبي نُوَاسٍ قولُهُ:

إِذَا جَرَتِ الأَلْفَاظُ يَوماً بِمِدحَةٍ لِغَيْرِكِ إِنْسَاناً فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

(٦)

وقلتُ أَمدحُ الأُستاذَيْنِ المُكَرَّمَيْنِ الشَّيخَ مُحَمَّداً والشَّيخَ أحمدَ وَلَدَي المَرْحُومِ العلاَّمةِ الكَامِلِ والمُحقِّقِ الكَامِلِ شَيخِ مَشايخِنَا الشَّيخِ حَسنِ الشَّطِّيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ: [من البسيط]

أَنَسْمَةُ الفَجْرِ أَمْ نَشْآتُ إِسْفَنْطِ أَضْحَتْ تُخَبِّرُني عَنْ حَالَةِ البَسْطِ
أَمْ تِلْكَ خَوْدٌ تَهَادىٰ فِي مَجَالِسِنَا بِنُورِ حُسْنٍ بَدَا مِنْ ظَاهِرِ الرَّيْطِ
نَعَمْ تَجَلَّتْ لَنا خُرْعُوبةٌ سَحَراً وَوَرْدُ وَجْنَتِها يَزْهُو عَلى الخَمْطِ
تَسْقي بِكَأْسٍ ثوىٰ مِثْلَ العقِيقِ إِذَا أَغْنَاهُ طِيبُ اللَّمَى الخَمْرِيِّ عن خِلْطِ
أَرْمَتْ لواحِظُهَا نَبْلاً وَهَىٰ جَلدِي وَما لِقَرْحِ الصِّبَا في الحُبِّ مِنْ بَطِّ
فَتَّانَةٌ لَوْ رَأَى الصُّوفِيُّ طَلْعَتَها أَلْهَتْهُ غُرَّتُها عَنْ مَنْهَجِ القِسْطِ
مُذْ أَقْبَلَتْ تَنْجَلِي فِي لَيلِ طُرَّتِهَا أَبْصَرْتُ شَمْسَ الضُّحَىٰ مِنْ جُملةِ الوَهْطِ
هَيْفَاءُ مِنْ قَدِّهَا الأَغْصَانُ فِي خَجَلٍ مَيْساءُ في مَشْيِها لَوَّاحَةُ القُرْطِ
لَوْ أَنَّها أَسْفَرَتْ فِي اللَّيلِ بُرْقُعَهَا رَأَيْتَ بَدْرَ الدُّجَىٰ في غَايَةِ الغَمْطِ

رفع المسيهم

يا لائِمِي في الهَوَىٰ خَلِّ المَلاَمَ فَمَا ... لامَ الشَجِيَّ سِوىٰ مَنْ لَجَّ في البَعْطِ

ظَنَّ الجَهُولُ بِنَا ظَنَّ القَبِيحِ وَهَلْ ... يَدْرِ العَدُوُّ سِوَى البُهْتَانِ والجَلْطِ

مِنْ شَأْنِهِ سَفَهاً عَيْبُ الكِرَامِ بِمَا ... أَخْفَتْ سَرِيرَتُهُ مِنْ حَالَةِ الشَّرْطِ

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّنِي بَدْرٌ سَمَا شَرَفاً ... أَمَدَّهُ بِالسَّنَا طُرّاً بَنُو الشَّطِّي

مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ المَيْمُونُ طَالِعُهُم ... تَبْدُو مَآثِرُهُم بالفَضْلِ للنَّخْطِ

بُدورُ فَضْلٍ زَهَتْ في الكَوْنِ طَلْعَتُها ... تَكْسُو الرَّشِيدَ سَنًا وتُرشِدُ المُخْطِي

مِنْ فقهِ مِيرَاثِنَا قَدْ حَصَّلُوا أَمَداً ... ما لا يُحَصِّلُهُ الشَّنْشُورِي كالسِّبْطِ

فَرائِضٌ فَرَضَتْ أَنْفَ العَدُوِّ وَقَدْ ... أَوْدَتْ بِجَمْعِ العِدَا للحَتْفِ والقَطِّ

وَعِلْمُ حُسَّابِنَا شَادُوا دَعَائِمَهُ ... حَتَّىٰ بَدَا هَائِماً مِنْهُ ذَوُو القِبْطِ

فُقَهَاءُ قَدْ أَيْنَعَ الفَرْعُ البَهِيُّ بِهِمْ ... وَأَحْكَمُوا أَصْلَهُ فِي غَايَةِ الضَّبْطِ

حَلُّوا ذُرَا «المُنْتَهىٰ» و«المجْدِ» في مَدَدٍ ... فَأَبْهَتُوا مِن سَنَاهُمْ صَاحِبَ «السِّقْطِ»

يا طَالِباً «مُقْنِعاً» مِنْ فِقْهِ مَذْهَبِهِمْ ... دُمْ في السُّرَىٰ نَحْوَهُمْ واشْكرْ لِذا الرَّهْطِ

واحْذَرْ تُعادِلْ بِهِمْ فِي العِلْمِ مُدَّعِياً ... يَرْوِي النُّقُولَ الأُلَىٰ فِي غَايَةِ الخَبْطِ

هُمْ حَقَّقُوا مَذْهَبَ الصِّدِّيقِ سَيِّدِنا ... نَجْلِ ابْنِ حَنْبَلِ ذِي الإِنْصَافِ والحَوْطِ

فَصَارَ مِنْ نَظْمِهِمْ فَازُوا بِنَيْلِ مُنًى ... لا يَنْتَهِي أَبَداً كالدُّرِّ في السِّمْطِ

يا طَالَمَا رَحَلَتْ أَهْلُ الكَمَالِ لَهُمْ ... حَيْثُ اللِّقَا رَاحَةٌ مِنْ شدَّةِ الشَّحْطِ

سَلْ آلَ نَجْدٍ وَسَلْ آلَ العِرَاقِ فَكَمْ ... تَعِبَ المهاري لَهُم بالشَّيلِ وَالحَطِّ

وَاسْأَلْ مَقَادِسَةً تُنْمَى لِنَابُلُسٍ ... كَمْ يَبْذُلُوا للسُّرى الأَرْواحَ في الغيطِ

هَجَرُوا مَنَازِلَهُم شَوْقاً لِرُؤْيَتِهِمْ ... وَاستَبْدَلُوا كُتُباً عَنْ فَاخِرِ البَقْطِ

وَرْدُ الكَمَالِ حُلَى مِنْ طِيبِ مَنْطِقِهِمْ ... إِذْ شَيَّدُوا أَصْلَهُ بالرُّكْنِ والشَّرْطِ

زَوَاهِرُ العِلْمِ بالتَّحْقِيقِ مَطْلَعُهَا ... يُخْفِي مُرِيدَ الثَّنَا مِنْ مُهْمَلِ النَّقْطِ

فَاللهُ يُتْحِفُهُمْ بِاللُّطْفِ مَا صَدَحَتْ ... حَمَامَةُ المُنْحَنَىٰ فِي أَطْيَبِ اللَّفْطِ

رفع المسيهم

وقَالَ دَاعِي الهَنَا حَيْثُ السُّرُورُ بَدَا أَنَسْمَةُ الفَجْرِ أَمْ نَشْآتُ إِسْفَنْطِ

(٧)

وقُلْتُ ونحنُ خَارِجَ دِمَشْقَ عِنْد القَبْرِ الَّذي يُقَالُ: إِنَّه قَبْرُ نَبِيِّ اللهِ مُوسىٰ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحمَرِ، وأَنَا في صُحْبَةِ أُستَاذِنَا الوَلِيِّ الصَّالِحِ الشَّيخِ بَدْرِ الدِّينِ بنِ العَلاَّمةِ الشَّيخِ يوسفَ المَغْرِبيِّ البِيبَانِيِّ: [من الرمل]

فِي رِيَاضٍ طيبُهَا الذَّاكي سَمَا قَد كَسَاهَا الأُنْسُ ثَوْبَ السُّنْدُسِ
زَارَتِ الأَفْرَاحُ فِيهَا عِنْدَمَا نُورُهَا يَجْلِي ظَلامَ الحِنْدِسِ

دور

في حِمى الشَّهْمِ الهُمَامِ الأَمْجَدِ نُورِ أَهْلِ اللهِ كَشَّافِ الظَّلامْ
ذَاكِي الأَخْلاَقِ سَامِي المَحْتِدِ مُظْهِرِ الأَسْرَارِ مِنْ دِينِ السَّلامْ
وغَدَا المَجْدُ يَقُولُ مَقْصِدِي نُورُ بَدْرِ الدِّينِ مِصْبَاحِ الأَنَامْ
يا لَهُ بَحْراً خِضَمّاً قَدْ طَمَىٰ فَيْضُهُ يُهْدِي حَيَاةَ الأَنْفُسِ
عَمَّ كُلَّ النَّاسِ طُرّاً بِرُّ مَا يَكْتَسِي مِنْ فَضْلِهِ مَنْ يَكْتَسِي

دور

هَامَتِ الأَرواحُ مِنَّا في انْشِراحْ وَصَفَتْ أَوْقَاتُنا في كُلِّ آنْ
وَغَدَوْنا نَجْتَلِي كَأْساً وَرَاحْ مِنْ خُمورِ اللَّفظِ في هَذَا المَكَانْ
زَالتِ الأَكْدَارُ والإِسْعَادُ لاحْ ولِسَانُ الحالِ منا تَرْجُمَانْ
وغَدا البَدْرُ نَدِيمَ النُّدَمَا وَهْوَ سَحْبَانُ الذَّكَا في المَجْلِسِ
وَعَظِيمُ الفَتْحِ أَبْدَىٰ شِيَمَا مِنْ سَنَا ذَاكَ الهُمَامِ الأَنْفَسِ

رفع المسيهم

صِحْتُ شَوْقاً يا فُؤَادي يا فُؤَادْ ... لَيْسَ سُعْدَىٰ لَيْسَ لَيْلَىٰ مَقْصِدِي
لَسْتُ أَشْكُو مِنْ رُقَادِي حِينَ بَادْ ... وَاعْتَرَانِي السُّقْمُ يَسْطُو بِاليَدِ
إِنَّمَا قَصْدِي وَسُؤْلِي والمُرَادْ ... نَظْرَةٌ مِنْ فَضْلِكُمْ كَيْ أَهْتَدِي
فَارفُقُوا بِالصَّبِّ فِيكُم كَرَما ... قَبْلَ أَنْ يَبْدُو تَلاشِي النَّفَسِ
وَخُذُوا بِيَدِهِ فَرُبَّما ... مِنْ كُؤُوسِ الفَتْحِ يَوْماً يَحْتَسِي

(٨)

وقلت أيضاً: [من الهزج]

بِبَدْرِ الدِّينِ مَوْلاَنَا ... سَمَا حَظِّي وإِينَاسِي
لَقَدْ كُنْتُ كَلا شَيءٍ ... فَصِرْتُ خِيرَةَ النَّاسِ

(٩)

وقلتُ مادحاً سيِّدي وأستاذي علاَّمةَ المعقولِ، وأستاذَ الصُّوفيةِ سيِّدي الشَّيخَ عمرَ العطَّارِ، عليه رحمةُ العزيز الغفَّار: [من الكامل]

فَتْكُ القَوَامِ بِمُهْجَتِي مَوْصُولُ ... فَإِلامَ بِاللَّحْظِ الصَّقِيلِ تَصُولُ
يا مُفْرَداً في الحُسْنِ ها أَنا مُفْرَدٌ ... في الحُبِّ مَجْرُوحُ الفُؤَادِ ذَلِيلُ
لا تَسْقِنِي مُرَّ الجَفَاءِ فَإِنَّنِي ... صَبٌّ علىٰ حُلْوِ الرُّضابِ دَخِيلُ
مِنْ غَيرِ سِحْرٍ هِمْتُ لا أَدْرِي السِّوىٰ ... فَكَيْفَ بِي سِحْرُ البَيَانِ يَجُولُ
يا ناعِسَ الأَجْفَانِ طَرْفِي سَاهِرٌ ... وَعْدُ الدُّمُوعِ لِنَصْرِهِ مَمْطُولُ
قَدْ كانَ يَرْعَى النَّجْمَ في غَسَقِ الدُّجىٰ ... واليَوْمَ أَضْحَىٰ بالضَّنى مَكحُولُ
يَهْنِيكَ صَبْرِي في هَوَاكَ فَقَدْتُهُ ... وَالقَلْبُ مِنْ نَبْلِ الجُفُونِ عَلِيلُ

رفع المسيهم

كَمْ أَشْتَكي ظُلْمَ اللِّحاظِ لعادِلِ الـ ـقَـدِّ القَـويـمِ فَـلا أراهُ يَـزُولُ
أَوَّاهُ مِـنْ قَـاسٍ غَـدَا مُتَحَكِّمـاً مـا لِلمُحِـبِّ إلـىٰ رِضـاهُ سَبيـلُ
لَجَّ العَواذلُ في عَقيقِ مَدامِعي لَمَّـا رَأَوْا شَـرْحـي بِـهِ تَطْـويـلُ
يـا عَـاذلـي كُـفَّ المَـلاَمَ فـإنَّـهُ لا عَذلَ في شَرْعِ الهَوىٰ مَقبولُ
بـي شـاغِـلٌ عَـنْ حُبِّـه لا أَنْثَني عَـنْ وُدِّهِ أَوْ أُسْتَبَـاحَ قتيـلُ
يـا مُهْجَتي ذُوبـي لَـدَىٰ هِجْـرانِـهِ يا صَبْرُ أَنْتَ على البِعادِ خَليلُ
قَدْ كِدْتُ مِنْ وَجْدي بِهِ أَقْضي جَوًى لـولا شَـذَا العَطَّـارِ عَنْـهُ يَحـولُ
فـاروقُ أَهْـلِ الحَـقِّ مَـنْ بِبَيَـانِـهِ نـورُ الحقـائـقِ بـالصَّفـا مَشْمـولُ
عَـلاَّمَـةُ الأَعْـلام فَخْـرُ زَمَـانِـهِ عَـنْ شَـأْوِهِ قَـدْ يَعْجَـزُ التَّـأْويـلُ
لِكَمـالـهِ سَعْـدُ المعـالـي يَنْتَمـي وَالقُطْـبُ عَـنْ إِدراكِـهِ مَكْبُـولُ
ذُو مَنْطِـقٍ يَشْفـي الجَـوَىٰ لكنَّـهُ سَيْـفٌ علـىٰ أعْـدائِـهِ مَسْلُـولُ
يا طالَما أَقْلامُهُ شَكَتِ السُّرىٰ جُنْـحَ الظَّـلامِ وَدَمْعُهـا مَسْبُـولُ
إِنْ قُلْتُ مُحْيي الدِّينِ فَهْوَ مُسَلَّمٌ وَهُـوَ إلـىٰ هَـدْي النَّبـيِّ دَليـلُ
لَـوْلا سَنـاهُ لَمـا رَأَيْنـا رُشْـدَنـا مُتَكَفِّـلاً بِظُهـورِهِ التَّنـزيـلُ
آيـاتُـهُ الـدُّرَرُ المُضيئـةُ يَنْجَلـي مِنْهـا الظَّـلامُ وَيُكْشَـفُ التَّـزميـلُ
أَوَ ما تَرىٰ شَرْحَ «الفُصوصِ» فَإنَّهُ لِسَنَـامِ مَجْـدِ عُلُـومِهِـمْ إِكْليـلُ
وَمـآثـرَ «الفَتْـحِ المُبيـنِ» طـالمـا تَبِـعَ الغُـواةَ بِفَتْحِـهِ تَنْكِيـلُ
وَجَلا عنِ «الإِظْهَارِ» لَيْلَ خَفَائِهِ فـي «شَـرْحِـهِ» فكـأنَّـهُ إنْجيـلُ
وَعُلُـومُ أَرطـاليـسَ أَلْبَسَهـا البَهَـا «شَـرْحٌ» لَـهُ فـي فَنِّـهِ تَفْصيـلُ
وَرَسـائِـلٌ يَشفِـي العليـلَ نَسيمُهـا فـي كـلِّ فَـنٍّ مـا لَهـنَّ مَثيـلُ
يا فَرْدَ هٰذا العَصْرِ يا قُطْبَ العُلا يـا مَـنْ إلـىٰ طُـرُقِ الـرَّشـادِ دَليـلُ
أَنْـتَ الَّـذي فَـوْق السِّمـاكِ مَحَلُّـهُ وَثَنـاؤُهُ فـي النَّـازِليـن نَـزيـلُ

رفع المسيهم

(١٠)

وقلتُ مادحاً عثمان باشا الفريق الطَّبيب، ومهنِّئاً له بعيد الفطر: [من الكامل]

نَشَرَ الصَّباحُ عَلى الظَّلامِ جَناحا ... فَامْلا الكُؤُوسَ فَلا أَراهُ جُنَاحَا

وَاسْتَجْلِ بِكْراً عُتِّقَتْ مِنْ قَبْلِ نو ... حٍ شُرْبُهَا يَدَعُ الضَّلالَ فَلاحَا

صَفْرَاءَ تَلْمَعُ في الزُّجَاجِ كَأَنَّهَا ... ذَهَبٌ يُذَابُ مَعَ اللُّجَينِ فَسَاحَا

قَدْ قُدِّسَتْ مِنْ قَبْلِ عِيسَىٰ في الشَّآ ... مِ لِذا بِهَا قَلْبُ الْكَلِيمِ تَلاحَى

يَسْعَىٰ بِهَا تُرْكِي الْمَحَاسِنِ أَهْيَفٌ ... بِلِحَاظِهِ مَلأَ القُلُوبَ جِراحَا

بَدْرٌ تَرَىٰ للشَّمْسِ مِنْ وَجَنَاتِه ... خَجَلاً وَمِنْ زَهْرِ الجَبينِ صَبَاحَا

يَخْتالُ في الرَّوْضِ البَسيمِ فَيَثْنِي ... طَرَباً وَيَخْتَلِسُ الأُسودَ كِفاحَا

وَيَغَارُ غُصْنُ البانِ مِنْهُ إذا مَشَىٰ ... بَيْنَ الرِّياضِ وَقامَ يَجْلُو الرَّاحَا

اللهُ أَكْبَرُ في جَمَالِ التُّرْكِ ما ... يَدَعُ الأفاضِلَ تَسْتَبِينُ نَجاحَا

قَوْمٌ لَهُمْ فِعْلُ الجَميلِ سَجِيَّةٌ ... وَنَوالُهُمْ مَلأَ النَّزيلَ صَلاحَا

أَوَ ما تَرىٰ (عُثمانَ باشَا) قد غَدا ... لفريقِ ذاتِ الأكرَمينَ رَباحَا

شَهْمٌ فَريقُ المالِ منهُ مُفَرَّقٌ ... وَبِجَاهِهِ سَعْدُ المَسَرَّة لاحَا

يَسْتَعْبِدُ الأحْرارَ في أفضالِهِ ... وإذا رَنا يَكْسو الكِرام وِشاحَا

وَلَهُ أَبُقْراطُ المُفَدَّىٰ شاهِدٌ ... يُثني عَلَيْهِ مَدَى الزَّمانِ صُرَاحَا

أَيَّامُهُ غُرَرُ الزَّمانِ وَوَقْتُهُ ... طيبَ التَّهاني لِلسُّرورِ أَباحَا

وَصَوادحُ الأَطْيارِ تُنْشِدُ فَرْحَةً ... أَنَّىٰ بَدَا لا تَسْتَطيعُ رَواحَا

غَنَّى الهَزارُ لَدَى الصَّباحِ مُداعباً ... مَنْ كانَ يَرْجُو مِنْ عُلاهُ سَماحَا

وَالوَرْدُ أَضْحَىٰ للقُدومِ مُهَيَّأً ... مِنْ حَيْثُ ما عَرْفُ العَباهِرِ فاحَا

يا أوحَدَ الوُزَراءِ والأسَدُ الَّذي ... ظُلْمَ التَّظَلُّمِ بالسُّيوفِ أزاحَا

قَـدْ جـاءَكَ العيـدُ السَّعيـدُ مُهَنِّئـاً ... بِـدَوامِ سَعْـدِكَ لا يَـرومُ بَـراحَـا
فـاهْنـأْ بِـهِ مـا غَنَّـتِ الـوَرْقـا وَمـا ... نَشَرَ الصَّباحُ على الظَّلامِ جَناحَا

(١١)

وقلتُ في مدحِ بعضِ الأطباء: [من الوافر]

هَوانِي في هَوَى الغيدِ الحِسانِ ... دَعانِي في المَلا القُطْبَ اليَمانِي
وَسُكْري حَيْثُ لا أصْحو بِظَبْيٍ ... أغَـنَّ لَيْـسَ مِـنْ بِنْـتِ الـدِّنـانِ
فَـرِيـدٌ فَـوَّقَ القَـوْسَ لِنَحْـوي ... وَأوْمـأَ بـالقَـوامِ إلـى الطِّعـانِ
وَأرْمـىٰ مِـنْ لَـواحِظِـهِ نِبـالاً ... أرَتْنـي المـوتَ مِـنْ قَبْـلِ الأَوانِ
يُمَنِّينِـي سُـدَى لُقْيـاهُ دَلاًّ ... أَلاَ يـا حَبَّـذا تِلْـكَ الأَمَـانِـي
كَتَمْـتُ هُيـامَـهُ زَمَنـاً طَـويـلاً ... فَـأَعْيـانـي اكْتِتـامِـي مـا دَهـانِـي
جَـوابـي إنْ يَقُـلْ دَعْـهُ عَـذُولِـي ... حَمَـانـي اللهُ مِـنْ هـٰذا حَمـانِـي
أَلاَ يـا أَسْهُـمَ الأَحْـداقِ رِفْقـاً ... فَقَلْـبُ الصَّـبِّ للبَلْـوىٰ يُعـانِـي
كَئيـبٌ خَـدَّدَ الـوَجَنـاتِ لَيْـلاً ... وَظَـلَّ نهـارَهُ رَهْـنَ الهَـوانِ
زَمـانـي كُلُّـهُ بـالحُـبِّ يَمْضـي ... فَـلا أدْري الـدَّقـائِـقَ والثَّـوانِـي
هَجَـرْتُ الخَلْـقَ حَتَّـىٰ قِيـلَ عَنِّـي ... هُـوَ المجنـونُ فـي هـٰذا الـزَّمـانِ
فَدَهْري مِثْلُ حَظِّي في عُهُودِي ... رَعـاكَ اللهُ أنَّـىٰ يَصْـدُقـانِ
أرُومُ بِمِصْـرَ مَطْلُـوبـي فـأُمْسِـي ... إلـىٰ شَـطِّ الفُـراتِ يَعُـودُ شَـانِـي
فَفِي وَادي العُذَيْبِ حَطَطْتُ رَحْلي ... وفِي أرضِ العِراقِ سَرَىٰ جَنانِي
فَصِـفْ يـا أيُّهـا الحَـادي حَنينـي ... فـإنَّ النُّـوقَ أشْجـاهـا بَيـانِـي
وَسِرْ بي نَحْو سِرْبي يا خَليلي ... لَعَلِّـي أنْ أرَىٰ مَـنْ قَـدْ شَجـانِـي
وَحُـثَّ السَّيْـرَ فـي كَبِـدِ البَـوادي ... فَمـا هٰـذا التَّخَلُّـفُ وَالتَّـوانِـي

رفع المسيهم

أَأَنْبـاكَ الـزَّمـانُ خُمُـولَ سَعْـدي ... فَجـارَيْـتَ المُسِـيءَ بمـا بَـلانِـي

أَمِ النُّـوقُ اعْتَـراهـا بَعْـضُ مـا بـي ... فَـأَوْمَـتْ بِـالكَـلالِ لَنـا اليَـدانِ

هُمُـومٌ بَـلْ سَقَـامٌ لـو رآهـا ... أَرسْطـو حـارَ مِمَّـا قَـدْ عَنـانِـي

يَقـولُ لِـيَ العَـواذلُ كُـنْ صَبـوراً ... فَقُلْـتُ إِليكُـمُ صَبْـري جَفـانِـي

وَيـا ويـلَ الحَسُـودِ فكـمْ أَذابَـتْ ... شَمـاتَتُـهُ فُـؤَادي إِذْ رَآنِـي

أُريـهِ تجلُّـداً وَأَغُـضُّ طَـرْفـاً ... عـنِ العَليـاءِ أَوْ أَلْـوِي عِنـانِـي

فَقالوا هَلْ لِدائِكَ مِنْ طبيبٍ ؟ ... فَقُلْتُ بَلىٰ وَعَهْدي في الضَّمانِ

خليـلَ المجـدِ إبـراهيـمَ أَعْنـي ... إِليـهِ الكُـلُّ أَوْمـا بـالبَنـانِ

فَـلاسِفَـةُ الـزَّمـانِ لنـا أَقَـرُّوا ... بِجَـوْهَـرِهِ الفريـدِ بـدونِ ثـانِـي

طَبيـبٌ للقُلـوبِ وَللسَّجـايـا ... بِـأَلفـاظٍ بَـديعَـاتِ المَعَـانِـي

يُـرَوِّحُ نَشْـرُ مَعْنـاهـا بِلُطْـفٍ ... وإِظهـارِ المَسَـرَّةِ كُـلَّ عـانِـي

فكـم أَبْـدَىٰ لِسـوفَسطـا فُنـونـاً ... مـن التَّشـرِيـحِ طَيِّبَـةَ المَجَـانِـي

إذا أَقْـرانُـهُ أَبْـدُوا افْتِخـاراً ... تَـرَىٰ مَجْلـىٰ عُـلاهُ الفَـرقـدانِ

وفـي سَبْـقِ المـآثِـرِ والمَعَـالـي ... هُـوَ المِقْـدامُ فـي هٰـذا الـرِّهـانِ

بِلَفْـظٍ زانَـهُ لُطْـفٌ فَـأَضْحـىٰ ... كَنَظْـمِ الـدُّرِّ فـي عِقْـدِ الجُمـانِ

حكيـمٌ حَكَّمَتْـهُ بِنـا التَّهـانـي ... وَحَلَّتْـهُ المَسَـرَّةُ بـالأَمـانِـي

لِـذا «جُـو مَطْـريـا» أحيـا مُنـاهـا ... وَ«أَسْطـرنُـوميـا» حـازَ التَّهـانِـي

وَفَـرْدُ «الأرتمـاطيقـي» تَبَـدَّىٰ ... لَـدَىٰ أقسـامِـهِ عَـالِـي المَبـانِـي

إِذا مـا الفَيْلَسـوفُ رَأَىٰ سَنـاهُ ... تَجَلَّـىٰ قَـالَ: مـا هٰـذا بشـانِـي

وَكَـمْ يَشْـدُو العليـلُ إِذا رآهُ ... مَغـانِـي الشِّعْـبِ طِيباً بـالمغـانِـي

وَيَتْبَـعُ رايَـةَ النَّظَّـامِ جَـزْمـاً ... بـأَنَّ الـدَّاءَ كـالأَعْـراضِ فـانِـي

فَـوَقْتـي حيـنَ طَلْعَتُـهُ تَبَـدَّتْ ... بِمَنْـزِلَـةِ الـرَّبيـعِ مِـنَ الـزَّمـانِ

رفع المسيهم

إِلَيْكَ أخا المَحَامِدِ بِنْتَ فِكْرٍ تُباهي مَنْ تَكلَّفَ بِالعَوانِ
تَجَلَّتْ في الدُّجىٰ بِكْراً عَرُوساً لِشَمْسِ جَمَالِهَا سَجَدَ ابنُ هَانِي
تَرومُ بِلُطْفِها رِفْقاً بِعَانٍ أسيرِ القَلْبِ مَطْلوقِ اللِّسانِ
كَساهُ الدَّهْرُ أثْوابَ البَلاَيا وأَسْلَمَهُ الزَّمانُ إلى السِّنَانِ
فَدُمْ ما غَنَّتِ الوَرْقا سُحَيْراً مُجاوِبَةً أَغانيَّ القِيانِ
وَما قالَ ابنُ بَدْرانٍ بِنَظمٍ هَواني في هَوَى الغِيدِ الحِسانِ

(١٢)

وقلت أبياتاً كُتِبَتْ علىٰ لَوحٍ في قصرِ سعيد أفندي البنَّا الدِّمشقيّ: [من الوافر]

أَنَفْحُ البَانِ مِنْ وادي زَرُودِ يَضُمُّ لِنَشرِهِ أَنْفاسَ عُودِ
أَمِ المِسْكُ الذَّكِيُّ أتىٰ بِنَشْرٍ رَوَىٰ خَبَرَ المَعَالي عَنْ (سَعيدِ)
هُمَامٌ ظَلَّ في العَلْيا فَريداً وَبَنَّاءُ المَكارِمِ للوُفودِ
بِهِ صُبْحُ المآثِرِ قَدْ تَباهىٰ وَأَطْلَعَ في الدُّجىٰ نَجْمَ السُّعُودِ
وَأَتْحَفَ رَاجيَ الأَفضالِ حِلْماً يُنَبِّئُ عَنْ كبا الخُلُقِ الحَميدِ
بِهِ جِيدُ الزَّمانِ لَقَدْ تَحَلَّىٰ وَأَغْرَبَ بالمَدائِحِ والنَّشيدِ
فَلاَ زَالَ السُّعَادُ لَهُ خَدِيماً مَدَى الأيَّامِ والعَصْرِ الجَديدِ

❑ ❑ ❑

رفع المسيهم

الفصل الثاني
فيما قلته في الفخر والحماسة

(١٣)

[وقلت]: [من الكامل]

حُزْتُ المَفَاخِرَ مِنْ سَنا أَهْلِ النُّهىٰ ... وَقَطَفْتُ منْ وَرْدِ المعَالي المُشْتَهَىٰ

وَجَعَلْتُ فَوْقَ الشَّمْسِ أَدْنَىٰ رُتْبَتي ... وَأَتىٰ إِلَيَّ مِنَ الفُنونِ المُنْتَهَىٰ

وَتَرَكْتُ قَوْلَ مُوَلَّهٍ رَامَ الهَوىٰ ... فَهَوَىٰ صَرِيعاً يَشْتَكي لَحْظَ المَهَا

مُتَيَقِّظٌ للدَّهْرِ ذُو فِكْرٍ سَمَا ... أَجْني المعانِيَ لوْ تَوارَتْ في السُّهَا

إِنْ لَمْ أَكُنْ أُرْجَىٰ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ ... وأفوزُ فيها كاللُّيوثِ فَمَنْ لَهَا

إِنْ يَجْهَلِ الدَّهْرُ الجَهُولُ مَكانَتي ... فَلَسَوْفَ يَعْلَمُها إِذا عَصْري انتهَىٰ

يا دَهْرُ أَيْقِظْ جَفْنَ عَيْنِكَ إِنَّني ... كالسَّيفِ أَنشبُ بين حَلْقِكِ واللَّهَا

كم ذا تلاحِظُ كُلَّ فَدْمٍ جاهلٍ ... وَعَنِ البَليغِ أراكَ طَرْفُكَ قَدْ سَهَا

لاعَتْبَ فيما قَدْ صَنَعْتَ فإِنَّ مَنْ ... يُبْلىٰ بِداءِ الجَهْلِ قَدْ عَدِمَ النُّهَىٰ

إِنِّي غَدَوْتُ بِرَغْمِ أَنْفِكَ راقِياً ... أَوْجَ السِّماكِ وَبالعُلُومِ مُوَلَّهَا

قَدْ حُزْتُ بِالجَدِّ السَّعيدِ مَراتباً ... تَدَعُ الحَسُودَ بِمَدْحِها مُتَفَوِّهَا

مِنْ سادةِ العُرْبِ الكِرامِ أُصُولُنا ... فَلِذا المعالي لَقَّبَتْني بِابنِهَا

رفع المسيهم

يـا مُنْكِـراً قـولـي بِجَهْـلٍ حـاسِـداً سَلْ طَيْبَةَ المُخْتارِ عَنْ ذَاكَ البَهَا
ثُـمَّ انْثَنـي نَحْـوَ العَقيـقِ وَرامَـةٍ تُنْبِيـكَ بَـدْرٌ أَنَّنـا كُنَّـا بِهَـا
بَلَدٌ لَهَا الشَّرَفُ الرَّفيعُ وَمَنْ عَمِي عَنْ فَضْلِها أمْسىٰ يَذُمُّ مُوَهْوِهَا
أَنَّـىٰ تَـرومُ السَّـالكيـنَ وإِنَّنـي لازَمْـتُ جَـدّاً صِـرْتُ مِنْـهُ مُطَمَّهَـا
وَسَرَيْتُ في جُنْحِ الدَّياجي للعُلا حَتَّىٰ غَدَوْتُ قُبَيْلَ صُبْحي مِدْرَهَا
وَتَـرَكْـتُ قـالَ وقيـلَ فـي التَّقـريـر والـتَّحـريـرِ مَـعْ شَخْـصٍ غَـدا مُتَفَقِّهَـا
مـالـي وَلِلتَّقْليـدِ لِلْكُتُـبِ الَّتـي تَحْـوي الجَهـالَـةَ لِلَّـذي قَـدْ أَمَّهَـا
يا دَهْرُ بالتَّقليدِ طَرْفُكَ في عَمًى وَعَنِ الدَّليلِ جُمُودُ فَهْمِكَ نُزِّهَا
هَلْ مِنْ أُهيلِ الوقتِ ذٰلك قد سَرىٰ أَمْ صِرْتَ مِنْ بُعْدِ المَسافةِ أَبْلَهَا
قـومٌ لَهُـمْ فَخْـرٌ بِنَقْـلِ مَسـائِـلٍ لا يَفْقهُـونَ أُصُـولَهُـنَّ تَعَتُّهَـا

(١٤)

وقلت: [من الوافر]

وَقَفْتُ النَّفْسَ في طَلَبِ المَعالي وَفي نشْرِ العُلُومِ مَدَى الزَّمانِ
أُحَـرِّرُ كُـلَّ مُعْضِلَـةٍ بِشَـوْقٍ كَشَوْقِ الوَالِهينَ إلى الأَغَانِي
وَطَبْعـي لا يَميـلُ لِغَيْـرِ حِبْـرٍ تَـرَبَّـىٰ بَيْـنَ أَزْهَـارِ المَعَـانِـي
أُسامِرُ في الدُّجَىٰ نُدْمانَ كُتْبي فَـأَسْكَـرُ لا بكـاسـاتِ الـدِّنـانِ
أُحِـبُّ الكُتْـبَ وَهْـيَ اليَـوْمَ مِنِّـي مَكـانَ الـرُّوحِ مِـنْ بَـدَنِ الجَبـانِ

(١٥)

وقلت: [من الكامل]

طَبْـعُ الكِـرامِ مَطِيَّتـي وَشَمـائِلـي حَمِـدَتْ بِـدايـاتـي لَهُـنَّ أَوائِلِـي
وَنَصيحةُ الخِلاَّنِ أَوْفىٰ مَقْصِدي وَمحاسِنُ الأَخْلاقِ عَذْبُ مناهِلي

رفع المسيهم

وَإذا صَـديقـي للنَّصيحـةِ قـابـلاً ... يَلْقىٰ أَرِيجَ النُّصْحِ عِنْدَ مَحافِلِي
وَأَوَدُّهُ بـالـرُّوحِ أَفْـديـهِ وَقَـدْ ... يَرْتاحُ لِلأُنْسِ اللَّطيفِ الشَّامِلِ
وَإذا تَكبَّـرَ عَـنْ كـلاَمـي وَانْثَنـىٰ ... يَلْقَىٰ علىٰ أَوْجِ السِّماكِ مَنازِلِي
وَأَخُصُّـهُ بـالهَجْـرِ مِـنْ دُونِ المَـلا ... إِنَّ التَّكَبُّـرَ قـاطِـعُ المُتـواصـلِ
لا رَغْبَـةٌ لـيَ يـا فُـؤادُ بمَـنْ غَـدَا ... عَـنْ مَنْهَـجِ التَّقْـويـمِ أَوَّلَ نـازِلِ
أَلْقَـاهُ بـالبِشْـرِ فَيَنْطِـقُ قـائِـلاً ... دَعْ ما تقولُ وَخَلِّ عَنْكَ مَسائِلي
فَهُوَ الَّذي يَشْفي الحَسُودَ وَفِعْلُهُ ... يَقْضي بما يُرْضِي الغُواةَ عَواذِلِي

(١٦)

وقلت في العُزْلَة : [من الكامل]

مَـنْ لامَنـي فـي الإِعْتِـزالِ فَـإِنَّـهُ ... شَخْصٌ عَنِ الحَقِّ المُبينِ قَدِ اعْتَزَلْ
أنـا لا أُصَـدِّقُ فِـرْيَـةً مِـنْ جـاهِـلٍ ... بَلْ إِنَّما قَصْدي الدَّليلُ أوِ الجَدَلْ
للهِ قَـوْمٌ كـالبحـارِ إذا هَمَـوْا ... سَيْبُ العُلومِ لَدَى الأَدِلَّةِ قَدْ نَزَلْ
تَلْقَـاهُمـو سَيْـلاً يَـرُوعُ مُعـارِضـاً ... إِنْ حادَ عَنْ سُبُلِ الهُدَىٰ أَوْ كالجَبَلْ

(١٧)

وقلتُ مُشَطِّراً، والأصلُ للنّابغة : [من البسيط]

(فَمنْ أَطاعَكَ فَانْفَعْهُ لِطاعتِهِ) ... وَاتْبَـعْ مَـآثِـرَهُ بِـالشُّكْـرِ وَالحَمْـدِ
وَكُـنْ لَـهُ أَبَـداً بـالطَّـوْعِ مُجْتَهِـداً ... (كما أَطاعَكَ وَادْلُلْهُ على الرُّشْدِ)
(وَمَـنْ عَصـاكَ فَعـاقِبْـهُ مُعـاقَبَـةً) ... تُـوهـي قُـواهُ وَتُـدْنيـهِ مِـنَ اللَّحْـدِ
سَلِّـطْ عليـهِ لِسـانـاً فيـهِ عَلْقَمَـةٌ ... (تَنْهى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ علىٰ ضُمْدِ)

رفع المسيهم

(١٨)

وقلت: [من الكامل]

دَهْرٌ يُريكَ الجَهْلَ أفْضَلَ مَكْسَبٍ أَيَظُنُّ صَفْواً للزَّمانِ العاقلُ
لَمَّا رَماني بالهُمومِ وبِالأَسَىٰ عِنْدَ الكَمالِ عَلِمْتُ أَنِّي فاضِلُ

(١٩)

وقلْتُ مشطِّراً ثم مُخَمِّساً بَيْتَي القاسِمِ بنِ عِبَس، المَعْرُوف بـ«أبي دُلَف العِجْلِيْ»، وَقِيلَ: هُمَا لمُسْلِمِ بنِ الوَلِيدِ «صَرِيعِ الغَوَانِي»: [من الطَّويل]

لَنا صَوْلَةٌ نَحْوَ العِداةِ تُبيدُهُمْ كَهَشيمِ نَبْتٍ وَالرِّماحُ تَذُودُهُمْ
تَرانا خَليلي حَيْثُ يَجْري عَديدُهُمْ (نُبارِزُ أبْطالَ الوَغىٰ فَنُبيدُهُمْ

ونُفْني بِسَيفِ الحَزْمِ جَمعَ المواكِبِ)

سَمَوْنا علىٰ أَوْجِ الكَمال فَخَامَةً وَحُزْنا ثناءً بِالفَخارِ كَرامَةً
أَلا فاسمَعُوا وَدَعُوا العَجيبَ مَقالةً (تَخِرُّ لُيوثُ الغَابِ مِنَّا مَخافَةً

وَيَقْتُلُنا في السِّلْمِ لَحْظُ الكواعِبِ)

لَدَىٰ مَجْلِسِ الإيناسِ زَفَّتْ كُؤُوسَنا بُدورٌ مِنَ الأتْراكِ حَيَّتْ شُموسَنَا
فَلا مصدَرُ الهيجاءِ تَفْري لَبُوسَنَا (وَلَيْسَتْ سِهامُ الحَرْبِ تُفْنِي نُفوسَنَا

إذا ما شكا الضِّرْغَامُ حُمْرَ النَّوائِبِ)

سَقَيْنا الأَعادِي مَوْتَهُنَّ بِكَفِّنا وَخُضْنا بِحارَ المَكْرُماتِ بِلُطْفِنَا
وَلَمّا بدا دَاعي الكَمالِ بِصُحْفِنا (سَمَونا فلا الهِنْدِيُّ يُهْدَى لِحَتْفِنَا

ولٰكنْ سِهامٌ فُوِّقَتْ في الحواجِبِ)

رفع المسيهم

(٢٠)

وقلتُ مخمِّساً بأَمرٍ من سيِّدي وأُستاذي عَلاّمةِ زمانهِ الشَّيخِ سَليمِ العَطَّارِ: [من الكامل]

مَنْ مُنْصِفي مِنْ غادِرٍ قَدْ رَاعَني وَإِذا سَمَوْتُ على السِّماكِ أَضاعَنِي
ما حيلَتي وَالعجزُ إِلْفُ الظَّاعِنِ (أنا مِسْكَةُ العطَّارِ لكنْ باعِنِي
دَهْري لِمَزْكُومٍ عَرِي عَنْ مَكْرُمَهْ)

مَجْدي علا بي في الكَمَالِ إِلى العُلا وَهِلالُ سَعْدي قَدْ أضاءَ على الملاَ
وَالدَّهْرُ في حَسَدي تَبَدَّىٰ مُقبِلا (فَغَدَوْتُ أُنْشِدُ حين ضَيَّعَني أَلاَ
ما أَضْيَعَ الياقُوتَ في جِيدِ الأَمَهْ!)

(٢١)

وقلتُ أيضاً في واقعة حال: [من الكامل]

وأَنا الَّذي أَرْعَى الوِدَادَ لِمَنْ رَعَىٰ أَفْديهِ بالرُّوحِ وبالمالِ مَعَا
إِنْ غابَ عَنِّي أَوْ بِقُرْبٍ خَصَّني لَمْ تَرْتَجِ العُذَّالُ مِنِّي مَطْمَعَا
مَنْ أَسْدَ مَعْروفاً إِليَّ فَإِنَّهُ لَمْ يَلْقَهُ طُولَ الزَّمانِ مُضَيَّعَا

(٢٢)

وقلت: [من البسيط]

إِذا جَفَاكَ حَبيبٌ كُنْتَ تَأْلَفُهُ فَاتْرُكْ رِضاهُ وَخَلِّ البُعْدَ أَركانَا
تَلْقَىٰ كَثيراً مِنَ الأَحْبابِ أقبحها مثل الَّذي هاجِرٌ للبعدِ أَوْ كانَا
لا ترتجي أَبداً مِنْ صاحِبٍ ثِقةً وَدَعْ جَميعَ الدُّنا في الكونِ بُلْدانَا

رفع المسيهم

ما طَالِعُ العِزِّ إلاّ في الرَّحيل فَلا تُولَعْ بدارٍ تَرَى المَعْرُوف خُسْرانَا

(٢٣)

وقلت: [من الوافر]

دَعِ الأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشاءُ فَمُرُّ العُسْرِ يَعْقُبُهُ انْفِضاءُ
وَصابِرْ يا أَخا البَلْوىٰ فعمَّا قَليلٍ يَسْتَبينُ لها انْجِلاءُ
إذا ما الدَّهْرُ أَبْدىٰ ناجِذَيْهِ فَسَيْفُ النَّصْرِ للصَّبْرِ اهْتِداءُ
وَحاذِرْ مَنْ تَوَدُّ فَهُمْ أَعانوا علىٰ إتْلافِ نَفْسِكَ حَيْثُ شاؤُوا

(٢٤)

وقلت، وهو من نَظْم الصّبا: [من الكامل]

لا تَعْتَبَنَّ على الزَّمانِ وَفِعْلِهِ فَهُوَ الخؤونُ وَذي صنائِعُ مِثْلِهِ
إنْ رَامَ يَرْميني بحِدَّةِ نَصْلِهِ أَلْبَسْتُ دِرْعَ الصَّبْرِ مَرْمىٰ نَبْلِهِ
يا مَنْ يُكلِّفُهُ بِضِدِّ طِباعِهِ بِظُنونِهِ وَيَصُدُّه عَنْ جَهْلِهِ
أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ في المُحالِ ولَيْتَها تُبْدي شُؤوناً ضِدَّ ما في فَصْلِهِ
إنَّ ابْنَ دَهْرِكَ مَنْ يَقُول أَنا لها عندَ المضيقِ ولا يَرُوعُ لِنقلِهِ

(٢٥)

وقلت، وهو كذلك: [من البسيط]

لِلحُرِّ ظَنٌّ كَنُورِ الشَّمْسِ في الحَمَلِ وَفي الفِراسَةِ إنْباءٌ عَنِ الرَّجُلِ
فانْف الأَماني ولا تَرْكَنْ إلىٰ وَطَنٍ فَصُحْبَةُ الوَغْدِ تَأْتي بَعْدُ بالخَجَلِ

❑ ❑ ❑

رفع المسيهم

الفصل الثالث

فيما قلتُه في الغزل والتشبيب والنسيب

وهو قطب هذا الديوان، لو أنه حضر كل ما كان

وبالله المستعان

(٢٦)

قلتُ ارتجالاً: [من الخفيف]

لَمَعُ البَرْقُ بالغُوَيْرِ وَحَيَّا ... مُدْنَفاً صارَ بالتَّحِيَّاتِ حَيَّا

وَتَجَلَّىٰ في رَوْضَةٍ يَتَهادىٰ ... فاتِناً بالجمالِ سُعْدَىٰ وَرَيَّا

فَتَرى العاشِقِينَ سَكْرَىٰ حَيارىٰ ... عِنْدَما قامَ يَجْلُو كاسَ الحُمَيَّا

يالَ وُدِّي وَهَلْ لِصَبٍّ فُؤَادٌ ... وَالحبيبُ نَوىٰ مَكاناً قَصِيَّا

أَنْبِئُوني عَنْ حالِ أَهْلِ التَّصابي ... فَعَسىٰ أَنْ يَهُونَ أَمري عَلَيَّا

بي مِنَ الحُبِّ لو أَقامَ بِرَضْوىٰ ... لأَصْبَحَ الصَّخْرُ ثاوياً أَوْ خَفِيَّا

يا رَعى اللهُ ظبيَ أُنْسٍ سَباني ... وَغَدا في تَعذيبِ قَلبي رَضِيَّا

شادِنٌ أَمْرُهُ مُطاعٌ بِرَغْمٍ ... وَعلىٰ أَهْلِ الحُسْنِ صارَ وَلِيَّا

إِنْ رَنا أَخْجَلَ البُدُورَ سَناهُ ... أَوْ تَثَنَّىٰ أَصابَ صَبّاً رَمِيَّا

لَحْظُهُ أَوْدَىٰ بِهِ في كِفاحٍ ... أُسْدَ غابِ الجَوَىٰ فَهامُوا مَلِيَّا

لا تَلُمْني يا عاذِلي في هَواهُ ... فَالهوىٰ حُكْمُهُ مُقَدَّرٌ لَدَيَّا

رفع المسيهم

فَـالقُلـوبُ لهـا اتّصـالٌ بَـديـعٌ مِـنْ «أَلَسْـتُ» كـانَ الـودادُ سَـرِيًّا
أَلِفْـتُ عَهْـدَ الحُـبِّ دَهْـراً قـديماً فَـأَتَـىٰ سِـرُّهُ لَـديَّ وَفِيًّـا

(٢٧)

وقلت مضمِّناً: [من الكامل]

ظَبْـيٌ رَمـانـي بِـالبِعـادِ وَمَلَّنـي أَبـداً ولَـمْ يَـرْفُـقْ بِصَـبٍّ لائِـذِ
نـادَيتُـهُ لَمَّـا تَصَـدَّىٰ للقِلـىٰ (هـذا مَقـامُ المستجيرِ العـائِـذِ)

(٢٨)

وقلت أيضاً: [من الكامل]

يا مَرْتَعَ الأَحْبَابِ بُلِّغْتَ المُنَىٰ وَسَقَىٰ مَرَابِعَكَ السَّحَابُ الهاطِلُ
اِنْعَـمْ بِـوَصْـلٍ مِـنْ نَـزيلِـكَ إِنَّـهُ لَكِ يا مَنَازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ

(٢٩)

وقلت: [من الكامل]

سَلِّمْ على الظَّبْيِ الغَريرِ وَقُلْ لَهُ مـا ذَنْبُـهُ حَتَّـىٰ وَلِعْـتَ بِهَجْـرِهِ
أَسْقَيْتَـهُ كَـأْسَ الهُيَـامِ وَحَبَّـذا لَـوْ أَنَّـهُ قَـدْ كـانَ مـالِـكَ صَبْـرِهِ

(٣٠)

وقلت: [من الوافر]

وَلَمَّـا أَنْ تَنـاهَـىٰ فـي صُـدودي وَحَمَّلَنـي الهَـوىٰ حِمْـلاً ثَقيـلا
وَلَـمْ يَـرْفُـقْ بحـالِ الصَّـبِّ يومـاً وَمـالَ مَـعَ الـوُشـاةِ وَلَـنْ أَميـلا
كَتَمْتُ الحُبَّ كَيْ أَحْظىٰ بِوَصْلٍ يَكُـونُ عـنِ الصُّـدودِ لنـا بـديـلا

رفع المسيهم

(٣١)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

يـــا لَيْـــتَ شِعـــري هَـــلْ أَرَىٰ هَجْـــرَ الحَبيـــبِ قَـــدِ انْقَضَـــىٰ
وَأَضُمُّـــــــهُ وَأُقبِّـــــــلُ الـ ـخَـدَّيْـنِ فـي حَـالِ الـرِّضَـا

(٣٢)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

لمَّـــا سَـــأَلْـــتُ عَـــنِ الحَبيـ ـــبِ فَقِيـلَ لـي فـي «المِـزَّةِ»
نـــاديـــتُ وَاحـــربـــا لقَـــدْ بَعُـــدَتْ دِيـــارُ أَحِبَّتِـــي
يـــا فـــائِـــقَ الحُسْـــنِ الَّـــذي بِـــالقُـــرْبِ منْـــهُ مَسَـــرَّتِـــي
انْعَـــمْ بِـــوَصْلِـــكَ ســـاعـــةً لِتَـــزُولَ عَنِّـــي كُـــرْبَتِـــي

(٣٣)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

وَشـــــادِنٍ أَبْصَـــــرْتُـــــهُ سَحَـــراً يُنَـــادي (يـــا نَصيـــبْ)
قُلْـــتُ: الصُّـــدودُ أَمَلَّنـــي فَهَـــلْ بِـــوَصْلِـــكَ لـــي نصيـــبْ

(٣٤)

وقلت: [من الكامل]

إِنْ رُمْتَ تَصْطَبِحُ الجمالَ فَحَيَّهَلا لِمسارِحِ الغِزْلانِ مِنْ غَرْبِ الشآمِ
في «سُوقِ سَارُوجا» البديعِ فإِنَّهُ مَجْلَىٰ جَمالِ التُّرْكِ للصَّبِّ المُضامِ

رفع المسيهم

(٣٥)

وقلت: [من مخلَّع البسيط]

يـا رُوحَ رُوحـي دَعِ الصُّـدُودَا وَارْحَـمْ فُـؤَاداً غَـدا عَميـدَا
كَـيْ لا تـرانـي بِحَـقِّ عطْـفٍ أَضـاعَ رُشـدي بِكُـمْ فَقيـدَا

(٣٦)

وقلت مطرِّزاً: [من الكامل]

خِلُّ الصَّبابَةِ لا يَمَلُّ إِذا اعْتَدَىٰ فيهِ العَذُولُ وَضَلَّ عَنْ سُبُلِ الهُدَىٰ
إِنَّ الـوِدَادَ إِذا اسْتحـالَ تَـدَلُّـلاً سَكِرَ المُحِبُّ بِخَمْرِهِ طُولَ المَدَىٰ
للهِ كَـمْ فـي جَنَّـةِ الـوَجَنـاتِ مِـنْ وَرْدٍ تفتَّـحَ حَيْـثُ كَلَّلَـهُ النَّـدَىٰ
دِيـنُ الغـرامِ بِـهِ أَدِيـنُ صَبـابَـةً فَلْيَلْحَنـي مَـنْ لامَ فيـهِ وَفَنَّـدَا

(٣٧)

وقلت: [من الرمل]

يا لَقومي مَنْ لِصَبٍّ قدْ مَضىٰ عُمْـرُهُ مـا بَيْـنَ هَجْـرٍ وَصُـدُودِ
صـارَمَ الأَفْـراحَ واللَّـذاتِ إِذْ فَـاتَـهُ مِـنْ حِبِّـهِ طيـبُ الـوُعـودِ

(٣٨)

وقلت: [من الطويل]

أَهَجْـرٌ وَصَبْـرٌ وَاشْتِيـاقٌ وَفُـرْقَـةٌ لَعَمْـرُكَ هٰـذا مـا لَـدَيْـهِ نَصيـرُ
وَأَيُّ صَـديـقٍ أَرْتَجِيـهِ لِشِـدَّتـي إِذا القَلْبُ صابٍ والجناحُ كسيرُ

رفع المسيهما

(٣٩)

وقلت: [من البسيط]

حَظُّ المُحِبِّ مِنَ الأَحْبَابِ هِجْرانُ ... فَهَلْ لهٰذا الشَّجي يا قَومُ أَعْوانُ
إِنْ كُنْتُ في الهَوىٰ وَالحُبِّ قَدْ رَقَدَتْ ... عَيْني فَلا جادَها مِنْ وَصْلِكُمْ شانُ
أَوَّاهُ مِنْ صدِّكُم أَوْدَىٰ إِلىٰ تَلَفي ... أَما يُرْىٰ عِنْدَكُم للصَّبِّ إِحْسانُ

(٤٠)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

أَهْيَفٌ قَدْ قَدَّ قَلْبي ... بِاللِّحاظِ الجُؤْذَرِيَّهْ
وَانْثَنىٰ بِالقَدِّ فَتْكاً ... بِالرِّماحِ السَّمْهَرِيَّهْ

(٤١)

وقلت: [من الكامل]

وَلَوَ أَنَّني في جَنَّةٍ مَعْ هَجْرِهِ ... نادَيْتُ يا مَوْلاي تلكَ جَهَنَّمُ
أَوْ أَنَّني مَعْ وَصْلِهِ أَصْلىٰ لَظَى ... نادَيْتُ يا مَوْلايَ أَنْتَ المُنْعِمُ

(٤٢)

وقلت: [من الكامل]

سَلْ فاتِنَ الوِلْدانِ مُذْ سَلَبَ الكَرَىٰ ... هَلْ عادَ صَبّاً في هَوَاهُ قَدِ انْبَرَىٰ
يَشْكُو لَهُ حَرَّ الجَوَىٰ دَوْماً وَما ... يَجِدُ النَّصيرَ لِظُلْمِهِ أَوْ ماجَرَىٰ
يا مَنْ علىٰ أُفُقِ المَحاسِنِ قَدْ علا ... وَسَما علىٰ هامِ البُدورِ تَبَخْتُرَا
يا بَدْرَ حُسْنٍ بالجمالِ مُبَرْقَعٍ ... في أُفْقِ قَلْبي بِالمحاسِنِ قَدْ سَرَىٰ

رفع المسيهم

يا لَيْتَ شِعْري هَلْ لهٰذا البُعْدِ مِنْ سَبَبٍ وَلَيتي في المنامِ لَهُ أَرَىٰ
في كُلِّ شَهْرٍ لا أَراكُمْ مَرَّةً والبَدْرُ يَبْدُو في اللَّيالي أَكْثَرَا
مَلَّكْتُهُ قَلْبي فَعَذَّبَهُ وَلَمْ يَرْفُقْ بِهِ وَأَطاعَ فِيَّ الغُدَّرَا
أَوَّاهُ مِنْ ذُلِّ الغريبِ وَحُرْقَةِ الصَّبِّ الكئيب وَرَمْيِهِ بالإفتِرَا

(٤٣)

وقلت: [من الكامل]

يا صاحبي ما أَنْصَفَتْ أَيَّامُنا قَلْبي بِحُبِّكَ والبِعادُ بِكَ اتَّصَفْ
إِنْ جِئْتُ أَسأَلُ قُلْتَ ذَاكَ تَمَلُّقٌ أَوْ غِبْتُ عَنْكَ تَقولُ عَنْ وُدِّي انْحَرَفْ
إِنْ كُنْتَ قَدْ وَجَدْتَ عنِّي عِوَضاً أَنا في وِدادِكَ ما رأَيتُ لَهُ خَلَفْ

(٤٤)

وقلت: [من البسيط]

يا حادِيَ الرَّكْبِ يَمِّمْ يَمْنَةَ الوادي وَاقْرَ السَّلاَمَ علىٰ عُرْبٍ بِذا النَّادِي
وَاشْرَحْ لَهُمْ قِصَّةَ الأَشْوَاقِ عَلَّهُمُو يَرْثُو لحالي بِهِمْ في الحُبِّ يا حَادِي
وَسائِلِ السَّفْحَ عَنْ وادي العُذَيْبِ وَهَلْ يَشْفي العُذَيْبُ مُحِبّاً لِلِّقا صَادِي
للهِ قَوْمٌ بِأَكْنافِ الحِمىٰ نَزَلُوا وَأَشْعَلُوا في فُؤَادي نارَ وُرَّادِي
أَقولُ إِذْ ضَلَّ عَقلْي والفُؤادُ سَرَىٰ وَالجِسْمُ في هَجْرِهِمْ قَدْ ذَابَ يا حَادِي

(٤٥)

وقلت: [من المجتث]

يا طَيْفَ حُبٍّ مُعَيِّدي أَطَلْتَ عُمْرَ الصُّدُودِ
مَتَىٰ يَعُودُ التَّصافي بِرَغْمِ أَنْفِ الحَسُودِ

رفع المسيهم

يَكْفِيكَ بَدْري سَحاباً نَسَجْتُهُ مِنْ رُعُودِي
تركْتَ قَلْبي مُعنًّى بِداءِ خُلْفِ الوُعودِ

(٤٦)

وقلت: [من الكامل]

يا قَلْبُ صَبْراً في الغرامِ فإنَّهُ حَكَمٌ ظَلُومٌ جارَ في أَحْكامِهِ
ذَلَّ الوُلاةُ مَعَ الأُسودِ لِعِزِّهِ وَغَدا جميعُ النَّاسِ مِنْ خُدَّامِهِ

(٤٧)

وقلت: [من الكامل]

ما مِلْتُ عَنْ عَهْدِ الوِدادِ وَلا أَشَا كَذَبَ العَذُولُ بِقَولِهِ وبِما وشَىٰ
أَنا في الصَّبابةِ وَالمودَّةِ لا أَرَىٰ عَنْ شَرْعِ حُسْنِكَ في المَحَبَّةِ مُذْهِشَا
أَنا مِنْكَ رَاضٍ بالصُّدُودِ لَعَلَّ أن ماضي رِضاكَ يَعُودُ لي كيما أَشَا
يا غُصْنَ بانٍ عَنْ وِدادي مائِلاً بِنسيمِ وَجْدي وَالتهابِ بالحَشَا
رِفْقاً علىٰ مُضْنًى كئيبٍ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الكَرىٰ واللَّيْلُ أَمْسَىٰ أَغْطَشَا
نشوانُ في أَلَمِ الصُّدودِ مُعَذَّبٌ وَحديثُهُ بينَ البَريَّةِ قَدْ فَشَا
يَهْفو إلىٰ ذِكْرِ الحبيبِ تَعِلَّةً وعلى الجُفونِ مِنَ المَحَبَّةِ قَدْ مشَىٰ
للهِ أَوقاتٌ مَضَتْ يا طيبَها ما كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ أَيا رَشَا

(٤٨)

وقلت: [من الكامل]

كمُلَ الكمالُ لَهُ وَرَدَّ مُوَلَّهاً لِكمالِهِ لَوْلا الوِدادُ مُوَسْوَسَا
أَوَّاهُ لَوْ حارَ المُلِمُّ مُسَلِّماً وَأَرَادَ وَصْلَ مُوَلَّهٍ ما دَلَّسَا

رفع المسيهم

ومُـرادُهُ حُكْـمُ الصُّـدُودِ لِـوَالِـهِ هَمِلِ الدُّموعِ وسِرُّهُ حَمْلُ الأَسَىٰ
لـولا الهَـوَىٰ مـا راعَـهُ رَوْعٌ طَمـا والـوعْـدُ ردُّ مُحَـالِـهِ رَدُّ المَسَـا

(٤٩)

وقلت: [من الكامل]

قَلْبي وَرُوحي في يَدَيْكَ فَمُنَّ يا مَلِكَ الجَمالِ بِفَكِّ أَسْري وارْحَمِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ يا ذا اللَّطافَةِ مُنْصفي فَمَـنِ الَّـذي يَـرْثـي لحـالَـةِ مُغْـرَمِ

(٥٠)

وقلت: [من الرمل]

كُلَّمـا ازْدادَ اللِّقـا ازْدادَ الجَـوىٰ وَذَكَتْ في القلبِ نيرانُ الهَوَىٰ
فـاتِنـي كُـنْ راحمـي بِحَـقِّ عَقْـ ـرَبِ صُدْغَيْكَ الَّذي قَدِ الْتَوَىٰ

(٥١)

وقلت: [من الكامل]

إِنِّـي وَحَقِّـكَ فـي وِدادِكَ راغِـبٌ وَعلـى التَّقـاطُـعِ لا أُريـدُ تَصَبُّـرَا
فامْنُنْ بِحَقِّكَ بِالوِصالِ مُراسِلاً فـالقلـبُ مِـنْ حَـرِّ البِعـادِ تفَطَّـرَا

(٥٢)

وقلت: [من الكامل]

ظَبْيٌ عُقولَ العاشقينَ لَقَدْ مَلَكْ قَدْ قالَ مَنْ قَدْ شامَهُ هٰذا مَلَكْ
لي مِنْكَ تَعْذيبُ الفُؤادِ بذا الهوىٰ وَجَميعُ أَوْصافِ البَها والحُسْنِ لَكْ

رفع المسيهم

(٥٣)

وقلت علىٰ لسانِ بعضِ الأصحابِ بطلَبِ ذلكَ منه : [من الكامل]

رُوحـي الفِـداءُ لغـادةٍ تَتَحَجَّـبُ ... عَنِّـي وقلبـي فـي السَّعيـرِ يُقَلَّـبُ
مُذْ حاوَلَتْ هَجْري فَظَلَّتْ مُقْلَتي ... مِـنْ أَجْلِـهِ دُرَّ المـدامِـعِ تَسْكُـبُ
يا لَيْتَ شِعري هَلْ تجودُ بِوَصْلِها ... مِنْ بَعْدِ بُعْدي وَالتَّجنِّي «زَينَبُ»
وَأَبُـثُّ مـا أَلقـاهُ مِـنْ شَـوْقـي لهـا ... وَأَفُوزُ بالحُسْنِ البَديعِ وَأَطْرَبُ
فَلَئِنْ وَفَتْ بِالعَهْدِ يا نِعْمَ الوَفا ... وَلَئِنْ صَفَتْ بِالوُدِّ نِعْمَ المَطْلَبُ

(٥٤)

وقلت مُوَدِّعاً : [من الكامل]

يَـوْمُ الـوَداعِ أَطـارَ لُبِّـي بـالنَّـوَىٰ ... وَغَدَوْتُ في قَيْدِ المَحَبَّةِ وَالجَوَىٰ
يـا سـاكـنَ الأَحْشـاءِ بَعْـدَ وَداعِـهِ ... لا تَنْسَ تَذْكاري ببانَاتِ اللِّوَىٰ
للهِ طَرْفٌ مِنْ وَداعِكَ سَلْسَلَ الدَّ ... مْعَ الغَزيرَ وَشُقَّةَ السَّلْوىٰ طَوَىٰ
وَفُؤادُ صَبٍّ مِنْ فِراقِكَ خافِقٌ ... كالغُصْنِ في مَرِّ النَّسيمِ إِذا الْتَوىٰ
يـا راحـلاً أَخـذَ السُّـرورَ بِسَيْـرِهِ ... مُـذْ خَلَّـفَ الأَحْـزانَ فينـا والنَّـوَىٰ
انْظُرْ إِلى العُشَّاقِ كَيْفَ دُموعُهُمْ ... فاضَتْ وَحَرُّ البُعْدِ للأَحْشَا كَوَىٰ

(٥٥)

وقلت مُخَمِّساً : [من الكامل]

يـا مَـنْ بَـدَا بِصَبابَتي لَـهُ شـاهِـدُ ... حَتَّـامَ هَجْـرُكَ يـا حَبيبـي زائِـدُ
إِنْ كـانَ عُـذَّالـي بـذاكَ تُعـانِـدُ ... (قَلْبـي وقلبُـكَ لا مَحـالـةَ واحِـدُ
شَهِـدَتْ بـذلـك بَيْنَنَـا الأَلْحـاظُ)

رفع المسيهم

سَمَحَ الزَّمانُ بساعَةٍ مِنْ وَصْلِنا وَمَجَالِسُ اللَّهْوِ رَبَتْ عَنْ قَوْلِنَا
وَلأَنْتَ عَيْنُ سُرورِنا وكمالِنا (فتعالَ فَلْنُغِظِ الحَسُودَ بِوَصْلِنَا
إِنَّ الحَسودَ بِمثلِ ذاكَ يُغَاظُ)

(٥٦)

وقلت مُخمِّساً: [من البسيط]

لَمَّا سَباني بنورِ الصُّبحِ مَبْسَمُهُ وَحُسْنُهُ في الوَرىٰ أَضْحَىٰ يُحَكِّمُهُ
وَظَلَّ فَرْطُ الجَوىٰ شوقي يُقَدِّمُهُ (تَمَكَّنَ الحُبُّ مِنِّي كيفَ أَكْتُمُهُ
وكيفَ أُخفي الهَوَىٰ والدَّمْعُ يُظْهِرُهُ)
بالحُسْنِ واللُّطْفِ رَبُّ العَرْشِ كَمَّلَهُ وَخَصَّهُ بِالبَهَا والرِّفْقِ جَمَّلَهُ
داعي الغرامِ لَهُ بالقلبِ أَنْزَلَهُ (ما غابَ عنْ ناظِري إِلاَّ وَجَدْتُ لهُ
في داخلِ القلبِ إِنْساناً يُصَوِّرُهُ)

(٥٧)

وقلت: [من البسيط]

ما بالُ قلبكَ يا «بَدْرانُ» مَشْغُولُ وَالطَّرْفُ في أَرَقٍ والدَّمْعُ مَسْبُولُ
أَمَلَّكَ الحِبُّ مِنْ بَعْدِ الوِصالِ أَم الـ ـوَفا بِالجفا وَالقطعِ مَوْصولُ
تَحِنُّ لِلطَّيْرِ إِذْ غَنَّتْ أَوابِدُهُ وطُولَ ليلِكَ تَسْبيكَ التَّفاعيلُ
لا تَسْتَقيمَنْ علىٰ حالٍ تكونُ بها وَعِقْدُ صَبْرِكَ بِالتّذكارِ مَحْلولُ

رفع المسيهم

(٥٨)

وكتبتُ علىٰ ظهرِ كتاب يُذْكَرُ فيه أَحوالُ العشَّاق : [من الكامل]

وَلَقَدْ بُليتُ بأَعْظَمِ العِشْقِ الَّذي ... ذَكَروا وَذُقْتُ مَرارةَ الهِجْرانِ
وَسَلَكْتُ كُلَّ مَحَجَّةٍ في فَنِّهِ ... وَعَلِمْتُ فيهِ شُؤُونَ كُلِّ زمانِ
وَسَهِرْتُ مِنْ هَجْرِ الحَبيبِ وطالما ... أَسْبَلْتُ دَمْعاً دائِمَ الجَرَيَانِ
فَرَأَيْتُ أَصْعَبَهُ إِذا كان الَّذي ... تَهوىٰ يُحِبُّ مُجاهِرَ العِصْيانِ
فَيُريكَ تَقْوَىٰ ما لَها مِنْ آخِرٍ ... ويفوزُ غيرُكَ منهُ بالإِحْسانِ
وَيُنيلُهُ أَشْهَى الوِصالِ على المدىٰ ... ويُريكَ هَجْراً مالَهُ مِنْ ثانِي
فَاتْرُكْ أُخَيَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ وِدادَهُمْ ... واجْعَل حَبيبَكَ سَيِّدَ الأَكْوانِ

(٥٩)

وقلت : [من الكامل]

ما بين صَدِّهِمُ وَتَشْتيتِ الكَرَىٰ ... صَبْرٌ جَموحٌ بالدُّموعِ تَعَثَّرَا
كَمْ بِتُّ أَشْكُو مِنْ تَواصُلِ بُعْدِهِم ... وَأَسِحُّ دَمْعاً كالسُّيولِ إِذا جَرَىٰ
تَرَكُوا فُؤادي لِلْمَحبَّةِ مَنْزِلاً ... وَلَوْنَ جِسْمي بالبعادِ مُعَصْفَرَا
لا وَاخذَ اللهُ أَحْبابي وَإِنْ ... تَرَكُوا فُؤَادي هائِماً مُتَحَيِّرَا
مَنْ رَامَ عَذْلي في المَحَبَّةِ قلْ لَهُ ... هٰذا الَّذي في الغَيْبِ كانَ مُسَطَّرَا
عِشْقٌ وَتَغْريبٌ وَهَجْرُ أَحِبَّةٍ ... مَنْ ذا علىٰ هٰذا يُطيقُ تَصَبُّرَا

(٦٠)

وقلت : [من مجزوء الكامل]

قامَ الحَبيبُ مُصَلِّياً ... يا مُنْيَتي ما أَجْمَلَهْ
لكنَّهُ قَتْلي نَوَىٰ ... فاسْأَلوا مَنْ حَلَّلَهْ

رفع المسيهم

(٦١)

وقلت: [من الوافر]

بِرُوحي مَنْ تَرَكْتُ بغَيْرِ قَصْدي ... وَلَجَّ بِهَجْرِهِ مِنْ بعدِ وُدِّي
حَبيبٌ ليسَ لي عَنْهُ غَناءٌ ... وَخِلٌّ ليسَ يُنْجِزُ طيبَ وَعْدِي
جَفاني وارْتضىٰ غَيري مُحِبّاً ... وَأَضْرَمَ في الحَشا نيرانَ وَجْدِي
يَزيدُ عواذِلي قُرْباً ولُطْفاً ... ويَأْلَفُ شامِتاً يَرْضىٰ ببُعدِي
ويَهْجُرُني وَيمْنَعُني لِقاهُ ... ورُوحي عندَهُ والجِسْمُ عِنْدِي
علىٰ مُرِّ النَّوىٰ صَبَّرْتُ نَفْسي ... وَفي قَصْدِ السُّلُوِّ بَذَلْتُ جُهدِي
فَما أَلْفَيْتُ في الحُبِّ انْتِقاصاً ... وَلا وأَبيكَ ما وَفَّىٰ بعهْدِي
أَذوبُ تَلَهُّفاً ويَزيدُ بُعْداً ... فما هٰذا الجفا يا آلَ وُدِّي
أُعاشِرُ غَيْرَهُ فأَرى انْقِباضاً ... ولا يَصْفو شَرابي حينَ وِرْدِي
وأَسْكُبُ في الدُّجىٰ أَمْطارَ دَمْعي ... وأَنْدُبُ عِنْدَ تَغْريبي وَصَدِّي
فباللهِ تذكّرْني حَبيبي ... إذا أَفْتاكَ أَعدائي بِرَدِّي
وباللهِ إذا سَأَلُوكَ عَنِّي ... وَمَنْ هٰذا فَقُلْ ذَيَّاكَ عَبْدِي

(٦٢)

وقلت: [من الكامل]

حُكْمُ الغَرامِ على القُلوبِ مُحَتَّمُ ... ومِنَ الهُيامِ مَدَى الزَّمانِ تَأَلُّمُ
فأَدِرْ كُؤُوسَ الحُبِّ يا ساقي علىٰ ... ذِكْرِ الحَبيبِ إذا أَلَحَّ اللُّوَّمُ
وامْزِجْ بِهِ خَمْرَ الغَرامِ إذا شدا ... شادي الهَوَىٰ بكلامِهِ يَتَرنَّمُ
وَاحْيِ الفُؤَادَ بإِسْمِهِ وَبِلَفْظِهِ ... فَبِذِكْرِهِ تَحْيَا القُلُوبُ وتَسْلَمُ
وقُلِ السَّلامُ علىٰ قَتيلٍ في الهوىٰ ... هَجَرَ المنامَ لِنارِ وَجْدٍ تُضْرَمُ

رفع المسيهم

(٦٣)

وقلت: [من الكامل]

بِـأَبِـي غَـزالاً بـالنِّفـارِ مُعَـذِّبـي ... مِـنْ غيـر جُـرْمٍ قَـدْ أَطـالَ بِعـادَهُ
مـا جَـنَّ ليـلٌ أَوْ تَـرَنَّـمَ طَـائِـرٌ ... إِلاَّ وَسَلْـبُ الـرُّوحِ كـانَ مُـرادَهُ

(٦٤)

وقلت: [من المتقارب]

غَـزالٌ دَعـانـي بهجـري مُـرِيبَـا ... وَصافىٰ عَذُولي وَآخى الرَّقِيبَا
فَـأَمْسَـىٰ بَعيـداً بُعَيْـدَ التَّـدانـي ... يَشُـبُّ حُـروبـاً ويُطفـي حُـرُوبَـا

(٦٥)

وقلت: [من الكامل]

وَمُمَلَّكُ الحُسْنِ البديعِ لَقَدْ حَوىٰ ... نصـبَ الجمـالِ أَراعنـي بـالصَّـدِّ
نـاديتُـهُ رِفْقـاً بمسكيـنٍ غَـدَا ... مِنْ فَرطِ حُبِّكَ هائِماً في الوَجْدِ
فَخُصَّـهُ بِـزَكـاةِ حُسْنِـكَ ضَمَّـةً ... يُطْفي بها نـارَ الجوىٰ مِـنْ وَقْـدِ
فَقالَ لِي: أَنْتَ رَقيقُ مَحَاسِنِي ... وَزكـاةُ حُسْنـي لا تجـوزُ لِعَبْـدِي

(٦٦)

وقلت: [من الكامل]

مَنْ لي بهٰذا الصَّاحِبِ البَرِّ العطُو ... فِ الصَّادِقِ الوُدِّ الوَفي لَنا الأَلُوفِ
فيـهِ الغِنـىٰ عَـنْ كُـلِّ خِـلٍّ صـادِقٍ ... وَلَرُبَّ شَخْصٍ نابَ عَنْ عَدَدٍ ألوفِ

رفع المسيهما

(٦٧)

وقلت: [من البسيط]

تلخيصُ قولي بحالِ الحُبِّ وَالخَبَرُ ... مُطَوَّلٌ شَرْحُهُ وَالوَقْتُ مُخْتَصَرُ
مفْتاحُهُ عَجَباً قَدْ زادَ أَطْوَلُهُ ... تِبْيانُهُ في النَّوَىٰ تُعْزَىٰ له السِّيَرُ
فانْعَمْ بوَصْلٍ لكي يَحْيَا الكَئيبُ فقدْ ... ظَلَّ الهَوانُ بِهِ بالهَجْرِ يَنْتَصِرُ
قَدْ صِرْتُ في حَيْرَةِ الإِعْجازِ يا أَملي ... فَارْحَمْ فُؤَاداً بنارِ الشَّوْقِ يَسْتَعِرُ

(٦٨)

وقلت: [من الوافر]

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الوَرْدَ يَشْفي ... بِكَثْرَةِ شَمِّهِ أَلَمَ الصُّدُودِ
فلمَّا أَنْ أَدَمْتُ الشَّمَّ مِنْهُ ... مَزَجْتُ مَدامِعي بِدَمِ الكُبودِ
وَهَلْ يَشْفي المُعَنَّىٰ غَيْرُ ضَمٍّ ... وَشَمٍّ للقُدودِ وللخُدودِ

(٦٩)

وقلت: [من الكامل]

رَشَأٌ مِنَ الأَتراكِ شادٍ شادِنٌ ... فَتَنَ البَرِيَّةَ قَدُّهُ المَيَّاسُ
لَمَّا دَنَوْتُ إِلى العِناقِ مُسَلِّماً ... أَوْما إِليَّ وَفي اليمينِ الكاسُ

(٧٠)

وقلت: [من الطويل]

لَهُ اللهُ ظَبْياً قَدْ أَسالَ مَدامعي ... وَعَذَّبَني بالصَّدِّ والهَجْرِ والسَّهَرْ

رفع المسيهما

أَقـولُ إذا مـا ضَمَّنـا مِنـهُ مَجْلِـسٌ وَأَرْخَىٰ دَلالاً بالوِصَالِ وبالضَّجَرْ
متىٰ يا حَبيبَ القَلْبِ يَخْلُو اجْتماعُنا عنِ الصَّدِّ والشَّكوىٰ ويَصْفو عن كَدَرْ

(٧١)

وقلت: [من الكامل]

كَـمْ لَيْلَـةٍ قَـدْ بِـتُّ فيهـا أَجْتَنِـي وَصْـلَ الحَبيـبِ وللظَّـلامِ سَتَـائِـرُ
لمَّـا بَـدَا نُـورُ النَّهـارِ يَنِـمُّ لـيَّ (قُلْتُ اشْهدُوا أَنَّ المَجُوسِي كَافِرُ)

(٧٢)

وقلت: [من الكامل]

وَمُهَفْهَفِ الأَعْطافِ خَمْرِيِّ اللَّما تُرْكِي المَحاسِنِ وَاللِّحاظُ بَوَاتِرُ
فـي خَـدِّهِ جَنَّـاتُ وَرْدٍ فُتِّحَـتْ تَحْـتَ الصَّبـاحِ وللشُّعـورِ دَيـاجِـرُ
لمَّـا أَقـامَ الخَـالَ يحـرُسُ خَـدَّهُ (قُلْتُ اشْهَدُوا أَنَّ المَجُوسِي كَافِرُ)

(٧٣)

وقلت: [من الكامل]

قالَ العَواذِلُ لِمْ هَجَرْتَ مُحَجَّباً كالبَدْرِ يَزْهَرُ في دُجَى الظَّلْماءِ
قلـتُ لَهُـمْ أَخشـىٰ يَمَـلُّ مُعَـذِّبـي مِنْ طُولِ تَرْدادي وحُسْنِ وَفائِي
فَـرَغِبْـتُ هِجـرانَ الحَبيـبِ لأَنَّـهُ بعدَ المِطال يكُونُ طِيبُ لِقائِي

(٧٤)

وقلت: [من الوافر]

ذَمَمْـتُ فِـراقَ حِبِّـي ثُـمَّ عُـدْتُ إِلَـىٰ مَـدْحِ التَّجَنِّـي والفِـراقِ

رفع المسيهم

وقُلْتُ لِزَنْدِ شَوْقِي حينَ أَوْرَىٰ إذا طَـالَ المَـدىٰ عَـذَبَ التَّـلاقِـي

(٧٥)

وقلت: [من الكامل]

لي في فُنونِ الحُبِّ أَحْسَنُ مَسْلَكٍ وَبِـهِ اجْتِهـادِي لا بِبَكْـرٍ وَعُمَـرْ
فَخُذُوا بأَقوالي لِصَفْوِ مَشارِبي عَـنْ لَغْـوِ أَفَّـاكٍ وَعَـنْ كُـلِّ الكَـدَرْ
يَرْوي اليَراعُ عَنِ البَنانِ عَجائِباً عَنْ بِنْتِ فِكْري في الدُّجَىٰ طِيبَ الخَبَرْ

(٧٦)

وقلت: [من الكامل]

يا مُفْرَداً في الحُسْنِ قَد فَتَنَ الوَرَىٰ قَلْبـي بِحُبِّـكَ لا يَميـلُ لِمُفْتَـرِي
أَخَّـرْتَنـي لَفْظـاً لَـدَيْـكَ وَرُتْبَـةً فمتـى الضَّميـرُ يَعُـودُ لِلمُتَـأَخِّـرِ

(٧٧)

وقلت: [من الكامل]

مَعْمُولُ قَلْبي مِنْ عَوَامِلِ لَحْظِهِ بِـالكَسْـرِ أَمْسَـتْ دائمـاً حـالاتُـهُ
يـا لَيْتَـهُ رَفَـعَ الإِسَـاءَةَ عنـدَمـا نَصَب الرَّقيبَ وَواصَلَتْ لَحَظَاتُهُ
عامَلْتَني بالجَزْمِ فارْفُقْ يا رَشَا فـي مُغْـرَمٍ قَـدْ فَـارَقَـتْ لَـذَّاتُـهُ

(٧٨)

وقلت: [من الوافر]

ولمَّـا أَنْ تَفَصَّـى عَـنْ وِدَادِي وَأَضْرَمَ في الحَشَا نَارَ اشْتِيَاقِي
تَصَـوَّرَ فـي فُـؤادي طُـولَ دَهْـري فَسِيَّـانِ التَّبـاعُـدُ والتَّـلاقِـي

رفع المسيهم

(٧٩)

وقلت: [من الكامل]

مَوْلايَ إِنِّي صِرْتُ في شَرَكِ الهوىٰ ... أَبْغِي الخَلاصَ فَلا أَرَىٰ لِيَ مَخْرَجَا
وَكُلَّمـا أَقـولُ سُلْـوَانِـي انْقضـىٰ ... يَصيحُ بي داعي الجَوَىٰ أَيْنَ النَّجَا
قَدْ حِرْتُ في أَمْري وَزادَتْ صَبْوَتي ... والصَّبْـرُ نـاءٍ وَالمُسـاعِـدُ أَدْلَجَـا
وَبَقِيتُ بَيْنَ القَطْعِ وَالوَصْلِ وَبَيْـ ... ـنَ مُشارِكٍ في الحُبِّ نَاراً أَجَّجَا
فاللهُ يُتْحِفُني بِصافي الوَصْلِ أَوْ ... يَقْضي بِسُلواني فَذاكَ هُوَ الرَّجَا

(٨٠)

وقلت: [من الكامل]

حَتَّـامَ يـا بَـدْرَ التَّمـامِ تُـذِيقُنِـي ... مُـرَّ الصُّـدُودِ ولا تَـرِقُّ لِحَـالَتِـي
قَدْ ضاعَ صَبْري في هَواكَ فصِرْتُ في ... أَقْصَىٰ بَوادي التِّيهِ أَنْشُدُ ضَالَتِي

(٨١)

وقلت: [من الكامل]

هَيْفـاؤُكُـمْ سَفَكَـتْ دِمَـا قُصَّـادِهـا ... فَمَضَوا وَلَمْ يَدْرُوا المَساءَ مِنَ الغَدِ
حَيَّـتْ فَـأَحْيَـتْ بـالسَّـلامِ مُحِبَّهـا ... وَسَرَتْ فَأَسْرَتْ فِي الغَرامِ تَجَلُّدِي

(٨٢)

وقلت: [من الكامل]

عَظُمَ الهُيامُ فَصارَ صَعْبَ المُرْتَقىٰ ... وَنَأَى المَزارُ مَتَىٰ يَكُونُ المُلْتَقَىٰ
أَحْبـابَنـا كَـمْ ذا الصُّـدُودُ تَـرَفَّقُـوا ... بِصَبِيبِ دَمْعٍ فِي الظَّلامِ تَرَقْرَقَا

رفع المسيهم

هَجَرَ الأَنامَ فَلا صَديقٌ يُرْتَجىٰ وَجَمِيلُ جَيْشِ الصَّبْرِ مِنْهُ تَفَرَّقَا
فَمتَى الشِّفاءُ يكونُ لِي بِوصَالِكُمْ فَبِكُمْ جُنُونِي فِي الأَنامِ تَحَقَّقَا

(٨٣)

وقلت: [من الوافر]

ولَمَّا أَنْ تَناهَىٰ في صُدودي وَحَمَّلَنِي الهَوَىٰ حِمْلاً ثَقِيلاَ
وَلَمْ يَرْفُقْ بحالِ الصَّبِّ يَوْماً ومَالَ مَعَ الوُشَاةِ وَلَنْ أَمِيلاَ
كَتَمْتُ الحُبَّ كَي أَحْظَىٰ بِوَصْلٍ يكُونُ عنِ الصُّدودِ لَنا بَدِيلاَ

(٨٤)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

يا بَدْرُ ما هٰذا الجَفا لَمْ أَبْغِ غَيْرَكَ صَاحِبَا
أَسْقَيْتَنِي خَمْرَ الوِدَا دِ وَمِلْتَ عَنِّي رَاغِبَا

(٨٥)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

بَدْرٌ بِحُسْنِ جَمالِهِ جَعَلَ الوَرَىٰ فِي حُكْمِهِ
فَتَرَىٰ جَمِيعَ العَاشِقِيـ ـنَ مُكَبَّلِينَ بِظُلْمِهِ

(٨٦)

وقلت: [من الكامل]

شَرْعُ الجَمالِ بِذاكَ أَفْتىٰ يا قَمَرْ ما لِلْمُعَنَّىٰ في المحاسِنِ مِنْ مَفَرْ
ما كُنْتُ أَعلَمُ قَبْلَ سَلْبي في الظبا أَنَّ المَلاحَةَ قَدْ تَناهَتْ في مُضَرْ

رفع المسيهم

يـا آلَ مِصْـرٍ إِنْ فَقَـدتُـمْ يُـوسُفـاً ... فَأْتُوا لإِسْمَاعِيلَ واشْكوا ما ظَهَرْ
بَـدْرٌ تَبَـدَّىٰ لَـوْ رآهُ جَـدُّهُ ... خَلَعَ العِذارَ وقال ما هٰذا بَشَرْ
في عالَمِ الكَشْفِ تَرَاءىٰ حُسْنُهُ ... فـازْدادَ وَجْـداً وَتَسَلَّـىٰ بـالسَّمَـرْ
يا مَنْ تُحدِّثَ عَنْ أَساطيرٍ مَضَتْ ... هٰذا الجَمِيلُ إِلامَ تَدْعُو المُنْتَظَرْ
مِنْ لَفْظِهِ السِّحْرُ الحَلالُ أَما تَرَىٰ ... مَـنْ مـاتَ فِيـهِ قـالَ ذاكَ مُحْتَقَـرْ

(٨٧)

وقلت: [من الرمل]

هَـل بِحـالـي يـالَ وُدِّي عَلِمَـا ... ظَبْـيُ أُنْـسٍ عَـنْ وِدادي نَفَـرَا
صَـاحِ صَبْـري فـي نَـواهُ عُـدِمـا ... وَدُمُـوعِـي مِـنْ جَفـاهُ نَهَـرَا
كـامـلٌ فـي الـوُدِّ أَنْ لَـوْ سَلِمـا ... مِـنْ صُـدودٍ دُونَـهُ المَـوْتُ يُـرَىٰ
فـاتِـكُ الأَلحـاظِ عِطْـرِيُّ الشَّـذَا ... عَنْبَـرِيُّ الخـالِ نَهَّـابُ الكَـرَىٰ
في لَظَى الهِجْرانِ رُوحي قَدْ رَمَىٰ ... وَلَـذِيـذَ النَّـومِ عَنِّـي حَجَـرَا
سَـلْ نَسِيـمَ الفَجْـرِ عَنّـي كَـرَمـا ... لُطْفُـهُ يَحْكِـي سَقـامِـي سَحَـرَا
آهِ مَـنْ لـي بـالبِعـادِ رَسَمـا ... وَقَضـىٰ فـي الحُـبِّ حَظِّـي وَبَـرَا
كُلَّمـا زادَ اشْتِيَـاقِـي ونَمَـا ... وَسَقـانِـي الـوَجْـدَ ضيماً هَجَـرَا
سـارَ عَنِّـي مُـذْ فُـؤادِي حُـرِمـا ... طِيـبَ لُقيَـاهُ وَمَـلَّ الخَبَـرَا
آهِ لَـوْ يشفـي الجَـوَىٰ يَـوْمـاً لَقَـدْ ... أَرْتَجِـي مِنـهُ سَـلامـاً عَطِـرَا
فنجـومَ اللَّيـلِ أَرْعـىٰ رُبَّمـا ... أَخْبَرَتْـهُ فـي الدُّجـىٰ عَمَّـا جَـرَىٰ

(٨٨)

وقلت: [من المتقارب]

وقـالُـوا مـرادٌ مُحِـبٌّ صَـديـقٌ ... فَقُلْـتُ لِهَتْكـي وَتَـرْكـي قَتيـلاَ

رفع المسيهم

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولاَ

(٨٩)

وقلت: [من الرمل]

صاحِ لا تَسأَلْ لماذا أَنْ هُمُو في الهَوَىٰ أَخْلُوا المَنازِلَ والبِلادْ
كُلَّما نادَىٰ مُنادٍ مِنْهُمو يا جَمِيلَ الصَّبْرِ قُلْنا يا فُؤَادْ

(٩٠)

وقلت: [من المجتث]

حَبِيبُ قَلبي جَفانِي وَالصَّبْرُ عَنِّي تَوَلَّىٰ
نادَيتُ رِفْقاً بِصَبٍّ بِالوَصْلِ يَحْيا وَإِلاَّ

(٩١)

وقلت: [من مجزوء الرجز]

يا مَنْ رَمَانِي بالجَفَا اللهُ حَسْبِي وكَفَىٰ
قَدْ كُنْتُ أَرْضَىٰ باللِّقا واليومَ لي الصَّدُّ وفَىٰ

(٩٢)

وقلت: [من الرمل]

ما انْثَنَىٰ إِلاَّ فُؤَادي التَهَبا أَوْ رَنَا إِلاَّ رُقَادي نَهَبَا
رَبُّهُ باللُّطْفِ قَدْ جَمَّلَهُ وَلِحُسْنِ الخَلْقِ طُرّاً سَلَبَا
آهِ ما لي مُنْصِفٌ في ذا الرَّشا حَيْثُ عَنِّي بِالجَمَالِ احْتَجَبَا

رفع المسيهم

دَامَ تَهْيامي بهِ في مَدَدٍ ... فاطْلُبُوا مِنْ لَحْظِهِ لي سَبَبَا
شَمِتَ العُذَّالُ في مَفْرَحِهِ ... وَلَهُ حُسْنَ التَّجَنِّي نَسَبَا
طارَ عَقْلي أَيْنَ قَرَّ يا تُرَىٰ ... إِنَّني فيه أَجِدُّ الطَّلَبَا
يا فَريدَ الحُسْنِ إِنِّي في الهوىٰ ... كُلَّ حينٍ حافِظٌ ما وَجَبَا

(٩٣)

وقلت: [من الرمل]

ماسَ يَزْهُو في رياضِ السُّنْدُسِ ... إِذْ حَبا قَلْبي لَهيبَ القَبَسِ
راحَتي مُذْ رَدَّهَا نادَيْتُهُ ... يا مُنايَ خَلِّ وَعْدَ اليَئِسِ
أَوْجَدَ الوَجْدُ بِأَحشَائي لَهُ ... كُلَّ حينٍ لوعةَ المُبْتَئِسِ
دُمْ حَبيبي إِنَّ رُوحي تَلِفَتْ ... فَاحْيِها مِنْ قَبْلِ قَبْضِ النَّفَسِ

(٩٤)

وقلت: [من الكامل]

قَبَّلْتُهُ شَغَفاً فَقَطَّبَ حَاجِباً ... وقالَ «عَيْبٌ» ما فَعَلْتَ وَأَعْرَضَا
قُلْتُ الغَرامُ لَهُ ضَرورَاتٌ إِذا ... حَلَّتْ أَباحَتْ مِثْلَ هٰذا بالقَضَا

(٩٥)

وقلت: [من الهزج]

أَتَىٰ وَالقَلْبُ في وَجْدٍ ... بِسَيْفِ اللَّحْظِ مَجْرُوحُ
طَلَبْتُ الرَّشْفَ مِنْ ثَغْرٍ ... لَهُ في القلبِ تَبْريحُ
فَقالَ العَيْبُ نَأْباهُ ... فَقُلْتُ العَيْبُ مَطْرُوحُ

رفع المسيهم

(٩٦)

وقلت: [من البسيط]

أَرْسَلْتَ لَحْظاً بقلبِ الصَّبِّ فَتَّاكا ... مَنْ ذَا الَّذي بالجَفا يا بَدْرُ أَفْتاكَا
أَطَعْتُ فيكَ الهَوَىٰ والبُعْدُ لما بدا ... لم يُبْقِ لِي فِي المَلا يا بَدْرُ إِدْراكَا
فَسَلْ نُجُومَ السَّما في اللَّيلِ عَنْ قَلَقي ... فَهْيَ تَبُثُّ الجَوَىٰ والوَجْدَ إِيَّاكَا
مُرادُ نَفْسي علىٰ مُرِّ القَضَا أَبداً ... تسومُ صَبْراً وَلا صبْراً لِمَرْآكَا
باللهِ قُلْ لي أَهَلْ لِلْهَجْرِ مِنْ سَبَبٍ ... أَمْ طَبْعُ حُسْنٍ بَدَا في لُطْفِ مَعْناكَا
حَلَلْتَ قَلْبي وَقَدْ قالَ الكَريمُ إِذا الـ ... ـمُلوكُ أَتَوا في الهَوَىٰ قَلباً هَوَىٰ ذاكَا

(٩٧)

وقلت: [من البسيط]

يا رَبِّ هٰذهِ العُشَّاقُ أَنْفُسُها ... في مُدَّةِ الهَجْرِ تَصْلى النَّارَ في سَقَرِ
لا تَرْتَجي الوَصْلَ والمَحْبوبُ يُورِدُها ... شَوْبَ الحَمِيمِ وَدَمْعُ العَينِ كالمَطَرِ
فَاللُّطْفُ منكَ يا مُولِي النَّوالِ فها ... قَلْبِي الكَلِيمُ كما صَبْري على الأَثَرِ

(٩٨)

وقلت: [من المحدَث]

زَفَراتُ القَلْبِ إِذا اضْطَرَمَتْ ... تُسقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةِ
ومَواكِبُ عُذَّالي غَرِقَتْ ... في أَبْحُرِ دَمْعٍ جَارِيَةِ

(٩٩)

وقلت: [من الرمل]

حَيَّرَ الأَلْبابَ لَمَّا ابْتَسَما ... ظَبْيُ أُنْسٍ أَخْجَلَ البَدْرَ التَّمامْ

رفع المسيهما

قُلْتُ لَمَّا أَنْ فؤَادي قُسِّما ... هٰذِهِ عَادَاتُ أَبْنَاءِ الكِرامْ
سَلِّمِ الأَمْرَ إِليهِ أَوْ فَما ... يا فُؤادِي مِن جَفَاهُ مِنْ سَلامْ
جَارَ في الأَحْكامِ لمَّا حَكَمَا ... عاذِلٌ فِي حُبِّهِ أَبْدَىٰ مَلامْ
مَنْ مُجيري منْ مُجيري من مُجير ... مَنْ نَصيري منْ نَصيري فِي الغَرامْ
يا بَديعَ الحُسْنِ يا مَنْ قَدْ سَبَىٰ ... حُسْنُهُ الوِلدانَ في دارِ السَّلامْ
لا تعَذِّبْ مُهْجَتي يا مُنْيَتي ... إِنَّ طَرْفِي في الجَفَا عَافَ المَنامْ
ذُو غَرامٍ وَهُيامٍ وَجَوًى ... وَكَساني الوَجْدُ أَثوابَ السَّقامْ
كُلَّما كَفْكَفْتُ دَمْعي وَكَفا ... وَتَلَظَّتْ زَفْرَتي جُنْحَ الظَّلامْ
عِيلَ صَبْري عِنْدَما زَادَ الجَفا ... يا فُؤادي فَتَعَطَّفْ بالكَلامْ
لا أَراكَ اللهُ مَكْرُوهَ الهَوَىٰ ... لا وَلا أَسقاكَ كَاساتِ الهُيامْ

(١٠٠)

وقلتُ مُخاطِباً وقدَ شَقَّ الطبيبُ جَفْنَ عيني الأَعْلىٰ لداءٍ كانَ به: [من الوافر]

سَقامي مِنْ نِفارِكَ يا حَبيبي ... وَجَفْني مِنْ صُدُودِكَ في الجِراحِ
وَدَمْعي بالدِّما أَمْدَدْتُ حَتَّىٰ ... أَنِ احتاجَتْ جُفُوني للسِّلاحِ
فَلَوْ جُعِلَتْ يَمينُكَ فوقَ طَرْفي ... وَيُسْرَىٰ في الفؤادِ إِلى الصَّباحِ
لَما احتاجَ الطَّبيبُ إِلىٰ شَقَائي ... وأَسْلَمَني إِلى البِيضِ الصِّفاحِ

(١٠١)

وقلت أيضاً: [من الوافر]

حَبيبي بالصُّدُودِ جَرَحْتَ قَلْبي ... وَجَفْني للدَّوا جَرَحَ الطَّبيبُ
فهَا جُرْحُ الطَّبيبِ علىٰ شِفَاءٍ ... مَتَىٰ جُرْحُ الطَّبيبِ بِكُمْ يَطيبُ

رفع المسيهم

(١٠٢)

وقلت مُطَرِّزاً: [من الوافر]

صَبَـا قَلْبِـي لأَحْـدَاقٍ تَصُـولُ ... وأَلْحـاظٍ بهـا حَتْفـي نَـزيـلُ
فُتِنْـتُ بِلَـوْعَـةِ الأَشجـانِ لَمَّـا ... بِرُمْحِ القَدِّ في الأَحْشا يَجُولُ
وَلَـوعٌ بِـالنِّفـارِ فَيَـا فُـؤادِي ... عَنـاءُ الحُـبِّ جَـدْوَلُـهُ طَـوِيـلُ
تَسَلَّـىٰ عَـنْ مَـلامـاتٍ بِظَبْـيٍ ... بخَمْرِ الحُبِّ كيْ يُشفى الغَليلُ
أَلا يـا طَـرْفَـهُ الفَتَّـانَ رِفْقـاً ... فَقَلْبِي فِي الهَوَىٰ صَبٌّ دَخيلُ
فَقَـدْتُ الصَّبْـرَ مـا بَـرْقُ الثَّنـايـا ... يُكَـاتِمُـهُ العَقيـقُ وَيَسْتَطيـلُ
نَسيـمُ وِصَـالِـهِ للغَيْـرِ يَشْفـي ... وَبِـالعُشَّـاقِ يَـزدادُ النُّحـولُ
دَلاَلٌ أَمْ تجنِّـي مـا تَبَـدَّىٰ ... أَمِ الـدَّهْـرُ بِلُقْيـاهُ بَخيـلُ
يُرِينِي المَوْتَ في حَرْبٍ وسِلْمٍ ... وُيحيينـي وإِحْيَـائِـي قَلِيـلُ

(١٠٣)

وقلتُ، وقد سألتُ عن سببِ الصُّدود، فقال: الأَمر ظاهر:

[من مجزوء الكامل]

أَبْـدَى التَّجَنِّـيَ وَالقِـلا ... ظَبْـيٌ بِسَلْـبِ اللُّـبِّ ظَـافِـرْ
فَـوِصَـالَـهُ لا تَـرْتَجِـي ... يـا مُهْجَتِـي فـالأَمْـرُ ظـاهِـرْ

(١٠٤)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

يـا غُصْـنَ بـانٍ قَـدْ سَبـا ... نـي عَـنْ وِدادي مَـنْ أَمـالَـكْ
أَنـا مِنْـكَ فـي حُـرَقِ الجَـوَىٰ ... وَهَـواكَ قَلبِـي قَـدْ تمـالَـكْ

رفع المسيهم

يـــا لَيْـــتَ شِعْـــرِي أَيُّ مَـــنْ ... أَفْتَـــاكَ إِتـــلاَفِـــي حَـــلالَـــكْ
يـــا قَلْـــبُ عَـــنْ وِدادِهِ ... لا تَنْثَنِـــي مَهْمَـــا أَســـا لَـــكْ
شـارَكْـتَ فـي هَجْـري المَـدىٰ ... وتَـــرْكُ وُدِّي قـــد حَـــلا لَـــكْ
دَمْعـــي شَكـــا لـــي فَيْضَـــهُ ... فَقُلْـــتُ ذا مِمَّـــنْ أَســـا لَـــكْ
بـــاللهِ خَفِّـــفْ مَـــنْ أَرَدْ ... تَ بَقـاءَ رُوحـي لـي مِطـالَـكْ
كَـمْ بِـتُّ فـي جُنْـحِ الـدَّيـا ... جـي قبلَهـا أَرْعَـىٰ وِصـالَـكْ
والآنَ خِلِّـــي قَـــدَ قَطَعْـــتَ الـ ... ـــوُدَّ مُـــذْ تُبْـــدي دَلالَـــكْ
إِنِّـــي طَـــرِيـــحٌ مـــن سِهـــا ... مِ الجَفْـنِ فـاكْفُـفْ لِـي نِصـالَـكْ
رُوحـــي لَقَـــدْ مُلِّكْتَهـــا ... فَـاصْنَـعْ بِشَـأْنـي مـا بَـدَا لَـكْ

(١٠٥)

وقلت: [من الرجز]

وَشـادِنٍ قَـدْ سَلَـبَ النَّـوْمَ الهَنـي ... عِنْـدَ التَّجَنِّـي وَأَتـىٰ بـالشَّجَـنِ
مَـا حِيلَتـي فـي حُبِّـهِ إِنِّـي بِمـا ... يَـرْضـاه راضٍ فـي جَميعِ الـزَّمَـنِ
أَضَـرَّ بـالقَلْـبِ تَـوالِـي صَـدِّهِ ... مَـنْ مُنْصِفِي وَالحُـبُّ قَـدْ هَيَّمَنِي

(١٠٦)

وقلت مُخَمِّساً: [من الكامل]

ظَبْيٌ مِـنَ الأَتْـرَاكِ حَيَّا بـالأَسَـلْ ... فِـي لَحْظِـهِ الفَتَّـانِ قَـدْ رَقَّ الغَـزَلْ
لَمَّـا رَمـىٰ قلبـي بِـأَنـوَاعِ العِلَـلْ ... (خَاطَبْتُ مَعْسُولَ الرّضابِ وقلت هلْ
مِنْ رَشْفَةٍ تَشْفي الحَشَا بِشِفَائِها)
نَـادَيْـتُ وَالشَّـوْقُ المُبَـرِّحُ لازِمُ ... وَالصَّبْـرُ بَـانَـتْ مِـنْ نَـواهُ عَـلائِـمُ

رفع المسيهم

رِفْقـاً بِصَـبٍّ فِـي المَحَبَّـةِ هـائِـمُ (فـأَجـابَنـي والثَّغْـرُ منْـهُ بـاسِـمُ
مـا كُـلُّ بَـارِقَـةٍ تجـودُ بِمـائِهـا)

(١٠٧)

وقلت: [من الخفيف]

في التَّصَابي أَطالَ حِبِّي بِعادي وَسَلاني فالْوَجْدُ أَضْنَىٰ فُؤَادِي
يَـاغـزالاً مـا لِـي سِـوَاهُ حَبيـبٌ إِنَّ هَجْـري لَقَـدْ أَطَـالَ سُهـادِي
قَدْ كَوَاني حَرُّ الجَوَىٰ وَسَبَاني لِيـنُ قَـدٍّ فضَـاعَ مِنِّـي رَشَـادِي
شـام حَـالِـي فَكُلَّمـا رَقَّ عَطْفـاً تـاهَ دَلاًّ وأَطـاعَ رَأْيَ الأَعـادِي
أَنْتَ تَدْرِي أَحْوالَ أَهْلِ التَّصَابِي فـإِلامَ أَشكُـو والجَفَـا فـي ازْدِيـادِ
لَـوْ دَرَىٰ مَـنْ تَهْـوَاهُ أَنِّـي كئِيـبٌ كُنْتُ يَوماً أَشْكُوهُ مِنْكَ التَّمَادِي
يـا حَبيـبَ الحَبيـبِ كُـفَّ التَّجَنِّـي عَـنْ مُـرادي فَقَـدْ أَضـاعَ وِدادِي

(١٠٨)

وقلتُ مُشَطِّراً: [من الطويل]

(فَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِ) وَلَوْعَاتِ تَذْكارٍ بها قلق الورَىٰ
تَفَانَتْ دُموعي في الصَّبابَةِ والجَوَىٰ (فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكي بكيتُ تفكُّرَا)

(١٠٩)

وقلتُ أيضاً مُشَطِّراً: [من الطويل]

(ولَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكي دَماً لَبَكَيْتُهُ) غَدَاةَ النَّوَىٰ حَيْثُ الحَبيبُ مُوَدِّعُ
أُعـانـي جَـواهُ والبُكـاءُ مُسـاعِـدي (عَلَيْهِ وَلكِنْ ساحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ)

رفع المسيهم

(١١٠)

وقلت: [من الكامل]

أَيَحِلُّ في شَرْعِ الهَوَىٰ قَتْلُ امْرِئٍ ... بَـاعَ الحَيَـاةَ وطيبَهـا بـرِضَـاكَـا
كُلُّ المِلاحِ إِذا ذَكَرْتُ جَمَالَهُمْ ... كُنْـتَ المُـرادَ وهُـنَّ فِـي مَعْنـاكَـا

(١١١)

وقلت: [من الكامل]

بِـأَبِـي غَـزَالٌ حِـرْتُ فـي أَوْصَـافِـهِ ... خَجِلَتْ قُدُودُ البانِ مِنْ أَعْطافِهِ
لَـدْنُ القَـوامِ إِذا تثَنَّـىٰ وانثَنـىٰ ... يَسْقِي جُيُوشَ الصَّبرِ مُرَّ زُعَافِهِ
يا قَلْبُ حَسْبُكَ مِنْ نِبالِ جُفونِهِ ... فَدَعِ التَّشكِّي في الهَوَىٰ أَوْ صافِهِ
يـا طـالمـا غَـازَلْتُـهُ كيمـا أَرا ... هُ مُنصِفـاً فَقُتِلْـتُ فـي إِنْصـافِـهِ

(١١٢)

وقلت: [من الكامل]

والنَّجْمُ مِنْ أُفُقِ الجَمَالِ إِذا هَوَىٰ ... ما ضَلَّ صَبٌّ في الغَرامِ بِكُمْ هَوَىٰ
مُتَنَسِّـكٌ وفَّـى اعتقـادَ وِدَادِكُـمْ ... جَزْماً وفي شَرْعِ المَحَبَّةِ ما غَوَىٰ
خافَ الرَّقيبَ فَكُفْكِفَتْ عَبَراتُهُ ... فازْدادَ شَوْقاً وَالهَوَىٰ حَلَّ القُوَىٰ
يـا لَلْغَـرامِ مَـنْ لِمُهْجَـةِ ضَيْغَـمٍ ... فَتَكَ الغَزالُ بها بوادٍ مِنْ طُوَىٰ
مَنْ يَعْشقِ الأَحْداقَ والسِّحْرَ ثَوىٰ ... بَيْنَ الجُفونِ صادَهُ شَرَكُ النَّوَىٰ
بَيْـنَ القُـدودِ وَبَيْـنَ أَحْـدَاقِ المَهـا ... تَلْقَـى المَنِيَّـةَ وَالمَنُـونُ لَقَـدْ ثَـوَىٰ
وَيْحَ العَذولِ وفي المَلامِ أَضَرَّني ... وَيْـلَ الـرَّقيـبِ فَـإِنَّـهُ قَلْبـي كَـوَىٰ

رفع المسيهم

هَلْ أَنْتَ أَعْمَىٰ عَنْ خُدُودٍ وَرْدُها ... يَشفي كئيبَ الحبِّ مِنْ أَلَمِ الجَوَىٰ
ذابَ النُّضَارُ بها مِن الماءِ الَّذي ... عَـنْ جـابـرٍ للصَّنْعَـةِ الغَـرَّا رَوَىٰ
وخبـا الـدَّرارِي بـالعَقيـقِ فحَبَّـذَا ... وادِي العَقِيقِ وَلُطْفُ بَانَاتِ اللِّوَىٰ
يـا طِيـبَ يـومٍ بـالأَرَاكِ وآهِ مِـنْ ... يَوْمِ النَّجيعِ لشيخِ نَجْدٍ قَدْ رَوَىٰ
يَبْكي مَعاهِدَ رَسْمِ أَطْلالِ اللِّوَىٰ ... إِنْ كُنْتَ تُنكِرُها فَقَدْ عُرِفَ الهَوَىٰ
وَارَحْمَتـاهُ لِمُغْـرَمٍ يَشْكـو الجَـوَىٰ ... عَنْ غَيْرِكُمْ في الحُبِّ صَوْماً قَدْ نَوَىٰ
يَشْكُو الأُوامَ وَلَمْ يَجِدْ رِيّاً سِوىٰ ... غُدرانِ أَوْدِيَةِ العقيقِ وما حَوَىٰ

(١١٣)

وقلت مُطَرِّزاً: [من البسيط]

(م) مالِي لَدَىٰ وَعْدِكَ المَمْطُولِ مِنْ حِيَلِ ... لَـوْ أَنَّ نَجْـمَ السُّهَـا يَـدْنـو إِلـىٰ أَمَلي
(ح) حَمَلْتُ فِيكَ الأَسىٰ وَالوَجْدَ حينَ جَرىٰ ... دَمْعي لَدَىٰ هَجْرِكَ المَوْصُولِ بِالمَلَلِ
(م) مَنْ لي بِخِلٍّ يَرَى المَعْرُوفَ مَنْقَبَةً ... يُهدي سَلامَ الَّذي بالبُعْدِ في وَجَلِ
(و) ويـا نسيـمَ الصَّبـا بَلِّـغْ تَحِيَّتَنَـا ... وَقُلْ قَتيلُ الهَوَىٰ قَدْ صَارَ في خَبَلِ
(د) دَعاهُ داعي الجَوىٰ للوَجْدِ فانْبَعَثَتْ ... دُمـوعُ مُقْلَتِـهِ تَجْـري علـىٰ عَجَـلِ

(١١٤)

وقلت: [من الكامل]

مَهْمـا تَكَلَّـفَ للسُّلُـوِّ تَـرَىٰ لَـهُ ... دَمْعـاً يَنِـمُّ وزَفْـرَةً تَتكـاثَـرُ
وَسَقى الرِّياضَ بِدَمْعِهِ المَطْلُولِ كَيْ ... أَنْ تَحْمِـلَ التَّسليـمَ عنـهُ عَبـاهِـرُ

رفع المسيهم

(١١٥)

وقلت: [من الوافر]

أَلَـذُّ العِشْـقِ مـا كـانَ الحبيـبُ يَـرَى الهجـرانَ طَبْعـاً بـالـدَّلالِ
وأَدنـاهُ بِشَـرعِ الحُـبِّ عِنْـدي إذا وافـىٰ وأَكْثَـرَ مِـنْ وِصـالِـي

(١١٦)

وقلت: [من الوافر]

جَلَسْنا في رياضِ الأُنْسِ صُبْحاً ودارَ الكـأْسُ بـالشَّـاي عَلَينَـا
طَـرِبْنـا مِـنْ صَفَـاءِ الـوَقْـتِ لكِـنْ مـن السَّـاقِـي رَأَيْنـا البُعْـدَ دَيْنَـا

(١١٧)

وقلت: [من الوافر]

وَسَـاقٍ دارَ بـالكَـاسـاتِ صُبْحـاً يَـزُولُ الهَـمُّ مِـنْ نَظَـرِي إِليـهِ
ومـا مِـنْ لُطْفِـهِ قَـدْ قُلْـتُ هٰـذا ولكِـنْ كـانَ مِـنْ ضَحِـكٍ عليـهِ

(١١٨)

وقلت مفرداً: [من الوافر]

لَقَـدْ زَعَمُـوا بـأَنِّـي ذو اجْتهـادٍ لَقَـدْ صَـدَقُـوا ولكِـنْ فـي هَـواكَـا

❑ ❑ ❑

رفع المسيهما

الفصل الرابع
في بعض ما قلته في المراسلات
والباقي لعبت بمسودته أيدي الدراريات

(١١٩)

فقلتُ وقد أرسلَ إليَّ بعضُ الأحبابِ، وأنَا بمدينةِ دمشقَ في مَدْرَسةِ الحديثِ الأشرفيَّةِ، كتابَ: «حديقةُ الأفراحِ لإزالَةِ الأتراحِ» أُخَاطِبهُ، وكانَ يُسمِّي نَفْسهُ: ابنَ الصَّبابَة، ويُكْنَىٰ بالظِّبائي:

أَلا يـا بْـنَ الصَّبـابَـةِ يـا سَميـري ... كِلانا في الهَوىٰ نَشْكُو الغَرَامَا
إِذا عَبَـثَ الهُيـامُ بِقَلْـبِ صَـبٍّ ... وَلُـوعٍ فـي المَحبَّـةِ لَـنْ يُـلامَـا
وَمَـنْ بـالعِشـقِ سَكْـرَانـاً خَليعـاً ... بِخَمْـرِ الحُـبِّ للعَلْيـا تَسـامَـىٰ
وَظَبْـيٍ بـالنِّفـارِ أَيـا ظِبـائـي ... يَـرَىٰ وَصْـلَ المُحِـبِّ لَـهُ حَـرَامَـا
يُكنِّـي بـالـوِصَـالِ عَـنِ التَّجَـافـي ... لِظمـآنِ المَحَبَّـةِ حَيْـثُ لامَـا
يَـرانِـي الحُـبُّ مِـنْ شَـوْقـي إِليـهِ ... كـأَنِّـي بـالصَّبـابـةِ صِـرْتُ لامَـا
أَليـفٌ للتَّفَـرُّدِ مِـنْ شُجُـونـي ... فَمَـا طَـرْفـي يَـرَىٰ أَبَـداً مَنـامَـا
نَـأَرْسَلْـتَ الحَـدِيقَـةَ كَـيْ تُسَلِّـي ... فُـؤادي عِنْـدَمـا تَـرَحـي أَقـامَـا
نَـادَمْـتُ الهَـزَارَ فنـاحَ نَـوْحِـي ... حَمـامُ الأَيْـكِ وابْتَـدَرَ السَّـلامَـا

رفع المسيهم

وَشَبَّبَ بـالغُصُـونِ نسيـمُ مَعْنَـى ... يُزيحُ الكَرْبَ مِنْ نَفْحِ الخُزَامَىٰ
وَأَظْهَـرَ لـي البَـديـعُ بَـديـعَ لَفـظٍ ... فخِلْـتُ البَـدْرَ يَسقِينَـا المُـدَامَـا
إِلـى الأَحبـابِ بـالأَرواحِ جُـدْنـا ... فَيـالَيْـتَ الفُـؤَادَ لَنَـا اسْتَقـامَـا
فَبُـحْ بـالشَّـوْقِ يـا خِلِّـي ونَـادي ... كِلانا في الهَوىٰ نَشْكُو الغَرامَا

(١٢٠)

وقلت مُرَاسِلاً، وقد أرسلَ إليَّ بعضُ الأحبابِ رسالةً ورَقُها أصْفَرُ:

[من الكامل]

مِنْ بَعْدِ نَفْيِ القُرْبِ عَنِّي والكَرا ... أَرْسَلْتَ لي قِرْطاسَ وُدِّي أَصْفَرَا
تاللهِ ما وُدِّي علىٰ طُولِ المَدَىٰ ... مِنْ بَعْدِ عَهْدِ الحُبِّ فِيكَ تَغَيَّرَا
ورَسَـائِـلُ الأَشْـواقِ تَقْضـي بَيننـا ... وتَنِـمُّ عَمَّـا فِـي الضَّمِيـرِ تَسَتَّـرَا
عَهْـدِي مَصُـونٌ لا يُشَـانُ بِـرِيبَـةٍ ... إِنْ كـانَ مَنْهَلُـكَ الشَّهِـيُّ تَغَيَّـرَا

(١٢١)

وقد اسْتَعَرْتُ مِن الشَّيخِ عارف المنير جُزءاً من «تاريخ المرادي» فأبطأَ عليَّ بإرسالِ بقيَّةِ التَّاريخ، فكتبت إليه: [من مجزوء الكامل]

يـا فـريـداً فـي المَعَـالِـي ... يـا حُسَيْنِـيَّ الأَعَـادِي
خـادِمُ الأَفْضَـالِ يَـرْجُـو ... مِنْـكَ إِتمَـامَ المُـرَادِي

(١٢٢)

وأرْسَلَ إليَّ الأديبُ الشَّاعرُ صالحُ أفندي طه رسالةً تتضمنُ قصيدةً مطلَعها: [من الرجز]

يا صاحبي اِشرَحْ لنا أَخْبَارَكُم ... فالصَّبُّ يَرْجُو أَنْ يَرَىٰ أَسْرَارَكُمْ

رفع المسيهم

فأَجبتُهُ مراسلاً بقولي : [من الرجز]

يـا بـارِقـاً مِـنْ نجـودٍ ومـا زارَنـا ... خُذْ عَنْ قَريبٍ للشَّجي أَخبارَنَا
واشْرَحْ لَهُ أَخْبَارَنا مِنْ قَبْلِ ما ... تَرْوي لَهُ عَنْ ذَا الرَّشَا أَشْعارَنَا
مِنِّي السَّلامُ الزَّاهِرُ الزَّاكي الَّذي ... يُهْـدَى لِخِـلٍّ لَفْظُـهُ قَـدْ زَارَنَـا
يا طيبَ أَوْقاتٍ مَضَتْ عَنَّا وَإِنْ ... كُنَّـا نَسينَـا لُطْفَهـا يـا عـارَنَـا
يا سائِلاً عَنْ حَالتي مِنْ بَعْدِما ... فارَقْتُكُم فِي ذَا الرَّشا يا نارَنَا
أَوَّاهُ مَـالـي مُنْصِـفٌ خِلِّـي لَـدَىٰ ... ظَبْـيٍ سَبَـىٰ لمَّـا رَنـا أَقمَـارَنَـا
يَسْقي كُؤُوسَ الحُبِّ ساجي لَحْظِهِ ... مَمْـزوجَـةً بـالمَـوْتِ يـا أَخيـارَنَـا
وَكَـمْ تَـراهُ عَـابِثـاً حيـنَ يَـرىٰ ... أَجفـانَـهُ قـد حيَّـرَتْ أَحْبـارَنَـا
عَنْ خَصْرِهِ نَرْوي أُوَيْقاتِ الصَّفا ... وَرِدْفُـهُ يَـرْوي لَنـا أَوْزارَنَـا
مُذْ مَلَّنا في الحُبِّ نادىٰ هَلْ لَكُم ... مِـنْ شـافِـعٍ مُسْتَسْهِـلٍ أَخْطـارَنَـا
كُنَّا لَهُ في الحُبِّ أَوْفىٰ مَنْ وَفَىٰ ... حتَّـىٰ سَنـا العَليـا ثَنـىٰ أَطْـوارَنَـا
قَدْ كُنْتُ في أَسْرِ الغزالِ الأَغْيَدِ ... أَشْكـو مَـراراتِ النَّـوَىٰ يـا جـارَنَا
واليَـوْمَ خِلِّـي قَـدْ تَـركْـتُ ذِهِ وذَا ... حُـبَّ الغَـوانِـي أَو غَـزَالاً زارَنَـا
أَلْـزَمْـتُ فـي جَمْـعِ العُلـومِ هِمَّـةً ... أَمْسَت تُناجي في الدُّجَىٰ أَفكارَنَا
نَشْوانَ ما بينَ الحَواشِي والشُّرُو ... حِ البـاهِـراتِ أَشْغَلَـتْ تَـذْكـارَنَـا
بيـنَ الأُصُـولِ وَالمعـانـي وقفـةٌ ... تَشْكُو لَنا غِبَّ السُّرَىٰ أَسرارَنَا
ما البَدْرُ قَصْدِي أَوْ غَزالٌ فاتِنٌ ... أَوْ غـادَةٌ قَـدْ أَصْلَحَـتْ أَوْتـارَنَـا
يـا وَيْـحَ أَيّـامٍ مَضَـتْ عَنَّـا وَلَـمْ ... نَقْضِـي بِهَـا يَـا خِلَّنـا أَوْطـارَنَـا
مـا الـدَّهْـرُ إِلاَّ مَنْجَنُـونٌ فـانتُبِـهْ ... يا صَاحِبي فَهْوَ غَدا سِمْسارَنَا
دَعْنا خَليلي مِنْ زَمَانٍ قَدْ مَضَىٰ ... فِـي سُـوءِ فِعْـلٍ وَلْنَقُـلْ مَهْمـا رنَـا
يـا سيِّـدَ السَّـاداتِ أَرْجُـو نَظْـرَةً ... يَمْحُـو سَنـاهـا سَيِّـدي أَكْـدَارَنَـا

رفع المسيهم

(١٢٣)

وقلت مُراسِلاً ـ أيضاً ـ: [من الكامل]

هَلْ يا تُرَىٰ حَالي لِحالِكَ تَرْجَما ... مُذْ عَزَّ صَبْرِي في الغَرامِ وأَحْجَمَا
أَمْ تِلْكَ في العَهْدِالقديم مَوَدَّةٌ ... أَضْحَتْ بحُسْنِ الوُدِّ مِنْكَ تَتَيَّمَا
أَمْ ذَاكَ إِخلاصُ الوِدادِ لَنا انتمىٰ ... فَسَرَىٰ لِصَفْحَاتِ القُلوبِ مُنَسِّمَا
نَعَمْ لدينا في المَحَبَّةِ شَاهِدٌ ... مِنْ قَبلِ أَنْ أَلقاكَ يا بَدْراً سَمَا
قَدْ جِئْتَنِي تَشْكُو الغَرامَ لِمُدْنَفٍ ... فَأَنا لِمَنْ أَشْكُو وَأَبْكي عَنْدَمَا
يا لَهْفَ قَلْبي والهُمومُ تَكَاثَرَتْ ... والعَيْشُ مُرٌّ والزَّمانُ كَمِثْلِ مَا
وَمَكائِدُ الحُسَّادِ تَرْمي أَسْهُما ... فَيَرُدُّ في أَحْشائِهِم حَظِّي دَمَا
لي في الهَوَى العُذْرِيِّ أَحْسَنُ مَسْلَكٍ ... في فائِقٍ في كُلِّ مَجْدٍ قَدْ سَمَا
بَدْرٌ لَهُ شِيَمُ اللَّطافَةِ مِثلُ ما ... نَظْمُ اللآلي بالجُمانِ تَنَظَّمَا
يا فائِقَ الحُسْنِ البديعِ وَمَنْ بِهِ ... عِقْدُ الفَصَاحةِ والنَّباهةِ أُحْكِمَا
لا تَحْسَبَنِّي عَنْ وِدادِكَ رَاغِبٌ ... أَوْ مُعْرِضٌ لا والَّذي سَمَكَ السَّمَا
إِنِّي وَحَقِّكَ في الصَّداقَةِ صَادِقٌ ... لا أَرْتَضي نَقْضَ الوِدادِ تَبَرُّما
فَاهْنَأْ بِوُدٍّ مِنْ لَبيبٍ حَاذِقٍ ... بَحْرٍ بِأَنْواعِ المعارِفِ قَد طَمَىٰ
في كُلِّ فَنٍّ إِنْ تُحاوِلْهُ تَجِدْ ... بَدْرانَ قَدْ حازَ الفُنونَ وأَحْكَمَا
وَذاكَ مِنْ مِنَنِ الكَرِيمِ فَإِنَّهُ ... مُولِي العَطاءِ لِمَنْ بِسَاحَتِهِ ارْتَمَىٰ

(١٢٤)

وقلتُ ـ أيضاً ـ مُرَاسِلاً الأدِيب الشَّاعرَ صالح الأفندي طه الدُّوماني ومُهَنِّئاً له بالزّفاف: [من البسيط]

كَيْفَ احْتِيالي وَما وَفَّىٰ بِما وَعَدا ... ظَبْيٌ أَرَانِي بِهِ غَيَّ الهَوَىٰ رَشَدَا

رفع المسيهم

يُغْضِي دَلالاً وَأَقْضِي مِنْ مَحاسِنِه ... لَوْعاتِ وَجْدٍ بِهَا صَبْري لَقَدْ نَفِدَا
أَقولُ صِلْني يُجَاوِبْني مُداعَبَةً ... مَنْ مَاتَ عِشْقاً فَلاَ تَرْثِي لِمَا وَجَدَا
لا تَسْقِني عاذِلي خَمْرَ المَلامِ بهِ ... فإِنَّني فِي الهَوَىٰ لا صَحْوَ لِي أَبَدَا
للهِ أَوْقاتٌ مَضَتْ فِي حُبِّهِ فَلها ... فَوْقَ السِّماكِ سَنًا لا يَنْتَهِي مَدَدَا
أَيامُ وَصْلٍ بها نَحْسُو مُشَعْشَعَةً ... تُزيلُ رَسْمَ الضَّنا والكأْسُ ما نَفِدَا
والأَيْكُ تُطْرِبُنا حَيْثُ الغُصونُ دَنَتْ ... شَوْقاً لِمَجْلِسِنا والماءُ قد جَمَدَا
وَالنَّجْمُ يَزْهُو لَنَا كَيْما نُقَلِّدَهُ ... عُقودَ نَجْمٍ لها بَدْرُ الدُّجىٰ حَسَدَا
نَشْفي غليلَ الجَوىٰ واللَّيلُ نَقطَعُهُ ... بالأُنْسِ والوُدُّ فيما بيننا وَرَدَا
حَتَّىٰ تَنَاءَتْ بِنا رُحْبُ الدِّيارِ فَيَا ... شَوقاً لِما قَدْ مَضىٰ مِنْ أُنْسِنا حفدَا
يا لَيْتَنِي بَعْدَكُمْ أَدْري أَكانَ مضىٰ ... وِدادُنا أَمْ هُمو لامونَنا حَرَدَا
قد كان وَصْلُهُم يَشفي لِداءِ جَوًى ... حَتَّى اسْتَبانَ الجَفَا فما عَدَا وَبدَا
داوُدُ مَجْلِسِنا مِنْ بَعْدِ ما بَعُدَتْ ... أَيَّامُ قَهْوَتِنا دِرْعَ الجَفَا سَرَدَا
يا مَنْ غَدا خالِياً والسَّعْدُ خَادِمُهُ ... أَدْرِكْ أَخاكَ الَّذي للعَيْشِ قَدْ زَهِدَا
أَحْوَىٰ سَباني على الغَاداتِ مَلَّكَهُ ... سُلطانُ حُسْنٍ لَدَىٰ مَنْ حَلَّ أَو عَقَدَا
فَهَلْ يُعينُ الضَّنى فِي سُوءِ مَطْلَبِهِ ... على الكَئِيبِ الَّذي ما طَرْفُهُ رَقَدَا
يَحْلُو مَرارُ النَّوىٰ في ذَوْقِهِ وَلَهُ ... جُنْحَ الدَّياجِي زَفيرٌ للدِّما رَعَدَا
سامَ الهَوَىٰ فَهَوَىٰ فِي بَحْرِ لُجَّتِهِ ... صَارَتْ لِمُرِّ النَّوىٰ أَفْكارُهُ قِدَدَا
لا يَرْتَجي مُنْصِفاً أَنَّى يكونُ لَهُ ... والعاذِلونُ علىٰ تشتيتِه لِبَدَا
نَعَمْ لَهُ في الجَوَىٰ خِلٌّ يُساعِدُهُ ... إِذا مُرادُ الجَفا إِتلافَهُ قَصَدَا
لِكُلِّ مَجْدٍ رَفيعٍ صالِحٍ وَلَهُ ... سَحْبانُ أَهْلِ الذَّكا في فَضْلِهِ شَهِدَا
وَنَظْمُهُ قَدْ حَوىٰ مَعنى البديعِ كما ... لِنَثْرِ جَوْهَرِهِ أَوْجُ العُلا سَجَدَا
يَمُونُ طالِعِه بالسَّعْدِ مُقْتَرِنٌ ... يَزْهُو لِناظِرِهِ في نورِهِ صَعِدَا

يا صَالِحاً للعُلا بِاللُّطْفِ دُمْتَ فلا ... زالَتْ لَكَ النُّعمىٰ لا تَنْتَهِي عَدَدَا
بُشْراكَ عُرْساً لَهُ بالعِزِّ مَنْزِلَةٌ ... فَوْقَ السِّماكِ سَمَتْ تَزْهُو لِمَنْ نَشَدَا
نُورُ الصَّفا عَنْ سَنا تَأْرِيخِهِ بَدَلاً ... (حَيْثُ الهَنا لِلمُنى وَالعِزِّ قَدْ وَرَدَا)

(١٢٥)

وقلتُ في صَدْرِ كتابٍ أرسلتُهُ إِلى العَلاَّمةِ الفاضلِ الأديبِ الشَّيخ عبدِ الفتاحِ المحموديِّ اللاذقيِّ صاحب ديوانِ «سميرِ الفؤادِ» وغيرِهِ من المُؤَلَّفاتِ نَظْماً ونَثْراً: [من الكامل]

يُهْدِي السَّلامَ أَخُو الصَّبابَةِ مَنْ غَدا ... مَأْسُورَ وَجْدٍ للخَيَالِ الطَّارِقِ
إِنِّي وَحَقِّكُمُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ... شَوْقِي إِلَيْكُمْ كالمُحِبِّ العَاشِقِ
إِنْ لَمْ أَكُنْ أَحْظَىٰ بِنُور سَنائِكُم ... فَكَلامُكُم أَهْدى الجَوَىٰ للوَامِقِ
يا أَوْحَدَ العُلَماءِ والبَدرُ الَّذي ... أَخْفىٰ بنُورِ الفَضْلِ ضَوْءَ الشَّارِقِ
وَمَنِ الَّذي مَلأَ المَسامِعَ صِيتُهُ ... وسَمَا على الجَوْزاءِ دُونَ مُرافِقِ
لا زِلْتَ غَيْثَ الطَّالبينَ تُفِيدُهُم ... دُرَرَ العُلومِ بِنُورِ عَوْنِ الخَالِقِ

(١٢٦)

وقلت مُراسِلاً لبَعضِ الأَصحابِ، واسمُه نُوري بك، وكانَ فِي حَلب:

[من الوافر]

سَأَلْتُ المَجْدَ هَلْ لَكَ مِنْ خَليلٍ ... تَقُولُ لَهُ المراتِبُ أَنْتَ نُورِي
يَفُوقُ البَدْرَ في شَرَفٍ وَفَضْلٍ ... وطِيبِ المكْرُماتِ فقالَ نُورِي

(١٢٧)

وقلت مراسلاً ـ أيضاً ـ: [من الكامل]

بِـالحَمْـدِ مـا بَـزَغَ الهِـلاَلُ أُصَـرِّحُ ... وَأَدُومُ في شُكرِي الجَمِيلِ أُلَوِّحُ
وَأَرَى المَديحَ عليَّ ضَرْبَةَ لازِبٍ ... لِكَمـالِ مَـنْ بِمَـدِيحِـهِ أَتَـرَجَّـحُ
نُورِي الفَضائِلِ شَمسُ أَهْلِ زَمانِهِ ... مَـنْ نُـورُهُ فَـوْقَ الغَـزَالَـةِ أَوْضَـحُ
لا حَصْرَ لِي لمَديحِهِ في حالَةٍ ... إِنْ رُمْـتُ أُبـدِعُ بـالكُنَىٰ وأُصَـرِّحُ
فـاللهُ يُتْحِفُـهُ المقـاصِـدَ والمُنـىٰ ... ويُـدِيمُـهُ وَهُـوَ الأَعَـزُّ الأَصْلَـحُ
وَيُحِلُّـهُ هَـامَ المَعَـالـي مـا بَـدَتْ ... أَهـلُ المفـاخِـرِ بـالمَـآثِـرِ تُمْـدَحُ

(١٢٨)

وقلت في صدرِ رِسالة: [من الوافر]

علـىٰ بَيْـروتَ مِنِّـي كُـلَّ وَقْـتٍ ... سَـلامٌ عَـرْفُـهُ كـالمِسْـكِ عـابِـقْ
وَسَـاعَـدَهـا نسيـمُ الأُنْـسِ دَوْمـاً ... إِذا أَمْسَـىٰ بـذَاكَ الـرَّبْـعِ فـائِـقْ

❑ ❑ ❑

رفع المسيهما

الفَصْلُ الخَامِسُ
والبستانُ الآنس

الحاوي على وَرْدِ
بعضِ الغَزَل، ونرجسِ التاريخ، وحبرِ الفصيحة، وحصباءِ الهجو
بحسب ما وجد، وإن كان جُلُّه قد فُقد
وبه خِتامُ النظم الدمشقيّ، والمورد العشقي

(١٢٩)

قلت: [من الكامل]

مـا بَعْـدَ جِلَّـقَ للغَـرامِ مَـرامُ ... وَغَيْـرُهـا وَطَـنٌ عَلَـيَّ حَـرَامُ
لكِنَّمـا الأَقْـدارُ تَفْعَـلُ مـا تَشـا ... صَبْـراً جَمِيـلاً والكَـلامُ كِـلامُ

(١٣٠)

وقلت[1]: [من الوافر]

إلٰهِـي بـالشَّفيـعِ وَصـاحِبَيْـهِ ... وبِـالآلِ الكِـرامِ الطَّـاهِـرينَـا
وبَـالبيـتِ العَتيـقِ وقـاصِـديـه ... وبـالعُلَمـا الكِـرامِ العَـامِلِينَـا
تُـرِيـحُ القَلْـبَ مِمَّـا قَـدْ يُقـاسِـي ... فَـأَيُّ الهَـمِّ إلاَّ قَـدْ بُلِينَـا
فهٰـذا العُمْـرُ بـالأَكْـدارِ يَمْضـي ... وَكَـمْ يَصْفُـو شَـرابُ الشَّـاربِينَـا

---

(١) انظر تعليقنا (ص: ١٣٣).

رفع المسيهم

أَلِفْتُ حَواسِدي فازْدَدْتُ غَيظاً ... وزادَ البُعْدُ كَيْدَ الأَقْرَبِينَا
غَرِيبٌ لَسْتُ أَلْقىٰ لي صديقاً ... فريدٌ لَسْتُ أَلْقىٰ لِي مُعِينَا
فَإِنِّي بَيْنَ أَتْرابي ذَليلٌ ... يَرَوْنُ عَداوَتي فَتْحاً مُبِينَا
بُلِيتُ بِكُلِّ مَا أَلْقاهُ مُرّاً ... وَضيقُ العَيْشِ يَكْفِي الأَجْمَعِينَا

(١٣١)

وقلت مُؤَرِّخاً: [من الكامل]

زُرْ تُرْبَةَ القَاعِ الَّتي مِنْ طِيبِها ... يَتَأَرَّجُ الرِّضْوانُ مِنْ دَارِ النَّعيمِ
حَيَّا الرَّحِيمُ دُرَّةً حَلَّتْ بِها ... خِدْنٌ تَحَلَّتْ بالرِّضا عِنْدَ الكريمِ
لمَّا أَتَتْ دارَ البَقا أَرِّخ (دعت ... شَطِّي المُنَا ابنَ السَّنَا عَبْدَ الحَلِيمِ)

سنة ١٣٠٥ هـ

(١٣٢)

وقلتُ مؤرِّخاً وفاةَ عَلي بك بن مَرْدَم بك: [من الرمل]

ذا عَلِيٌّ في رياضِ المُتَّقِينْ ... نَازِلٌ في ظِلِّ رَبِّ العَالَمِينْ
يُنشِدُ الوِلْدانُ وَاشَوقاً إِلىٰ ... نَجْلِ مَرْدَمْ ذِي المَسَرَّاتِ الأَمينْ
قَدْ أَتىٰ يومَ الثُّلاثا نَعْيُهُ ... إِذ مَضَىٰ ذو القَعْدَةِ عَنّا الأَمِيْن
وَتَجَلَّتْ جَنَّةُ العَلْيا لَهُ ... بمَقَامِ الصِّدْقِ والحَقِّ المُبينْ
وإِلى الرِّضْوانِ أَرِّخْهُ صَدَر ... (فادْخُلوها بسلامٍ آمِنينْ)

سنة ١٣٠٥ هـ

رفع المسيهم

(١٣٣)

وقلت: [من الوافر]

وشَيْـخٍ أَخْبَـثِ الثَّقَلَيـنِ طَبْعـاً ... وأَكْـذَبِ مَـنْ نَـوىٰ دَعْـوى النُّبُـوَّهْ
يقُـولُ لأَهْـلِ هٰـذا العَصْـرِ قُـولـوا ... بِـأَنِّـي خيـرُ مَـنْ نـالَ الفُتُـوَّهْ
إذا صـافَيْتَـهُ يـومـاً تَـرَاهُ ... نَكِيـرَ الصَّحْـبِ جَمْعـاً والأُخُـوَّهْ
يَتِيـهُ بِـذاتِـهِ والنَّـاسَ يَـدْعُـو ... لَعَـلَّ لِـدُبْـرِهِ يـأْتـوا سَـوِيَّـهْ

(١٣٤)

وقلت: [من مجزوء الرمل]

شَيخُنَـا المِصْـرِيُّ شَهْـمٌ ... حـافِـظٌ أَمْـرَ اللِّـواطِ
بَحْـرُ جُـودٍ قـدْ تَغَـذَّىٰ ... فَضْـلَ مَحْلُـول الـرِّبـاطِ
إِنْ أَتـاهُ ذو جَمـالٍ ... ودَنـا نحـوَ البِسـاطِ
أَغْلَـقَ البَـابَ سَـريعـاً ... وَتَسَلَّـىٰ بِـالضُّـراطِ

(١٣٥)

وقلت: [من الكامل]

فَتَـنَ الفُـؤَادَ جَمـالُ حِـبٍّ وَجْهُـهُ ... مِثْـلُ القُـرودِ مُنَقَّشـاً ومُنَقَّبَـا
لَـوْ زارَهُ العِفْـريـتُ يَـوْمـاً لانْثَنـىٰ ... نحـوَ الكِـلاَبِ مُغَنِّيـاً ومُشَبِّبَـا

رفع المسيهم

(١٣٦)

وقلت مُقَرِّظاً لرِسالة : [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدُّرَّ مَسْكَنُهُ ... في لُجَّةِ البَحْرِ بَيْنَ القَبْضِ والبَسْطِ
لَمَّا نَظَرْتُ لِهٰذا العِقْدِ مُنْشَرِحاً ... أَيْقَنْتُ حَقًّا بِأَنَّ الدُّرَّ في الشَّطِ

(١٣٧)

وقلت مؤرِّخاً قدومَ أَخينا الشَّيخ مصطفى الشطَّي مِنَ الحجازِ إِلى الشَّام لما أتمَّ فريضةَ الحج : [من الرمل]

مـا تَبَـدَّى النُّـورُ أَمْ بَـدْرُ التَّمـامْ ... أَمْ ريـاضُ الأُنْسِ حَيَّاهـا الغَمـامْ
صـادَفَـتْ لَيْـلَ اكْتِئَـابـي فـانْجَلىٰ ... وبَدَا في اللُّطْفِ في أَبْهَى ابْتِسامْ
طَيْـرُ مَغْنَـاهـا يُغَنِّـي فَـرْحَـةً ... في قُدومِ مُصْطَفىٰ نَسْلِ الكِرامْ
فـاخِـرُ الأَجْـدادِ شَطِّـيٌّ سمـا ... يَـرْتَقـي إِفْضـالُـهُ أَسْنىٰ مَقـامْ
يـا تبـاشيـرَ الهَنـا أَرِّخْ (فيـا ... حجَّـةً مَقْبُـولَـةً والسَّعْـدُ دَامْ)

(١٣٨)

وقلت علىٰ لسانِ ولدِ عمه، وكان مريضاً فعوفي عند قدومه :

[من مجزوء الرمل]

مَنْهَـلَ الأَشْجـانِ قَلْبـي ... مُـذْ نَـأَيْتُـمْ قَـدْ وَرَدْ
صِحْـتُ أَيَّـامَ التَّـلاقـي ... بُـرْءُ دَائـي فـي مَـدَدْ
طَيِّـبُ الأَنْفـاسِ سَـار ... طِيـبَ لُقيـانَـا قَصَـدْ
فَتَلَـتْ عَلْيـاهُ صُبْحـاً ... كُـلُّ مَـنْ جَـدَّ وَجَـدْ
يَنْجَلـي تـأْريخُنـا ... (فُـزْ بـالصَّفـا نِلْـتَ الـرَّشَـدْ)

رفع المسيهم

(١٣٩)

وقلت: [من البسيط]

فَصْلُ الشِّتاءِ لَنِعْمَ الفَصْلُ لَوْ وُجِدَتْ ... سَبْعٌ بها للمَعَالي نَبْلُغُ الأَمَلاَ

دارٌ ودَرْسٌ ودينارٌ ودُهْنُ ضِيا ... دَسْتٌ دَواةٌ ودِينٌ يَعْصِم الرَّجُلاَ

(١٤٠)

وقلت: [من الوافر]

لِنُورِ العِلْمِ يُهْدىٰ كُلُّ راغِبْ ... ومَنْ لَزِمَ الدُّرُوسَ رَأَى العَجائِبْ

فَلازِمْ خِدْمَةَ الأُسْتاذِ دَوْماً ... تَنالُ العِزَّ في أَعْلى المراتِبْ

وفي تقبيلِ أَيدي الشَّيْخِ عِزٌّ ... وذُلُّ النَّفْسِ يُعطِيكَ المَطالِبْ

وَقُمْ باللَّيلِ سَهْراناً مُجِدّاً ... تَرَىٰ فَيْضَ الإِلٰهِ مِنَ المَواهِبْ

حَوَى العِلْمَ الشَّريفَ أَخُو اجْتِهادٍ ... وَحازَ الفَضْلَ أَولادُ المكاتِبْ

فإِنَّ العِلْمَ فَضْلٌ لا يُباهىٰ ... وإِنَّ الجَهْلَ خَرَّاقُ المراكِبْ

وإِنَّ الصِّدْقَ مِنْ خَيْرِ المَزَايا ... وإِنَّ الكِذْبَ مِنْ سُوءِ المَصائِبْ

فَفِي صِدْقِ المَقالِ تَنالُ مَجْداً ... ونُورُ الفَضْلِ لا يَحْوِيهِ كَاذِبْ

وَفي الخَطِّ الجَميلِ تَنالُ حَظّاً ... فَكُنْ بِالجِدِّ خَطَّاطاً وحاسِبْ

يَنالُ الحاسِبونَ عظيمَ مَجْدٍ ... وحُسْنُ الخَطِّ مِفْتاحُ المكاسِبْ

وَمَنْ لَزِمَ التَّعَلُّمَ في صِباهُ ... يَنالُ مِنْ العُلا كُلَّ المآرِبْ

نَدِيمي هَلْ رَأَيْتَ الجَهْلَ يهدي ... سِوىٰ شُؤْمِ المَسَاعِي والنَّوائِبْ

فَدَعْهُ وَاتْرُكِ الْجُهَلاَءَ طُرّاً ... وَسِرْ لِلْفَضْلِ فِي جُنْحِ الْغَيَاهِبْ

وَصَلَّىٰ رَبُّنا ما لاحَ بَدْرٌ ... عَلىٰ مَنْ سَارَ للمِعْرَاجِ راكِبْ

كَذاكَ الآلِ والأَصْحَابِ جَمْعاً ... وما شُدَّتْ إِلى البَيتِ النَّجائِبْ

رفع المسيهم

(١٤١)

وقلت مُؤَرِّخاً: [من مجزوء الوافر]

إِلـــىٰ دارِ البَقـــا كَـــرَمـــاً ... سَـــرَىٰ بـــالأُنْـــسِ واللُّطْـــفِ
وأَلْبَسَـــهُ الـــرِّضـــا حُلَـــلاً ... تَـــزيـــدُ عَـــنْ مَـــدَى الـــوَصْـــفِ
بِلَيْـــلِ الأَرْبِعـــا أَمْســـىٰ ... بِعَفْـــــوِ اللهِ يَسْتَشْفِـــــي
وَفـــي رَمَضـــانَ أَرِّخْ (كُـــنْ ... رشيـــداً ليلـــةَ النِّصْـــفِ)

(١٤٢)

وقلتُ مؤرخاً فِسْقِيَّةَ ماءٍ بناها أحمدُ باشا بنُ عمر باشا وعبدُ القادر أفندي الميدانيُّ، وكان سببَ إجراءِ مائها الميدانيُّ: [من الوافر]

لِعَبْـدِ القـادِرِ المَيْـدانـي فَضْـلٌ ... علـىٰ طُـولِ المَـدَىٰ أَبَـداً مُكَـرَّرْ
فَـأَجْـرَىٰ بَعْـدَ قَطْـعِ الخَيْـرِ مـاءً ... بِـهِ تَحْيَـا النُّفـوسُ وذَاكَ أَكبَـرْ
وأَحمَـدُ بـاشـا أَنشـاهُ احْتِسـابـاً ... فـأَحْيـا فـي دِمَشْـقَ الشَّـامِ كَـوْثَـرْ
وَقَـــدْ أَرَّخْتُـــهُ (داعٍ سَبيـــلٌ ... بـأَحْمَـدَ نَجْـلِ فـاروقٍ تَعَمَّـرْ)

(١٤٣)

وقلت: [من الكامل]

عَرِّجْ علىٰ قاضي النُّحوسِ بِبَلْدَةٍ ... مِنْ فَضْلِها الحَقُّ يُرَىٰ عِنْدَ الفُلوسْ
في مَجْلِسٍ بالزُّورِ يَسْمُو عِنْدَهُ ... هَزُّ اللِّحَىٰ لِشُهودِها مِثْلَ التُّيوسْ
عَنْهُـم رَوَىٰ قـاضٍ لجُبَّـل حُكْمَـهُ ... عن باقلٍ عن شَيْخِهِنَّ أَبي النُّحوسْ
قـاضٍ تَصَـدَّىٰ للقَضـاءِ وإِنَّمـا ... مِنْ عَدْلِهِ أَعْلىٰ مَحَاسِنِه الغَمُوسْ
لِنُحـاسـةٍ تـأْتـي يُطَـأْطـأُ رَأْسُـهُ ... فافْعَلْ مُرادَكَ لَوْ تُطاوِعُكَ النُّفوسْ

رفع المسيهم

(١٤٤)

وقلت وقد رأيت الشَّيخَ نجمَ الدِّين الغَزِّيَّ في المنام في ابتداءِ طَلَبي للعِلم، ودعا لي بالفُتوح، ووضع يدهُ علىٰ ظهري متبسماً: [من مجزوء الرمل]

هَـــذِهِ أَظْعُنُهُـــمْ ... قَـــدْ سَـــرَتْ يـــا مُنْيَتِـــي
لَيْتَهُـــم لَمَّـــا غَـــدَوْا ... وَدَّعـــونـــي ســـادَتِـــي
إِنَّ صَبْـــري قـــدْ وَهـــىٰ ... بَعْـــدَهُـــمْ يـــا خُلَّتِـــي
صَـــدُّهُـــمُ أَوْرَى الجَـــوىٰ ... وَكَســـانـــي أُهْبَتِـــي
هٰـــذه أَوْطـــانُهُـــمْ ... لَيْـــسَ فيهـــا رُفْقَتِـــي
دَمْـــعُ عَيْنـــي بَعْـــدَهُـــمْ ... مُعْـــرِبٌ عَـــنْ بَلْـــوَتِـــي
أَقْتَفِـــي آثـــارَهُـــمْ ... بِـــاللُّتَيَّـــا وَالَّتِـــي
عَلَّهُـــمْ أَنْ يَصْفَحُـــوا ... ســـادَتـــي عَـــنْ زَلَّتِـــي
عِنْـــدمـــا شـــاهَـــدْتُهُـــمْ ... فِـــي خِـــلالِ الصُّحْبَـــةِ
صِحْـــتُ رُوحـــي عِنْـــدَكُـــمْ ... لِلْفِـــدَا يـــا خُلَّتِـــي
فَـــاقْبَلُـــوهـــا مِـــنْ فَتًـــى ... مُغْـــرَمٍ يـــا ســـادَتِـــي
يـــا نُجـــومـــاً قَـــدْ زَهَـــتْ ... فـــي ريـــاضِ الجَنَّـــةِ
حُبُّكُـــم لـــي شـــاغِـــلٌ ... قَبْـــلَ وَقْـــتِ القَبْضَـــةِ
مِـــنْ (أَلَسْـــتُ) شَـــوْقُكُـــم ... فيـــهِ كـــانـــتْ سَكْـــرَتِـــي
فَـــانْجِـــدُوا الصَّـــبَّ الَّـــذي ... قَـــدْ سَـــرَىٰ فـــي الحَيْـــرَةِ
هـــامَ فـــي تَـــذْكـــارِكُـــمْ ... قَبْـــلَ نَفْـــخِ النَّسْمَـــةِ
تـــائِهـــاً عَـــنْ غَيْـــرِكُـــم ... فـــي رِيـــاضِ الأُلْفَـــةِ
جُـــنَّ فـــي ليـــلِ النَّـــوَىٰ ... والـــوَرَىٰ فـــي الـــرَّقْـــدَةِ

رفع المسيهم

جِسْمُـــهُ يَشْكُـــو الضَّنـــى والأسَـــىٰ فـــي الجُمْلَـــةِ
يَـــرْتَجـــي مِـــنْ فَيضِكُـــمْ بُـــرْءَ تِلْـــكَ العِلَّـــةِ

(١٤٥)

وقلت مُؤَرِّخاً: [من الكامل]

زُرْ رَوْضَةَ الأُنْسِ الَّتي أَوحَىٰ لها سُحْبُ الرِّضا مُذْ وَشَّحَتْ أَطْلالَهَا
حَلَّـتْ بِهـا مِـنْ آلِ حِكْمَـةَ دُرَّةٌ فَسَقى الرَّحيمُ غُدُوَّها وظِلالَهَا
بِنْـتُ القنـاواتـي فطيبـا إِنَّهـا قَـدْ أُعْطِيَـتْ مِـنْ رَبِّهـا آمـالَهَـا
أَوْحَـىٰ لنـا ذاكَ السَّنـا أَرِّخْ (منى طيـب اللِّقـا بَسيمـةٌ بُشْـرَىٰ لهَـا)

(١٤٦)

وقلت مُؤرِّخاً: [من الكامل]

إِنِّـي نـزيـلٌ بـالكَـرِيـمِ ومَـنْ غَـدا جـارَ الكـريـمِ هَنـاؤُهُ مُتَـواتِـرُ
أَمْسَيْتُ محمودَ الفَعالِ على الرِّضا وأَتَـتْ مِـنَ المَـوْلَـىٰ لَـدَيَّ بَشـائِرُ
فَـأَرِ النَّـزِيـلَ بِحَيِّـهِ حَيْـثُ الهَنـا والْفَضْـلُ أَرِّخْ (واجـدٌ يـا غـافـرُ)

(١٤٧)

وقلتُ أيضاً: [من الرمل]

حَبَّـذا المِعْطَـارُ لَمَّـا نَسَمـا مِنْ شَذَا الغُفْرانِ في دَارِ السَّلامْ
عَنْ سَنا بِنْتِ المُفَدَّىٰ قَدْ روىٰ ذا تقـيُّ الـدِّيـنِ بَـلْ تَـاجُ الكِـرامْ
قَـدْ دَعـاهـا جَـدُّهـا بُشْـرَىٰ لَهـا في جِوارِ المُصْطَفَىٰ خَيْرِ الأَنامْ
فَشَـدَا التَّـاريـخُ (دلاً زاهِيَـهْ في جِنانِ الخُلْدِ يا نِعْمَ المُقامْ)

رفع المسيهم

(١٤٨)

وقلت في الهَجْو : [من مجزوء الرمل]

رُبَّ لُطْـــفٍ مِـــنْ مَليـــحٍ صـــارَ فـــي العَكْسَيْـــنِ طَـــرْدَا
قُلْـــتُ إذْ أَرْخَـــىٰ دَلالاً كُنْـــتَ وَرْداً صِـــرْتَ قِـــرْدَا

(١٤٩)

وقلتُ مُقرِّظاً رسالةً اسمها : «الرِّسالة البهيَّة في مناقب الصُّوفيَّة» :

[من المحدَث]

أَبْـــدَىٰ بَـــديـــعِ الفِكْـــرِ لَنـــا عِقْـــداً لِنِظـــامِ الـــدَّهْـــرِ سَنَـــا
وَسَمـــا التَّحقيـــقِ بـــهِ طَلَعَـــتْ شَمْـــسُ الأَفهـــامِ فـــزادَ ثَنَـــا
وبلُطْـــفِ مَحـــاسِـــنِ رَوْضَتِهـــا أَحْيَـــتْ لُبِّـــي وبـــهِ سَكَنَـــا
الفـــاضِـــلُ مَـــنْ للقُطـــبِ سَمـــا العـــارِفُ مَـــنْ لِلفَضْـــلِ جَنَـــىٰ
الكـــامِـــلُ مُحْيـــي الـــدِّيـــنِ لَقَـــدْ أَبْـــدَىٰ بِـــرِســـالَتِـــهِ سُنَنَـــا
لَـــوْ أَبْصَـــرَهـــا الحَسَـــنُ لَشَـــدَا ولَـــدى الأَذْكَـــارِ بهـــا لَحَنَـــا
فَـــإِذا ظَهَـــرَتْ بمعَـــارِجهـــا سَلَبَـــتْ مِـــنْ أَعْيُنِنـــا الـــوَسَنَـــا
تُحيـــي النَّفْـــسَ بطيـــبِ شَـــذًى مِـــنْ دَوْحِ رِيـــاضِ القُـــدْسِ دَنَـــا
فَلْتَشْـــدُ بهـــا الأَفكـــارُ إذا وَجَـــدَتْ أَلَمـــاً تجِـــدُ المِنَنَـــا

(١٥٠)

وقلت، وقد أَمرني سيِّدي وأُستاذي علاَّمةُ العلماءِ الشَّيخُ سليمُ العطَّارُ بتشطيرِ وتخميسِ بيتينِ، فَقُلْتُ مُشطِّراً لهما : [من البسيط]

(النَّاسُ للخَيْرِ ما أَحْلَىٰ ظواهِرَهُمْ) إنْ أَمَّ ســاحَتَهُــمْ للبِــرِّ مُحْتــاجُ

رفع المسيهم

يَلْقَى البَشاشَةَ والتَّرْحيبَ في سَعَةٍ (لكنَّ باطِنَهُمْ للشَرِّ أَخْراجُ)
(شِبْهَ المنَارةِ في تَعْديلِ ظاهِرِها) لَدَىٰ خَوارِجِها للحُسْنِ إِيلاجُ
يَرُوقُ مَنْظَرُها حُسْناً لنَاظِرِها (لكِنَّ باطِنَها دُورٌ وأَدراجُ)

(١٥١)

وقلت مُخَمِّساً: [من البسيط]

دارِ الأَنامَ ولا تَأْمَنْ بَوَادِرَهُمْ وَكُنْ عَلَىٰ حَذَرٍ مِنْ أَنْ تُعَاشِرَهُمْ
وَثِقْ بِقَولِ الَّذي أَحْيا مَآثِرَهُمْ (النَّاسُ لِلخَيرِ مَا أَحْلَىٰ ظَواهِرَهُمْ
لكنَّ باطِنَهُمْ للشَّرِّ أَخْراجُ)
يا حُسْنَ مَنْقَبَةٍ تَزْهُو لِنَاظِرِها وفي الضَّميرِ خَبايا مِنْ مَظاهِرِهَا
إِنَّ البَرايا لَفي تمثيلِ سائِرِها (شِبْهُ المنَارَةِ في تَعْديلِ ظاهِرِهَا
لكنَّ باطِنَها دورٌ وأَدْرَاجُ)

(١٥٢)

وقلتُ مُشَطِّراً، والأَصلُ للشِّهابِ الخفاجيِّ: [من الخفيف]

(وزمانٍ فيهِ الصَّغيرُ تَقَدَّمْ) وَعَلَىٰ أَهْلِ الفَضْلِ فيهِ تَحَكَّمْ
ظَنَّ عامِلَ الرَّفْعِ يأتي لِخَفْضٍ (أَتُراهُ مِنْ ذٰلكَ الذَّنْبِ يَنْدَمْ)
(لَعَنَ اللهُ قَوْمَ لوطٍ فهُمْ قَدْ) أَجْهَدُوهُ حَتَّىٰ قَفاهُ تَثَلَّمْ
لَمْ يَزالُوا للفُرشِ يُدْنونَهُ إِذْ (علموهُ التَّقدُّمَ حَتَّىٰ تَقَدَّمْ)

رفع المسيهم

(١٥٣)

وقلت مُشَطِّراً أيضاً، والأَصل للشِّهاب: [من الطويل]

(أَقولُ لهذا الدَّهْرِ عَتْباً عَلامَ لا) تراعي شروطَ العَقْلِ فِيمَن سَمَا صِدْقَا
ولِمْ لا كأَهْل الفَضْلِ والفَهْمِ والذَّكا (تُقَدِّمُ مَنْ قَدْ قَدَّمَتْهُ الوَرَىٰ حَقَّا)
(فَهَمَّ بِتَقْدِيمِ المُقَدَّمِ تَوْبَةً) وَإِصْلاحِ ما قَدْ زادَهُ جَهْلُهُ خَرْقَا
فَفكَّرَ فِيمَنْ يَسْتَحِقُّ بِزَعْمِهِ (فَكانَ الَّذي قَدْ رامَ تَقْديمَهُ عِلْقَا)

(١٥٤)

وقلتُ أيضاً، والأَصل لعبدِ الرحمنِ بنِ كثيرٍ المكيِّ المترجم في «ريحانة الأَلباء» للخَفَاجيِّ: [من الوافر]

(كِبارُ زَمانِنا أَضْحَوا صِغاراً) بِهِمْ بَدْرُ العُلا والحَمْد سارِي
تَوَلَّوا الحُكْمَ فينا حَيْثُ شاؤوا (وَقَدْ غَضِبَ الزَّمانُ عَلَى الكِبارِ)
(كَأَنَّ زَمانَنا مِنْ قَوْمِ لُوطٍ) يَرَى التَّخْنِيثَ مِنْ أَسْنَى الفَخارِ
تَولَّعَ بالعُلُوقِ لِذا تَرَاهُ (لَهُ وَلَعٌ بِتَقْدِيمِ الصِّغارِ)

(١٥٥)

وقلت: [من الكامل]

عاتَبْتُ دَهْرِيَ في تَقَدُّمِ مَنْ غَدا طُولَ المَدَىٰ عَنْ حُمْقِهِ لَمْ يَؤُبِ
فَنَوَىٰ مَتاباً ثُمَّ قَدَّمَ جَاهِلاً يا لَيْتَهُ مِنْ ذَنْبِهِ لَمْ يَتُبِ

رفع المسيهم

(١٥٦)

وقلت: [من الكامل]

قَدْ عَاشَرَت أَهْلُ اللِّواطِ زَمانَنا ... فَلِذاكَ عَيْشُ ذَوِي السِّيادةِ نُغِّصَا

لا تَـرْتَجُـوا إِقْـلاعَـهُ عَـنْ ذَنْبِـهِ ... العِلْـقُ إِنْ تـابَ يَصيـرُ مُعَـرِّصَـا

(١٥٧)

وقلت مُشَطِّراً باقتراحِ بعضِ الأَصحاب، والأَصلُ لبعضِهم: [من الكامل]

(مـاذا تُـؤَمِّـلُ مِـنْ زَمـانٍ جـائِـرٍ) ... مُتَفـاخِـرٍ بـالغَـدْرِ والإِضْـرارِ

إِنْ رَامَ يَـوْمـاً تَـوْبَـةً مِـنْ جَهْلِـهِ ... (جَعَـلَ الخِيَـارَ بِقَبْضَـةِ الأَشْـرارِ)

(وَلَقَدْ يَعِزُّ عَلى النَّواظِرِ أَنْ تَرىٰ) ... أَهْـلَ السِّيـادَةِ لِلَّئِيـمِ تُـدارِي

حَتَّـامَ يـا طبعَ المخَنَّـثِ جـاعِـلاً ... (كُبَّـارَ قَـوْمٍ فـي أَكُـفِّ صِغـارِ)

(وَإِذا الزَّمانُ تَرَاجَعَتْ أَخْلاَقُهُ) ... وأَرادَ إِنْصـافَ البَلِيـغِ الـدَّارِي

وَنَـوىٰ بِـهِ إِصْـلاَحَ مـا هُـوَ مُفْسِـدٌ ... (سَلَبَ الرِّياسَةَ مِنْ يَدِ الأَحْرارِ)

(١٥٨)

وقلت مُشَطِّراً: [من الهزج]

(إِذا ضَـاقَـتْ بِـكَ الـدُّنيـا) ... وَدَاعِـي الهَـمِّ قَـدْ صَـرَّحْ

وَلَـمْ تَعْلَـمْ لَـهُ صَـرْفـاً ... (فَفكِّـرْ فـي أَلَـمْ نَشْـرَحْ)

(فَعُسْـرٌ بَيْـنَ يُسْـرَيْـنِ) ... بِـذَا التَّعـرِيـفُ قَـدْ أَوْضَـحْ

تَـرَىٰ سِـرّاً سَمـا لُطْفـاً ... (إِذا كَـرَّرْتَـهُ تَفْـرَحْ)

(تَجِـدْ يُسْـرَيْـنِ قَـدْ دارا) ... بِحُكْـمِ البَسْـطِ لـلأَصْلَـحْ

وَحَـلاَّ فـي الهَنـا دَوْمـاً ... (عَلَـىٰ عُسْـرٍ فَلَـمْ يَبْـرَحْ)

رفع المسيهما

(١٥٩)

وقلت: [من الوافر]

عَذُولي عَنْ سبيلِ الرُّشدِ راغِبْ ... وحِبِّي في التَّجَنِّي اليَوْمَ راغِبْ
فماذا حِيلتي قُلْ لي خليلي ... وقد أَضنَىٰ مُرادي حُبُّ راغِبْ

(١٦٠)

وقلت: [من الكامل]

لاَ تَرْكَنَنَّ مَدَى الزَّمانِ لِصُحْبَهْ ... فَتَعْتَرِيكَ مِنَ الإِسَاءَةِ كُرْبَهْ
وإذا الخليلُ وَفىٰ ببعْضِ وُعودِهِ ... فَهُوَ المُحِبُّ وَما سِوَاهُ فَنَكْبَهْ
إِخْوانُ هٰذا الدَّهْرِ مِثْلُ وُعُودِهِمْ ... لا يَصْدُقُونَ وَلا هُنالكَ رَغْبَهْ
لَمَّا رَأَيْتُ صَنيعَهُمْ وَجَفاءَهُم ... مَلَّ الفُؤادُ لِقَاءَهُم وَتَنَبَّهْ
فَقُلْتُ صَبْراً يا فُؤَادي عَنْهُمُ ... إِنَّ الوفاءَ عَلامَةُ المَحَبَّهْ

(١٦١)

وقلت مؤرِّخاً: [من الكامل]

حَيَّا المُهَيْمِنُ تُرْبَةً أَمْسَىٰ بها ... مَحْمُودُ في نَيْلِ الأَماني والمُنَىٰ
نَجْلُ العِمادي مَنْ لَهُ الفَضْلُ انْتَمَىٰ ... وثِمارَ أَفْنانِ المَعَالي قَدْ جَنَىٰ
مُذْ حَلَّ في رَوْضِ الهَنا نادَىٰ أَلا ... يا لَيْتَ قومي يَعْلَمونَ بِما أَنَا
وَصَيِّبُ الغُفْرانِ نادَىٰ أَقْبِلُوا ... أَرِّخْ (وبي سُحُبُ الرِّضا يَدْعُو الهنَا)

سنة ١٢٠٩

رفع المسيهم

(١٦٢)

وقلت: [من الكامل]

بَحْـرٌ إذا رُمْـتَ النَّـوالَ بِـوَعْـدِهِ أَلْفَيْـتَ جُـلَّ أُمـورِهِ (مَـنْ هُـوكَـهْ)
وَإذا تَفَـرَّدَ عَـنْ أُصَيْحـابٍ لَـهُ حَكَّمْتَ في نَفَقَاتِهِ (مَنْ يُوكَهْ)

تقرأُ «مَنْهُوكَهْ» مَوْصُولَةً، مفعولاً ثانياً لـ«ألفيتَ»، ومجرورة بمِنْ، وكذلك «من يوكه»، واليوك اسمٌ اصطلاحيّ لعدد، فتدبَّرْ.

(١٦٣)

وقلت في هذه الطَّريقة أيضاً: [من الرمل]

مَنْ يَكُنْ يُرْضي الغُواةَ الحُسَّدَا بِـالعَشِـيِّ سَـوفَ يَلْقـاهُ الـرَّدَى
وَيَـزِيـدُ الفيـضُ مِنْـهُ وإذا مـا تَثَنَّـىٰ (أَيْ رَنـا) ظَـنَّ الهُـدَىٰ
إنْ يـولِّـي أَهْـلَ بُغْضـي دُبْـرَهُ صَـدَّ عَنِّـي وانتحـىٰ نحـوَ العِـدَا
يَرْتَضِي عَذْلي ولا يَخشى السِّوَىٰ لَـوْ تَبَـدَّاهُ العَـذُولُ أَوْ بَـدَا
نـافِـرٌ مِـنْ خَلْفِـهِ يَشْتـاقُ مَـنْ يَـرْتَضيـهِ آفِـلاً أَوْ مُنْجِـدَا

(١٦٤)

وقلت: [من الرمل]

قد

يا غزالي كيفَ عَنّي أَبْعَدُوكْ

قَدْ رَماني بِالهَوىٰ باهي السَّنا وَانْثَنَـىٰ عَنِّـي بِطَعْنـاتِ القَنَـا

رفع المسيهم

دور

إِنَّ أَمْري في الهَوىٰ أَمْرٌ عَجيبْ لَسْتُ أَخْلُو مِنْ عَذُولٍ أَو رَقيبْ
كُلَّمَا زَادَ الجَوَىٰ صَدَّ الحبيبْ واعْتَرَاني الوَجْدُ يَسْطُو بِالعَنَا

دور

لَيْسَ مَنْ ذَاقَ الهَوَىٰ يَدْري الهَوَىٰ غَيْرُ صَبٍّ ذاقَ مِنَ طَعْمِ النَّوَىٰ
وَبَراهُ الشَّوْقُ مِنْ عُظْمِ الجَوَىٰ يَرْتَجي طَيْفَ المُنىٰ لَمَّا دَنَا

دور

لِلْمُعنَّىٰ يالَ وُدِّي وَالكَئِيبْ نارُ وَجْدٍ تَذْرِفُ الدَّمعَ الصَّبيبْ
فَهْوَ يَصْحُو تَارةً ثُمَّ يَغيبْ مُذْ كَساهُ البُعْدُ أَثْوابَ الضَّنَى

دور

دَعْ صُدودَ الصَّبِّ يا باهي الجَمالْ واكْفُفَنْ عَنْ قَلْبِهِ رَشْقَ النِّبالْ
صارَ جِسْمي ناحِلاً مِثْلَ الخَيالْ صِلْ وَرَاقِبْ يَوْمَ حَشري رَبَّنا

دور

لَوْعَةُ الأَشْواقِ تَقْضِي بِالهُيامْ وَنِفَارُ الحُبِّ قَدْ زَادَ الغَرامْ
كُلَّما مَرَّ حَلا عِنْدَ السَّلامْ فَاقْبَلُوا عُذْري ودُمْتُم بالهَنَا

دور

ذَابَ قَلْبي في الهَوَىٰ يَكْفِي الصُّدُودْ حينما أَجْرى الدِّما طَعْنُ القُدودْ
زَفْرَتي زادَتْ علىٰ نارِ الوَقودْ كُلَّما زادَ الضَّنا عَنِّي انْثَنَىٰ

رفع المسيهم

(١٦٥)

وقلت : [من الكامل]

يا مُدَّعِي نَظْمَ القَريضِ وَلَسْتَ مِنْ ... فُرْسانِهِ أَقْصِرْ وَعُدْ يا ناهِقُ
فَلَقَدْ سَرَقْتَ كلامَ غيرِكَ فانتُبِهْ ... يكفي افْتِضاحُكَ بَيْنَنَا يا سارِقُ

(١٦٦)

وقلت : [من الوافر]

خَيالٌ ما أَرَىٰ أَمْ ذاتُ جِنِّي ... تَدُورُ لَدَى العَشِيِّ على التَّجَنِّي
أَمِ العِفْريتُ حَلَّ بِذي البَوادي ... لِيُفْسِدَ رَأْيَ أَرْبابِ التَّمَنِّي
أَمِ العِفْرِيتُ في صُوَرٍ تَبَدَّىٰ ... فَطَوْراً نابِحٌ كالكَلْبِ يَجْنِي
نَعَمْ هٰذا أَخُو إِبْليسَ خُبْثاً ... وَخِلُّ المَكْرِ قَدْ يَبْدُو كَجِنِّي
بِسِربالِ الجُنونِ إِذا تَبَدَّىٰ ... رَأَيْتَ لِذاتِهِ قبحاً تُغَنِّي
بِحُمْقٍ فاقَ مَجْنوناً بِفِعْلٍ ... يَقولُ لَعَلَّهُ يَرْويهِ عَنِّي
إِذا إِبْلِيسُ وَلاَّهُ مُناهُ ... يقولُ بِذاتِهِ الحَسْنا فَتَنِّي
وإِنْ حَلَّتْ شَقاوَتُهُ بِأَرْضٍ ... تَحُلُّ بِها القَباحَةُ بِالتَّأَنِّي
فَلا بَرِحَتْ شقاوَتُه بِفَيْضٍ ... ولا بَرِحَ الجُنونُ لَهُ يُثَنِّي

(١٦٧)

وقلت وأَنا في مدرسةِ «دارِ الحديثِ الأَشرفية» ولقد أَتاني لحُجرتي زائراً حَسَن أَفندي بَيْهُم البيروتي : [من الكامل]

للهِ شَهْمٌ بالفَضائلِ أَوْحَدُ ... أَضْحَى السَّرِيَّ بكُلِّ مَقْصودٍ حَسَنْ
سَعْدُ السُّعُودِ بِهِ يَهِيمُ لِذا بَدَا ... يَرْوي الفَضائِلَ وَالمفاخِرَ عَنْ حَسَنْ

رفع المسيهم

(١٦٨)

وقلت: [من الرمل]

كُـلُّ مَـنْ يَصْحَـبُ غَيْـرَ إِلْفِـهِ ... حَـلَّ فـي مَحْفِـلِ شَـرٍّ وضَـرَرْ
عـاشِـرِ الأَخْيَـارَ تَحْظَـىٰ منهـمُ ... بِسُمُـوٍّ هٰكَـذا جـاءَ الخَبَـرْ
وَإِذا صـاحَبْـتَ غَيْـرَ ذي العُـلا ... نِلْـتَ مَكْـرُوهـاً وَدُمْـتَ فـي كَـدَرْ

(١٦٩)

وقلت: [من البسيط]

قـالُـوا تَـرَكْـتَ البَعْـضَ عَـنْ مَلَـلٍ ... مِـنْ عِلْـمِ فَلْسَفَـةٍ وَلَسْـتَ تُنْكِـرُهُ
فَقُلْتُ يا قَوْمِ لَسْتُ بالمليلِ وَلا ... أَرىٰ لـي مَنْـزِلاً حَتَّـىٰ أُدَبِّـرُهُ

(١٧٠)

وقلت مقرِّظاً رسالةً للشيخ عبدِ الرَّحمٰن القصَّارِ سمَّاها: «براهينَ الحُكْمِ في تبرِئَةِ المحبُوبِ مِنَ الظُّلْمِ»: [من الوافر]

صَـريـحُ الحَـقِّ بـالبُـرهـانِ حلَّـىٰ ... أَديـبٌ فـوْقَ أَوْجِ الفَضْـلِ حَـلاَّ
نَفَـىٰ بـالعَـدْلِ جَـوْراً عَـنْ ظِبـاءٍ ... لَهُـمْ بِـالحُسْـنِ نُـورٌ قَـدْ تجلَّـىٰ
بُـدورٌ فَـوْقَ غُصْـنِ البَـانِ تَـزْهُـو ... لَهُـمْ سَفْـكُ دَمِ العُشَّـاقِ حَـلاَّ
فَـلا تَنْسُبْهُـمُ لِلظُّلْـمِ يـا مَـنْ ... بِكـأْسِ الحُـبِّ يَـوْمـاً مـا تَمَلَّـىٰ
فَـإِنْ رُمْـتَ الغَـرامَ فَكُـنْ رَقِيقـاً ... لِمُلْـكِ جَمَـالِهِـمْ رَغْمـاً وإِلاَّ
فَكَـلاَّ أَنْ تَـرَىٰ وَجْهـاً جَميـلاً ... لَـهُ للظُّلْـمِ مَيْـلٌ ثُـمَّ كَـلاَّ

رفع المسيهما

(١٧١)

وقلت مُلغِزاً في اسم «بدران»: [من الوافر]

ومَـا اسْـمٌ خُمَـاسـيٌّ تَـراهُ ... عَجيبَ الشَّكْلِ لَيْسَ بِهِ خَفاءُ
حُـرُوفٌ فـي بِـدَايَتِـهِ ثَـلاثٌ ... يُضِـيءُ الكَـوْنَ مِنْهـا الإِنْجِـلاءُ
تَـرَى الشُّعَـراءَ يَـرْتَجِـزُونَ فيـهِ ... وَفـي بَحْـرِ البَسيـطِ لَـهُ ثَنَـاءُ
وَكُـلُّ جَميـلِ وَجْـهٍ لا يُبَـاهِـي ... سَنـا إِقبـالِـهِ وَلَـهُ مُنَـاءُ
بِـدُرِّ النَّظْـمِ مَسْلَكُـهُ لَطيـفٌ ... وَنـورُ عُـلاهُ للـدُّنيـا لِـواءُ
تَـرَاهُ إِنْ بَـدَا فَتَـنَ البَـرَايـا ... وَإِنْ كَـرَّرْتَـهُ حَصَـلَ العَطـاءُ
فَكَـمْ مِـنْ عـالِـمٍ قَـدْ حـارَ فيـهِ ... وَقَـدْ كَشَـفَ الظَّـلامَ لَـهُ الضِّيـاءُ
لأَصْحَـابِ النُّجُـومِ يَلُـوحُ طَـوْراً ... إِذا نَقَّصْتَـهُ يَـأْتِـي الهَنـاءُ
وَإِنِ أَسْقَطْتُمُـو حَـرْفَيْـنِ مِنْـهُ ... يكـونُ علـى القُلُـوبِ لَـهُ غِطـاءُ
تَحَيَّـرُ فـي حَقيقَتـهِ البَـرايـا ... وَفَهْـمُ العـالميـنَ لَـهُ سَـواءُ
أَجِبْنـي يـا خَليلـي لا تَكِلْنـي ... إِلـى التَّسْـوِيـفِ يُعْقِبُـكَ اهْتِـداءُ

(١٧٢)

وقلت مُلغِزاً في «وداع»: [من الوافر]

ومـا اسْـمٌ رُبَـاعِـيٌّ تَـرَاهُ ... يَضِـجُّ النـاسُ مِنْـهُ بِـالبُكَـاءِ
وَنِصْـفُ حُـرُوفِـهِ وُدٌّ وَلكِـنْ ... لَـهُ داعٍ إِلـىٰ فَقْـدِ الهَنـاءِ

(١٧٣)

وقلت ملغِزاً في اسم «صالح»: [من الوافر]

خَليلٌ صَحَّ فـي بَـدْئي وَخَتْمـي ... بِـأَنَّ وِدادَهُ فـي القلـبِ حـاصِـلْ

المسهم

لَـهُ عَلَـمٌ رُبـاعِـيٌّ إذا مـا بَـدَا تَصْحِيفُـهُ اشْتـاقَ الـرَّذائِـلْ
وَإنْ أَسْقَطْـتَ آخِـرَهُ تَـراهُ علىٰ أَهْلِ الهَوَىٰ صَالٍ وصَائِلْ
لَـهُ جَـوْفٌ بِـهِ التَّعـرِيـفُ أَمْسـىٰ لأَهْـلِ النَّحْـوِ مِصْبـاحَ الفَضـائِـلْ
وَكَـمْ هَـامَتْ بِـهِ أَهْـلُ المَعَـانِي وَفـي مَبْنـاهُ تَخْتَلِـفُ الأَوائِـلْ
ولامُ عِـذَارِهِ قَـدْ صَـادَ قَلْبـي فَنِصْـفُ الإِسْـمِ صـل لا يُطـاوِلْ
وَباقِي الإِسْم أَعْرَبَ عَنْ سَقامِي فَعَجِّلْ في الجَوابِ ولا تُماطِلْ

(١٧٤)

وقلتُ في صدرِ رسالةٍ أرسلتُها إلىٰ حلبَ الشَّهباء : [من الطويل]

سَلاَمٌ على الشَّهْبَاءِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَلا سِيَّمـا فـي وَقْـتِ كُـلِّ غَبُـوقِ
سَلامٌ بِطيبِ المِسْكِ يَزْكُو عَبيرُهُ يَحُـلُّ مَكـانـاً حَـلَّ فيـهِ شَقيقِـي

(١٧٥)

وقلت مُؤَرِّخاً سَنَةَ وِلادتي علىٰ ما أَخبَرَني به والدِي ـ رَحمهُ الله تعالىٰ ـ في حالِ حياتِهِ : [من مجزوء الرجز]

إِلَيْـكَ رَبِّـي أَرْفَـعُ الـ ـأَكُـفَّ أَرْجُـوكَ الظَّفَـرْ
وَبِـالحَبيـبِ المُصْطَفـىٰ أَلـوذُ مِـنْ سُـوءِ القَـدَرْ
إِنِّـي ذَلِيـلٌ سَيِّـدي عَظِيـمُ ذَنْـبٍ مُحْتَقَـرْ
ضَعِيـفُ جِسْـمٍ لا أَرىٰ سِـواكَ رَبِّـي قَـدْ نَصَـرْ
وَحُسْـنُ ظَنِّـي سَيِّـدي نـاجَـىٰ فُـؤادي فِـي السَّحَـرْ
جَمِيـعُ مـا جَنَيْتُـهُ فـاللهُ أَرَّخَـهُ (غَفَـرْ)

رفع المسيهم

(١٧٦)

وقلت: [من الكامل]

حَلَّ المَشيبُ بِعارِضَيَّ قُبَيْلَ أَنْ ... أَتْمَمْتُ اِثْنَيْنِ وعِشرينَ سَنَهْ
وَأَتَتْ أُوَيْقَاتُ الهُمُومِ وَلَمْ أَجِدْ ... عَمَلاً أُقَدِّمُهُ إِذا زالَ السَّنَهْ
وَحَلَلْتُ في تِيهِ المَعاصِي أَرْتَجي ... عَفْوَ الكَرِيمِ فَحَبَّذا ما أَحْسَنَهْ

(١٧٧)

وكتبتُ علىٰ ظَهْر جزءٍ من مُؤَلَّفاتِ أَستاذِنا العَّلامةِ الشَّيخِ محمَّد الأَنبابي المصري شيخ الأَزهر ما صورتُه:

وَكَمْ بهٰذا العَصْرِ مِنْ شَخْصٍ سما ... هامَ السِّماكِ وَلَيْسَ كالأَنبابِي
فَهُوَ الجَديرُ بأَنْ يَقُولَ لِسائِلٍ ... مَهْلاً فَإِنَّ الدَّهْرَ قَدْ أَنْبا بِي

(١٧٨)

وكتبتُ علىٰ ظهرِ «شرحِ الكافِية» للرضيِّ: [من مجزوء الكامل]

هٰذَا كِتَابٌ لَمْ نَجِدْ ... فِي النَّحْوِ أَضحَىٰ مِثْلَهُ
فَالْزَمْ قِرَاءَتَهُ فَإِنْ ... تُتْقِنْهُ تَعْرِفْ فَضْلَهُ

(١٧٩)

وقلتُ أيضاً: [من مجزوء الكامل]

إِنْ رُمْتَ فِي التَّحقِيقِ أَنْ ... تَسْمُو علىٰ هَامِ الفُحُولْ
داوِمْ علىٰ دَرْسِ الرَّضِيِّ ... وَكُنِ الرَّضِيَّ بِمَا يَقُولْ

رفع المسيهم

(١٨٠)

وكتبتُ علىٰ ظَهرِ كتابِ «فتحِ الباقِي شرحِ أَلفيَّة العراقي»: [من الكامل]

قَدْ كانَ مُصْطَلَحُ الحَدِيثِ يكادُ أَنْ ... تُرْمَىٰ بُدُورُ عَلائِهِ بِمَحاقِ
حَتَّىٰ تَأَيَّدَ بالإِمامَيْنِ اللَّذَيْـ ... ـنِ بِهِمْ غَدا كالشَّمْسِ فِي الإِشْراقِ
فَتَحَ العِراقي بَعْضَ مُشْكِلِهِ لَنا ... وَأَتىٰ لنا القَاضِي بِفَتْحِ الباقِي

(١٨١)

وقلت: [من الوافر]

أَيا عُلَمَاءَ جِلَّقَ لا بَرِحْتُمْ ... بُدورَ العِلْمِ في طُولِ الزَّمانِ
غَريبٌ يَرْتَجي مِنْكُمْ جَواباً ... ومِنْ إِفْضَالِكُمْ يَرْجو التَّدانِي
مِنَ المَعْلُومِ أَنَّ كِتابَ رَبِّي ... لَفِي أَعْلى البَلاغَةِ وَالبيانِ
وَلكِنِّي أَرَىٰ في الكَهْفِ سِرّاً ... دَقيقاً رائِقاً حَسَنَ المَعَانِي
وذَا في ﴿اسْتَطْعَمَا﴾ فاسْتَطْعَمَاهُم ... يراهُ مُظْهَراً أَهْلُ المَعَانِي
فما وَجْهُ العُدولِ عنِ الضَّميرِ ... لِمُظْهَرِ ﴿أَهْلِهَا﴾ فالقَلْبُ عَانِي
فهٰذا السِّرُّ لي فيهِ غرامٌ ... ولَكِنْ قَدْ توارىٰ عَنْ عيانِي

(١٨٢)

وقلتُ مُهَنِّئاً بعضَ الأَصْحابِ بِشَهْرِ الصِّيام: [من الوافر]

أَتىٰ شَهْرُ الصِّيامِ بِكُلِّ عِزٍّ ... يُبَشِّرُ بالهَنا في كُلِّ نادِ
وَهَلَّ هِلالُهُ ومُناهُ يَحْظَىٰ ... بِنَظْرَةِ حُسْنِ وَجْهِكَ يا مُرادِي
فَدُمْ بِالعِزِّ والإِجْلالِ وَاهْنَا ... بِطيبِ العَيْشِ في رَغْمِ الأَعادِي
وما هامُ الثُّرَيَّا في سُرورٍ ... وَإِقبالٍ يَدُومُ في ازدِيادِ

رفع المسيهم

(١٨٣)

وقلت: [من البسيط]

فَصْلُ الشِّتاءِ لَنِعْمَ الفَصْلُ إِذْ وُجِدَتْ ... سَبْعٌ بها للمَعَالي نَبْلُغُ الأَمَلاَ

دارٌ وَدَرْسٌ ودِينَارٌ وَدُهْنٌ ضِيا ... دَسْتٌ دَواةٌ ودِينٌ يَعْصِمُ الرَّجُلاَ

(١٨٤)

وقلت مُؤَرِّخاً: [من مجزوء الوافر]

إِلَىٰ دارِ البَقا كَرَما ... سَرَىٰ بِالأُنْسِ واللُّطْفِ

وأَلْبَسَهُ الرِّضا حُلَلاً ... تَزيدُ عن مَدَى الوَصْفِ

بِليلِ الأَربعا أَمْسَىٰ ... بِعَفْوِ اللهِ يَسْتَشْفِي

وفي رَمضانَ أَرِّخْ (كُنْ ... رَشِيداً لَيلَةَ النِّصْفِ)

(١٨٥)

وقلت: [من الوافر]

عَلِيُّ العِلْقُ يَسْمُو بِافْتِخارِ ... ويَغْدُو للمُعَلِّمِ كالحِمَارِ

لَقَدْ ظَفِرَتْ يَدُ المِصْرِيِّ مِنْهُ ... بِما ظَفِرَ الفَرَزْدَقُ مِنْ نَوارِ

(١٨٦)

وقلت: [من الوافر]

إِذا طَابَتْ أُصُولُ المَرْءِ طَابَتْ ... مَجَانِي فَرْعِهِ وَرَقِي المَعَالِي

فَلا عَجَبٌ إِذا ما البَحْرُ يَرْمي ... بِعُقْبى المَدِّ أَصْنافَ اللآلِي

رفع المسيهم

(١٨٧)

وقلت مُخَاطِباً بعضَ الأَضداد: [من البسيط]

حُسْنِ المآثِرِ مِنْ دَعْواكَ مَسْتُورُ ... وَالكِبْرُ طَبْعٌ بِهِ الإِنْسانُ مَقْهُورُ

يا مَنْ أَتىٰ لِضياءِ الشَّمْسِ يَستُرُها ... أَنا الهُمامُ الَّذِي في النَّاسِ مَشْهُورُ

لَوْ تَرْتَضِي هِمَّتِي مَسْرَى السِّماكِ لَما ... ناحَتْ علىٰ فُرْقَتي في بَلْدَتي دُورُ

يُمْسي علىٰ حِسْدَتِي دَهْري علىٰ وَلَهٍ ... وَمَهْمَهُ الصَّبْرِ عَنْ جَدْواهُ مَحْظُورُ

عَمَّتْ عَداوَتُهُ أَهْلَ الكَمَالِ فَمَا ... مِنْ كامِلٍ ولَهُ في الأَمْرِ تَدْبيرُ

لا يَخْطِرُ الأَمَلُ المَغْرُورُ سَاحَتَنا ... لِعِلْمِنا في المَلا أَنَّ المُنىٰ زُورُ

هٰذا المَعَرِّي فَكَمْ أَبْدى الزَّمَانُ لَهُ ... كذا الزَّمَخْشَرِيُّ الَّذي في لَيْلِنا نورُ

واتْرُكْ مَذَمَّتَنا فَإِنَّنا مَلأٌ ... مِثْلُ الدَّرَارِيِّ لا يَنْقُصْنَ تَغْييرُ

❑ ❑ ❑

المسيرة

الباب الثاني

فيما قلته أثناء سفري إلى الغرب
والورود إلى ذلك المنهل العذب
وأشرت به إلى تقلبات الزمان، وعجائب الأكوان
وهو نذر يسير
أودعته «الرحلة المغربية»، ولا يبتئك مثل خبير

رفع المسيهما

الباب الثاني

(١٨٨)

وقلتُ وأَنا في مدينةِ بيروت، ونحن في انتظار الوَابُور، وقد تزايدَ الأَرَقُ من الانتظار، واشتعلت في القلوبِ لِبُعد الأحبَّة النَّار، ننظُر تارَةً إلى البحْرِ نرقب السفينه، وتارةً نحو الشَّام فَنَذْرِفُ الدُّموعَ مِن البُعد وعَلَينا السَّكينه، نُحمِّلُ نسيمَ الصَّبا السَّلام إِلى الأحباب، ونُخاطِبُ البَريدَ فلَمْ يُفصِحْ لَنا بِجَواب: [من البسيط]

ما كانَ أَسْرَعَ نَقْضَ الوُدِّ يا أَمَلي ... إِذْ أَبْطَأَتْ فِي الجَوابِ عَنْهُمُ رُسُلِي

أُسائِلُ الرِّيحَ عَنْهُمْ كُلَّمَا لَعِبَتْ ... مِنْها الغُصُونُ ومَوْجُ البَحْرِ كالجَبَلِ

هُمْ وَدَّعُوني فَأَوْدَعْتُ الحَشَا لَهَباً ... تزدادُ نِيرانُهُ مِنْ مَدْمَعِي الهَطِلِ

رَعْياً لأَيَّامِنا اللاَّتي سُرِرْنَ بِها ... في مَرْبَعِ الشَّامِ لا نَخْشَىٰ مِنَ الوَجَلِ

والحِبُّ يُتْحِفُني بالوَصْلِ آونَةً ... بَعْدَ النِّفارِ فَيَشْفِيني مِنَ العِلَلِ

أَشْكُو لَهُ ما بِقَلْبي مِنْ هَواهُ فلمْ ... يَزِدْ علىٰ قَوْلِهِ بالأَعْيُنِ النُّجُلِ

حَتَّىٰ أَلَمَّ بِنا دَاعِي الفِراقِ دُجًى ... قَبْلَ الصَّباحِ فَلَبَّيْنَاهُ بالعَجَلِ

المسيرة

(١٨٩)

وقلت: [من البسيط]

يا غُربةً كُلَّما طال المَدىٰ بَعُدَتْ ... وساعَدَتْ بالضَّنى والهَمِّ والأَرَقِ
هَلْ أَنْظُرَنْ وَطَني قَبْلَ المَماتِ فَمِنْ ... قَبْلِ البُلوغِ حِبالُ البُعْدِ في عُنُقِي
والدَّهْرُ يَمْنَعُنِي ما قَدْ أُحاوِلُهُ ... مِنَ السُّرُورِ وَيُسْلِمُني إِلى القَلَقِ
لا أَسْتَقِرُّ بِأَرْضٍ كُنْتُ آلَفُها ... حتَّىٰ أُشَتَّتَ عنْ صَحْبي ومُرْتَفَقِي

(١٩٠)

وقلْتُ ـ أيضاً ـ: [من البسيط]

مَرُّ النسيمِ على الأَغْصانِ في السَّحَرِ ... أَضْحىٰ يُذَكِّرُني الأَحْبابَ في البُكَرِ
وَمَوْجُ بَحْرٍ لَهُ رَقصُ الهَواءِ دُجًى ... أَمْسىٰ يُمَثِّلُ لي الأَطْلاَلَ في فِكَرِي
وَقَدْ تَعَوَّضْتُ صَوْتَ الموجِ معْ قلقي ... عِندَ المَساءِ عنِ النَّايَاتِ والوَتَرِ
يا حُسْنَ «جِلَّقَ» قَدْ ذابَ المُحِبُّ أَسًى ... فامْنُنْ بِوَصْلِكَ مِنْ قَبْلِ انقِضَا عُمُرِي
لَئِنْ بَعُدْتُ فَقَلْبِي عِندَكُمْ أَبَداً ... والجِسْمُ فِي البَحْرِ مَوقُوفٌ على الخَطَرِ
يا حاديَ الرَّكْبِ قِفْ في «دُمَّرٍ» سَحَراً ... وانْشُدْ فؤاداً ثَوَىٰ في رَوْضِها العَطِرِ
ثُمَّ انثَنِي يا رَعَاكَ اللهُ مُلْتَفِتاً ... نحو الشَّآمِ وَسائِلْها عن الخَبَرِ

(١٩١)

وقلت وأَنا في «مَرسِيليا» مُوَدِّعاً رفيقَنا أحمَد بِك بن حَيْدر باشا المِصْرِيَّ من أَولادِ إِبراهيم باشا المتغلِّب المشهور: [من الوافر]

أَيا بَدْرَ العُلا لا زالَ دَوْماً ... كمالُ السَّعْدِ في مَسْراكَ أَحْمَدْ
وفوقَ النَّجمِ مَطْلَعُكَ السَّنِيُّ ... وثَوْبُ العِزِّ في عَلياكِ يَسْعَدْ

رفع المسيهم

تَنَـالُ فـوقَ مـا تَـرْجـوهُ حَقّـاً ... علـىٰ رَغْـمِ العِـدا مـا لاحَ فَـرْقَـدْ
يُـوَدِّعكُـمْ فُـؤَادٌ لَيْـسَ يَسْلُـو ... سَنَـا أَفْضَـالِكُـم فِـي كُـلِّ مَشْهَـدْ
وَإِنِّـي أَرْتَجِـي العَـوْدَ قَـرِيبـاً ... لِـرُؤْيـا وَجْهِكُـمْ والعَـوْدُ أَحْمَـدْ

(١٩٢)

وقلت: [من البسيط]

يا ثغْرَ «إيطَالِيَا» قَدْ زِدْتَ في شَجَني ... أَشْعَلْتَ نارَ الغَضَا في دَاخِلِ البَدَنِ
بُـرْكَـانُ طَـوْدِكِ أَنْبَـا أَنَّنـي دَنِـفٌ ... مُمَثِّلاً حَالَتي في الشَّوْقِ والشَّجَنِ

(١٩٣)

وقلت وقد هاجَ البَحر، ونحنُ من الوابور بين السَّحْر والنَّحْر، والأمواج تَستَقبلنا بوَجْهٍ مكفهرّ باسر، وطالت إلينا من شراعه عقبانٌ كواسِر، وقد أبدى البحر زفيراً، ونسمع للرياح دويّاً وصفيرا، وأظهرت شدائدُ أَوْرُبَّا، من اللُّجة كُلَّ مُخَبَّا، فتيقنّا أنَّنا لا نجدُ سوىٰ فَضْلِ الله مجيرا، وأَنْ ليس إلا الالتجاء إليه خَفِيرا[1]: [من الكامل]

يـا رَبِّ إِنِّـي بـالنَّبـي مُتَـوَسِّـلا ... وبـآلِـهِ آلِ المَكـارِمِ والعُـلاَ
وبِصَحْبِهِ قُطْبِ المَفَاخِرِ والتُّقىٰ ... الحَـائِـزيـنَ بِـهِ المقـامَ الأَكْمَـلاَ
وبِكُـلِّ حَبْـرٍ للشَّـرِيعَـةِ حَـافِـظٍ ... يَتْلُـو كَـلامَ اللهِ إِذْ هَجَـعَ المَـلاَ

---

(١) يتعجب القارىء لهذه القصيدة أو لبعض ما ورد في القصائد التالية من شعر للإمام ابن بدران حيث ذكر هنا جملة من التوسلات بالأموات، والتي كان قد كَرَّس حياته فيما بعد لتصحيح عقائد الناس بها وبأمثالها من البدع والخرافات، ولا عجب فتلك مرحلة من مراحل حياته مرت وانقضت، وإنه لدرس لكل من يتشبث بواقع موروثاته عن آبائه وأجداده، أن رجوعه عن الخطأ حتىٰ لو قضىٰ شطراً من=

رفع المسيهم

وبِمَنْ سَرَوْا نَحْوَ الحَقيقةِ فارتَقَوا ... مِنْ حَوْضِها المَوْرُودِ كأْساً قَدْ حلاَ

وبِأَهْلِ «إِغريسَ» الَّذين لَهُمْ عَلىٰ ... أَوْجِ الكَمالِ والعُلا كَعْبٌ عَلاَ

وبأَوْلِياءِ اللهِ في غَرْبٍ وفي ... شَرْقٍ وفي كُلِّ البِقاعِ على الوَلاَ

وبعابِدِ الرَّحمٰنِ قطبِ زمانِهِ ... مَنْ للثَّعالِبِ نِسبَةً قَدْ حَصَّلاَ

وبسَيِّدي الجيلِيِّ عبدِ القادِرِ ... مَنْ قَدْ غَدا للسَّائِلينَ مَنْهَلاَ

أَرْجُوكَ تسهيلَ الأُمورِ بِحَقِّهِمْ ... والرِّفْقَ فينا مِنَّةً وَتَفَضُّلاَ

إِنِّي قَصَدْتُكَ بانكِسَارِ سَيِّدي ... وبِعِزِّ مَجْدِكَ خَاضِعاً مُتَذَلِّلاَ

وبِأَنْبِائكَ كُلِّهِمْ وبِصَحْبِهِمْ ... أَرْجُوكَ أَمرِي أَنْ يَكُونَ مُسَهَّلاَ

فَأَنا الذَّليلُ وبابُ عِزِّكَ مَقْصِدِي ... فارحَمْ ذَلِيلاً جَاءَ منكَ مُؤَمِّلاَ

وعَلىٰ عُلاكَ وعِزِّ مَجْدِكَ سَيِّدي ... أَمْسىٰ لَدَىٰ كُلِّ المنىٰ مُتَوَكِّلاَ

وعَلى العِدا بكَ أَسْتعينُ فاسْقِهِمْ ... يا قاهِرُ مِنْ قَافِ قَهْرِكَ حَنْظَلاَ

شاهَتْ وُجُوهُهُمُ فَلا يَجِدُوا لِما ... رامُوهُ من شُؤْمِ المَسَاعي مَدْخَلاَ

إِنِّي إِذا ما نابَني الدَّهْرُ أَكُنْ ... طُولَ الزَّمانِ مُحَسْبِلاً ومُحَوْقِلاَ

وعلى الكريمِ أَرى اعتمادي مَوْردي ... أَعلىٰ كمالِ العزِّ لَنْ يتَحوَّلاَ

يا أَوْلياءَ الغَرْبِ أَرْجُو نَظْرَةً ... أُمسي بِنورِ سَنائِها مستقبلاَ

= حياته فيه خير له من تماديه في الباطل، ولا يضره أنه رأى في مرحلةٍ ما من حياته رأياً ما، فالرجوع إلى الحق محض فضيلة، والتمادي في الخرافة جدُّ رذيلة.

وإنما رأينا إثبات هذه القصائد هنا، مع ما تتضمنه من مخالفات، حفاظاً منا على أمانة النقل، وإخراجاً للتراث بحاله من غير تحريف له، وإبرازاً لصورة الإمام ابن بدران قبل تحوله وبعده، فإن إبقاء الإنسان على مراحل حياته الحقيقية خير من إظهاره بصورة غير واقعية، فسرعان مّا تزول تلك الصورة وتتكشف، والله الموفق والهادي.

رفع المسيهم

إِنِّي أَتيتُ إِلىٰ بلادِكُمُ لِكَي ... أَحظىٰ بنورِ مَواهِبٍ لَنْ تحظلاَ
أَرْجُوكُمُ حُسْنَ القَبُولِ تَفَضُّلاً ... لأَرَى مَكَانَ القُرْبِ مِنْكُمْ مَنْزِلاَ
ثُمَّ الصَّلاةُ على النَّبِيِّ وآلِهِ ... ما هَبَّ ريحٌ مغرِباً أَو شَمْأَلاَ
والتَّابِعِينَ وتَابِعِيهِم مَا تَلا ... يا رَبِّ جِئْتُكَ بالنَّبِي مُتَوَسِّلاَ

(١٩٤)

وقلتُ في صدرِ رسالةٍ أرسلتُها إلىٰ والدتي وأنا في مدينة «الجزائر»:

[من البسيط]

بَلِّغْ سَلامي لها يا أَيُّها القَاري ... واشكِي لها لَوْعَتي والبُعْدَ عَنْ دَارِي
واشرَحْ لها حالتي مِنْ بَعدِ بُعْدِهِمُ ... وقُلْ نَسِيمُ الصَّبا تُنْبِيكِ أَخبارِي

(١٩٥)

وقلتُ مُخَمِّساً، والأَصْلُ لشمسِ الدِّينِ أبي المَعالِي مُحمَّدِ بنِ القَمَّاح، نقَلَ عنْهُ ابن السُّبكي في «الطَّبقات» أنَّه قال: نَظَمتُها في ليلةٍ من اللَّيالي في محنةٍ حصلت لي، فلم ينفَلِقْ فجرُ تلكَ اللَّيلة إلا وقد فَرَّج اللهُ عنه: [من الكامل]

يا مَنْ تَلاعَبَتِ الهُمومُ بِسِرِّهِ ... أَمْسَىٰ يُفَكِّرُ في المَضِيقِ وعُسْرِهِ
وَغدا غَرِيباً نائياً عن بِشْرِهِ ... (اصْبِرْ علىٰ حُلْوِ القَضَاءِ ومُرِّهِ
واعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ)
كُنْ مَنْ يَفُلُّ النَّائباتِ بِصَبْرِهِ ... واسْتَعْمِلِ الإِقدَامَ تَحْظَ بِأَجْرِهِ
واتْرُكْ عَدُوَّكَ خاسِئاً في مَكْرِهِ ... (فالصَّدْرُ من يَلْقَ الخُطُوبَ بِصَدْرِهِ
وبِصَبْرِهِ وبحَمْدِهِ وبشُكْرِهِ)
لا تَجْزَعَنَّ من الزَّمانِ ولَهْوِهِ ... واقْبِضْ عِنَانَ الغَيِّ دوماً والْوِهِ

رفع المسيهم

واطلُبْ من الرَّحمٰنِ صَيِّبَ عَفْوِهِ (فالحُرُّ سَيْفٌ والزَّمانُ لصَفْوِهِ
صَدَأٌ ويصقُلُهُ نوائبُ دَهْرِهِ)

لُذْ بالمَتَابِ إذا أُصِبْتَ بِسَيِّئٍ وارْجِعْ لنَفْسِكَ فَهْيَ أَعْظَمُ مُلْجِئِ
واضْرَعْ إلى اللهِ المُعيدِ المُبْدِئِ (لَيْسَ الحَوادِثُ غيرَ أَعْمَالِ امرِئِ
يَحْوي بها من خَيْرِهِ أَوْ شَرِّهِ)

إنَّ الجَرَائِمَ في الصَّبَاحِ وفي الأُصُلْ كانَتْ بَلاَءً عَنْ قِصَاصِكِ لم يَحُلْ
أَنْتَ الَّذي هَيَّأْتَ لِلبَلْوى النُّزُلْ (فإذا أُصِبْتَ بِما أُصِبْتَ فلا تَقُلْ
أُوذِيتُ مِنْ زَيْدِ الزَّمانِ وَعَمْرِهِ)

كُنْ مَاجِداً وَسِعَ النَّوائِبَ صَدْرُهُ يُمسي وقَدْ فَلَّ الحَوادِثَ صَبْرُهُ
وَكِلِ الأُمُورَ لِمَنْ تعالىٰ أَمْرُهُ (وانْبُتْ فكَمْ أَمْرٍ مُطِلٍّ عُسْرُهُ
ليلاً فبَشَّرَكَ الصَّبَاحُ بِيُسْرِهِ)

لا تَحْتَفِلْ بالعُسْرِ نَحْوَكَ إنْ أَتَىٰ فَتَقُولُ هَلْ يُسْرٌ لنا حَتَّىٰ مَتَىٰ
فَلَكَمْ تَرَىٰ حُزْناً لِصَفْوٍ أَثْبَتا (ولَكَمْ علىٰ يَأْسٍ إلىٰ فرَجِ الفتَىٰ
مِنْ سِرِّ غَيْبٍ لا يَمُرُّ بِفِكْرِهِ)

كُنْ مَنْ على الرَّحْمٰنِ في الأَمْرِ اتَّكَلْ ولَهُ يُسَلِّمُ إنْ عَلا أَوْ إنْ سَفَلْ
وَإذا المُلِمَّاتُ بصبرِكَ لَمْ تَحلْ (فاضْرَعْ إلى اللهِ الكَرِيمِ ولا تَسَلْ
بَشَراً فلَيْسَ سِواهُ كَاشِفَ ضُرِّهِ)

لي من نُزوحِ الدَّارِ دَمْعٌ سَائِلُ وإلى النَّوائبِ للفُؤَادِ وَسائِلُ
والدَّهرُ أَمْسَىٰ بِالمُرَادِ يُماطِلُ (فاعْجَبْ لِنَظْمِي والهُمُومُ شَواغِلُ
يُلهِينَ عَن نَظْمِ الكَلاَمِ ونَثْرِهِ)

رفع المسيهم

(١٩٦)

وقلتُ وقد طَلَبَ منِّي الأميرُ الهاشِمِيُّ بيتينِ ليكتُبَهُما علىٰ تِمثَالِ والدهِ الأميرِ عبدِ القادِر ليُهْدِيَهُ إلى الشَّريفِ عليٍّ الجَزائِريِّ: [من الكامل]

أَهْـدَيْتُكُـمْ رَسْمـاً بَـدِيعـاً شَكْلُـهُ ... عـنْ وَالِـدِي كَيْمـا يُـرىٰ تِـذْكـارَا

هذا الخَيَالُ ورَبَّما قَدْ نَابَ عَنْ ... شَخْصٍ ثَوَىٰ ويشخصُ الأَفكَارَا

(١٩٧)

وقلت ارتِجالاً وقد مَّر بِي يَهُودِيٌّ ذو ثروةٍ اسمُهُ «يَعِيش»: [من الوافر]

لَقَـدْ مَـرَّ بِنـا مِـنْ قَـوْمِ مُـوسَـىٰ ... يَهـــوديٌّ يَتِيـــه مَـــعَ الفَخَـــارِ

فَقُلْـتُ مـا يُسَمَّـى الغَمْـرُ قـالـوا ... «يَعِيشُ» فَقُلْتُ: في إِسْتِ الحِمارِ

(١٩٨)

من رسالةٍ أرسلتُها إِلىٰ «دُومة» وأَنا في مَدِينة «الجزائر»: [من الكامل]

حَيَّا الحَيـا «دُومـا» البَـدِيعَـةَ إِنَّهَـا ... أَضْحَتْ جَمالَ الغُوطَةِ الفَيْحاءِ

وسَمَتْ عَلَى المَرْجَينِ في عِزٍّ وفي ... طيـبِ الهَـواءِ وبِـاليَـدِ البَيْضَـاءِ

ورِيَاضُها طابَ النَّسيمُ بِهَا فَكَمْ ... شُفِـيَ المَـرِيـضُ بِهـا مِـنَ البَلـواءِ

أَطيـارُهـا غَنَّـتْ علـى العِيـدانِ إِذْ ... رَقَـصَ النَّسيـمُ لِـرِقَّـةِ النُّـدَمـاءِ

والمَاءُ يَمْشِي في الرِّياضِ مُقَسَّماً ... يَسْعَـىٰ لِخِـدْمَـةِ أَهْـلِ ذاكَ المَـاءِ

للهِ «رَأْسُ العَيْـــنِ» فِيهـــا إِنَّـــهُ ... مَجْلَـى الهُمـومِ ومَكْمَـدُ الأَعْـداءِ

جَمَـعَ الحَـرَارةَ والبُـرودَةَ مَـاؤُهـا ... فاعجَبْ لتِلكَ الرَّوضةِ الحَسْناءِ

كَرُمَتْ بكَرْمَةِ أَرضِها وتفَاخَرت ... والكَـرْمُ مَنْشَـؤُهُ مـن الكُـرَمـاءِ

رفع المسيهم

زَيْتُونُها قَد أَقْسَمَ البَارِي بِهِ ... فالتِّينُ والزَّيْتُونُ جُلُّ مُنَائِي

أَعنَابُها مَا إِنْ لَهَا مِنْ مُشْبِهٍ ... مابَيْنَ أَنْدَلُسٍ إِلىٰ صَنعاءِ

مَنْ قالَ إِنَّ الغَرْبَ أَحْسَنُ مَوطِناً ... فَلَقَد رآهُ بِمُقْلَةٍ عَمْيَاءِ

قُطْرٌ بِهِ أَهْلُ الفَظاظَةِ والجَفا ... والغَادِرُونَ وقِلَّةُ الأُمناءِ

لا تَسْتَقِرُّ أُهَيْلُهُ في قَوْلِهِمْ ... بلْ وَعْدُهُم يَسْري كَمِثْلِ هَباءِ

إِنْ أَوْعَدُوا أَوْفوا بِضُرٍّ صَدِيقِهِمْ ... أَو عاهَدُوا خَانُوا عهودَ إِخَاءِ

وتَرَاهُمُ نحوَ الفَسادِ يُسارِعُو ... نَ وللنَّميمةِ فِي أَذى الفُضَلاءِ

شِبْهَ الكِلابِ يُحَرِّكونُ رُؤوسَهُمْ ... سَعْياً لِنَيلِ الجِيفَةِ الشَّنْعاءِ

فَكَأَنَّهُم في مَكْرِهِم وضَلالِهم ... مِثلُ الثَّعالِبِ في دُجَى الظَّلماءِ

قُلْ ما تَشاءُ بِذَمِّهِمْ فَهُمُ الَّذيـ ... ـنَ بِجَهْلِهِم مَاتُوا مَعَ الأَحْياءِ

وَهُمُ البَرابِرةُ اللِّئامُ وجَدُّهُمْ ... جَالُوتُ المَذْكُور في الأَنْباءِ

ولَكَمْ دَعَاهُمْ عبدُ قَادِرٍ للهُدىٰ ... فأَبَوا وَضَلُّوا وارْتَضَوْا بشَقَاءِ

إِنْ كانَ قَبْلي قَد جَلاهُمْ سَيْفُهُ ... فَأَنا المُجَاهِدُ فِيهِمُ بِهِجَاءِ

مِنْ فِكْرَةٍ مِنْ تِبْرِ «دُوما» أَصْلُها ... وَسِبَاكُها بِمَدَارِسِ العَدْوَاءِ

بَلَدٌ لَدى الإِنصافِ أَطْيَبُ مَوْضِعٍ ... رَغْماً علىٰ أَنْفِ العَدُوِّ النَّائِي

أَكْرِمْ بِها مِنْ غَادةٍ كَمْ أَسكَرَتْ ... بِسُلافَةِ النُّدَمَاءِ والخُلَطاءِ

مِنْ أَيْنَ لِلْمُدُنِ العَظِيمَةِ مَا لَها ... بالنَّيْرَبينِ مِنْ كمالِ بَهاءِ

«بَرَدَىٰ» يُصَفِّقُ بالرَّحَيقِ و«بانيا ... سُ» لهُ النديمُ مُعَنْبَرُ الأَرْجاءِ

و«المَرْجَةُ» الفَيحاءُ أَفديها بِما ... في الغَرْبِ مِنْ جَبَلٍ ومِنْ صَحْراءِ

ما «جلَّقٌ» إِلاَّ رِيَاضُ مَحاسِنٍ ... ومفاخِرٍ ومَكارِمٍ وهَناءِ

هِي جَنَّةُ الدُّنيا ودُرَّةُ تَاجِها ... ومَعَادِنُ العُلَمَاءِ والأُدَبَاءِ

تَسْمُو بِغُوطَتِها وتَرْفُل بالبَها ... لِطرائِفِ الأَنْواءِ والأَنْداءِ

نَظَرَتْ إليها بالحُنُوِّ فَحُكِّمَتْ ... «دُوما» بها فَسَمَتْ على الجَوْزاءِ

يا حَبَّذا ذا الحُكْمُ لَولا أَنَّهُ ... قَدْ صالَ فِيهِ أَراذِلُ الجُهَلاءِ

قَوْمٌ لَهُم سُمُّ النِّفَاقِ مَوَارِدٌ ... ومَرارُهُ أَحْلَىٰ مِنَ الحَلْوَاءِ

يَتَفاخرونُ بالجَهَالةِ والخَنَا ... والفِسْقِ والبَغْيِ على الضُّعَفاءِ

مَهْلاً سينقَلِبُ الزَّمانُ ويُصبحوا ... نَهْباً لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وبَلاءِ

هِيَ دُرَّةٌ ما مَسَّها مِن فَاسِقٍ ... إلاَّ أَتَتْهُ تواتُرُ اللأَّواءِ

ما مَاتَ مِنها فَاضِلٌ إلا أَتَتْ ... مِنْ بعدِهِ بِيَتِيمةٍ عَذْراءِ

أَوْ عَاثَ فيها جَاهِلٌ إلاَّ وقا ... مَ مَقَامَهُ أَسَدُ الحِمَىٰ بِلِواءِ

فَهِيَ الصَّبورُ على الزَّمانِ إذا أَسا ... لَكِنَّها بتنَفُّسِ الصُّعَداءِ

تَرْنو إلىٰ آسادِها فتراهمو ... يَتَرقَّبُونَ الفَتْكَ بالسُّفَهاءِ

قُلْ للّذينَ اسْتُضْعِفوا فيها لَقَدْ ... ذَهَبَ التكدُّرُ مُبْدَلاً بصَفاءِ

إِذْ قامَ أَحمَدُ في صلاحِ أُمورِهِم ... مُتَسَرْبِلَ التَّقوىٰ بطِيبِ ثَناءِ

فَطِنٌ لَبيبٌ ذو السِّيَاسةِ مُدْرِكٌ ... فِي رَأْيِهِ مَا دَقَّ مِنْ أَشياءِ

ذُو فِكْرَةٍ وَقَّادَةٍ قَدْ صَيَّرَتْ ... قَلْبَ العَدُوِّ مُمَزَّقاً بِشِواءِ

مُذْ أُعطِي القوسُ لباريها سَرى السُّـ ... ـمُّ الزعافُ لفاسِدِ الآراءِ

دُمْ يا بْنَ طٰهَ رَاقِياً ومُوَشَّحاً ... بالحِلْمِ والإِنْصَافِ للعَلْياءِ

وانصُرْ أُهَيْلَ الغَارَةِ العَذْراء إِذْ ... أَنْتَ لها مِنْ خِيرَةِ الأَكْفاءِ

وَانْقِذْهُمُ مِنْ غادِرٍ مُتَلاعِبٍ ... كتَلاعُبِ الأَفعالِ بالأَسمَاءِ

يا فَاضِلاً قَلبي لَهُ مُتَشَوِّقٌ ... وبِشِبْلِهِ أَرْبَيْتُ في الغُلَواءِ

مُذْ جَاءَني النَّبَأُ الفَخِيمُ مُبَشِّراً ... سَبَقَ القريضُ الجِسْمَ للدَّأْمَاءِ

لا غَرْوَ إِنْ كُنْتُ المُحِبَّ فَإِنَّكُم ... مِنْ قَبْلِ مَنْشَأ فِطْرَتِي سُحَرائِي

تَيَّمْتُمُو قَلْبِي بِحُسْنِ حَدِيثِكُمْ ... فَسَكِرْتُ مِنْ رَيَّاهُ لا بِطِلاءِ

فَعَلَيْكُمُ مِنِّي السَّلامُ مُكَرَّراً ... ما صَاحَ طَيْرُ الرَّوضَةِ الغَنَّاءِ
يَتْلُوهُ بالغَيْبِ الدُّعَاءُ لَكُمْ بِتَوْ ... فِيقِ الإِلَهِ وقُرْبِ كُلِّ رَجَاءِ

(١٩٩)

وقلتُ وقد أَتىٰ لزيارتِنا بعضُ الأصحابِ من «مستغانم» إِلىٰ «الجزائر»:

[من الكامل ثم من الرمل]

شَرَّفْتَ أَرْضاً طَالَما اشتاقَتْ لَكَ ... ووصَلْتَ قَلْباً طَالَما حَنَّ إِلَيْكْ
أَهلاً وسَهْلاً ثَمَّ أَلْفَيْ مَرْحباً ... كلُّ الَّذي ترجوهُ قدْ صارَ لَدَيْكْ
ليسَ مُنائي غَيْرَ قُربِكَ مُهْجَتِي ... ليسَ فُؤادي طَائِراً إِلا عَلَيكْ

ما كُلُّ مَن كَانَ أَبُوهُ سَيِّدا ... وَرِثَ السِّيادَةَ كَابِراً عن كَابِرِ
ليسَ الوِرَاثَةُ للعُلومِ والنَّدىٰ ... كالمَالِ فاعْلَمْ يا أُخَيَّ وكَاثِرِ

يا كريماً في العَطايَا والنَّدىٰ ... يا سَريعَ اللُّطفِ يا غَوْثَ الوَرَىٰ

دور

عَبْدُكَ المَظْلومُ يَشْكو حُرَقَا ... في فُؤَادٍ مِنْ جَواهُ احْتَرَقَا
طَرفُهُ جُنْحَ الدَّياجي أَرِقَا ... يَسْكُبُ الدَّمع علىٰ ما قَدْ جَرَىٰ

دور

ليسَ في الكَونِ سِوَاكَ رَاحِما ... يا عَزِيزُ يا لَطِيفُ دَائِمَا
كُنْ إِلٰهي لِهُمُومي جَازِما ... وانقِذِ المَلْهوفَ مِنْ هَمٍّ طَرَا

دور

كَمْ أُنَادي لَمْ أَجِدْ لي مُسْعِفا ... كَمْ أُرَجِّي غَيْرَ أَرْبابِ الوَفَا

رفع المسيهم

بَعْـدَ عِـزِّي وسُـروري والصَّفـا جـاءَنـي الـوَقْـتُ بِـذُلِّـي مُخْبِـرَا

دور

يـاإِلٰـهَ العَـرْشِ يـا مُحْيـي العِظـامْ يـا مُجيبـاً دَعْـوَةَ العَبْـدِ المُضـامْ
يـا سَمِيعـاً للنِّـدا جُنْـحَ الظَّـلامْ عبـدُكَ المسكِيـنُ يشكـو خَطَـرَا

دور

مَسَّـــهُ الضُّـــرُّ وَحَيَّـــاهُ النَّكَـــدْ حَيْـثُ لَـمْ يَعْلَـمْ وَفَـاءً مِـنْ أَحـدْ
فَـرِّجَـنَّ الكَـرْبَ عَنْـهُ يـا صَمَـدْ واكشِـفِ البَلْـوىٰ وكُـفَّ الضَّـرَرَا

دور

ظَلَّ مُضْنَى القَلْبِ مَحزُوناً كئيبْ في بِلادِ الغَرْبِ قَدْ أَمْسىٰ غريبْ
يـأْلَـفُ العُـزْلَـةَ فيهـا والنَّحيـبْ حيـثُ طـالَ الأَمْـرُ وازدادَ المِـرَا

دور

إِنْ يَكُـــنْ أَحَـــاطَ بَحْـــرٌ زاخِـــرُ مِـــنْ هُمـــومٍ فَلَهُـــنَّ آخِـــرُ
حَسْبِـــيَ اللهُ وَنِعْـــمَ النَّـــاصِـــرُ قَدْ أَتَى الفَتْحُ وَهَمِّي قَدْ سَرَىٰ

دور

بِـرَسُـولِ اللهِ هَـادِينـا البشيـرْ والصِّحَـابِ الغُـرِّ إِنِّـي مُستَجِيـرْ
فَـرِّجِ الهُمُـومَ عَنِّـي يـا قَـديـرْ وامْـحُ مـن ضيقـي المُلِـمِّ الأَثَـرَا

دور

والصَّـــلاةُ والسَّـــلاَمُ مـــا حَـــدَا حَـادي العِيـسِ لِنحـوِ أَحْمَـدَا
وَسَـرَى المُشتَـاقُ يَقْصِـدُ الهُـدىٰ مِـنْ سَنـاهُ فَغَـدا سَـامِـي الـذُّرَا

رفع المسيهم

وعلى الأَصْحَابِ والآلِ السَّلامْ سَرْمَدِيّاً إِلى يَومِ القِيَامْ
ما شَدَا الشَّادي بِقَولِ المُسْتَهَامْ يا سَرِيعَ اللُّطْفِ يا غَوْثَ الوَرَىٰ

(٢٠٠)

وقلت: [من الوافر]

أَقَمْتُ في فَرَنْسا عِنْدَ قَوْمٍ يَميلُونَ إِلى الفِعْلِ الخَسيسِ
لهُمْ بالشُّحِّ سَبْقٌ وَاجْتِهَادٌ فَسِيَّانِ الخَدِيمُ معَ الرَّئيسِ
فَفِي أَشغَالِهِم أَتْعَبْتُ نَفْسي ومِنْ فَقْري لَقَدْ مَزَّقْتُ كِيسِي
سَهِرْتُ اللَّيلَ في قِيلٍ وقَالٍ وكنتُ فِي النَّهَارِ معَ التُّيُوسِ
أُصَافِيهِمْ فَأُلفِيهِمْ أَفاعي وقَدْ جُبِلُوا علىٰ غَدْرٍ وَخَيْسِ
إِذا ما سُمْتُ سَيِّدَهُمْ نَوَالاً أَجابُوا السُّؤْلَ بالقَسَمِ الغَموسِ
لقَدْ فَاقُوا علىٰ عُرْقُوبَ حتَّىٰ مِنْ الأَنعامِ قَدْ مَزَّقْتُ كِيسِي

(٢٠١)

وقلت وقد دَعَانا السَّيِّد عليٌّ الشَّريفُ الحَسَنِيُّ الجَزَائِرِيُّ للضِّيَافة: [من الوافر]

لقَدْ مَلَكَ المَكارِمَ والسَّجايا عليُّ بنُ الشَّرِيفِ بنِ الشَّريفِ
فَيُنْفِقُ ما حَوَتْهُ يَداهُ طُرّاً بتَرْحِيبٍ لإِكْرَامِ الضُّيُوفِ
بِهِ قُطْرُ الجَزَائِرِ في افْتِخَارٍ وَلا سِيما ذَوُو الدِّينِ الحَنيفِ
فما مَعْنٌ وحاتِمٌ المُرَجَّىٰ سِوىٰ مَعْناهُ ذا المعنى اللَّطِيفِ
إِذا ما شَمْسُ عَلياهُ استنارتْ أَتىٰ بدرَ السِّوىٰ ظُلَمُ الكُسُوفِ
وَقَدْ وَرِثَ المَكارِمَ عَن هُمامٍ كَرِيمٍ طَاهرِ الأَصْلِ عَفيفِ
فلا عَجَبٌ إِذا ما ابْنُ الرَّسُولِ يَجُودُ بالتِّلِيدِ وبالطَّرِيفِ

فـأَبْقَـاهُ الكَـرِيـمُ مَـدَى اللَّيَـالِـي ... وَوَفَّـقَ نَجْلَـهُ بـاسـمِ الـرَّؤوفِ
وأَعْطَـاهُ مُنَـاهُ فِـي سُـرورٍ ... وآمَنَـهُ لَـدَى اليَـوْمِ المَخُـوفِ

(٢٠٢)

وقُلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ الفاضِلِ الأديبِ السَّيِّدِ عبدِ اللهِ أَبي طَالِبٍ الحَسَنِيِّ قاضِي «تيارت» ثُمَّ «معسكر»: [من الرجز]

هٰذا ضَرِيحٌ ضَمَّ مِنْ أَهْلِ السَّماحْ ... لِصَفْوَةِ الأَشْرَافِ مِنْ خَيْرِ الجُدودْ
ولِـرِضَـاءِ اللهِ والبُشْـرى استَبَـاحْ ... لَمَّـا غَـدَا فـي جَنَّـةِ الخُلْـدِ يَسُـودْ
قَدْ شَبَّ في تَقْوَى الإِلٰهِ والصَّلاحْ ... كيما لَهُ الرَّحْمَنُ بِالقُرْبِ يَجُودْ
وعِنْـدَمـا سَـارَ إِلـىٰ دَارِ الفَـلاحْ ... وَقَـدْ تَهَنَّـا بِـرِضَـا الـرَّبِّ الـوَدُودْ
قالتْ أُهَيْلُ الفَضْلِ والتَّارِيخُ (ناحْ ... بدرٌ بأُفْقِ العِلْمِ وارَتْهُ اللُّحُودْ)

(٢٠٣)

وقلت أرثيه أيضاً حيث أَتىٰ من «معسكر» إِلىٰ «الجزائر» فمات بها:

[من الكامل]

خَطْـبٌ بِـهِ عَقْـلُ اللَّبيـبِ تَحَيَّـرا ... وغَـدا بِـهِ يَقَـقُ الـدُّمُـوعِ أَحْمَـرَا
مِنْ دَهْشَةِ البَيْنِ المُرَوِّعِ قالَتِ الـ ... ـعُقَلاءُ في الإِنْكَارِ ذٰلك ما جَرَىٰ
للهِ أَيُّ مُصيبـةٍ بـابـنِ الـرَّسُـو ... لِ بها ضِيَاءُ الشَّمسِ صَارَ مُكَدَّرَا
بَعَثَ المَنُونُ مِنْ الجَزَائِرِ رُسْلَهُ ... لِـ«مُعَسْكَـرٍ» فـأَجـابَـهُ مُسْتَبْشِـرَا
فَقَضىٰ بِها النَّحْبَ الَّذي قَدْ كانَ في ... لَوْحِ القَضَاءِ في القَدِيمِ مُسَطَّرا
عَظُمَ المُصَابُ بِهِ فَلا حَوْلَ وَلا ... وَلِفَقْـدِهِ قَلْـبُ اللَّبيـبِ تَفَطَّـرَا
قَدْ كانَ شَهْماً مَاجِداً طِيبُ الثَّنا ... مِـنْ عَـرْفِ مَحْتِـدِهِ السَّنِـيِّ تَعَطَّـرَا
وُلِّي القَضَا فَقَضَىٰ بِحُكْمِ اللهِ لَمْ ... يُسْمَـعْ لَـهُ ذَمٌّ يكـونُ سِـوى افْتِـرَا

رفع المسيهم

فَالصَّبْرُ أَجْدَرُ يا بَنِي أَعْمَامِهِ ... والحَزْمُ أَلْيَقُ فِي الخُطُوبِ تَذَكُّرا
يا نَجْلَهُ الشَّهْمُ الأَمِينُ وصادِقٌ ... مِنْ ذَا المُصَابِ الصَّعْبِ لا تَتَضَجَّرَا
تِلْكَ المَنِيَّةُ قَدْ قَضاها رَبُّنا ... في سَابِقِ العِلمِ علىٰ كُلِّ الوَرَىٰ
ولَقَدْ حَبَاهُ اللهُ بالرِّضوانِ والـ ... ـغُفْرانِ والإِحْسَانِ فَضْلاً أَكْبَرَا
وتَباشَرَتْ حُورُ الجِنَانِ بقُرْبِهِ ... وبِهِ غَدَا بَدْرُ المَكَارِمِ مُسْفِرَا
وحِينَمَا قَدْ فَارَقَ الدُّنيا إِلىٰ ... دارِ البَقَاءِ وزَالَ بالعَفْوِ الكَرَىٰ
قَدْ فَتَحَتْ لَهُ نُؤَرِّخُ (بابَها ... وإِلىٰ جِنَانِ الخُلْدِ حَقّاً قَدْ سَرَىٰ)

(٢٠٤)

وقلت: [من الكامل]

قَدْ أَكْثَرُوا فِي القَوْلِ عن ابنِ السبيـ ... ـعِ أَحْمَدَ الشَّهْمِ اللَّبيبِ وأَكْثَرُوا
مـا ذاكَ إِلا مِـنْ رَداءَةِ طَبْعِهِـمْ ... كَذَبُوا عَلَيهِ بِما يَقُولُوا وافْتَرُوا

(٢٠٥)

وقلت: [من الوافر]

لَقَـدْ أَوْقَعْتَنِـي يـا بَـدْرُ فِيمـا ... يَضِيـقُ الصَّـدْرُ عَنْـهُ مِـن غَـرامْ
وَعُمْـرُ الـوَصْـلِ قَـدْ كـانَ قَصِيـراً ... كَـرَدِّ الطَّـرْفِ أَو طَيْـفِ المَنَـامْ
فَـوَاصِـلْ قَبْـلَ تَـوْدِيعِـي فُـؤَاداً ... يُقَـاسِـي الـوَجْـدَ مِـنْ أَلَـمِ الهُيَـامْ
وإِنِّـي قَـانِـعٌ قَبْـلَ ارْتِحَـالِـي ... إِلـى الأَوْطَـانِ فِـي رَدِّ السَّـلاَمْ

(٢٠٦)

وقلتُ مُهَنِّئاً «جول كانبون» حاكِمَ «الجزائِرِ» بِدُخُولِ العامِ الجَدِيدِ: [من الكامل]

حَيَّـا الحَيـا أَرْضَ الجَـزائِـرِ إِنَّهـا ... بالخَيْرِ مِنْ وَالِي المَفَاخِرِ أَغْدَقَتْ

رفع المسيهم

وَتَـوالَـتِ الأَفْـراحُ فِيهـا فـانْثَنَتْ تُثْنِـي عَلَيـهِ مـا البُـروقُ أَبْـرَقَـتْ
وأَتَتْ عَرُوسُ العِزِّ تَجْلُوها التَّها ني والبَشَائِرُ نَحْوَهَا قَدْ أَحْدَقَتْ
والعـامُ أَقْبَـلَ كَـيْ يَنَـالَ بِقُـرْبِـهِ أَسْنَى التَّهانِي والأَماني حُقِّقَتْ
وقُدُومَهُ أَرَّخْتُ (سُحْبُ سُرُورِهِ بِجُولِ كُنْبُولِ المَعَالِي أَشْرَقَتْ)

(٢٠٧)

وقلت: [من الكامل]

قُـلْ لِلْغَـزالِ وقَـدْ تَجَنَّـىٰ وَانْثَنَـىٰ مُتَـدَلِّـلاً وأَطـالَ مُـدَّةَ هَجْـرِهِ
لِمَ لا تُوَاصِل مُدْنَفاً مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْنِي جَمَالَ الوَجهِ صَوْلَةُ شَعْرِهِ

(٢٠٨)

وقلت: [من الكامل]

يـا نَسْمَـةَ الأَسحَـارِ عَنِّـي بَلِّغِـي أَرْضَ الجَزَائِرِ أَلْفَ أَلْفِ سَلامِ
وَاهْـدي تَحِيَّـاتِـي لأَهْـلِ مَـوَدَّتِـي مَـنْ حُبُّهُـم بَيْـنَ الجَـوَانِـحِ نَـامِـي

(٢٠٩)

وقلت قصيدةً ولم أُتِمَّها وأنا تُجاه «تونس»: [من الكامل]

بـادِرْ لِنَيْـلِ المَجْـدِ فِـي إِبَّـانِـهِ واحْذَرْ ضَياعَ الوَقْتِ في خِلاَّنِهِ
وَدَعِ التَّغَزُّلَ فـي أَغَـانٍ كـالـدُّمـىٰ يَسْلُبْـنَ لُـبَّ المَـرْءِ مَـعْ رُجْحَـانِـهِ
واتْـرُكْ مُنَـادَمَـةَ العَقِيـقِ فـإِنَّمـا دَاءُ الهَـوىٰ قَـدْ كـانَ مِـنْ غِـزْلانِـهِ
كَـمْ أَتْحَفُـوا قَلْـبَ المُتَيَّـمِ نَظْـرَةً سَلَبَـتْ لَـذِيـذَ النَّـوْمِ مِـنْ أَجْفَـانِـهِ

رفع المسيهم

(٢١٠)

وقلتُ من قصيدةٍ فُقدتْ، وهذا البَعض كان محفوظاً: [من الوافر]

وإنْ حَـنَّ المُتَيَّـمُ للتَّـدَانِـي ... فـإنِّـي للعَـلاءِ أَرى الحَنِينَـا
ومـا عِشْـقُ الغَـوانِـي لِـي مُـرَادٌ ... ولكـنْ عِشْـقُ سِـرِّ الخَلْـقِ فِينَـا
ونَحْنُ قَدْ شَرِبْنا الكَأْسَ صِرْفاً ... ويشْـرَبُ غَيْـرُنَـا كَـدَراً وطِينَـا
دَخَلْـتُ مَنَـازِلَ الأَحبـابِ صُبْحـاً ... فَكَـانَ مَحَـلُّ مَثْـوَايَ اليَمِينَـا
وقلتُ لِحَاسِدي مُتْ في اكْتِئَابٍ ... فَقَـدْ أَوْرَدْتُـكَ الـدَّاءَ الـدَّفِينَـا
ولِـي سِـرٌّ مِـنَ القَهَّـارِ سَـارٍ ... علـىٰ جَيْـشِ العِداةِ سَرَىٰ كمِينَا

(٢١١)

وقلت ـ أيضاً ـ من قصيدة فُقِد أكثرُها: [من الكامل]

نـاشَـدْتُـهُ بـاللهِ أَنْشَـدَ قـائـلاً ... إِنَّـا بَنـي بـاريـسَ أَهْـلُ طَبيعَـةِ
إِنْ لَـم تَكُـنْ بيني وبينَكَ نِسْبَـةٌ ... فعَـلاقَـةُ الحُـبِّ الأَكيـدَةُ نِسْبَتِـي
لي شاهِدَانِ علىٰ غرامِكَ يا رَشا ... خَفَقَـانُ قَلْبـي إِذْ رآكَ وَصُفْـرَتِـي

(٢١٢)

وقلت: [من الوافر]

ومِـنْ أَرْضِ الجَـزَائِـرِ قَـدْ رَحَلْنـا ... نَحُثُّ السَّيْرَ في الوابورِ صُبْحَا
تَـرَكْنَـا الحِـبَّ فيهـا وانْثَنَينـا ... نَسُـحُّ مـن دُمُـوعِ العَيْـنِ سَحَّـا
وَعَـنْ كـافـورَ قـدْ مِلْنـا وقُلْنـا ... أَلا يـا دَهْـرُ زِدْهُ مِنْـكَ قُبْحَـا
وإِنِّـي تـارِكٌ فيهِـم مَقَـالاً ... علـىٰ مَـرِّ اللَّيـالـي ليـسَ يُمْحَـىٰ

رفع المسيهم

(٢١٣)

وقُلْتُ مؤرِّخاً وفاةَ بنتٍ لأحَدِ أصحابِنا في الجزائر: [من الكامل]

هٰذا ضَريحُ الطِّفلَةِ الَّتي سَرَتْ ... إلىٰ جِنَانِ الخُلدِ في طِيبِ المنَىٰ

طُوبىٰ لَهَا عِندَ الخَليلِ قَدْ ثَوَتْ ... مَسْرُورَةً حازَتْ علىٰ أَسمى الثَّنَا

لَمَّا أُصِيبَ عابدُ الرَّحمٰنِ في ... وَفاتِها نَادى العَزَاءُ مُعْلِنَا

بِها سَنَاءُ القُرْبِ أَرَّخَ (سعِدا ... صُوفِيَّةٌ تَسْمُو بِعِزٍّ وهَنَا)

❑ ❑ ❑

رفع المسيهم

الباب الثالث

فيما قلته حال إقامتي في «دومة»
وفي أثناء رواحي إلى غيرها حسب المنقل

الباب الثالث

(٢١٤)

فقلتُ وقد أرسلَ إليَّ بعضُ الأحبابِ صورةَ تمثالِهِ، فكتبت إليه مخاطِباً للصُّورة: [من الوافر]

أَعَنْ نَعْتِ الحَبيبِ كَشَفْتَ حالا ... فَـأَظْهَـرْتَ التَّجَنِّـيَ والـدَّلالاَ

أَمِ الشَّمْـسُ المُنِيـرَةُ إِذْ رَأَتْـهُ ... بصُـورَتِـهِ تَصَـوَّرَتِ امْتِثَـالاَ

نَعَـمْ رَسْـمُ الحَبِيـبِ بـدا لَـدَيْنا ... فكـانَ ظُهُـورُهُ لِلْـوَصْـلِ فَـالا

تُخَبِّـرُنَـا شَمـائِلُـهُ بـأَنَّـا ... تَخِـذْنـا فِـي القُلُـوبِ لَـهُ مِثَـالاَ

ولمَّـا أَنْ رَأَى البُعْـدَ جَفَـاءً ... ويُضْرِمُ في الحَشَا النَّارَ اشْتِعَالاَ

أَرادَ الـوَصْـلَ بـالطَّيْـفِ جِهـاراً ... فَـأَرْسَـلَ مِـنْ تَلَطُّفِـهِ مِثَـالاَ

بِرُوحِي مَنْ يَفي بالوَعْدِ طَبْعاً ... ويَنْفِـي عَـنْ مَـوَدَّتِـهِ اخْتِـلالاَ

وبَـدْرٌ لا يُحَـاوِلُـهُ كُسُـوفٌ ... ومنـهُ للشُّمـوسِ تَـرَى الكَمـالاَ

شَقِيـقُ الخَـدِّ يَـزْهُـو بـاحْمِـرَارٍ ... وقَـوْسُ الحـاجِبَيْـنِ رَمـى النِّبـالاَ

كـأَنَّ الخـالَ زَنْجِـيٌّ أَقـامـا ... بِـذاكَ الـرَّوْضِ لَـمْ يُـرِدِ انْفِصَـالاَ

فَحَيَّـا حِينَمـا رَامَ المُحَيَّـا ... فـأَوْجَـسَ خِيفَـةً مِنْـهَ وَمَـالاَ

رفع المسيهم

وكيفَ الضِّدُّ يُجْمَعُ مَعْ نَقِيضٍ ... وفي الخَدَّينِ قَدْ جُمِعا كَمالاَ
إذا مـا القَـدُّ رامَ الفَتْـكَ فينـا ... تَـرَى الأَحْشَـاءَ تَنْتَقِـلُ انتِقـالاَ
ترانا في الحروبِ لِيُوثَ غابٍ ... نُسارِعُ فـي إِجـابَتِهـا عُجـالَـىٰ
وَنَخْشَى الطَّعْنَ بـالنُّجْلِ بِسِلْمٍ ... فَيَـاللهِ مَـا أَشْهَـى القِتَـالاَ
ويـا ويْـحَ العَـذُولِ أَمَـا يُبـالـي ... ويَتْـرُكُ فـي الهَـوىٰ قِيلاً وقَـالاَ
لَحَـاهُ اللهُ كَـمْ يَـأْتِـي بِـزُورٍ ... كَـأَنَّ النُّصْـحَ أَوْرَثَـهُ الخَبَـالاَ
خَليلـي خَـلِّ عَنْـكَ كَـلامَ وَاشٍ ... مِـلاَكُ أُمُـورِهِ يَبْغـي الضَّـلالاَ
وَوَاصِـلْ مُغْـرَمـاً قَـدْ ذَابَ وَجْـداً ... مِـنَ الهِجْـرانِ يَنْتَحِـلُ انْتِحَـالاَ
وَزُرْهُ بِـالحَقِيقَـةِ بَعْـدَ رَسْـمٍ ... فَـرَسْـمُ الشَّـيءِ مُتَّخَـذٌ مِثَـالاَ
فَـلا أَثَـرٌ يُـرَىٰ مِـنْ بَعْـد عَيْـنٍ ... وبِـالتَّحقِيـقِ نَلْقَـاهُ مُحَـالاَ
فحـاشَـا لُطْفَـكَ المَـأْنُوسَ يُبْقـي ... قتيـلَ الحُـبِّ يلتَهِـبُ ابْتِهَـالاَ
خَليلـي بـالَّـذي سَـوَّاكَ بَـدْراً ... وأَعْطَـاكَ المَحَـاسِـنَ والجَمـالاَ
تَلَطَّـفْ بـالمُعَنَّـىٰ يـا فُـؤَادي ... وَزِدْهُ بـالـوِصَـالِ بِـكَ اتِّصَـالاَ
فَشَـرْحُ الحـالِ تَعْلَمُـهُ حَبيبـي ... وَدَمْـعُ العَيْـنِ يَنْهَمِـلُ انْهِمـالاَ

(٢١٥)

وقلتُ مُشَطِّراً: [من الوافر]

(وقـائلـةٍ لِمَـا ضَيَّعْـتَ مَـالاً) ... عظيمَ القَدْرِ فِي البَدْرِ المَصُونِ
وأَبْـدَلْـتَ الغَـوَانِـيَ فـي هُيـامٍ ... (بِجَمْعِ الكُتْبِ قُلْتُ لها دَعِينِي)
(لَعَلِّي أَنْ أَجِدْ فِي بَعْضِ كُتْبٍ) ... سَبيـلاً لِـرِضـا نُـورِ العُيُـونِ
وأَنْظُـرَ فـي لآلِـي الثَّغْـرِ يَـومـاً ... (إِفـاداتٍ لِـدُنيَـايَ وَدِينِـي)

المسيتهم

(٢١٦)

وقلْتُ: [من الكامل]

زُرْتُ الحَبيبَ بِلَيْلَةٍ لا أَخْتَشِي ظُلْمَ العَذُولِ بِها وَلا وَاشٍ رَدِي
وَغَدَا يُنَادِمُنِي بلُطْفِ حَدِيثِهِ وبَاحَ عَنْ حَرِّ الفُؤَادِ تَنَهُّدِي
أَوَّاهُ إِنْ يَسْمَحْ بِطِيبِ وِصالِهِ أَعْطَيْتُهُ رُوحِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي

(٢١٧)

وقلت: [من الكامل]

ما بالُ قَلْبِكَ لا يَلِينُ لِعاشِقٍ وإِلامَ عَنِّي يا خَلِيلُ تَمِيلُ
أَتْلَفْتَنِي فِي الحُبِّ يا بَدْرَ الدُّجَىٰ وقَطَعْتَ وَصْلِي والوِصَالُ جَمِيلُ

(٢١٨)

وقلت مُشَطِّراً: [من الكامل]

(هٰذا الَّذِي شِهِدَتْ لَهُ أَقلاَمُهُ) مِنْ غيرِ زُورٍ بالكَمَالِ ولا افْتِرَا
وبِهِ الفُنُونُ لَقَدْ تَكَامَلَ بَدْرُها (وَتَرَنَّحَتْ بِمَدِيحِهِ كُلُّ الوَرَىٰ)
(قَدْ فَاقَ بالنَّثْرِ المُسَجَّعِ مَنْ مَضَىٰ) والنَّظْمُ فَرْعٌ في الوُصُولِ تَحَيَّرَا
قد زَاحَمَ العَرْباءَ في عِرْفَانِهِ (وغَدا يُحاكِي بالسَّمَاحةِ جَعْفَرا)

(٢١٩)

وقلْتُ وقد اطَّلعتُ على الجزءِ الأول من «مختصر تاريخ الحافظ ابن عساكر» للشَّيخ أبي الفتح بن الشَّيخِ عبدِ القادرِ الخطيبِ الدِّمشقيِّ: [من الوافر]

أَبَا الفَتْحِ فَتَحْتَ لِكُلِّ فَدْمٍ يَرُومُ الكِذْبَ بالتَّأْلِيفِ بابَا

رفع المسيهم

وكادَ الدَّهرُ يَقْضي من عُجَابٍ فمُنْذُ شَامَ ذا التَّأليفَ شَابَا

(٢٢٠)

وقلت: [من الكامل]

لو يَعْلَمُ ابنُ عَسَاكِرٍ أَنَّ أَبا الـ ـفَتْحِ يَرُومُ مَسْخَ ما قَدْ صَنَّفَهْ
كَسَرَ الدَّواةَ ونامَ مِلْءَ جُفُونِهِ وقَلى العَذُولَ لِمَا يَقُولُ وَعنَّفَهُ

(٢٢١)

وقلت:

مِنْ مظهرِ السِّرِّ مِنْ يَدِ سَاقِينا
جَلَّ عَنِ الحَصْرِ فَتْحُ المُحِبِّينَا

فاجْلُو دُجَىٰ عَيْني وامْحُو رَجَا أَيْني
بِوَحْدةِ العَيْنِ زِدْنَا تَلاوينَا

نَحنُ بَني الحُبِّ حُزْناً على القربِ
في المَشْهَدِ العَذْبِ نَزْهُو بِنادينَا

أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ منْهُ نَمىٰ فَرْعي
ونورُه الوَضْعِي قد صارَ لِي دِينَا

مَنْ لَمْ يكنْ عاشقْ لِسِرِّنا نَاشِقْ
فذلكَ السَّارقْ في حُكْمِ مُفتِينَا

رفع المسيهم

بَحْـــرٌ مِـــنَ العِلْـــمِ حَـــقٌّ بـــلا وَهْـــمِ
مِـــنْ مَصْـــدَرِ الفَهْـــمِ بـــالطُّـــورِ مِـــنْ سِينَـــا

يـــا شـــاذِلـــي حَقِّـــقْ بـــالفَهْـــمِ بَـــلْ دَقِّـــقْ
ووَقْتَـــكَ أَنْفِـــقْ فـــي ذِكْـــرِ بَـــارِينَـــا

وَاطْـــرَحْ عَـــنِ السِّـــرِّوَهْمـــاً مِـــنَ الغَيْـــرِ
لازِمْ علـــى السَّيْـــرِ نحـــوَ المُحِبِّينَـــا

حـــارَتْ أَولـــو اللُّـــبِّ فـــي المَشْهـــدِ الـــوَهبـــي
والمَشْـــرَبِ العَـــذْبِ لَمَّـــا سَـــرَّىٰ فينَـــا

يـــا ربِّ يـــا ظـــاهِـــرْ صَـــلِّ علـــى الطَّـــاهِـــرْ
بحـــرِ الهُـــدى الـــزَّاخـــرْ غَـــوَثِ المُـــرِيـــدِينَـــا

(٢٢٢)

وقلت مشطراً: [من الوافر]

(وَقَـائِلَـةٍ لِمَـا ضَيَّعْـتَ مَـالاً) مَـعَ العُمْـرِ بِتَحْصِيـلِ الفُنُـونِ
وأَنْفَقْـتَ الَّـذي تَحْـوِي يَـدَاكَ (بِجَمْعِ الكُتْبِ قُلْتُ لَها دَعِينِي)
(لَعلِّي أَنْ أَجِدْ في بَعْضِ كُتْبٍ) طَـرِيـقَ السَّيْـرِ فـي عَيـنِ اليَقِيـنِ
وأَنظُـرَ كـوكَبـاً مِنْهـا يُـرِينـي (إِفـاداتٍ لِـدنيَـايَ ودِينِـي)

رفع المسيهم

(٢٢٣)

وقلت: [من الكامل]

لَمَّا اجْتَمَعْنَا والحَبِيبُ مُنادِمي ... وأَباحَ وَصْلِي تَارَةً وتَمَنَّعَا
لَمْ يَرْضَ بالقُرْبِ المُبَرِّدِ للحَشَا ... بَلْ زادَ في الهِجْرانِ ثُمَّ ترَفَّعَا

(٢٢٤)

وقلت: [من الوافر]

فُؤَادٌ لَيْسَ يَصْحُو مِنْ غرامٍ ... إِلىٰ رُتَبِ المَعَالي والعَلِيِّ
وسُكري والَّذي بالفَضْلِ عَمَّتْ ... مَواهِبُهُ دَواماً في عَلِيِّ

(٢٢٥)

وقلتُ: [من المحدَث]

قَدّ

يا صَاحِ الصَّبْرُ وَهَىٰ مِنِّي

قَدْ طَابَ الشُّرْبُ مَعَ السُّكْرِ ... فِي حَانَةِ أَرْبَابِ الذِّكْرِ
فَاشْطَحْ يا صاحِ بِهَا واطْرَبْ ... ولِخَمْرِ القُدْسِ بِهَا فَاشْرَبْ
وإِذا المَحجُوبُ لَهَا اسْتَغْرَبْ ... دَعْ كُلَّ عَذُولٍ فِي نُكْرِ

دور

بِطَرِيقِ الحُبِّ لِيَ المَسْعَىٰ ... مُذْ طَابَ لِكَعْبَتِهِ أَسْعَىٰ
وَإِذا مَا الغيْرُ نَوَى الجَمْعَا ... لازَمْتُ الوَحْدةَ في السِّرِّ

رفع المسيهم

دور

شَمْسُ العِرْفَانِ بِنَا تُشْرِقْ ... فِي أُفُقِ المَغْرِبِ والمَشْرِقْ
فَلِمَسْرَاهَا خِلِّي حَقِّقْ ... تُصْبِحْ فِي ذَاتِكَ كَالبَدْرِ

دور

نُورٌ لا نَارٌ إِنْ تَظْهَرْ ... مِنْ أَيْمَنِ وَادِيهَا الأَطْهَرْ
لاحَتْ كَالصُّبْحِ فَلَم تُسْتَرْ ... لِلنَّظْمِ تَجَلَّتْ والنَّثْرِ

دور

بِكْرٌ لِمَحَاسِنِهَا ذَلَّتْ ... أَرْبَابُ الحُسْنِ وقَدْ ذَلَّتْ
وبِبُرْجِ السَّعْدِ إِذا حَلَّتْ ... يَهْوَاهَا العَقْلُ مَعَ الفِكْرِ

دور

أَخْجَلْتَ الشَّمْسَ مَعَ البَدْرِ ... وَمَنَحْتَ المُغْرَمَ بالسُّكْرِ
مِن بَعْدِ الوَصْلِ إِلى الهَجْرِ ... تَدْعُونِي رَغماً بالقَهْرِ

(٢٢٦)

وقلت: [من الكامل]

صَبٌّ يُكَابِدُ لَوْعَةً وغَرامَا ... وزَفِيرَ شَوْقٍ فِي الضُّلُوعِ أَقامَا
وعلى العَقيقِ عَقيقُ دَمْعٍ قَدْ هَمىٰ ... إِذ عَقَّهُ الصَّبْرُ الجَمُوحُ وَدَامَا
وتَرَاهُ مِنْ زَفَرَاتِهِ أَحْشَاؤُهُ ... عِنْدَ التَّذَكُّرِ قُسِّمَتْ أَقْسامَا
مُتَعلِّلاً بحَديثِ مَنْ يَهوىٰ إِذا ... عَزَّ اللِّقا وَرأَىٰ بِهِ تهيامَا

رفع المسيهما

(٢٢٧)

وقلتُ أمدَح العلاَّمة الأوحد محمَّد أفندي المنيني مُفتي دمشق حالاً:

[من الكامل]

يا سَعْدُ قِفْ لِي بالعَقيقِ قَلِيلاَ ... مُتَخَيِّـراً ظِـلَّ الأَراكِ مَقِيـلاَ

وانْشُدْ بِذَاكَ الرَّبْعِ قَلْباً قَد ثَوَىٰ ... أَبَـداً بِحُـبِّ ظِبـائِـهِ مَتْبُـولاَ

وإذا بمُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ عَرَّجْتَ كُنْ ... بـالسَّفْـحِ مِنْـهُ مُهَلِّـلاً تَهْلِيـلاَ

فهُنـاكَ كَـمْ ظَـلَّ المُتَيَّـمُ تَـائِهـاً ... صَبّاً يُكَـابِـدُ فـي الغَـرامِ نُحُـولاَ

وإذا بَـدَا بَـرْقُ الغُـوَيْـرِ مُخَبِّـراً ... عَـنْ رَبْـعِ لَيْلَـىٰ فـاتَّخِـذْهُ دَلِيـلاَ

هُـوَ مَـوْطِـنٌ عَـزَّ النَّـزِيـلُ بِـهِ وَقَـدْ ... أَمْسى الكَمِّيُّ إلى النَّجاةِ كَفِيلاَ

لا تَأْلَفُ الأَفيالُ فيهِ سِوَى القَنا ... وتَرَىٰ حِمَى الثَّاوِينَ فيهِ جَمِيلاَ

لا عَيْـبَ فِيهِـمْ غَيْـرَ أَنَّ نَـزِيلَهُـم ... يَلْقَـى الفَخَـارَ لِـرَأْسِـهِ إِكْلِيـلاَ

بَسَطُوا المَكارِمَ للعُفَاةِ كما غَدا ... بِمُحَمَّـدٍ مَجْـدُ الأَنَـامِ جَـزِيـلاَ

مُفتِي الأَنَامِ وشَيْخِ الاسلامِ وشمـ ... ـسِ الدِّينِ مَنْ أَعْطَى المُنَىٰ تأْمِيلاَ

عـلاَّمـةِ العُلَمـاءِ والحِبْـرِ الَّـذي ... أَعْطَـىٰ بِمَنْطِقِـهِ القُلُـوبَ عُقـولاَ

حَبْـرٌ لَـهُ الأَخْيَـارُ تَسْعَـىٰ خِـدْمَـةً ... لِسَنَـا الفَـواضِـلِ بُكْـرةً وأَصِيـلاَ

ظَلَّـتْ لِهَيْبَتِـهِ القُلـوبُ تحَبُّبـاً ... تَتْلُـو الثَّنَـاءَ مُـرَتَّـلاً تَـرْتِيـلاَ

وَغَدَتْ دِمَشْقُ بِهِ تُفَاخِرُ مَنْ سِوا ... هَـا حَيْـثُ مَـوْرِدُهُ يَفُـوقُ النِّيـلاَ

مَنْ يُعْنَ بالحَمْدِ المُؤَثَّلِ دُونَه ... فَـإِنَّـهُ مُتَطَفِّـلٌ تَطْفِيـلاَ

يَروي الصِّحاحَ وَهْوَ أَتْقَنُ مَنْ دَرَىٰ ... فـي عَصْـرِنـا أَو حَقَّـقَ التَّـأْوِيـلاَ

وبِهِ الأُصولُ غَدا بِأَصْلٍ ثابتٍ ... مِنْ بعدِ ما أَضْحَىٰ رَجاه نَحيلاَ

رفع المسيهم

مـرآةُ فَضْـلٍ أَغْنَـتِ التَّلْـوِيـحَ عـنْ كَشْـفٍ فَكَـانَ حِجَـابُـهُ المَبْـذُولاَ
مـا البَحْـرُ إلاَّ مِـنْ أَنـامِلِـهِ جَـرَىٰ فَبَدَتْ حُزُونُ المُشْكِلاَتِ سُهُولاَ
مـا أَمَّـهُ القُصَّـادُ إلا وانْثَنَـوْا بِمَفـاخِـرٍ لَـمْ تَبْتَـغِ التَّحْـويـلاَ
بَدْرٌ بِهِ اتَّضَحَ الهُدَىٰ بَلْ شمسُ فَضـ ـلٍ لَمْ تَرُمْ طُولَ الزَّمانِ أُفولاَ
سَيْفٌ على الأَعْداءِ مَسْلُولٌ فَما يُلْفَـىٰ عَلـىٰ بُعْـدِ المَـدَىٰ مَفْلُـولاَ
بَسَطَ النَّدَىٰ لِحَسُودِهِ حَتَّىٰ غَدا فَـدْمـاً بِشِـدَّةِ غَيْظِـهِ مَشْغُـولاَ
مَـوْلايَ خَـوْدٌ بـالحَيـاءِ تَبَـرْقَعَـتْ زُفَّـتْ إِلَيْـكَ لِتَـرْتَجِيـكَ قَبُـولاَ
فالفَضْلُ مِنكَ إِذا وَصَلْتَ رَجَاءَها فِبِـهِ غَـدا أَوْجُ العُـلاَ مَشْمُـولاَ

(٢٢٨)

وقلتُ أمدحُ صاحبَ الدَّولةِ أحمد باشا الشَّمعة : [من الكامل]

مـا المَجْـدُ إلا مـا أَفـادَ شُكُـورا وأَبـانَ فـي وَجْـهِ العُفَـاةِ حُبـورَا
بِهدايةِ الرَّحْمٰنِ في هٰذا المَلا زادَتْ قُلُوبُ أُولي النُّهَىٰ تَنْويرَا
وَصَنـائِـعُ المَعْـرُوفِ أَثْمَـارٌ لَـهُ تُجْنَـىٰ فَتُثْمِـرُ بـالثَّنَـاءِ أُجُـورَا
أَهْـلُ الكَمَـالِ كَمـالِ كُـلِّ فَضِيلَـةٍ قَـدْ أَطْلَعَـتْ للمُجْتَـديـن بُـدُورَا
وإمامُهُمْ مَنْ كانَ أَحْمَدَ في الوَرَىٰ طَبْعـاً وَأَرْحَبَهُـمْ ثَنَـا مَـوْفُـورَا
يَتْلُـو الأَنـامُ مَـديحَـهُ فَيَـزِيـدُهُـمْ شَـوْقـاً إِلَـى تكـرارِهِ وسُـرورَا
كَمْ أَثْقَلَ القُصَّادَ بالأَيْدي التي هَتَّـانُهُـنَّ لَـمْ يَكُـنْ مَحْظُـورَا
هِيَ أَبْحُرٌ بالفَضْلِ تُغْدِقُ لا بِما يَغْـدو لِـوافِـدهـا الهَنـاءُ سَفِيـرَا
شَهْـمٌ إِذا رُمْـتَ النَّظِيـرَ فَمـا تَلْقَـىٰ لـه فـي ذا الـزَّمـانِ نَظِيـرَا
هُوَ شَمْعَةُ الأَفْضالِ بَلْ بَدْرٌ غَدا بِسَمـا المَفَـاخِـرِ والعَـلاَءِ مُنيـرَا

رفع المسيهم

والحَـقُّ يَشْهَـدُ أَنَّـهُ كَهْـفٌ لَـهُ ... أَضْحَـىٰ مَعِيـنَ ظُهُـورِهِ وظَهِيـرَا
إِنْ رُمْتَ تُحصِي حَصْرَ مَوْهُوباتِهِ ... لَـمْ تستَطِـعْ نَظْمـاً ولا مَنْثُـورَا
أَرْبَـتْ مَنَـاقِبُـهُ علـى البَـدْرِ عُـلاً ... وعلـى الشُّموسِ مَنازلاً وظُهُـورَا
مَـنْ أَمَّـهُ مُتَسَتِّـراً بِجَنَـاحِـهِ ... مِـنْ دَهْـرِهِ يَلْقـى الـزَّمـانَ مُجِيـرَا
مـالاذَ عَـافٍ فـي حَصِيـنِ جَنَـابِـه ... إِلا وأَضْحَـىٰ فـي الأَنـامِ خَطِيـرَا
وَلَقَـدْ بَنَـىٰ للمَكْـرُمـاتِ وَأَهْلِهـا ... طُـولَ الـزَّمَـانِ مُـرَبَّعـاً مَعْمُـورَا
فـي هِمَّـةٍ سَمَـتِ السِّمـاكَ وَعِفَّـةٍ ... أَمْسَىٰ شَذاها في الدُّنا مَسْطُورَا
يا بْنَ الأُلىٰ سُبُلَ المكارِمِ أَوْضَحُوا ... فَغَـدا بِهِـمْ كَسْـرُ الـرَّجـا مَجْبُـورَا
إِنِّي أَرُومُ بأَنْ أَكُونَ على المَدَىٰ ... مِمَّـنْ نَظَمْـتَ شَتِيتَهُـم مَـذْكُـورَا
فَهُمُو بِصَيِّبِ فَضْلِكَ الوَافي ارْتَوَوْا ... وَرَأَوْا لِـوَاءَ ثَنَـائِـهِ مَنْشُـورَا
فاسْلَمْ وَدُمْ ما قالَ بَدْرانُ ضُحًى ... مـا المَجْـدُ إِلا مـا أَفـادَ شُكُـورَا

(٢٢٩)

وقلتُ أمدحُ أَمين أفندي ترزي، كاتبَ مجلسِ الولاية حالاً: [من الكامل]

مَـنْ كـانَ يَـأْمَـلُ للنَّجـاحِ ضَمِينـا ... فَلْيَـأْتِ رَبَّ المَكْـرُمـاتِ أَمينَـا
حيـثُ المَسَـرَّةُ والسِّيـادَةُ والعُـلا ... والفَـوْزُ أَضْحَـىٰ بـالهَنـا مَقْـرُونَـا
مـا أَمَّـهُ القُصَّـادُ إِلاَّ وَانْثَنَـىٰ ... كُـلٌّ بِبَحْـرِ نَـوَالِـهِ مَفْتُـونَـا
دَنِفٌ إِلىٰ حُسْنِ التَّوَجُّهِ جَاعِلاً ... مَثْـواهُ دَوْمـاً بـالثَّنـا مَـرْهُـونَـا
أَنَّـىٰ تَـوَجَّـهَ فَـالـوَجَـاهَـةُ والتُّقَـىٰ ... تَـزْدَادُ فـي حُسْـنِ الثَّنـا تَلْـوِينَـا
مَلَكَ القُلُوبَ فَمَا تَرىٰ مِنْ فَاضِلٍ ... إِلا وأَظْهَـرَ فـي المَـدِيـحِ كَمِينَـا
يَتْلُو المَحَامِدَ حينما هَزَّ الصَّبا ... عِنـدَ الصَّبَـاحِ خَمَـائِـلاً وغُصُـونَـا

رفع المسيهم

نَـالَـتْ بِـه أَهْـلُ النُّهَـىٰ إِذْ يَمَّمُـوا ... بِـرِحَـابِـهِ عِنْـدَ اللِّقَـا تـأْمِينَـا
أَفْـدِيـهِ مِـنْ شَهْـمٍ مُحَقَّـقُ مَـدْحِـهِ ... يَسْمُـو علـىٰ أَوْجِ العَـلاءِ يَقِينَـا
فَلْتَهْـنَ جِلَّـقُ فـي أَمِيـنٍ لَـمْ يَـزَلْ ... أَبَـداً أَمِينـاً للنَّجـاحِ ضَمِينَـا
نُـورُ السِّيـادةِ مِـنْ مُحَيَّـاهُ بَـدا ... مَجْـداً وعِـزَّ المَكْـرُمـاتِ يُـرِينَـا
دِيَمٌ مِنَ الإِحْسَانِ أَمْطَرَها فَأَمْـ ... ـسَىٰ نَبْتُهَـا عِنْـدَ الـوَرَىٰ تَحْسِينَـا
يا بْنَ الأُولىٰ فَرَضُوا الجَميلَ وأَظْهَرُوا ... نَهْـجَ الـرَّشـادِ مُـوَضَّحـاً مَـأْمُـونَـا
تَحيَا القُلوبُ بِذِكْرِ ما أَبْدَوْهُ مِنْ ... فَضْـلٍ بَـدِيـعٍ قَـدْ غَـدَا مَسْنُـونَـا
رامَ المُتَيَّـمُ مِنْـكَ حُسْـنَ تَـوَجُّـهٍ ... وَشفيعُـــهُ دُرٌّ أَتَـــاكَ ثَمِينَـــا
زادَتْـهُ نِسْبَتُـكَ العَلِيَّـةُ بَهْجَـةً ... وإِلىٰ ثَنَائِكَ فِي المَزِيدِ شُجُونَا
يَـرْوي ثَنَـاكَ مُسَلْسَـلاً وَمُعَنْعَنـاً ... لَـمْ يُلْـفِ فـي تِلْـكَ الـرِّوايـة لِينَـا

(٢٣٠)

وقلتُ حين قدوم الشَّهمِ الهُمام الحاجّ حَسن باشا والي ولاية سوريا حالاً، وأنشدَتْهَا تلامِذَةُ المَكاتِبِ بينَ يديه: [من مجزوء الرمل]

دَوْلَـــةُ الإِقبَـــالِ وافَـــتْ ... بِهَنَـــــاءٍ وسُـــــرُورْ
وَبِهَـــا الأَكْـــوَانُ لاذَتْ ... والمُنَـــىٰ بُـــرْدٌ قَشِيـــبْ

دور

مِـــنْ عُـــلا عِـــزِّ المُلُـــوكْ ... نَـاصِـرِ الـدِّيـنِ القَـوِيـمْ
خِيـــرةِ الـــرَّبِّ المَلِيـــكْ ... بَهْجَـــةِ الـــدَّهْـــرِ النَّجِيـــبْ

دور

عِـــزُّنـــا عَبْـــدُ الحَميـــدْ عَـــمَّ بـــالعَـــدْلِ الأَنـــامْ
مِنْـــهُ بـــالفِعْـــلِ الحَمِيـــدْ يُمْطِـــرُ العِـــزَّ الصَّبِيـــبْ

دور

مِـــنْ سَنـــا ﴿إِنَّـــا فَتَحْنـــا﴾ نَصْـــرُهُ نَصْـــرٌ قَـــرِيـــبْ
مِـــنْ رِضَـــاهُ قَـــدْ مُنِحْنـــا شَمْـــسَ عِـــزٍّ لا تَغِيـــبْ

دور

أَنْـــزَلَ اللهُ المَـــلائِـــكْ نَحْـــوَ تَـــأْيِيـــدِ الجُيُـــوشْ
فـــانْثَنَـــى المخْـــذُولُ هـــالِـــكْ مِـــنْ لَظَـــىٰ نَـــارِ الحُـــرُوبْ

دور

إِنْ يُصَمِّـــمْ نَحْـــوَ قَصْـــدٍ دُكَّـــتِ الأَجْيَـــالُ دَكَّـــا
أَوْ حَبَـــا العَـــافِـــي بِـــرِفْـــدٍ أَصْبَـــحَ الكَـــوْنُ خَصِيـــبْ

دور

يـــا هَنَـــا كُـــلِّ الأَنَـــامْ بِـــرِيـــاضِ العَـــدْلِ طيبُـــوا
وادْعُـــوا للمَـــولَـــى السَّـــلامْ بِـــالبَقَـــا فَهْـــوَ المُجِيـــبْ

دور

واجْـــذِبُـــوا الأَرْواحَ طُـــرًّا نَحْـــوَ والِينَـــا الهُمَـــامْ
بـــالـــدُّعـــا جَهْـــراً وَسِـــرًّا واصْـــدُقُـــوا الصَّـــدرْ الـــرحيـــبْ

رفع المسيهم

دور

حَسَـــنُ الأَفْعـــالِ وافَـــىٰ يَنْشُـــرُ العَـــدْلَ بِشـــامْ
بِشْـــرُهـــا وافَـــىٰ وَصـــافَـــىٰ فَلَهـــا العِـــزُّ نَصيـــبْ

دور

مَلْجَـــأُ الـــرَّاجِيـــنَ غَـــوْثٌ ذٰلِـــكَ الشَّهْـــمُ الـــوَزيـــرْ
مَنْهَـــلُ الأَفْضَـــالِ لَيْـــثٌ والـــذَّكـــا فَتْـــحُ الغُيـــوبْ

دور

فَلَنَـــا البُشْـــرىٰ تَـــوالَـــتْ والعُلُـــومُ فِـــي ازْدِيـــادْ
لِعُـــلاَ النَّجْـــمِ استَطَـــالَـــتْ تَعْبَـــقُ الـــدُّنيـــا بطِيـــبْ

دور

فَـــأَدِمْ مَـــوْلَـــى البَـــرَايـــا دَوْلَـــةَ الغَـــازِي الحَمِيـــدْ
مـــا حَـــدا الحَـــادي المَطَـــايـــا نَحْـــوَ أَوْطَـــانِ الحَبِيـــبْ

(٢٣١)

وقلت مُراسِلاً بعضَ الأَصحاب: [من الكامل]

سَلِّم على الشَّهْمِ الأَديبِ وقُلْ لَهُ ما ذَنْبُ صَبٍّ قَدْ وَلِعْتُ بِبُعْدِهِ
يَشْكُو الأُوَامَ مِنَ الصُّدُودِ وَلَم يَجِدْ صَبْراً لِسُلْوَانِ الجَوَىٰ مِنْ وَجْدِهِ
فَيَظَـلُّ يَعْلَـقُ بـالأَمَـانـي قَلْبُـهُ مُسْتَمْطِراً غَيْثَ الوَفا مِنْ رَعْدِهِ
وإِذا رَنـا سِقْـطَ المَعَـرِّي أَسْفَـرَتْ بِـ«لُـزُومِـهِ» مـرآةُ مَنْهَـجِ قَصْـدِهِ
وَلَكَـمْ أَتَـىٰ نَحْـوَ الشَّفَـاعَـةِ مُقْبِـلاً لٰكِنَّهـا لَيْسَـتْ لَـهُ فِـي قَصْـدِهِ

رفع المسيهم

بَـلْ لِلمُسـامَـرَةِ البَـديعَـةِ قـاصِـداً فَعَسىٰ بها يَزْهو المُنىٰ بِفِرنْدِهِ
حَمْـداً لَهـا والعَـوْدُ أَحْمَـدُ مَنْهَـجٍ فـي كُـلِّ بُـرْهـانٍ سمـا فـي حَـدِّهِ

(٢٣٢)

وقلت: [من الكامل]

إِنَّ المُقَـدَّمَ فـي الشَّفَـاعَـةِ سَـادَةٌ مِـنْ نَسْـلِ جَـدِّهِـمُ النَّبِـيِّ الطَّـاهِـرِ
هٰـذا تُحَقِّقُـهُ الأَنَـامُ بـأَسْـرِهِـمْ في الأَزْمُنِ المَاضِينَ حَسْبَ مَظاهِرِ
لكنَّ ذَا الدَّهْرَ العَجِيبَ رَمَىٰ بِهِمْ فَتَسَتَّرُوا في نُورِهِمْ في الظَّاهِرِ
هَيْهاتَ بَدْرُ التَّمِّ يَخْفَىٰ أَوْ يُرَىٰ إِلا عَلِيّـاً فـي جَميـعِ مَظـاهِـرِ
ولَـرُبَّمَـا غَلَـبَ السُّهَـا أَنـوَارَهُ فَبَدا فَـأَدْهَـشَ بـالضِّيـاءِ السَّـافِـرِ

(٢٣٣)

وقلت: [من الكامل]

للهِ مَحْـرُوسُ الخُـدُودِ بِلَحْظِـهِ لَمْ يَرْحَمِ الصَّبَّ المَشُوقَ المُغْرَمَا
يَـزْدادُ هَجْـراً كُلَّمـا زَادَ الجَـوَىٰ وَيَظَلُّ دَمْعِي مُرْسَلاً يَحْكِي الدَّمَا

(٢٣٤)

وقلت: [من الكامل]

بَلَغَ الزُّبىٰ سَيْلُ الغَرامِ فَهَلْ إِلىٰ سُبُلِ التَّصَبُّرِ مِـنْ طَـرِيـقٍ يُعْـرَفُ
وَنهَـى النُّهَـىٰ فَـأَطَعْتُـهُ ثُـمَّ انتُهـىٰ فِـي الغَـيِّ قَلْبـي فَـانْثَنـىٰ يَتَلَهَّـفُ
قَدْ كُنْتُ خِلْواً مِنْ جَوًى وَكَآبَةٍ فَـدَهَـى الفُـؤادَ صَبـابَـةٌ لا تُصْـرَفُ

رفع المسيهم

(٢٣٥)

وقلت مُهَنِّئاً الشَّهمَ الصِّدِّيقي محيي الدِّين بك، قائمقام «دوما» حالاً بالعِيد: [من الرمل]

إِنَّمَـا العِيـدُ أَتَـاكَ سَفيـرا ... بـالتَّهَـانِـي أَرِّخِ الافْتِخَـارَا
شَـاكِـراً عَلْيَـاكَ دَوْمـاً بمَـدْحٍ ... فـي قُلُـوبِ المُـؤْمِنيـنَ اسْتَطَـارَا
مِـنْ أَبـي بَكْـرٍ لَـكَ المَجْـدُ يَبْـدُو ... ذاكَ عِـزٌّ فَضْلُـهُ لَـنْ يُبَـارَىٰ
كُـلَّ يَـوْمٍ فـي ارْتِقَـاءٍ جَـدِيـدٍ ... مِـنْ حَمِيـدٍ للمَعـالـي أَنـارَا
وثَنَـاءٌ طِيبُـهُ قَـدْ فَـاحَ مِسْكـاً ... قَـدْ بَنَـىٰ للمَكْـرُمـاتِ المَنَـارَا
سَيِّـدي دُمْ فـي هَنَـاءٍ وسُـرورٍ ... مـا جَـلا داجِـي الظَّـلامِ السِّـرارَا
والعُـلا قَـدْ أَعْلَـنَ المَـدْحَ جِهـارا ... فَسَرىٰ في الكَوْنِ طُرّاً حَيْثُ سَارَا

(٢٣٦)

وقلتُ مُخَمِّساً بيتَي ابنِ سهلٍ الأَنْدَلُسِي ارتجالاً: [من البسيط]

أَضْحَى الهَوَىٰ والجَفا والبُعْدُ لِي نَسَبَا ... في حُبِّ مَنْ لَو بَدا للبَدْرِ لاحْتَجَبَا
نادَيْتُ يا لَلْهَوىٰ حِينَ الحَشَا التَهَبا ... (رُدُّوا علىٰ طَرْفِيَ النَّوْمَ الَّذي سَلَبَا
وخَبِّـرُونـي بعَقْلـي أَيَّـةً ذَهَبَـا)
كَفَىٰ نُحُولي مَعَ الأَسْقامِ مَعْذِرَةً ... حَيْثُ اللِّحَاظُ غَدَتْ فِينَا مُحَكَّمَةً
يا لائِمِي فِي الهَوَىٰ أَرْجُوكَ مَرْحَمَةً ... (عَلِمْتُ لَمّا رَضِيتُ الحُبَّ مَنْزِلَةً
أَنَّ المَنَامَ علىٰ جَفْنَيَّ قَدْ غَضِبَا)

رفع المسيهم

(٢٣٧)

وقلتُ وقدْ رأيتُ بناءً قديماً عِنْدَ ثَنِيَّة العُقاب : [من الوافر]

بَنـاءٌ عَـنْ قَـدِيـمِ الـدَّهْـرِ أَنْبـا ... وبَـانِيـهِ رَمِيـمٌ فـي بِنَـاءِ
يُخَبِّـرُنـا بصِـدْقِ القَـوْلِ أَنَّـا ... جَميعـاً قـدْ نَصِيـرُ إِلـى الفَنـاءِ
فَعُقْبَـى المُـؤْمِنِيـنَ جِنَـانُ عَـدْنٍ ... وعُقْبَـى النَّـاكِثِيـنَ علـىٰ شَقَـاءِ

(٢٣٨)

وقلتُ وقد قاسيتُ من سوءِ فعل المُكَاري نَصَباً : [من الوافر]

إِذا المَـرْءُ عَـدَاهُ الحَـظُّ يَـوْمـاً ... تـراءَى السَّهْـلُ فـي عَيْنَيْـهِ حَـزْنَـا
وإِنْ رَكِبَ الجِيَادَ غَدَتْ حَرُوناً ... وإِنْ فَـرَحـاً يُـرِيـدُ يَعُـودُ حُـزْنَـا

(٢٣٩)

وقلتُ أشكُو من الذُّباب وأنا في قريَة «القُطَيْفَة» : [من المجتث]

للهِ أَشكُـــو ذُبَـــابـــا ... بـــالـــوَجْـــهِ زَادَ التِهَـــابَـــا
والحَـــرُّ أَضْحَـــىٰ مُعِينـــاً ... يَـــرُومُ مِنَّـــا انْتِهَـــابَـــا

(٢٤٠)

وقلت : [من الوافر]

وقـاسَيْنـا مِـنَ التَّعَـبِ الشَّـديـدِ ... ومِـنْ غُبْـنِ المُكـارِي والطَّـرِيـقِ
وفَـوْقَ الكُـلِّ لا تَنْسَـىٰ فِعـالاً ... تَقَضَّـىٰ صَفْـوُهـا مَـعْ ذا الـرَّفيـقِ

رفع المسيهما

(٢٤١)

وقلت: [من الكامل]

سَقْيــاً لأَيَّــامٍ بِـ«يَبْــرُودَ» لَهــا ... أَرَجٌ يَفُــوقُ وطِيــبُ نَشْــرٍ يَعْبَــقُ
بَيْنَ الرِّيَاضِ وبَيْنَ كَوْثَرِ مَائِها ... ظَــلَّ النَّسِيــمُ بِظِلِّهَــا يَتَــأَنَّــقُ
ما غَابَ «رأْسُ العَيْنِ» عَنِّي لَحْظَةً ... إلا انثَنَيْــتُ وَلِــي فُــؤَادٌ شَيِّــقُ

(٢٤٢)

وقلت في قرية «رأس العين»: [من الكامل]

للهِ «رأْسُ العَيْــنِ» إنَّ هَــواءَهــا ... يَهْــوِي إليــهِ فُــؤَادُ كُــلِّ مُتَيَّــمِ
رَقَّ النَّسِيــمُ بهــا ورَاقَ زُلاَلُهــا ... والغُصْنُ يَحْكِي قَلْبَ صَبٍّ مُغْرَمِ

(٢٤٣)

وقلت: [من البسيط]

يــا رَامِيــاً بسِهــامِ اللَّحْــظِ مُتَّئِــداً ... يَصْطَادُ قَلْبي لَقَدْ عَجَّلْتَ إِتْلاَفِي
رِفْقــاً بِصَــبٍّ جَنَــتْ عَيْنَــاهُ مَــوْتَتَــهُ ... فَهْوَ القَتِيلُ وما لِلْحُبِّ مِنْ شَافِي

(٢٤٤)

وقلت: [من الكامل]

مَنْ لَمْ يَجِدْ وَصْلَ الحَبِيبِ كَصَدِّهِ ... أَفتَــى الغَــرامُ بِطَــرْدِهِ وبِبُعْــدِهِ
فَلْيَفْعَــلِ المَحْبُــوبُ مــا يَخْتَــارُهُ ... مِنْ وَصْلِ صَبٍّ في الهَوَىٰ أَوْ صَدِّهِ

رفع المسيهم

(٢٤٥)

وقلت أمدحُ الهُمامَ الأوحَدَ الشَّيخَ محمود أفندي أبا الشَّاماتِ مهنِّئاً له بعيد النَّحر سنة (١٣١٤ هـ): [من الكامل]

يَأْبَى الحبيبُ رِضًا سِوَى التَّوْحيدِ ... فـامْـزِجْ زُلالَ الحُـبِّ بـالتَّفْـريـدِ

وإذا بَـدَتْ أَعْـلامُ لَيْلَـىٰ فـابْتَهِـجْ ... فَرَحاً وقُلْ يا سَعْدُ طابَ شُهُودِي

واطرَبْ على الرَّاحِ القَدِيمِ مُنادِماً ... شَخْصَ الغَرَامِ الحَاضِرِ المَفْقُودِ

فَبِـهِ نِظَـامُ الكَـوْنِ مُنْتَظِمـاً وفـي ... سَـرَيَـانِـهِ قَـدْ سـارَ فـي الجُلْمُـودِ

وأُولو الشُّهودِ مُهَيَّمُون عَنِ السِّوَىٰ ... والغَيْـرُ يَلْهـو بـاللَّمَـى والجِيـدِ

فَمَضى العَذُولُ وليسَ يَعْرِفُ وِجْهَةً ... لِمَكَـانِ بَـابٍ دَوْنَـهُ مَسْـدُودِ

نحنُ الحِجَابُ عَنِ الحَبِيبِ إِذَا بَدَا ... ونُفُـوسُنـا تَحتَـاجُ للتَّسْـدِيـدِ

يـا حَبَّـذَا عَـذْبُ العَـذَابِ بِحُبِّـهِ ... فَهُـوَ السَّفِيـرُ لِطَـالِـعٍ مَسْعُـودِ

وَلِسِرْبِ غِزْلانِ النَّقَا يَهْفُو الفُؤا ... دُ فَظَـنَّ صَحْبِـي لَفْتَتِـي لِلْغِيـدِ

عَنْـهُ أُوَرِّي بـالعَقِيـقِ ولَعْلَـعٍ ... طَـوْراً وطَـوْراً بـالعُيُـونِ السُّـودِ

وبِحَـاجِـرٍ حَجَـرَ الفُـؤَادَ مُتَيَّمـاً ... مـا بَيْـنَ سَلْـعٍ أَوْ دِيَـارِ زَرُودِ

فَالبَدرُ ذاتي إِنْ سُتِرْتُ بِمَوْضِعٍ ... ظَهَـرَ السَّنـا عَلَنـاً بِكُـلِّ وُجُـودِ

وَإِذا تَلاطَمَ بَحْرُ عِشْقِي في الوَرَىٰ ... غَـرِقَ الجَحُـودُ بِلُجَّـةِ التَّفْنِيـدِ

مِـنْ عَهْـدِ نُعمـانِ الأَرَاكِ أَراكَ يـا ... نُعْمَـايَ تَـزْهُـو فـي رِيَـاضِ وُرُودِ

فالحُبُّ كَأْسِي والشُّهُودُ مُدَامتي ... والسِّرُّ رَوْضـي والصَّفـاء بُـرُودي

وَوِصَالُ رُوحِي روح أَمْدَادٍ سَرَتْ ... مِـنْ رَوْضَـةِ الأَمْـدَادِ مِـنْ مَحْمُـودِ

تِلْـكَ التَّـي مَيْـتُ الفُـؤَادِ بِمَسِّهـا ... يَحْيَـا ويَبْقَـىٰ بَعْـدَ ضَـمِّ لُحُـودِ

كـالبَرْقِ تَلْمَـعُ مِـنْ سَمـاءِ حَقِيقَةٍ ... كَشْفـاً وذَوْقـاً ليـسَ بـالتَّقْلِيـدِ

رفع المسيهم

والحُسْنُ أَحْسَنُ ما يَرُوقُكَ مَنْظَراً ... في مَظْهَرِ الخَدَّيْنِ بالتَّوْرِيدِ
فَلِذا أَبو الشَّاماتِ عَنْ نُورِ الهُدىٰ ... كَنَّوْا بِهِ في مَشْهَدِ التَّمْجِيدِ
حَبْرٌ بأَسْرارِ الشَّرِيعَةِ عارِفٌ ... بَحْرُ النُّهَىٰ مِنْ حَوْضِهِ المَوْرُودِ
وَرَدَ الحَقِيقَةَ فارْتوىٰ مِنْ وِرْدِها ... حتَّىٰ بَدَا المَكْنُونُ كالمَشْهُودِ
والشَّمْسُ إِنْ تُشْرِقْ بطَالِعِ سَعْدِها ... كَشَفَتْ لَنا ما كانَ بالمَرْصُودِ
«حِكَمُ العَطَاءِ» عَلَى الأَنَامِ أَفَاضَها ... مِن سُحْبِ فَضْلٍ لَيْسَ بالمَحْدُودِ
وعلى «الوَفا» أَوفىٰ وأَظْهَرَ نَيِّراً ... بِـ«شِهَابِهِ» يَجْتَاحُ كُلَّ حَسودِ
لٰكِنَّ ذٰلِكَ لَمْحَةٌ مِنْ مَشْهَدٍ ... ظَهَرَتْ لَنَا تحتاجُ للتَّقييدِ
والسِّرُّ في أَهْلِ الوِصَالِ مُكَتَّمٌ ... عَنْ كُلِّ فَدْمٍ جَاهِلٍ مَطْرودِ
إِنْ عَمَّ طُوفَانُ العِنَادِ فَلِلنَّجا ... ةِ سفينةُ الحَقِّ رَسَتْ في الجودِ
مَنْ أَمَّهُ يَبغِي الهُدَىٰ مِنْهُ اكْتَسَىٰ ... حُلَلَ التُّقَىٰ مِنْ فِعْلِهِ المَحْمُودِ
في كُلِّ وَقْتٍ مِنْ سَنَاهُ عِيدُنا ... فَلَنَا الهَنَا أَبَداً بِذَاكَ العِيدِ
مَوْلايَ إِنْ ذُكِرَتْ مَزايَاكُمْ لَدَىٰ ... ذاكَ المُحِبِّ يَقُولُ طَابَ نَشِيدِي
وَبِكُمْ أُهَنِّي العِيدَ إِذ عَادَ الهَنا ... ءُ لَهُ ودَامَ بِرَوْضَةِ التَّحميدِ
فاللهُ يُبْقِيكُم لأَهْلِ وِدَادِكُمْ ... كَهْفاً وهٰذا غَايَةُ المَقْصُودِ

(٢٤٦)

وقلتُ مُهَنِّئاً حضرةَ الوزيرِ الخَطيرِ أحمد باشا الشَّمعة الدِّمَشقيَّ: [من الرمل]

لاحَ لِلمُشْتَاقِ مِنْ نَحْوِ الحِمىٰ ... كَوْكَبُ السَّعْدِ بِجُنْحِ الغَلَسِ
فَنَمَا مِنْهُ السُّرورُ وسَمَا ... يَزْدَهِي مُبْتَسِماً وهْوَ عَسِي

دور

مَنْ مُجِيري مِنْ غَزَالٍ رَبْرَبِ ... فَاتِنٍ رُبِّيَ في حِجْرِ الدَّلالْ

رفع المسيهم

إِنْ رَنَـــا مُلْتَفِتـــاً واعَجَبِـــي ... يَسْلُـبُ الأرْواحَ مِـنْ غَيْـرِ قِتـالْ
ليسَ فِي التُّرْكِ وَلا في العَرَبِ ... مِثْلُـهُ مُـرْتَـدِيـاً ثَـوْبَ الجَمَـالْ
فـي هَـوَاهُ الـوَجْـدُ لِـي قَـدْ عَلَّمَـا ... وَلِعَهْـدِ الـوَصْـلِ مِنْـهُ مَـا نَسِـي
حُبُّـهُ لـو جَـارَ فـي مَنْـعِ اللَّمـى ... أَيْنمـــا سِـــرْتُ أَراهُ مُـــؤْنِسِـــي

دور

يَخْتَفِـي البَـدْرُ إذا مـا سَفَـرَا ... وَجْهُـهُ البَـاهـي بِجُنْـحِ الغَيْهَـبِ
ويغَـــارُ البـــانُ إِمَّـــا خَطَـــرَا ... كَـمْ فُـؤَادٍ فـي الهَـوَىٰ مِنْـهُ سُبِـي
جَيْـشَ آسـادِ الغَـرامِ أَسَـرَا ... مُـرْسِـلاً مِـنْ جَفْنِـهِ كُـلَّ نَبِـي
نـارَ أَشـوَاقِـي إِلَيْـهِ أَضْـرَ مَـا ... دَمْعِـيَ القَـانِـي وَصَـدِّي المُبْئِـسِ
وعَـزِيـمُ الصَّبْـرِ مِنِّـي حِينَمـا ... صَـدَّ عَنِّـي يـا لَـهُ مِـنْ مُفْلِـسِ

دور

يـا أَخِـلاَّيَ أَهَـلْ لِـي مُنْصِـفُ ... في غَزَالٍ قَدْ سَبَىٰ نَجْداً وشَامْ
مِـنْ بَنِـي الفِـرْدَوْسِ شَـادٍ أَهْيَـفُ ... مـا رُعِـي يَـوْمـاً بِـوَادِيـهِ البَشَـامْ
ريقُـهُ مِـنْ غَيْـرِ رَيـبٍ قَـرْقَـفُ ... يُسْكِـرُ الـذَّائِـقَ مِـنْ غَيْـرِ مُـدَامْ
كيـفَ لا تَعْشَقُـهُ بِيـضُ الـدُّمـىٰ ... وَيَصِيـدُ الأُسْـدَ مِـنْ غَيْـرِ قِسِـي
ولَـهُ فـي الشَّـامِ أَزْكَـىٰ مُنْتَمـىٰ ... حَيْثُمـا تَـزْكُـو بِطِيـبِ النَّفَـسِ

دور

جَنَّـةُ الـدُّنْيَـا وغَـايَـاتُ الأَمَـلْ ... مَـرْبَـعُ الأُنْـسِ ومَعْهَـدُ الصَّفَـا
فَهْيَ رَبْعُ الفَضْلِ إِنْ عَنها تَسَلْ ... وَرْدُهـا لمُجْتَـدِي العِـزِّ صَفَـا
كيْفَ لا تَسْمُو عَلَىٰ أَوْجِ الحَمَلْ ... وهِـي مِـنْ أَحْمَـدَ تَـزْهُـو بـالـوَفَـا
فـاقَ أَبْنَـاءَ الـزَّمَـانِ كَـرَمـا ... لا يُقَـاسُ بـالجَـواري الكُنَّـسِ

رفع المسيهم

قَــدْ حَبَــاهُ اللهُ مِنْــهُ حِكَمَــا نُـورُهـا مِـنْ فَـرْطِ سِـرٍّ أَقْـدَسِ

دور

شَمْعَةُ المَجْدِ وَكَهْفُ المُسْتَجِيرْ بَهْجَـةُ الـدَّهْـرِ حُسَيْنِـيُّ النَّسَـبْ
مَـا لَـهُ فـي عَصْـرِنـا هٰـذا نَظِيـرْ مَـدْحُـهُ يَمْـلأُ أَسْفَـارَ الأَدَبْ
فَضْلُـهُ الـوَافِـرُ كـالشَّمْـسِ يَسيـرْ فيَعُـمُّ الفُـرْسَ طُـرّاً والعَـرَبْ
أَحْمَـدُ الفِعْـلِ كَـرِيـمُ المُنْتَمـىٰ طَـاهِـرُ الأَصْـلِ زَكِـيُّ المَغْـرِسِ
قُـلْ لِمَـنْ قَـدْ رَامَ أَنْ يُحْصِـيَ مـا نَـالَ هٰـذا مِـنْ فِعَـالِ الهَـوَسِ

دور

طَـالِـعُ السَّعْـدِ بِـهِ قَـدْ طَلَعـا كُـلَّ يَـوْمٍ فَهْـوَ فِـي عِيـدٍ جَـديـدْ
وبِـهِ المَجْـدُ غَـدَا مُـرْتَفِعَـا يُبْـدِئُ المَـدْحَ لَـدَيْـهِ ويُعِيـدْ
كَـمْ لِسَـانٍ فـي ثَنَـاهُ بَـرَعـا بمَعَـانٍ حَيَّـرَتْ اِبْـنِ العَمِيـدْ
فَلْنُهَـنِّ العِيـدَ فِيـهِ دَائِمـا يَحْتَسِـي مِـنْ فَضْلِـهِ مـا يَحْتَسِـي
وَلْنَقُـلْ أَبْقـاهُ رَبِّـي سَـالِمـا فِـي سُـرورٍ وحُبُـورٍ أَنْفَـسِ

(٢٤٧)

وقلت أمدحُه أيضاً حين قُدُومِهِ من دَارِ السَّعادةِ: [من الكامل]

يا سَعْدُ خُذْ لِي للعُذَيْبِ سَبيلا فَهُنـاكَ تَلْقَـى العِـزَّ فِيـهِ نَـزِيـلاَ
واحْدُ المَطايا نَحْوَ بَانَاتِ اللِّوَىٰ واغْنَـمْ بِـذَاتِ الـرَّنْـدِ مِنْـهُ مَقِيـلاَ
واقْـرَ السَّـلامَ أُهَيْلَـهُ مِـنْ مُغْـرَمٍ جَعَلَ النَّسِيمَ إلى الحَبِيبِ رَسُولاَ
آمَـاقُـهُ غِـبَّ النَّـوَىٰ قَـدْ عـاهَـدَتْ أَنْ تحْكِـيَ النِّـيلَ الخِضَـمَّ مَسِيـلاَ
وإذا تـأَلَّـقَ بـالحِمَـىٰ بَـرْقٌ مَحَـا مـن رسمـهِ شـوق لَـدَيْـه نُحُـولاَ

رفع المسيهم

لَـوْلا التَّـأَوُّهُ لَـمْ تَكَـدْ عُـوّادُهُ ... أَنْ يَعْلَمـوا لِلبَحْـثِ عَنْـهُ دَلِيـلاَ
صَـبٌّ يكـابِـدُ مـا يُكـابِـدُ إِذ رَأَىٰ ... لِغَـرامِـهِ كُـلَّ الأَنَـامِ عَـذُولاَ
وإِذَا الصَّبَابَةُ جاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ ... سَلَبَتْهُ عَنْ غَيْرِ الهَوَى المَعْقُولاَ
يا جِيرَةَ الشِّعْبِ اليَماني لم يزلْ ... قَلْبـي بِحُـبِّ مَـدِيحِكُـم مَشْغـولاَ
وبِمُهْجَتي لَيْثُ الوَغىٰ في حَيِّكُمْ ... مِـنْ غَيْـرِ مِـدْحَتِـه يُعَـدُّ فُضُـولاَ
مـا زَالَ أَحْمَـدُ صُنْعُـهُ يَـرْوِي لَنَـا ... سَنَداً عَلَىٰ طُولِ المَدَىٰ مَقْبُولاَ
قَدْ فازَ مِنْ دَارِ السَّعادَةِ بالمُنَىٰ ... وأَتَىٰ بـأَصْنَـافِ الـرِّضـا مَشْمُـولاَ
يا شَمْعَةً مِنْ قبلِ أَنْ يُهْدَى السَّنا ... كـانَـتْ لِنُـورِ النَّيِّـرَيْـنِ أُصُـولاَ
مِنْها اسْتَنَارَ الكَوْنُ إِفْضَالاً كما ... أَضْحَـتْ لِهَـامَـاتِ العُـلا إِكْلِيـلاَ
آيـاتُ مَجْـدِكَ مُعْجِـزَاتٌ أُنْـزِلَـتْ ... لِمَـنِ ارْتَـدَىٰ فِـي رَيْبِـهِ تَنْـزِيـلاَ
بُشـرىٰ مِـدَالِيَـة امْتِيَـازٍ قَـدْ تَلَـتْ ... نِيشَـانَ عُثْمَـانِـي العُـلا تَنْـوِيـلاَ
بَدْرانُ هَلاَّ فِي رِضَا مَلِكِ الوَرىٰ ... فَغَـدا الحَسـودُ بِكَيْـدِهِ مَغْلُـولاَ
يَأْبَىٰ تَفَرُّدُ مَجْدِكَ السَّامي بأَنْ ... يُلْفِـي لَـهُ طُـولَ الـزَّمـانِ مَثِيـلاَ
مَنْ شاءَ شَأْوَكَ ضَلَّ في بَهَتَاتِهِ ... ورَأَى التَّطَـاوُلَ للمَقَـامِ مَهُـولاَ
فـالشَّامُ مُشْـرِقَـةٌ سُـروراً إِذْ بَـدَتْ ... بِـكَ بـالتَّهَـانِـي مَـرْبَعـاً مَـأْهُـولاَ
بِـالمَجْـدِ أَرِّخْ (فـائـزٌ بـالعِـزِّ مِـنْ ... عَبْدِ الحَمِيدِ مُنِحْتَ أَكْرَمَ سُولاَ)

(٢٤٨)

وقلْتُ مادِحاً ولَدَه رُشْدي بك ومُهَنِّئاً لهُ بعيد النَّحر: [من الرمل]

يا نَدِيمي قدْ دنا وقتُ الصَّباحْ ... فاسْقِني السَّلْسالَ رَاحاً بعدَ رَاحْ
قَـدْ أَتـىٰ وَقْـتُ الصَّفـا والطَّـرَبِ
وتَجَلَّـى الأُنـسُ لِـي مِـنْ كَثَـبِ

عَــاطِنِــي قَهْــوةَ أَهْــلِ الأَدَبَ

فَلَهــا العِــزُّ يقُــولُ لا بَــرَاحْ وهَزَارُ السَّعْدِ فَوْقَ الدَّوْحِ صَاحْ
سَلْسَبيــلٌ دَأْبُهــا تُحيِــي النُّفُــوسْ
لَمْ تَدَعْ فِي حَانِها يَوْماً عَبُوسْ
إِنْ تَجَلَّتْ أَخْجَلَتْ ضَوْءَ الشُّموسْ

فَــدَمُ الهَــمِّ لَهــا قَــدْ يُسْتَبَــاحْ وبِذَا الرَّاوُوقُ في المَجْلِسِ باحْ
كَــمْ نَفَــتْ عــن مُحْتَسِيهَــا وَصَبــا
وَلَهــا حَــثَّ المَطــايــا وَصَبــا
وإِذا مــا هَــبَّ فــي الــرَّوْضِ صَبَــا

مالَ غُصْنُ البَانِ فِي تِلْكَ البِطَاحْ وبَــدَا مُبْتَسِمــاً ثَغْــرُ الأَقَــاحْ
مِنْ بُكاءِ السُّحْبِ يضحكُ الرُّبا
وَذَكَــا نَفْــحُ الــزُّهُــورِ وَرَبَــا
فلِهٰذا العَيْش قَــدْ حَــلَّ الــرُّبــا

إِذْ تَجَلَّــتْ عَلَنــاً خَــودٌ رَدَاحْ قَــدُّهَــا يَهْزَأُ فــي سُمْــرِ الــرِّمــاحْ
تجــذِبَ النَّــاسِــكَ للــوَجْــدِ لَهَــا
مَــا رَآهــا عَــابِــدٌ إلا لَهَــا
وانْثَنَــىٰ نَحْــوَ التَّصَــابِــي وَلَهَــا

إِنْ رَنَتْ يَوْماً فَمَا بِيضُ الصِّفاحْ تُخْرِسُ الأَلْسُنَ أَنْ تَحْكِي الفِصاحْ
أَلِــفَ الصَّــبُّ بِعَيْنَيْهَــا الغَــزَلْ
بِمَعَــانٍ أَلْبَسَــتْ قيــسَ الخَجَــلْ
وبِهَــا ظَــلَّ ابــنُ هــانــي فــي وَجَــلْ

رفع المسيهم

حَيْثُما قَدْ أَخْرَجَتْ دُرّاً صِحَاحْ للتَّهـانـي فِـي سَنَـا العِيـدِ افْتتـاحْ
لِفَتَـى المَجْـدِ الهُمَـامِ الأَلْمَعِـي
الطَّيِّبِ الأَصْـلِ الـذَّكِيِّ اللَّـوْذَعِـي
لَفْظُـهُ نُـزِّهُ عَـنْ حَصْـرٍ وَعِـي

مَـنْ إِلَيْـهِ المَجْـدُ يُبـدي الإِرْتيـاحْ ولَـهُ قَـدْ طَـابَ حُسْـنُ الإِمْتِـداحْ
مِنْ سَنا رُشْدي بَدا نهجُ الرَّشادْ
وبِنَـاءَ الحَمْـدِ للمُـدَّاحِ شـادْ
شَمْعَـةٌ مِـنْ نُـورِهـا البَـدرُ استَفَـادْ

ولَنَـا عِيـدُ التَّهَـانـي قَـدْ أَبَـاحْ شُكْرَ أُنْسٍ فِي اغْتِبَاقٍ واصْطِباحْ
أَوْضَـحَ الـرُّشْـدَ لِمَـنْ رَامَ الـرَّشَـدْ
حينمـا أُيِّـدَ بـالقَـوْلِ الأَسَـدْ
إِنَّ هٰـذا الشِّبـلَ مِـنْ ذاك الأَسَـدْ

عَـنْ أَبيـهِ قـدْ رَوَىٰ نَهْـجَ السَّمَـاحْ وسَمَـا فـي أَوْجِ أَفْـلاكِ الصَّـلاحْ
فَلْنُهَـنِّ العيـدَ فـي وُجُـودِهِ
حَيْـثُ أَضْحَـىٰ رافِـلاً فـي جُـودِهِ
وَلْنَقُـلْ لا زَالَ فـي سُعُـودِهِ

كُـلَّ يـومٍ فـي سُـرورٍ وانْشِـراحْ ما انْثَنَىٰ غُصْنٌ وَعَرْفُ النَّدِّ فَاحْ

(٢٤٩)

وقلتُ مهنِّئاً له بالرُّتبةِ الأولىٰ من الصِّنْفِ المُتَمَايز: [من الكامل]

مانَحْوَكُمْ لَجَّ العُلا في الطَّلَبِ إلا دَعَـا داعِـي الهَنـا مِـنْ كَثَـبِ

رفع المسيهم

والمَجْدُ لاذَ بِكُمْ يَرُومُ بِأَنْ يكنْ ... مِمَّنْ يُشَارِكُ عِزَّكُمْ في النَّسَبِ
ما حُزْتُمُو مِنْ رُتْبَةٍ إلا غَدَا ... مَنْ فَوْقَهَا يَدْعُوكُمُ في طَرَبِ
فاهْنَأْ إِمَامَ المجدِ رُشدِيَّ العُلا ... بَلْ شَمْسَ فَضْلٍ فِي المَلا لمْ تَغِبِ
وَارْقَىٰ فَقَدْ أَضْحَىٰ سَناكُم راقِياً ... أَوْجَ المَعَالي رَافِعاً للحُجُبِ
ثَناكمُ في الكونِ فاحَ عبيرُهُ ... مُتَأَرِّجاً فَغدا جَمَالَ الكُتُبِ
يا شَمْعَةً إِنْ تُذكَرِ الشَّمْسُ لَهَا ... قَالَتَ رُوَيْداً إِنَّها تُشْرِقُ بِي
مَنْ رَامَنِي يَرْجُو النَّجَا أَوْ لاَذَ بِي ... يَلْقَى الأَمَانِي حَائِزاً لِلأَرَبِ
ذُو هِمَّةٍ لَوْ قَابَلَتْ صُمَّ الصِّلا ... بِ لانْثَنَتْ مِنْ هَوْلِها في عَطَبِ
لَمَّا بَدا مُتَمَايِزاً فِي مَجْدِهِ ... والعِزُّ أَمْسَىٰ طَائِعاً في أَدَبِ
أَرَّخْتُهُ إِنْ حَازَ رُشْدِي الإِرْتقا ... أَرِّخْ (هُنا بُشرَىٰ بأَعلى الرُّتَبِ)

(٢٥٠)

وقلتُ معاتِباً صاحبَ الأعزاز مُحيي الدين علي بك قائِمْقَام «دوما»:

[من الكامل]

ما بَالُ أَحْبابِ الفُؤَادِ تَجَنَّبُوا ... أَوَ مَا دَرَوا أَنِّي إِلَيهِمْ أُنْسَبُ
قَسَماً بِهِمْ ما مِلْتُ يَوْماً عَنْهُمُ ... أَوْ كُنْتُ في عَهْدِ المَوَدَّةِ أَكْذِبُ
إِنْ كَانَ هَجْرِي عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ مَضَتْ ... فَمَنِ الَّذي فِي عُمْرِهِ لا يُذْنِبُ
أَوْ كَانَ مِنْ كَذِبِ الحَسُودِ فَيَا لَهُ ... مِنْ مُفْسِدٍ فِي كُلِّ قُبْحٍ يَذْهَبُ
يا جِيرةَ الشِّعْبِ المجيرِ بِحَقِّكُمْ ... كُفُّوا الأَسَىٰ عَنْ مُغْرَمٍ يَتَعَذَّبُ
لَوْلا المُنَىٰ بالصَّفْوِ كَانَ لَهُ علىٰ ... أَسْفارِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ مَذْهَبُ
لَكِنَّمَا الآمالُ تُدْنِي قَصْدَهُ ... بِسَنَاءِ (مُحْيِي الدِّينِ) ذَاكَ الأَنْجَبُ
شَهْمٌ مِنَ الصِّدِّيقِ نَالَ مَهَابَةً ... مِنْ صُبْحِهَا فِي الخَيْرِ يُجْلَى الغَيْهَبُ

رفع المسيهم

أَفْضَالُهُ كالغَيْثِ مُنْهَلاً فَعَنْ ... مَنْ رَامَ صَيِّبَ بِرِّهِ لا يُحْجَبُ
لكِنَّنِي عَنْهُ حُجِبْتُ لِحَاسِدٍ ... سَتْرَ الْمَحَاسِنِ وَالْقَبَائِحَ يَطْلُبُ
فَبَقِيتُ بَعْدَ الْبُعْدِ لاَ ذُقْتُ الضَّنَى ... كَأْسَ التَّأَسُّفِ والتَّلَهُّفِ أَشْرَبُ
وَشَفَى العِدا مِنْ بَعْدِ أَنْ شَمِتُوا وَقَدْ ... نَالَ الحَسُودُ بِكَيْدِهِ ما يَرْغَبُ
رِفْقاً بِمُخْلِصِ وُدِّكُمْ مَوْلايَ إِنْ ... ذُكِرَ البِعَادُ فَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
كذَبَ الَّذي قد قالَ إِنَّ فُؤَادَكُمْ ... لَصَفَاؤُهُ بَعْدَ التَّكَدُّرِ يَصْعُبُ
قَسَماً بِسَابِقِ فَضْلِكُمْ وجَمِيلِكُم ... إِنَّ المَدِيحَ بِذِكْرِكُمْ لَيُطَيَّبُ
ولَكُمْ عَفَافُ النَّفْسِ مَنْسُوبٌ وإِنْ ... في الإِفتراءِ أُولُو الجَهَالةِ أَطْنَبُوا
فاسلَمْ ودُمْ بالعِزِّ فِي شَرَفٍ وَفِي ... فَضْلٍ عَلىٰ طُولِ المَدَىٰ لا يَغْرُبُ

(٢٥١)

وقلت : [من الوافر]

كَفَىٰ أَعْدَاءَنَا أَنَّا بُدُورٌ ... وَهُمْ حُمُرٌ بِلا رَسَنٍ وجُلِّ
إِذا ما ذِكْرُنا فِي الكَوْنِ طَارَا ... كَسَاهُمْ بِالقَطِيعَةِ ثَوبَ ذُلِّ

(٢٥٢)

وقلتُ مادِحاً الشَّهمَ الوزيرَ الحَاجَّ حسن باشا والي سُوريا حالاً : [من الوافر]

هِلالُ العَدْلِ أَضْحَىٰ مُسْتَنِيرا ... فَسُورِيَّا بِهِ مُلِئَتْ سُرُورَا
وظَلَّ الكَوْنُ مُبْتَهِجاً يُرِينَا ... سَنَاءَ الأَمْنِ فِينَا دَارَ سُورَا
فَمَا نَخْشَىٰ مُخادَعَةَ اللَّيَالِي ... وأَنْتَ أَتَيْتَ للضُّعَفَا نَصِيرَا
مَلأَتَ الشَّامَ مِنْ كَرَمٍ وَفَضْلٍ ... فَكَانَ العِزُّ للعَلْيَا سَمِيرَا
فَمَا قُطْرٌ حَلَلْتَ رُبَاهُ إِلا ... يُفَجِّرُ فِيهِ نَائِلُكَ البُحورَا

رفع المسيهم

بِحَـزْمٍ لَـو بِجُـزْءٍ مِنْـهُ تَسْطـو ... علـىٰ سُـودِ اللَّيـالـي كُـنَّ نُـورَا
سَلُوا «بَيْرُوتَ» عَنْهُ كَمْ حَباها ... مَحَـاسِـنَ أَطْلَعَـتْ بَـدْراً مُنِيـرَا
وَظَلَّـتْ بـالسُّـرُورِ تَتِيـهُ عِـزّاً ... وأَمْسَـى الأَمْـنُ بِـالبُشْـرىٰ بَشِيـرَا
أَيـادِيـكَ الحِسَـانُ البِيـضُ سَـرَّتْ ... بِمِنْحَتِهـا المَـلا يحيَـى الحَصُـورَا
وَجـامِـعُ جِلَّـقَ قـدْ قـامَ يَـدْعـو ... بِجُنْـحِ اللَّيْـلِ مُصْطَبِحـاً شَكُـورَا
فَقَـدْ أَحْيَيْتَـهُ مِـنْ بَعْـدِ مَـا قَـدْ ... تَكَـادُ تُعَـدُّ سَـاحَتُـهُ قُبُـورَا
لَـكَ الـدَّعَـواتُ بـالخَيْـراتِ مِنَّـا ... دوَامـاً لا تَـرَىٰ مِنَّـا فُتُـورَا
أَيَـا حَسَـنَ الفِعَـالِ وبَحْـرَ حِلْـمٍ ... تَـزوَّدَ بـالتُّقَـىٰ زَاداً كَثِيـرَا
لقَـدْ أَبْـدَعْـتَ فـي صُنْـعٍ جَمِيـلٍ ... علـىٰ مَـرِّ اللَّيَـالِـي لَـنْ يَبُـورَا
إِذا مـا كُنْـتَ مُلْتَمِسـاً نَظِيـراً ... فَمَـا نُلْفِـي لَـهُ أَبَـداً نَظِيـرَا
فَـأُقْسِـمُ إِنَّ أَكْنَـافَ البَـوَادِي ... قَـدِ ابْتَهَجَـتْ بِـوَالِينَـا حُبُـورَا
هُمَـامٌ أَسْهَـرَ الأَجْفَـانَ لَيْـلاً ... بِصَـالِحِنَـا وكَـانَ بِـهِ خَبِيـرَا
فَنَجْـمُ الأَرْضِ مِنْـهُ فِـي سُـرورٍ ... يَـزِيـدُ بِمَـدحِـهِ الشَّهْـمَ الـوَزِيـرَا
فَشُكْـراً مَـا دَعَـا للهِ داعٍ ... وذَاكَ بِحَقِّـهِ يُلْفَـىٰ يَسِيْـرَا

(٢٥٣)

وقلتُ مُخَمِّساً، والأَصلُ لبعضهم: [من مجزوء الكامل]

ظَبْـيٌ بِـهِ البَـدرُ افْتَتَـنْ ... وبِلَحْظِـهِ السِّحْـرُ اكْتَمَـنْ
إِنْ فِيـهِ دَمعِـي قَـدْ هَتَـنْ ... (قَـالَ العَـوَاذِلُ مـا اسـمُ مَـنْ
أَضْنَـىٰ فُـؤَادَكَ قُلْـتُ أَحْمَـدْ)
جَمْـرُ الغَضَـاءِ لَقَـدْ وَقَـدْ ... فـي مُهْجَتِـي لَمَّـا ابْتَعَـدْ

وحِبَـالَ صَبْـرِي الهَجْـرُ قَـدْ (قَـالُـوا أَتحمـدُهُ وَقَـدْ
أَضْنَـىٰ فُـؤَادَكَ قُلْـتُ أَحْمَـدْ)

(٢٥٤)

وقلتُ في بعضِ مُصَنَّفاتِنا في أثناءِ بحثٍ في التَّوحيد: [من البسيط]

يا حَاضِراً في فُؤَادِي لَيْسَ يَحْجُبُهُ لَوْمُ العَذُولِ ولا ما زَخْرَفَ الوَاشِي
كَشَفْتَ لِي عَنْ جَمالٍ صِرْتُ فيه إِلىٰ غَيْبِ الشُّهُودِ وَسِرِّي لَيسَ بالفَاشِي
أَشْهَـدْتَنِـي أَثـراً كُـلُّ الجَمـالِ بـهِ والغَيْرُ قَدْ نَظَروا مِنْ عَيْنِ خَفَّاشِ
لَمْ يَعْلَمِ الغَمْرُ مِمَّا قَدْ أُفِيضَ لَنا غيرَ الرُّعُونَةِ في تَمْزِيقِهِم شَاشِي
ضَلَّتْ عَنِ الحَقِّ حُسَّادي فَقُلْتُ لَهُمْ قَوْمِي اقْطَعُوا بَيْنَكُم أَطْرَافَ نَبَّاشِي

(٢٥٥)

وقلت مُفْرداً:

مَا فِي الهَيُولَىٰ سِوَىٰ بَحْثِ الشَّقَاءِ طَوَىٰ لَيْلَ الضَّلالَةِ فِي تَزوِيقِ أَلْفَاظِ

(٢٥٦)

وقلت مَادِحاً أبا الخَيْر عابدين مُفتي دِمَشْقَ: [من البسيط]

إِنْ جُزْتَ بانَ الحِمَىٰ يا سَعْدُ بالأُصُلِ فاقْرَ السَّلامَ بِقَلْبٍ مِنْكَ مُبْتَهِلِ
ولُذْ بِسَفْحِ اللِّوَىٰ وَالْوِ العِنَانَ وقُلْ يا قَلْبُ مِنْ غَيْرِه العَلياءَ لا تَسَلِ
فَمِـنْ مَطـالِعِـه الآرَامُ قَـدْ سَفَـرَتْ في طَلْعَةِ البَدْر ما يُغْنِيكَ عن زُحَلِ
يَسْلُبْنَ لُبَّ الفَتَىٰ مِنْ لَمْحَةٍ شَفَعَتْ بالفَتكِ ما جَرَحَتْ بالأَعْيُنِ النُّجُلِ
مِـنْ كُـلِّ غَـانِيَـةٍ تُغنِـي بِطَلْعَتِهـا عَـنِ الغَـزَالـةِ حَلَّـتْ دَارَةَ الحَمَـلِ

رفع المسيهم

تَسْبِي عُقُولَ الأُلىٰ لِلْعِشْقِ قَدْ جَحَدُوا ... تُحْيِي وتَقْتُلُ بِالأَلْفَاظِ والمُقَلِ

ما الغُصْنُ إِنْ خَطَرَتْ مَا الظَّبْيُ إِنْ نَفَرَتْ ... والشَّمْسُ إِنْ سَفَرَتْ تَرْتَدُّ في خَجَلِ

وإِنْ تَصَوَّرَهَا وَهْمُ الخَيَالِ فَمَا ... وَفَّى مَحَاسِنَهَا بِالفِكْرِ والغَزَلِ

وَجْدِي القَدِيمُ بِها مِنْ قَبْلِ أَنْ عَلِقَتْ ... بِالجِسْمِ رُوحِي ولِلآبَادِ لَمْ يَزَلِ

والحُبُّ ظِلُّ جمالِ الحِبِّ شاخِصُهُ ... فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ

تَنَعَّمُ الرُّوحُ فِيهِ فِي مَجانِحِهَا ... لٰكِنَّ عَذْلَ العَذُولِ عِلَّةُ العِلَلِ

يُؤَلِّفُ الدَّمْعَ مُنْهَلاً وَمُنْسَجِماً ... ويَتْرُكُ القَلْبَ فِي يأْسٍ وَفِي أَمَلِ

للهِ أَيَّامُ وَصْلٍ كَانَ طَالِعُهَا ... سَعْدَ السُّعُودِ وَعَنْها الصَّدُّ فِي شُغُلِ

والحُبُّ سَارَ مِنَ العُلْوِيِّ نَشْأَتُهُ ... لِعَالَمِ التُّربِ للتَّكميلِ في الخَلَلِ

كَمَا سَرَىٰ مِنْ أَبِي الخيرِ [ضِيَاءُ] هُدًى ... أَنْوَارُهُ أَشْرَقَتْ فِينَا ولَمْ تَزَلِ

شَهْمٌ مَنَاقِبُهُ عَمَّتْ فَوَاضِلُهَا ... كُلَّ المَلا أَبَداً كالصَّيِّبِ الهَطِلِ

إِنْ تَطْلُبِ المِثْلَ فَهْوَ المُسْتَحِيلُ لَهُ ... فَمِثْلَهُ لَمْ تَجِدْ في الأَعْصُرِ الأُوَلِ

مِرْآةُ فَضْلٍ حَوَتْ ما في الأَنامِ مِنَ الـ ... ـكَمَالِ لٰكِنَّ ما تَحْوِيهِ لَمْ يَحُلِ

بَحْرُ العُلُومِ وَبَدْرُ المجدِ مِنْهُ زَهَتْ ... أَيَّامُنا فَرَحاً في أَبْهَجِ الحُلَلِ

إِنْ أَمَّهُ خائِفٌ مِنْ دَهْرِهِ ضَرَراً ... وَلَّتْ ضَرُورَتُهُ تَسْعَىٰ عَلَىٰ عَجَلِ

أَوْ يُسْعِفِ البَارِعُ المُضْنَىٰ بِنَظْرَتِهِ ... قَالَتْ براعَتُهُ دَهْري تَنَبَّهَ لِي

قلْ للسَّحائِبِ إِنْ تَحْكِي مكارمَهُ ... ليسَ التَّكَحُّلُ في العَيْنَيْنِ كالكَحَلِ

تَرَنَّحَ الدَّهْرُ مِنْ إِسْدَائِهِ مِنَناً ... قَدْ قَلَّدَتْ جِيدَهُ كالشَّارِبِ الثَّمِلِ

يُجَدِّدُ المَلَوانِ الشُّكرَ مِنْ جَذَلٍ ... ويُنْشِئُ الحَمْدَ في حَلٍّ ومُرْتَحَلِ

وأَصْبَحَتْ بِالهَنَا العَلِيا تُهَنِّئُهُ ... فأَرْسَلَتْ عِيدَها مِنْ جُمْلَةِ الرُّسُلِ

مَوْلايَ يا بْنَ الَّذي مِنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... طَابَتْ مَآثِرُهُ في القَوْلِ والعَمَلِ

رفع المسيهم

بُشْرَى الأَنَامِ تَوالىٰ عِيدُها وَبِكُمْ ... عَادَ الهَنا والسَّنا للسَّهْلِ والجَبَلِ
تَدْعو لَكُمْ بالبَقَا وُرْقُ الحَمَائِمِ مَا ... رِيحُ الصَّبا لاعَبَتْ غُصْناً مِنَ الأَثَلِ
وما بَدَا بارِقٌ مِنْ نَحْوِ كَاظِمَةٍ ... لَبَّاهُ سَحُّ الحَيا والوَقْتُ في جَذَلِ

(٢٥٧)

وقلت في مدح سعيد بك اليوسفيّ: [من البسيط]

يا حَادِيَ الرَّكْبِ مِلْ نَحْوَ الحِمَىٰ سَحَرَا ... وارْوِ البَشَائِرَ ما نَفْحُ الخُزَامِ سَرَىٰ
وَعُجْ بمَطْلَعِ أَقْمَارِ السَّعَادَةِ فِي ... رُبوعِ جِلَّقَ نِلْتَ الفَوْزَ والظَّفَرَا
وَاستَنْجِدِ العِزَّ مِنْ تِلْكَ الرُّبوعِ فما ... مِنْ غيرِها أَبداً عِزُّ الأَنَامِ يُرَىٰ
تِلْكَ الَّتي زَيَّنَتْ كُلَّ البِلادِ وَفي ... إِسْفارِ طَلْعَتِها كَمْ أَطْلَعَتْ قَمَرَا
سَمَاءُ أَرْجَائِها بالغَيْثِ إِنْ هَطَلَتْ ... كَمْ مُسْتَغِيثٍ بِهَا يَسْتَمْطِرُ الدُّرَرَا
دَعْ ذِكْرَ بَانِ اللِّوىٰ وَالوَجْدَ فيهِ فَقَدْ ... أَخْفَتْ بِسِرِّ اسْمِها تَذْكَارَ مَنْ غَبَرَا
مَعاهِدُ الأُنْسِ بَلْ دَارُ النَّعيمِ وكَمْ ... عَنْ وِرْدِ كَوْثَرِها الإِسْعَادُ ما صَدَرَا
مَا السَّفْحُ ما المُنْحَنىٰ إِلا حُنُوُّ ظُبا ... عِينٍ بِها سَفَحَتْ وَبْلَ الدِّما سَحَرَا
مِنْ كُلِّ فاتكَةٍ بالقَدِّ آنِسَةٍ ... أَلْبَابَنا طَرْفُهَا الفَتَّانُ قَدْ سَحَرَا
مُطاعَةِ اللَّحْظِ في العُشَّاقِ ما نَظَرَتْ ... إِلا وَسَاقَتْ إِلىٰ حَرِّ الهَوَىٰ زُمَرَا
لم تَحْنُ يَوْماً علىٰ صَبٍّ قَضَىٰ أَسَفاً ... بالرُّوحِ والنَّفْسِ ساعاتِ الوصالِ شَرَىٰ
مَعاهِدٌ للهَوَى العُذْرِيِّ ما طَمَحَتْ ... إِلى الهَوَىٰ نَفْسُهُ واللَّحْظُ إِنْ نَظَرَا
مُهَيَّمٌ فِي رِيَاضِ الحُسْنِ ليسَ لَهُ ... لُبٌّ بِهِ يَهْتَدي أَو يُحْسِنُ النَّظَرَا
قَدْ ضَلَّ لَوْلا الهُدىٰ مِنْ طُور مَنْ سَطَعَتْ ... أَنْوَارُ أَفْضَالِهِ فاستَعْبَدَ البَشَرَا
غَوْثُ المَلا بَلْ جَمالُ الدِّينِ بَهْجَتُهُ ... مِنْ وَصْفِ آلائِهِ قَدْ حَيَّرَ الشُّعَرَا

لـو أَنَّ مِعْشَـارَ مـا عَـمَّ الأَنَـامَ بـهِ ... للسُّحْبِ أَغْنَتْ بِهِ البَادِينَ والحَضَرَا

يكـادُ ثَـاقِـبُ أَفكَـارِ الفِـرَاسَـةِ أَنْ ... يَرْوي عَنِ الزَّمَنِ الآتِي لَنَا خَبَرَا

في هِمَّةٍ خَضَعَتْ صُمُّ الجِبَالِ لَها ... لَوْ ساوَرَتْ أُسُداً ما ذُقْنَ طَعْمَ كَرَىٰ

وَمَنْ غَدا نَاصِراً للشَّرعِ مُعْتَصِماً ... بـاللهِ كَـانَ علـى الأَعْـدَاءِ مُنْتَصِـرَا

في صَفْحَةِ الدَّهْرِ لا زالَتْ مَحَامِدُهُ ... تُمْلِي وَتُنْشِئُ مِنْ أَوصَافِهِ سُوَرَا

ما شِئْتَ مِنْ حَمْدِهِ قُلْ فَالحَمِيدُ لَقَدْ ... أَعْطَاهُ ما قَدْ تَرىٰ فِي النَّاسِ مُنْتَشِرَا

والفَضْلُ مَوْهِبَةُ المَنَّانِ مِنْ قِدَمٍ ... في جَوْهَرِ العَالَمِ الكَوْنيِّ قَدْ ظَهَرَا

يا بْنَ الأُلىٰ مِنْ سَنا إِشْرَاقِ طَلْعَتِهِمْ ... وَلَّى الظَّلامُ وصُبْحُ المَجْدِ قَدْ سَفَرَا

إِلَيْهِمُ المَجْدُ لا يَنْفَكُّ ذَا شَغَفٍ ... وعِزُّ مَنْ رَامَهُم لا يَطْلُبُ السُّفَرَا

أَوْصَافُكَ الغُرُّ في جِيدِ المَلا مِنَنٌ ... جَمَـالُهَـا جَمَّـلَ الأَسْفَـارَ والسِّيَـرَا

إِنْ رَامَ جَاحِدُها سَتْرَ الشُّمُوسِ نَقُلْ ... عِنْدَ انكِشَافِ الغِطَا عَنْ عَيْنِهِ سَيَرَىٰ

لله مَنْقَبَـةٌ فِيكُـمْ لَقَـدْ شَـرُفَـتْ ... عَنْ نَيْلِ إِدْرَاكِها أَوْجُ العُلا قَصُرَا

وأَصْبَحَ الدِّينُ فِي أَفْلاكِ بَهْجَتِهِ ... دَوْمـاً بِمَشْيَخَـةِ الإِسْـلامِ مُفْتَخِـرَا

والعِيـدُ عـاوَدَهُ أُنْـسُ المَسَـرَّةِ إِذْ ... فِي رُكْنِ أَفْضَالِكُمْ قد طافَ واعْتَمَرَا

فَلْيَهْنِـهِ شَـرَفٌ طَـالَ السِّمـاكَ بِـهِ ... مُوَشَّحاً مِنْ سَنا عَلْيائِكُمْ حِبَرَا

مولايَ تُهْدَى لَكُمْ خَوْدٌ لَهَا أَمَلٌ ... بِأَنْ تَرَىٰ عَبْدَكُمْ في بَالِكُم خَطَرَا

فَتِلْـكَ أَنْعُمُـهُ الـلاَّتـي بهـا لَهِـجٌ ... فَحَبَّـذا بِـالمُنـىٰ إِنْ لَحظَـةً ظَفِـرَا

ما فَاحَ نَفْحُ كَبا دُمْتُم لَنا شَرَفاً ... وَذَا دُعَـاءٌ بِـهِ نَفْـعُ المَـلاَ ظَهَـرَا

(٢٥٨)

وقلتُ في صدر رِسالةٍ أَرسلتُها له : [من البسيط]

يُقَبِّـلُ الأَرْضَ مَمْلُـوكٌ وَظِيفَتُـهُ بَذْلُ المَحَامِدِ في حَلٍّ ومُرْتَحَلِ
مُرَتِّلٌ آيَةَ الشُّكرَانِ ما صَدَحَتْ حَمَائِمُ البِشْرِ في الإِبكَارِ وَالأُصُلِ

(٢٥٩)

وقلت في واقعة حال : [من الوافر]

يُـلاَقِيـهِ الحَبِيـبُ بِكُـلِّ يَـوْمٍ مَـراراً والعَـواذِلُ فـي اغْتِمَـاضِ
ويَنْظُـرُ فـي رِيَـاضِ الـوَجْـهِ وَرْداً غَـدا فـي حِفْـظِ أَلحَـاظٍ مِـرَاضِ
يُنَـاديـهِ تَمَتَّـعْ يـا سَمِيـرِي بِمَـا تَخْتَـارُ إِنِّـي عَنْـكَ رَاضِـي

(٢٦٠)

وأنشَدَني بعضُ الأُدباء من قوله : [من الطويل]

عَهِـدْتُ لَـهُ أَلاَّ أَهِيـمَ بِغَيْـرِهِ وَهِمْـتُ بِـهِ وَجْـداً بِغَيْـرِ ضَمَـانِ
أُصَلِّي فَأَبْكِي في الصَّلاةِ لِذِكْرِهِ لِـيَ الـوَيْـلُ مِمَّـا يَكتُـبُ المَلَكَـانِ

(٢٦١)

فَقُلْتُ : [من الطويل]

يُعَـاهِـدُنـي أَلاَّ أَهِيـمَ بِغَيْـرِهِ وفَوْقَ النُّجُومِ الزُّهْرِ كَانَ مَكَانِي
إِلَى الحُسْنِ أَصْبُو حَيْثُ لاَحَ وإِنَّنِي سِهَامٌ بِنَحْرِ الصَّدِّ حَرْبُ زَمَانِي
فَلا الأَهْيَفُ الفَتَّانُ يَمْلِكُ مُهْجَتي ولا الشَّادِنُ الشَّادِي يَحُلُّ جَنَانِي
أَنـا المُفْـرَدُ العَـلاَّمُ ضَيْغَـمُ وَقْتِـهِ أَنَـا الفَـاتِـكُ الصَّـدَّامُ يَـومَ طِعَـانِ

رفع المسيهم

(٢٦٢)

وقُلْتُ مُهَنِّئاً قاضِي دمشق الشَّام مكي بك بالوِسام المَجيديِّ الأَول:

[من الكامل]

أَحْلَىٰ وَأَعْذَبُ مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَلِ ... وأَلَذُّ مِنْ ذِكْرَى الحَبِيبِ ومَنْزِلِ

وأَعَزُّ مِنْ زَمَنِ الصِّبا حَيْثُ الصَّبا ... تُهدِي إِلى المَشْغُوفِ عَرْفَ المَنْدَلِ

والرَّوْضُ باكَرَهُ الحَيَا فَتَرَنَّحَت ... أَغْصَانُهُ سَحَراً بِهَزِّ الشَّمْأَلِ

وَجَرَىٰ علىٰ دُرَرِ الحِياضِ لُجَيْنُهُ ... يَنْسَابُ بَيْنَ مُقَيَّدٍ ومُسَلْسَلِ

مَدْحِي إِمامَ المَجْدِ مَكِّيَّ العُلا ... جَمَّ الفَضَائِلِ ذا المَقَامِ الأَكْمَلِ

شَهْمٌ بِهِ هٰذا الزَّمانُ لَقَدْ غَدَا ... مُتَفَاخِراً والبُؤْسُ عَنْهُ بمَعْزِلِ

لَوْ رَامَ أَوْجَ البَدرِ يَحْكُمُ مَنْزِلاً ... لاشْتَاقَهُ أَعلى السِّمَاكِ الأَعْزَلِ

فِي هِمَّةٍ لَوْ سَاوَرَتْ أَسَدَ الشَّرىٰ ... لَهَوَىٰ صَرِيعاً للثَّرَىٰ لِمُقَبَّلِ

تُثْنِي عَلَيهِ المَكْرُمَاتُ مَعَ العُلا ... مَا بَيْنَ مُجْمَلِ مَدْحِهِ ومُفَصَّلِ

وإِذَا العُفَاةُ بِهِ لَثَمْنَ يَدَ النَّدَىٰ ... بالجُودِ مِنْهُ وَرَدْنَ أَعْذَبَ مَنْهَلِ

وبِهِ الشَّرِيعَةُ لا يَزَالُ صَبَاحُها ... مُتَبَلِّجاً يَسْمُو بِمِنْهَاجٍ جَلِي

والحَقُّ مَرْفُوعُ العِمَادِ ونُورُهُ ... ما لاحَ نَجْمٌ في دُجَى اللَّيلِ عَلِي

طُوبىٰ لِجِلَّقَ كَمْ بِهِ قَدْ أَصْبَحَتْ ... بالعِزِّ في حُلَلِ المَفَاخِرِ تَنْجَلِي

ورُبُوعُها حَيَّا الحَيَا أَرْجَاءَها ... فالعِزُّ عَنْ أَرْبَابِها لَمْ يَعْدِلِ

رَوْضُ التَّهَانِي قَالَ مُذْ أَرَّخْتُهُ ... (وحيُ افتِخَارِي) لم يَزَلْ بِمُرَتِّلِ

سنة ١٣١٦ هـ

يا بَهْجَةَ العَصْرِ الحَمِيدِ وطَالِعَ السَّـ ... ـعْدِ المَجِيدِ ومَأْمَلَ المُتَوَسِّلِ

رفع المسيهم

تَهْنَا بِكَ الرُّتَبُ العَلِيَّةُ ما انْثَنىٰ ... غُصْنُ البَشَائِرِ بالصَّفَا لِمُؤَمِّلِ
اِنْعَمْ بِإِنْعَامِ الحَمِيدِ مَلِيكِنَا ... بِتَعطُّفٍ بِسَنَا التَّوَجُّهِ يَعْتَلِي
ما قَالَ إِذْ أَرَّخْتُهُ (نَفْحُ الهَنَا ... بُشْرَىٰ بِنِيشَانِ المَجِيدِي الأَوَّلِ)

سنة ١٣١٦هـ

(٢٦٣)

وقلْتُ مُشَطِّراً، والأَصْلُ لِبعضِهم: [من الطويل]

(وَلَمَّا تَبَدَّتْ للرَّحيلِ جِمَالُنا) ... وذابَتْ بِنَارِ الوَجْدِ مِنَّا الأَضَالِعُ
وآنَ أَوَانُ البُعْدِ عَنْ حَيِّ حِبِّنا ... (وَجَدَّ بِنَا سَيْرٌ وفَاضَتْ مَدامِعُ)
(تَبَدَّتْ لَنَا مَذْعُورَةً مِنْ خِبَائِها) ... مَهَاةٌ حَيَاةُ النَّفْسِ مِنْهَا مَطَامِعُ
تَلُومُ على البُعْدِ المُبَرِّحِ بالحَشَا ... (ونَاظِرُها باللُّؤْلُوِ الرَّطْبِ دَامِعُ)
(أَشَارَتْ بأَطْرَافِ البَنَانِ وَوَدَّعَتْ) ... مُحِبّاً لِنِيرَانِ الهُمُومِ مُضَاجِعُ
تَنَفَّسَتِ الصُّعَدَاءَ خَوْفَ فِرَاقِنا ... (وَأَوْمَتْ بِعَيْنَيهَا مَتَىٰ أَنْتَ رَاجِعُ)
(فَقُلْتُ لَهَا وَاللهِ مَا مِنْ مُسافِرٍ) ... قَدِ اشْتَاقَهُ غِبَّ الرَّحِيلِ مَوَاضِعُ
يُقَلِّبُ أَطْرَافَ البَوادي حِينَمَا ... (يَسيرُ ويَدْري ما بِهِ اللهُ صَانِعُ)
(فَسَالَتْ نِقَابَ الحُسْنِ مِنْ فَوْقِ وجْهِها) ... فَأَشْرَقَ نُورٌ بالمَحَاسِنِ سَاطِعُ
ونَادَتْ قَضَاءُ اللهِ كَانَ مُحَتَّماً ... (وسَالَتْ مِنَ الطَّرْفِ الكَحِيلِ مَدامِعُ)
(وقالَتْ إِلٰهِي كُنْ عَليهِ خَلِيفَةً) ... فَأَنْتَ لِمَا أَدعُوهُ يا حَيُّ سامِعُ
وَأَنْتَ لَنِعْمَ العَوْنُ فِي كُلِّ حالَةٍ ... (فيا رَبِّ مَا خَابَتْ لَدَيْكِ الوَدائِعُ)

رفع المسيهم

(٢٦٤)

وقُلْتُ في مَدْحِ الشَّهم الخَطيرِ والوزيرِ الكبيرِ أحمد باشا الشَّمعة :

[من الكامل]

بـالصَّبْـرِ يَصْفُـو مَـوْرِدُ المُتَـأَمِّـلِ ... ويَرَى المُنىٰ بِسَنَاهُ عَذْبَ المَنْهَلِ

وإذا تَـأَلَّـقَ بَـرْقُ عَلْيَـا مِـنْ غُـوَيْـ ... ـرِ العِـزِّ بَـادَرَ نَحْـوَ ذَاكَ المَنْـزِلِ

قَدْ يُنْشِئُ اليَاقُوتُ تَأثيرَ الذَّكا ... والبَـدْرُ والجُلْمُـودُ عَنْـهُ بِمَعْـزِلِ

والقَطْرُ في الأَصْدافِ يَعْقِدُ جَوْهَراً ... يَسْمُو علىٰ هَامِ المَلِيكِ الأَمْثَلِ

والنَّفْسُ إن عَرَفَتْ حَقِيقَةَ ذَاتِها ... كَانَتْ إِلَى سَبْقِ العُلا فِي الأَوَّلِ

فَـأَنِـرْ زُجَـاجَتَهـا بِنُـورِ العِلْـمِ كَـيْ ... تَعْلُـو عَلىٰ هَـامِ السِّمـاكِ الأَعْـزَلِ

وإذا تَذَكَّرَتِ الحِمَىٰ حَنَّتْ إِلىٰ ... إِيـلافِهـا فَحَكَـتْ غِنَـاءَ البُلْبُـلِ

وَصَبَتْ إِلىٰ شَرْعِ الغَرامِ تَهِيمُ في ... بَيْـدَا التَّسَلِّـي بـالغَـزَالِ الأَكْحَـلِ

رِيـمٌ إِذا حُـورُ الجِنَـانِ رَأَيْنَـهُ ... قَطَّعْـنَ أَيْـدِي نَفْسِهـا بِـالمُنْصُـلِ

يَسـري مِـنَ المَـلأِ العَلـيِّ جَمَـالُـهُ ... فيَـذُوبُ شَـوْقـاً فيـهِ هَـامَـةُ يَـذْبُـلِ

لَـوْ أَنَّ بَـدْرَ التَّـمِّ أُعْطِـيَ مِنْحَـةً ... مِـنْ حُسْنِـهِ وضِيَـائِـهِ لَـمْ يَـأْفُـلِ

حُلَـلَ البَهـاءِ بِـهِ لَقـد لَبِـسَ البَهـا ... مُتَلَـوِّنـاً فِـي كُـلِّ شَكْـلٍ مُشْكِـلِ

وَقُوَى التَّخَيُّلِ أَصْبَحَتْ فِي أَسْرِهِ ... فَلِـذاكَ غَيْـرَ مِثَـالِـهِ لَـمْ تَنْقُـلِ

والحُـبُّ للسِّـرِّ الكَثِيـفِ مُلَطِّـفٌ ... وأَرَقُّ مِـنْ مَـرِّ الصَّبَـا والشَّمْـأَلِ

ومَـذاقُـهُ لِـذَوِي الصِّيـانـةِ والـوَفَـا ... أَحْلَىٰ وأَعْذَبُ مِنْ رَحِيقِ الشَّمأَلِ

لَـوْ أَنَّ رَضْـوَىٰ حُمِّلَـتْ أَثْقـالَـهُ ... أَجْيَـادُهُ لَعَـرَتْـهُ هِـزَّةُ أَفْكَـلِ

بالحَزْمِ يَظْفَرُ بالمَقَاصِدِ مَنْ جَلاَ ... بالرَّأْيِ غَيْنَ مَشاكِلٍ لَمْ تُحْلَلِ

ولِكَتْـمِ أَسْـرارِ الفُـؤَادِ لَـهُ علـىٰ ... رُتَـبِ المَعَـالـي رُتْبَـةُ المُتَفَضِّـلِ

رفع المسيهم

والغَائِبُ المَطْلُوبُ فِي طَيِّ المَشَا ... هِدِ حَاضِرٌ فِي كُلِّ مَعْنًى مُقْفَلِ
سَارَ الوَرىٰ مِنْ جَاهِهِ ونَوالِهِ ... عَنْ نَفْعِ أَرْبَابِ الحِجَا لا يَأْتَلِي
ولمَن أَنارَ العَقْلَ بالعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ الَّذي عَنْ نَهجِهِ لَمْ يَعْدِلِ
يَرْوِي عنِ الأَفْضَالِ أَخبارَ العُلا ... عن أَحمَدِ الأَفعالِ بالنَّصِّ الجَلِي
فَخرُ الأُولىٰ بالمَكْرُماتِ لَقَدْ غَدَوا ... بِنَوالِهِمْ كالغَادِيَاتِ الهُطَّلِ
مَنْ رَامَ حَصْرَ مَناقِبٍ قَدْ حَازَها ... يَرْنُو إِلىٰ فَلَكِ الثَّوابِتِ مِنْ عَلِي
هُوَ شَمْعَةُ المَجْدِ الّتي شَمْسُ الضُّحىٰ ... مِنْها اسْتَمَدَّتْ نُورَها فِي الأَوَّلِ
كَمْ يُنْتِجُ البُرهَانُ مَدْحاً قَدْ غَدا ... قُطْباً لِدائِرَةِ الأَدِيبِ الأَكمَلِ
هُوَ عِصْمَةُ اللاَّجي إِذا خَطْبٌ دَجا ... وسَنَا الوَفاءِ ومَأْمَلُ المُتَوَسِّلِ
نَصَرَ العُفاةَ على الزَّمانِ فأَصْبَحُوا ... فِي بَهْجَةِ العَيْشِ الهَنِيِّ المُقْبِلِ
ويكَادُ مِنْ فَرْطِ الذَّكاءِ يُجِيبُ عنْ ... ما قَد خَفَا في الحَالِ والمُسْتَقْبَلِ
في هِمَّةٍ تَرَكَتْ عِداهُ بِشُؤْمِهِمْ ... لِلَظَى التَّحَسُّرِ والتَّقَهْقُرِ تَصْطَلِي
مَوْلايَ يا بْنَ الأَكْرَمِينَ وَمَنْ لَهُمْ ... أَوْجَ المَفاخِرِ والمَعَالي نَعْتَلِي
وَنَرى العِدَاةَ بِنَظْرَةٍ مِنْ مَجْدِهِمْ ... مُتَمَزِّقِينَ على الحَضِيضِ الأَسْفَلِ
جَارَتْ عَلَيَّ بَنُو اللِّئامِ كَأَنَّهُمْ ... لا يَعْلَمُونَ بِأَنَّ جَاهَكَ مَأْمَلِي
فَجَعَلْتُ أَسْفارَ العُلومِ مُنادِمي ... أَجْنِي السَّنا فِي هَيْئَةِ المُتَبَتِّلِ
وأَرَى المُنىٰ قَدْ ظَلَّ وَقْتَ مَجِيئِهِ ... ونَجَاحِهِ والضِّدُّ عَنْهُ بِمَعْزِلِ
فَأَنِرْ دُجَا لَيْلِي بِصُبْحٍ مِنْكَ يا ... شَمْسَ المَكَارِمِ والعُلا وتَفَضَّلِ
لا زِلْتَ كَهْفَ المُسْتَجِيرِ مُهَنَّئاً ... بالعِزِّ ما القُرآنُ فِي الدُّنيا تُلِي

(٢٦٥)

وقلْتُ ارتِجالاً عِنْدَما تَكَلَّمْتُ علىٰ «لَوْ» في حاشيتي علىٰ «شرح الألفيَّة» لابن النَّاظم بدر الدِّين: [من الوافر]

وَكَمْ مِنْ قَائِلٍ «لَوْ» بَعْدَ عَضٍّ ... كُفُوفاً قَارِعاً سِنّاً زَمَانَا
يُعَاتِبُ دَهْرَهُ حِيناً ويَشْكُو ... فلا يُعْطِيهِ مِنْ جَوْرٍ أَمَانَا
تَحَيَّرَ في صُرُوفِ الدَّهْرِ حَتَّىٰ ... بِحَبْلِ اللهِ قَدْ أَمْسَىٰ مُصَانَا

(٢٦٦)

وقلتُ في الأمير طاهرِ بن الأميرِ أحمدَ بنِ الأميرِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ عبدِ القادرِ الجَزَائِرِيِّ: [من الوافر]

إِذَا مَا قِيلَ مَنْ رُوحُ المَعَالي ... بِأَصْلٍ لَمْ يَزَلْ في الكَوْنِ طَاهِرْ
فَقُلْ مَنْ حَازَ مَجْداً لا يُبارىٰ ... أَميرُ الفَضْلِ والعَلْيَاءِ (طَاهِرْ)

(٢٦٧)

وقُلْتُ حينَ صارَ إكليل بِك المُؤَيَّد وكيلَ قَائِمِ مَقَامِ قَضَاءِ «دُومَا» إثْر حَادِثَةٍ طَويلةٍ: [من الكامل]

وَرْدُ المَسَرَّةِ قَدْ غَدا مَشْمولا ... يُنْهي المَحَامِدَ بُكْرَةً وأَصيلاَ
وحَمَائِمُ الأَفْراحِ في رَوْضِ الهَنا ... تَشْدُو فَتَسْبِي بالثَّنَاءِ عُقُولاَ
وَزَهَتْ بُدُورُ العِزِّ لَمَّا أَنْ بَدَا ... نَجْلُ المُؤَيَّدِ للعُلا إِكْلِيلاَ
وَرِيَاضُ «دوما» تَزْدَهِي بالعِزِّ إِنْ ... أَضْحَىٰ لَهَا بِجَنَى الصَّلاَحِ كَفِيلاَ
وقَضَاؤُهَا لَمَّا تَوَكَّلَ أَمْرَهُ ... يَدْعُو الإِلَهَ بِأَنْ يَكُونَ أَصيلاَ

رفع المسيهم

ما نَسَّمَتْ ريحُ الصَّبا إلاَّ شَدا ... يا ذَا الجَلالِ احْفظْ لَنا إكْلِيلاَ
شَهْمٌ إلى المِسْكِينِ أَكْرَمُ مَلْجَأٍ ... يُولِي الظَّلُومَ المُعتَدِي تَنْكِيلاَ
وَبَنو المُؤَيَّدِ قَدْ عَلَوْا قَدْراً علىٰ ... أَوْجِ السِّماكِ وكَانَ ذاكَ قَلِيلاَ
فَهُمُ الكَمالُ فَلَنْ تَرَىٰ مِنْ فَاضِلٍ ... إلاَّ وَرَتَّلَ مَدْحَهُمْ تَرْتِيلاَ
وبِمُهْجَتِي إكلِيلُ مَجْدٍ مِنْهُمُ ... جَعَلَ المَكارِمَ للثَّنَاءِ دَلِيلاَ
لا زَالَ مَعْشُوقَ العُلا ما أَطْرَبَتْ ... وُرْقُ الحَمامِ مُتَيَّماً مَتْبُولاَ

(٢٦٨)

وقُلْتُ مَادِحاً [الأُستاذَ المُرْشِدَ الكَامِلَ صَاحِبَ السِّيادَةِ الشَّيخَ محمداً أَبَا الهُدَى أفندي الرِّفاعيَّ الصَّيَّادِيَّ، وأرْسَلْتُهُ إلى الآسِتَانَةِ العَلِيَّةِ][1]: [من الطويل]

تَجَلَّىٰ جَمَالُ الحَقِّ في عَالَمِ السِّرِّ ... ونُورُ الهُدَىٰ عَمَّ الوُجُودَ مَدَى الدَّهْرِ
تَسَابَقَ أَهْلُ الذَّوْقِ لِلْحَانِ بُكْرَةً ... فَمَا فَازَ إلاَّ مَنْ لَهُ جُنْحَ الدُّجَا يَسْري
يَحُثُّ مَطَايا الشَّوقِ نَحْوَ أَريجِهِ ... بِلُبٍّ خَفُوقٍ مِنْ غِنَا صَادِحِ الفِكْرِ
إذا بُلْبُلُ الإسْعَادِ غَرَّدَ فِي عُلا ... غُصُونٍ بأَدْواحٍ تَرَنَّحَ مِنْ سُكْرِ
دَعَاهُ نَدِيمُ الوَصْلِ فاهْتَزَّ هَائِماً ... يُكَنِّي عَنِ الأَسْرَارِ بالجِيدِ والخَصْرِ
فَطَوْراً يَقُولُ الحَدُّ والرَّسْمُ ذَا وَذَا ... ويَسْتُرُ بالتَّشْبِيبِ ما جَالَ في الصَّدْرِ
أَدَارَت على النُّدْمَانِ كَأْسَ مُدَامَةٍ ... مَهَاةٌ مُحَيَّاهَا يَفُوقُ سَنَا البَدْرِ
وَطَوْراً لأَنْوارِ تَجَلِّيهِ مُنْشِداً ... جَلَبْنَ الهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ أَدْري ولا أَدْري
إذَا السَّالِكُ السَّارِي تَنَسَّمَ طِيبَهَا ... يَعُدُّ لَيَالِي الوَصْلِ مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ

---

(١) ما بين معكوفين ورد في الأصل بخط مؤلفه مشطوباً عليه، ولَعلَّ ذلكَ لما يُعلم مما صار إليه حالُ أبي الهُدىٰ الصياديِّ بعد خلعِ السُّلطانِ عبدِ الحميدِ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وتغيُّر موقفِ المؤلفِ ومنهجِهِ.

رفع المسيهم

وفي صِبْغَةِ الأَكْوانِ ظَلَّ مُفَكِّراً ... يُنَادِمُ سِرّاً لاحَ في الشَّفْعِ والوَتْرِ
طَوَىٰ صُحُفَ الأَغْيارِ وانْتبذَ السِّوَىٰ ... يُقَلِّبُ وَجْهاً في المَجَرَّةِ إِذْ تَجْري
فَمِنْ أَيْمَنِ الوَادي تَيَمَّنَ نَظْرَةً ... بِهَا دَكَّ طُورَ القَلْبِ وارْتَاحَ للسِّرِّ
تَجَلَّتْ لَهُ مِنْ عَالَمِ القُدْسِ نَشْأَةٌ ... يَفُوحُ بِها الإِمْدَادُ في أَطيَبِ النَّشْرِ
فُتُوحٌ من القُطْبِ الإمامِ (أَبِي الهُدَىٰ ... محمدٍ) آل اللهِ فِي حَانَةِ الذِّكْرِ
ونُخْبَةِ أَشْرَافٍ لأَحْمَدَ تَنْتَمِي ... فَمِنْ نُورِهِ يَهْدي الَّذي ضَلَّ بالغَيْرِ
لَدَىٰ حَضْرَةِ التَّقْدِيسِ والمَدَدِ الَّذِي ... يَجِلُّ عَنِ الإِحْصَاءِ حَدِّثْ عَنِ البَحْرِ
هُوَ المُفْرَدُ العَلاَّمُ سَيِّدُ وَقْتِهِ ... إمامٌ لأَهْلِ الحَقِّ بَلْ وَاحِدُ العَصْرِ
بِسِرٍّ سَمَا فَوْقَ السِّماكِ فَلَو سَرىٰ ... لِمَيْتٍ لَقَامَ المَيْتُ حَيّاً مِنَ القَبْرِ
هُمَامٌ ونَظَّارٌ بِعَيْنِ إِلَهِهِ ... ضَمَائِرَ غَيْبٍ نَيِّراتٍ لِذي الخُبْرِ
أَدَارَ مِنَ الأَذكَارَ كَأسَ سُلافَةٍ ... يَظَلُّ مُرِيدُ الصِّدْقِ مِنْهَا علىٰ طُهْرِ
وفي مَشْهَدِ الإِحْسَانِ أَطْلَعَ نَيِّراً ... يَسيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ في عَالَمِ الأَمْرِ
رُموزُ كُنُوزِ الذَّوْقِ أبرَزَ دُرَّها ... لَدَىٰ حَضْرَةِ الإِينَاسِ بالنَّظْمِ والنَّثْرِ
فكُلُّ بَليغٍ رَامَ حَصْرَ مَدِيحِهِ ... تَرَدَّىٰ ثِيَابَ العَجْزِ في مَحْفِلِ الفَسْرِ
فلا زَالَ مَشْكُوراً يُرَدِّدُ مَدْحُهُ ... علىٰ أَلْسُنِ النُّدْمانِ ما غَرَّدَ القُمْرِي

(٢٦٩)

وقلتُ مادِحاً صاحبَ السَّعادَة صادقَ باشا المُؤَيَّد لَمَّا أرسَلَه فخرُ آل عُثمان السُّلطان عبدُ الحَميد من القُسطنطينية إلى الشَّام لأجل ملاحَظَةِ الخَطِّ الحديديّ (الشمندفير) الذي تجدَّد بين دمشق وأرض الحجاز في مُحرَّم سنة ثماني عشرة وثلاث مئة وألف هجريَّة : [من البسيط]

حَلَّ السُّرُورُ بأَرْضِ الشَّامِ فابْتَهَجَتْ ... أَرْجَاؤهَا بالهَنَا والعِزُّ قَدْ وَفَدَا

وبُلْبُلُ السَّعْدِ بالأَفْراحِ يَهْتِفُ مَا ... نَجْلُ المُؤَيَّدِ يُولِيها العُلا أبَدَا
رِياضُها تَزْدَهِي بالبِشْرِ إنْ سَفَرَتْ ... عن صَادِقِ القَوْلِ إفْضَالٌ لَهَا وَرَدَا
والسَّعْدُ ما شَمْلُهَا في مَجْدِهِ اتَّصَلا ... أَضْحَىٰ لِبَهْجَتِها طُولَ الزَّمَانِ رِدَا
لَمَّا شَكَتْ بُعْدَها عنْ سَفْحِ كَاظِمَةٍ ... وعَنْ مُنَىٰ مَرْبَعٍ بالكَعْبَةِ اتَّحَدَا
وأذْرَفَتْ مَدْمَعاً مِنْ بعد ذِي سَلَمٍ ... قَدْ سَالَ مِنْ وَجْدِها والشَّوقُ في بَرَدَىٰ
أفَاضَ رُوحُ المَلاَ فَخْرُ المُلُوكِ عَلَىٰ ... أَعْطَافِها مِنَناً مَوْصُولَةً بِنَدَىٰ
فَقَرَّبَ البُعْدَ مِنْ أَرْضِ الشَّآمِ إلَىٰ ... أَرْضِ الحِجَازِ بإنْعَامٍ لَهُ اسْتَنَدَا
واخْتَارَ حَاجِبَهُ فَخْرَ الأماجِدِ لِلْـ ... ـخَطِّ الحَدِيدِي فَثَغْرُ العِزِّ مِنْهُ بَدَا
تِلْكَ المَزَايا لَهَا ارْتَاحَ الوُجُودُ وَكَمْ ... مِنْ شاكِرٍ فَضْلَها فِي شُكْرِهِ اجْتَهَدَا
في عَالَمِ الكَوْنِ لَمْ يُعْهَدْ لَهَا مَثَلٌ ... ولا نَحا نَحْوَها مِنْ قَبْلُ من وُجِدَا
لَمْ تَرْضَ كُفْؤاً لَهَا إلا المُؤَيَّدَ مَنْ ... فِي قَوْلِهِ صَادِقٌ والكُلُّ قَدْ شَهِدَا
مَولًى لَهُ عَشِقَتْ رُوحُ الثَّنَاءِ لِذَا ... فِي طَالِعِ المَدْحِ بَدْرُ النَّظْمِ قَدْ سُعِدَا
لا يَحْصُرُ المَادِحُ المُطْرِي مَنَاقِبَهُ ... لَوْ أَفْرَغَ الجُهْدَ واخْتَارَ السِّوَىٰ مَدَدَا
لا زَالَ مُرتَقِياً بالعِزِّ ما بَزَغَتْ ... شَمْسُ التَّهانِي لَهُ والكُلُّ قَدْ حَمِدَا

(٢٧٠)

وقُلْتُ: [من البسيط]

ما لِلْمَعَالِي سِوَىٰ آلِ النُّهىٰ أَهْلُ ... وَمَنْهَلُ العِزِّ بالتَّهْذِيبِ قَدْ يَحْلُو
فاستَعْمِلِ الرَّأْيَ فِي كُلِّ الأُمُورِ تَفُزْ ... فالصَّادِقُ الحَزْمِ لا يَنْتَابُهُ جَهْلُ
في صَفْحَةِ الكَونِ أسْطَارٌ بِهَا حِكَمٌ ... مِنْ نُورِها يَستَضِيءُ الفِكْرُ والعَقْلُ
تِلْكَ المَعَاهِدُ كَمْ أَحْيَا النَّسِيمُ بِها ... مَيْتَ الغَوَايَةِ لَمَّا اشْتَاقَهُ الفَضْلُ

وَمَنْ أَتَىٰ سَيِّئَ الأَخْلاقِ مُفْتَخِراً ... بالإِفْكِ في سَيْرِهِ قُلْ ذٰلِكَ النَّذْلُ

وإِنْ طُلِي عَسْجَدٌ بالآنُكِ انْكَشَفَتْ ... عِنْدَ الحَقِيقَةِ حَالاتٌ هِيَ الأَصْلُ

بالحِكْمةِ ارتَفَعَتْ أَرْبابُها وعَلَوْا ... في مَنْزِلٍ أَقْدَسٍ عَنْ غَيْرِهِم يَخْلُو

خَمْرُ المَعَارِفِ لا خَمْرُ الدِّنانِ لَنا ... والسِّرُّ مَعْشُوقُنا لا الأَعْيُنُ النُّجْلُ

مَنْ يُنْكِرِ العِشْقَ في سيرِ الكَمَالِ يَجِدْ ... عَنْ مَنْهَجِ اللُّطْفِ أَحْيَاناً لَهُ شُغْلُ

والنَّفْسُ في الجِنْسِ معْ أَشْبَاهِها اتَّفَقَتْ ... وَبالخَصَائِصِ عَنْ أَنْوَاعِهَا تَعْلُو

وفي أَفاعِيلِها الأَسْرَارُ ظَاهِرةٌ ... لِفِكْرَةٍ بالصَّفَا دَوْماً لها صَقْلُ

دَأْبُ المُهَذَّبِ أَنْ يَسْمُو بِهِمَّتِهِ ... ولا يُخالِفُهُ في قَوْلِهِ الفِعْلُ

وذُو الفَسَادِ إِذَا رَاقَتْ رَوِيَّتُه ... يَدْرِي بِأَنَّ الَّذي يَسْرِي لَهُ القَتْلُ

وشَهْوةُ النَّفْسِ تَأْتِي العَقْلَ خَادِمةً ... إِنْ أَقْبَلَتْ حِكْمَةٌ لِلاهْتِدَا تَتْلُو

وإِنْ تَوَلَّتْ رَأَيْتَ العقلَ يَخْدُمُها ... وجَاءَ صَاحِبَها دُونَ الوَرَى الويلُ

أَهْلُ الفَضَائِلِ هُمْ سَادَاتُ مَنْ نَطَقَتْ ... بالحَرْفِ أَلْسُنُهُمْ قِدْماً وإِنْ قَلُّوا

وأَحْسَنُ الذُّخْرِ مِمَّا لا زَوَالَ لَهُ ... طُولَ المَدَىٰ أَدَبٌ عَيْنَ الشَّقَا يَجْلُو

وكُلُّ حَيٍّ فَلاَ تَحْقِرْ عَدَاوَتَهُ ... فَرَائِشُ النَّبْلِ قَدْ يَشْتَاقُه النَّبلُ

إِنَّ الزَّمانَ يُبِينُ الْحَقَّ مُلْتَمِساً ... أَنْوَارَ طَلْعَتِهِ لَكِنْ لَهُ سُبُلُ

قَلْبُ اللَّبيبِ مِنَ النَّاسِ بِهِ دَرَنٌ ... نَوَائِبُ الدَّهْرِ في تَطْهِيرِهِ غُسْلُ

رَأْيُ الجَبَانِ جَبَانٌ فَاطَّرِحْهُ وَلاَ ... تَهْوَ الذَّلِيلَ بِهِ قَدْ مَسَّهُ الخَبْلُ

لا ترتَضِ الذُّلَّ في أَرْضٍ تُهَانُ بِهَا ... إِنْ أَكْرَمَتَ بالوَفَا أَو أَجْمَلَتْ جُمْلُ

نُفُوسُنا قَدْ أَبَتْ إلا العُلا أَبَداً ... وبِالحِجَازِ لَنَا أَصْلٌ بِهِ الطَّوْلُ

وعِلْمُنَا ظَاهِراً عَنْ سَادَةٍ نُجَبَا ... وباطِناً مِنْ سَنَا الوَهَّابِ لِي الوَبْلُ

لا نَرْتَضِي غَيْرَ هٰذا الأَوْجِ مَنْزِلَةً ... وذَاكَ ما يَصْطَفِيهِ العَقْلُ والنَّقْلُ

رفع المسيهم

(٢٧١)

وقلتُ مادحاً حضرةَ الشَّهم الهُمامِ الأَميرِ عَلي باشا بنِ الأَميرِ الكَبيرِ العارفِ باللهِ تعالىٰ عبد القادرِ الجزائريِّ الحسنيِّ : [من البسيط]

مَواهِبُ الفَضْلِ مِن عَهْدِ السَّنَا الأَزَلي ... لَمْ تَهْوَ إِلاَّ شَرِيفاً صِينَ عَنْ خَطَلِ

وحِلْيَةُ الفَضْلِ والحِلْمِ المَدِيدِ غَدَتْ ... عِنْدَ الكِرَامِ لَهُمْ مِنْ أَبْهَجِ الحُلَلِ

ما يَمَّمَ الجَهْبَذُ النَّقَّادُ غَيْرَ فَتًى ... مَاضِي العَزِيمَةِ عِنْدَ الحَادِثِ الجَلَلِ

فالجَوْهَرُ الفَرْدُ فِي إِثْبَاتِهِ اخْتُلِفَا ... والفَحْمُ يُوجَدُ فِي سَهْلٍ وفِي جَبَلِ

والصَّادِقُ الحُرُّ في الوِجْدَانِ أَنْدَرُ مِنْ ... كِبْـرِيتِنـا الأَحْمَـرِ الفَتَّـانِ لـلأَمَـلِ

ولَنَ تَرَىٰ نِعْمَةً إلا وَقَدْ شُفِعَتْ ... بمـوهِـنٍ عِـزَّهَـا بـالغَـيِّ والحِيَـلِ

ودَائِمُ المَجْدِ قَبْلَ الرُّشدِ ذُو حَمَقٍ ... يُمسِي ويُصْبِحُ في نَقْصٍ وفِي خَلَلِ

هِيَ المَعَالي فَلَمْ تَخْتَرْ لأَنْفُسِها ... إِلاَّ النَّظِيرَ لَهَا في القَوْلِ والعَمَلِ

وبَـاسِـطُ الكَـفِّ للعَنْقَـاءِ يَقْبِضُهـا ... يَرتدُّ في خَجَلٍ نَاهِيكَ مِنْ خَجَلِ

للهِ قَـوْمٌ لَقَـدْ أَغْنَـتْ فِـرَاسَتُهُـمْ ... عَنْ رَاصِدِ النَّجْمِ فِي الظَّلْماءِ أَوْ زُحَلِ

ضَاءَتْ سَرَائِرُهُمْ فَارْتَدَّ مُمْتَهَنٌ ... يَبْغِي الخِدَاعَ لَهُم يَسْعىٰ علىٰ عَجَلِ

عِشْقُ الحَقَائِقِ للحَقِّ المُبِينِ سَرَىٰ ... فَلِلنَّجَـاحِ بـأَوْجِ المَكْـرُمَـاتِ يَلِـي

لٰكِنْ وُجُودُهُمُ فِي الخَلْقِ نَادِرَةٌ ... لَمْ نَلْقَ فِي وَقْتِنا غَيرَ الأَمِيرِ عَلِي

مَولَى الفَضَائلِ أُسْتَاذُ المكارمِ بَلْ ... مِنْ عِتْرةٍ فَضْلُها فِي الخَافِقَيْن عَلِي

نَجْلُ الأَميرِ إِمامِ الفَضْلِ مَنْ شَهِدَتْ ... لَهُ الفَوارِسُ فِي سَهْلٍ وفِي جَبَلِ

يَعْنُـو السِّمَـاكُ لِـذِكْـرَاهُ إِذا تُلِيَـتْ ... آيَاتُ أَفْضَالِهِ في الأَعْصُرِ الأُوَلِ

وَفِي المَوَاقِفِ آياتٌ لِذِي فِطَنٍ ... تَقْضِـي بِـأَنَّ عُـلاَه اليَـوْمَ لَـمْ يُنَـلِ

رفع المسيهم

ما شِئْتَ مِنْ مَدْحِهِ فالقَوْلُ ذُو سَعَةٍ ... فَكُنْ بِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ ولا وَكِلِ
فَبِضْعَةُ المُصْطَفىٰ لا شَيْءَ يَعْدِلُهُم ... هُمُ النُّجُومُ ومَجْدُ الغَيْرِ كالطَّفَلِ
فِي صَادِقِ القَولِ يَمْتازُونَ إِنْ نَشَدُوا ... بَيْتاً هُوَ الشَّمْسُ فِي مَاضِي الزَّمَان تُلِي
لا يَنْزِلُ المَجْدُ إِلا فِي مَنَازِلِنَا ... كالنَّوْمِ لَيْسَ لهُ مَأْوًى سِوَى المُقَلِ
يا بنَ الأُلىٰ غَيْرَ نَصْرِ الحَقِّ مَا عَرَفُوا ... وغَيْرَ دَفْعِ الأَذَىٰ عَنْ كُلِّ مُبْتَهِلِ
والصَّادِقُ القَوْلِ مَنْ لَوْ شَاءَ مَنْزِلَةً ... ما كَانَ إِلا يُرىٰ في ذُرْوَةِ الحَمَلِ
بِهِ المَعَالِي سَرَتْ فِي نُورِ بَهْجَتِهَا ... فِي وَاضِحِ أَبْلَجٍ مِنْ أَوْضَحِ السُّبُلِ
إِنِّي بِمَدْحِكُمُ أُرْضِي الرَّسُولَ كَمَا ... نَصَّ الكِتَابُ بِذا في البَسْطِ والجُمَلِ
وحُبُّكُم لازِمٌ فَرْضٌ عَلَيَّ بَدَا ... يَا سَادَةً عِزُّهُمْ مِنْ أَشْرَفِ الرُّسُلِ
رُحْمَاكَ مَوْلايَ في عَبْدٍ عَلَيْهِ قَضَىٰ ... أَهْلُ الغَوَايَةِ بالتَّزْوِيرِ والحِيَلِ
وحاوَلُوا سَتْرَ أَقْمَارٍ بنظرَتِكُمْ ... تَسْمُو وتُشْرِقُ في الإِبْكَارِ والأُصُلِ
رَامُوا بِأَنْ يَجْعَلُوا البُهْتانَ مُرْتَفِعاً ... والحَقَّ فِي صِفَةِ المَطْرُوحِ والسَّفِلِ
وآلُ «دُوما» بِهِمْ ظُلْمٌ يَجُورُ علىٰ ... حَوْبائِهم قَدْ قضىٰ بالمَدْمَعِ الهَطِلِ
يستَنْجِدُونَ بأَبْناءِ الرَّسُولِ وَكَمْ ... مُسْتَنْجِدٍ بِهِمُ يَنْجُو مِنَ الوَجَلِ
ورَبْعُكُمْ حَرَمٌ مَنْ أَمَّ سَاحَتَهُ ... يَقُولُ دَهْرِي سُرُوراً قَدْ تَنَبَّهَ لِي
لا زَالَ مَدْحُكَ في جِيدِ الزَّمَانِ لَهُ ... نُورٌ يُضِيءُ وعِزٌّ في العَلاءِ جَلِي

(٢٧٢)

وقلتُ مادِحاً صاحِبَ المَجْدِ والسَّعادةِ الوزيرَ الكبيرَ محمَّد باشا بنَ الوزيرِ الخطيرِ علي باشا العظم الدمشقيِّ: [من الطويل]

سَرَىٰ كَوْكَبُ الإِعْزازِ شَوْقاً يُسَلِّمُ ... عَلَىٰ مَصْدَرٍ فِيهِ الفَخَارُ مُتَيَّمُ
وأَضْحَىٰ تَجَلِّي الحَقِّ عِزُّ مُحَمَّدٍ ... عَلَىٰ كُلِّ مَنْ حَازَ العَلاءَ يُحَكَّمُ

فَتًى من بَنِي العَظْمِ الكِرَام أُصُولُهم ... عَلَىٰ مَنْزِلِ البَدر المُنِيرِ مُقَدَّمُ
..... [1] معَ الفَضَائِلِ كُلّها ... فَفِي مَدْحِهِ كُلُّ الأَفَاضِلِ تَنْظِمُ
تَسَابَقَ طُلاَّبُ المَعَالي تَتَيُّماً ... إِلَىٰ لَثْمِ أَيْدٍ بالمَفَاخِرِ تُنْعِمُ
فَفَازُوا بعِزٍّ لا يُرامُ ومَنْعَةٍ ... لَهَا الدَّهرُ في أَوْجِ السِّمَاكَيْنِ يَخْدُمُ
لَهُ في قُلُوبِ الأَكْرَمِينَ أُولِي النُّهَىٰ ... مِنَ الحُبِّ والتَّعْظِيمِ ما اللهُ يَعْلَمُ
تَبَاهَتْ بِهِ أَقْطَارُ جِلّقَ مِثْلَما ... تَبَاهَىٰ بِجدواهُ العَمِيمِ الأَنجُمُ
هُو النَّاصِرُ العِلْمَ الشَّرِيفَ وأَهْلَهُ ... من الحَاسِدِ البَاغِي وَذَاكَ مُسَلَّمُ
بِهِمَّةِ حَزْمٍ ما تَبَدَّىٰ سَنَاؤُهَا ... علىٰ مُشْكِلٍ إِلاَّ استَنَارَ الحَلْكَمُ
لأَفْضَالِهِ نُورٌ بِقَلْبِ ذَوِي العُلا ... ولِلْحَاسِدِ المَذْمُومِ فِي الآيِ أَسْهُمُ
بَنُو العَظْمِ أَفْلاَكُ المَفَاخِرِ والنَّدَىٰ ... وآثَارُهُم مِنْهَا المَلا يَتَرَنَّمُ
فَكَمْ مَادِحٍ حَيَّا لِطِيبِ حَدِيثِهِمْ ... قَوَافِيَ فَانْقَادَتْ إِلَيْهِ تُسَلِّمُ
فأَضْحَىٰ مُصَاناً والزَّمَانُ خَدِيمُهُ ... وأَمْسَىٰ بِعِزٍّ والأَعَادِي تُرْغَمُ
وإِنِّي لِمَحْسوبٍ لقطبِ كمالِهم ... سَمِيٍّ أَبِي الزَّهْرَاءِ لِلْفَضْلِ أَلثمُ
فلا زَالَتِ الأَقْلاَمُ تَنْشُرُ مَدْحَهُ ... ولا زَالَتِ الفُضَلاءُ عَنْهُ تُتَرْجِمُ

(٢٧٣)

وقلت مادِحاً الوزيرَ الكبيرَ صاحِبَ الدَّولة ناظم باشا والي ولايَةِ سَورية الجَليلة: [من الكامل]

ما لاحَ بَرْقٌ بالعُذَيْبِ وحَاجِرِ ... إلا انْثَنَىٰ يُثْنِي بِكُلِّ مَفَاخِرِ
أَو فَاحَ رَنْدٌ في مَعَاهِدِ طَيْبَةٍ ... إِلاَّ أَلَمَّ بِطِيبِ مَدْحٍ عَاطِرِ
للهِ نُعْمَانُ الأَرَاكِ بِنَفْحِهِ ... من نُورِ أُنْسٍ بالتَّهَانِي زَاهِرِ

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

رفع المسيهم

فَرِحاً بِمَا أَبْدَاهُ نَاظِمُ شَمْلِهِ ... بِرِيَاضِ جِلَّقَ ذِي الجَمَالِ البَاهِرِ
وَالِي وِلايَةِ شَامِنَا بَلْ جَوْهَرٌ ... فَرْدٌ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ ومَآثِرِ
طُبِعَتْ مَحَامِدُهُ بِقَلْبِ ذَوِي النُّهَىٰ ... فَمَدِيحُهُمْ مِنْ تُرْجُمَانِ الخَاطِرِ
فالبَرقُ فِي وَادِي النَّقا لِسُلوكِهِ ... نَظَمَتْ ثَنَاءً كالصَّبَاحِ السَّافِرِ
قَدْ أَصْبَحَ القُطْرُ الحِجَازي مَرْبَعاً ... يَحْلُو سُرَاهُ لِقَادِمٍ ومُسَافِرِ
وسَرَتْ إِلى الخَطِّ الحِجَازِي هِمَّةٌ ... مِن عَزْمِهِ فَغَدا بِهَا كالطَّائِرِ
وتَرَنَّماً قَالَتْ لَنَا أُمُّ القُرَىٰ ... وَصْلِي بأَرضِ الشَّامِ سِرُّ ضَمَائِرِي
فِعْلٌ بِهِ أَرْضَى النَّبِيَّ مُحَمَّداً ... والبَيْتُ لا يَخْلو إِذَنْ مِنْ زَائِرِ
للهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الأَعْوامِ قَدْ ... أَرْبَتْ عَلى البَدْرِ المُنيرِ الزَّاهِرِ
ولَنَا بِخَامِسِهَا وتَالِيهِ ومَا ... مِنْ بَعْدِهِ عِزٌّ بِجُودٍ غَامِرِ
وَلَهُ الصَّنَائِعُ فَاخَرَتْ بِسَنَائِها ... زُهْرَ النُّجومِ بِكُلِّ شهْمٍ مَاهِرِ
كَمْ مِنْ مُعافًى أَبْدَعَتْ دَارُ الشِّفَا ... مِن كُلِّ مَن نَال الشِّفا للشَّاكِرِ
وغَدَا بِها أَهْلُ البَوَادي في حُلىٰ ... تهذيبِ خَلاَّقٍ يَرُوقُ لنَاظِرِ
وبِهَا المَكَاتِبُ أَحْرَزَتْ قَصَبَ العُلا ... فَتَنَوَّعَتْ طَرَباً بِحُسْنِ مَظَاهِرِ
كَمْ مِنْ مَآثِرَ فِي دِمَشْقَ صَبَاحُها ... قَدْ قَالَ سَوفَ تَرَوْنَ حُسْنَ نظائِرِي
آثَارُ عَامِرَةٍ ومَغْنَىٰ صَلْخَدٍ ... تَارِيخُها حُلْوُ الجَنَىٰ لِمُسامِرِ
أَيَّامُهُ كَيْدُ الحَسُودِ وعَذْلُهُ ... أَحيَا الزَّمانَ بِأَوَّلٍ وبِآخِرِ
في ظِلِّ رُوحِ الدَّهْرِ سُلطَانِ المَلا ... لا زِلْتَ (نَاظِمَنَا) بِعَدْلٍ ظَاهِرِ

(٢٧٤)

وقلتُ في مدحِ صاحبِ الفَضيلةِ أَيُّوبِي زَادَه سعيد أفندي رئيسِ كُتَّابِ المَحكَمةِ الشَّرعيَّة بِدِمَشق: [من الكامل]

حَيِّ العُذَيْبَ ورامَةَ الأَسْرارِ ... يا سَعْدُ عِنْدُ تَبَلُّجِ الأَسْحَارِ

رفع المسيهم

وانْشَقْ أَرِيجَ المِسْكِ مِن وَادِي النَّقا ... واحْيِ الصَّبُوح بِرَنْدِهِ المِعْطارِ

وإذا تَأَلَّقَ بالعُذَيْبِ وحَاجِرٍ ... بَرْقٌ فَتِلْكَ مَلامِحُ الأَنْوارِ

وَرَدَتْ مَنَاهِلَ طَيْبَةٍ ثُمَّ انْثَنَتْ ... تُحيِي الرُّبُوعَ وسَائِرَ الأَقطارِ

بَلَدٌ تَوَدُّ الزَّاهِرَاتُ لَوَ انَّها ... مِنْ أَرْضِهَا لَثَمَتْ ذُرَا الأَحْجَارِ

بَلَدٌ بَدَا مِنْ نُورِهَا مَا أَشْرَقَتْ ... مِنْهُ البِلادُ وَسَائِرُ الأقطارِ

بَلَدٌ بِهَا افْتَخَرَ الثَّرىٰ وسَمَا على السَّبْعِ العُلا سُقْياً لَهَا مِنْ دارِ

وترابُها أَقْصَى المَطَالِبِ والمُنىٰ ... للمُسْتَهَامِ وإِثْمِدُ الأَبْصَارِ

بَلَدٌ بها حَلَّ الأَمِينُ فَبَادَرَتْ ... لِرِضَائِهِ بِصَنَائِعِ الأَنْصارِ

بَذَلُوا النُّفُوسَ بِحُبِّهِ وكَذَا النَّفِيسَ فأَحرزوا سَبْقاً لدى المضمارِ

وتَدَرَّعوا بِبِدَارِهِمْ فِي دَارِهِمْ ... للنَّصْرِ والإِحسَانِ ثَوْبَ فَخَارِ

مَلَؤُوا البَسيطَةَ مَعْ بَقِيَّةِ قَوْمِهِمْ ... صُلْحاً وعَدْلاً يانِعَ الأَثْمَارِ

حَتَّىٰ غَدَتْ كالرَّوضِ باكَرَهُ الحَيَا ... مُتَبَسِّماً بِتَلَوُّنِ الأَزهَارِ

وهُمُ الجِبَالُ الشُّمُّ في يَومِ الوَغىٰ ... إِنْ يُنْدَبوا لَمْ يَرْكَنُوا لِضِرارِ

آووا نَبِيَّ اللهِ وانْتَصَرُوا لَهُ ... إِذْ أَخرجَتْهُ أَذِيَّةُ الأَغْمَارِ

ولَهُمْ مَنَاقِبُ في الكِتَاب وَفِي أَحا ... ديثَ أَتتْ بِرِوَايَةِ الأَحبَارِ

هُمْ زينةُ الدُّنيا فَمَنْ بِهِمُ اقْتَدَىٰ ... أَمسَىٰ بأَنْوارِ الهِدَايَة سَارِي

لاسِيَّما البَدْرُ أَبو أَيُّوبَ مَنْ ... تحلُو بِذِكرِ مَدِيحِهِ أَشعَارِي

سَبَّاقُ غَايَاتٍ إِلىٰ أَوْجِ العُلا ... رَبُّ الكمالِ ومَعْدِنُ الأَسرارِ

نَزَلَ النَّبِيُّ بِبَيْتِهِ فَسَما بِهِ ... يَوْمَ الفَخَارِ منَازلَ الأَقْمَارِ

وغَدَا بِأَثْوابِ المَفَاخِرِ رافِلاً ... مَعْ آلِهِ وبَنِيهِمُ الأَطْهَارِ

وَرِثُوا المَكَارِمَ كَابِراً عن كَابِرٍ ... إِنَّ الخِيَارَ هُمو بنو الأَخْيَارِ

رفع المسيهم

وهُمُـو بَنُـو أَيُّـوبَ أَقْمَـارُ المَـلا ... وَسَعِيدُهُمْ في الفَضْلِ شَمْسُ نَهَارِ
غَيْثُ النَّدَىٰ فَخْرُ الكِرَامِ فَمَدْحُهُ ... رَبْـعُ النَّـدِيـمِ ومُطـرِبُ السُّمَّـارِ
جَذَبَ القُلوبَ بِحِكْمةٍ كانَتْ إلىٰ ... سُبُـلِ الهُـدىٰ والعِـزِّ خَيْـرَ مَنـارِ
فَاقَ الأُلَىٰ سَنُّوا المَفَاخِرَ لِلمَلا ... بِمَكَـارِمٍ كَـالصَّيِّـبِ المِـدْرَارِ
وبِـهِ البَـلاغَـةُ زَيَّنَـتْ أَجْيَـادَهـا ... بِعُقُـودِ دُرٍّ نَظْمُـهُ ونُضَـارِ
أَحيَا مَآثِرَ ذِي الفَضَائِلِ والنُّهىٰ ... تـارِيخُـهُ الُمغْنِـي عَـنِ الأَسفـارِ
لا غَرْوَ أَنْ كَانَ الجَمِيلُ صدُورُهُ ... مِـنْ أَهلِـهِ الأَخيَـارِ والأَبْـرارِ
كَـالبَحْـرِ بـالـدُّرِّ النَّضِيـدِ فَخَـارُهُ ... والرَّوضِ يَفْخَرُ في حُلى الأَزهارِ
يـا سَيِّـداً يُـزْري عُطـارِدَ قَـدْرُهُ ... والنَّجْـمُ مِنْـه يَـوَدُّ طِيـبَ مَـزارِ
حَسَّانُ مَدْحِكَ لَمْ يَزَلْ يَتْلو الثنا ... عِنْـدَ العَشِـيِّ وفِـي سَنَـا الإِبكـارِ
فاسلَمْ ودُمْ في طِيبِ عَيشٍ ماانْثَنَىٰ ... في الرَّوضِ غُصْنٌ من غِنَاءِ هَزَارِ

(٢٧٥)

وقلتُ: [من مجزوء الرمل]

إِنَّ أَضْيَـــــافَ اللَّئِيـــــمِ ... لَـــمْ يَـــرَوا مِنْـــهُ نَعيمَـــا
مُـــذْ أَتَـــوْهُ جُنْـــحَ ليـــلٍ ... نَحْسُهُـــمْ أَمْسَـــىٰ مُقِيمَـــا
أُطْعِمُـــوا خُبْـــزاً شعيـــراً ... وسقُـــوا مَـــاءً حَمِيمَـــا

(٢٧٦)

وقلت: [من البسيط]

حَيِّ النَّدِيمَ بِكأسِ الشَّايِ إِذْ وَفَدا ... جَيْشُ السُّرورِ علىٰ أَصنَاف جُلاَّسِي
ذوبُ العَقِيـقِ يُصَـبُّ فـي بِلَّـوْرَةٍ ... أَوْ عَسْجَـدٌ قـد ذَابَ فـي أَلمـاسِ

(٢٧٧)

وقلت: [من الكامل]

بِاللهِ صِلْ مُضْناكَ يابَدْرَ الدُّجَىٰ وامْنُنْ عَلَيهِ برشَفِ مَاءِ الكَوْثَرِ
وَأَعِـدْ لـهُ رُوحَ الحَيَـاةِ بِضَمَّـةٍ لقَوَامِكَ المُزْرِي بِلينِ السَّمْهَرِي

(٢٧٨)

وقلتُ مرَاسِلاً العلاَّمة الشيخ سليم سمارة أَدعوهُ إلى السَّيرِ لزيارَةِ ضَريحِ ابنِ العربي وجبلِ قَاسيونَ بصُحبةَ الشَّيخِ سعيد الفرا الدِّمَشْقِيينِ: [من البسيط]

يا أَوْحَداً فَوْقَ أَوْجِ الشَّمسِ مَنْزِلُهُ ومَنْ سَمَا بالتُّقىٰ والعِلْمِ والعَمَلِ
مَنْ فَازَ في نَظْرَةٍ مِنْهُ يَقُلْ طَرَباً في طَلْعةِ البَدْرِما يُغنِيكَ عَنْ زُحلِ
أَريجُ أَفضَالهِ في الكَوْنِ حِينَ سَرىٰ أَحيا القُلُوبَ وأَحيَا غَايَةَ الأَملِ
إِنَّ السَّعِيدَ ومَنْ يَرْضَاهُ قَصْدُهُمُ زِيَارةُ القُطْبِ مُحيي الدِّينِ والجَبَلِ
ولَيْسَ إِلاَّ بِوصْلِكُمُ يَصْفُو السُّرُورُ فُجُدْ تَفَضُّلاً باللِّقَا واسمَحْ عَنِ الزَّلَلِ

(٢٧٩)

وقَدْ ذَهَبْتُ يَوماً لِزِيَارَةِ العَلاَّمَةِ الفَاضِلِ الشَّيخ عبد الرزَّاق أَفَندي بنِ الشَّيخِ حسن البيطار، فلم أَجِدْهُ في بَيْتِهِ في ميدَان الحَصَا، فكَتَبْتُ إِلَيْه:

[من الوافر]

أَيَـا بَحْـرَ العُلـومِ وشَمْـسَ فَضْـلٍ بهـا الأَكـوانُ قَـدْ أَضحَـتْ مُضِيَّـهْ
ومَـنْ مِـنْ عِلْمِـهِ هَـذا الـزَّمَـانُ بَـدَا يَخْتَـالُ فـي حُلَـلٍ بَهِيَّـهْ
أَتـى العِيـدُ السَّعِيـدُ بِكُـلِّ شَـوْقٍ لِتَقْبِيـلِ اليَـدَيْـنِ الحَـاتميَّـهْ
ومَـا سَـارتْ مَنَـاقِبُكُـمْ وَ إِلاَّ عَلَـى الفَلَـكِ الأَثِيـرِ لَهَـا مَـزِيَّـهْ

رفع المسيهم

فَـدُمْ يَـا أَيُّهَـا العَصْـرُ بِعِـزٍّ ... يُكَـرَّرُ فِـي الصَّبَـاحِ وفِـي العَشِيَّـهْ
فَنَـورُ خُـلاصَـةِ العُلَمـاءِ سَـارٍ ... بِـرُوحِ سُعـودِكَ الغُـرَرِ الـرَّضِيَّـهْ
فـلا زَالَ الـوُجُـودُ بـهِ مُنيـراً ... ولا زَالَـتْ بـكَ العَلْيـا سَنِيَّـهْ

(٢٨٠)

وقُلْتُ مُهَنِّئاً صَاحِبَ الفَضِيلَةِ والإِرشادِ الشَّيخَ أسعدَ أفندي الصَّاحبَ النَّقشبنديَّ الخَالديَّ بولاَدَةِ وَلَدِهِ عَبد الخالق أفندي: [من الكامل]

الكَـوْنُ أَشـرَقَ والسُّـرورُ بَشِيـرُهُ ... لَمَّـا غَـدا أَرَجُ الهَنـاء سَمِيـرُهُ
وبدا بعَبدِ الخَالقِ الشَّهمِ النَّدَى ... مُتَهَلِّـلاً قَـدْ زَانَـهُ تَعْطِيـرُه
بَـدْرٌ مَطَـالِعُـه الصَّفـا والعِـزُّ قَـدْ ... أَبْدى العَوارِفَ واللَّطَائِفَ نُورُهُ
قَـالَـتْ بَشَـائِـرُه بِطِيـبِ قُـدُومِـهِ ... أَبَـداً إلـىٰ كَسْـبِ الثَّنَـاءِ مَسِيـرُهُ
وَتَـرَادُفُ الأَفْـرَاحِ أَبْـدَتْ طَـالِعـاً ... لَـمْ يُلْـفَ مـا بَيْـنَ النُّجُـومِ نَظِيـرُهُ
يا كَوْكَباً مِنْ مَطْلَعِ الفَخْرِ الَّذِي ... أَخْفَى الضَّلالَ على الدَّوامِ ظُهُورُهُ
للنَّقْشَبَنْـدي أَسعـدِ العَلْيـا انْتَمَـىٰ ... فَخَـرُ الـزَّمَـان وسَعْـدُهُ وسُـرورُهُ
هُوَ صَاحبُ الهِمَمِ العَليِّ مَقَامُها ... قُدْسُ التَّجَلِّي الأَقْدَسيِّ وطورُهُ
شَمْسُ المَعَارِفِ دُرُّ بَحْرِ المُلتَقَىٰ ... إيضَـاحُ كَشَّـافٍ هُـدى تَنْـوِيـرُهُ
وَرِثَ المَكارِمَ عَنْ إِمامِ أُولي الصَّفَا ... نُـورُ الـزَّمَـانِ ومَجْـدُهُ وعَبِيـرُهُ
أَحْيَـا العُلُـومَ بِهَـدْيِـهِ وكَمَـالِـهِ ... وهَدَى إلىٰ سُبُلِ الهُدَىٰ تَحْرِيرُهُ
قُطْـبُ الكَمَـالِ وفَخْـرُهُ وعَـلاؤُهُ ... نَجْـمُ السَّنـاءِ ونُـورُهُ وبُـدُورُهُ
وَفَـد الهَنَـاءُ عَلَيْـهِ يَسْحَـبُ ذَيْلَـه ... إِذْ دَامَ بـالنَّجْـلِ السَّعِيـدِ حُبـورُهُ
والسَّعْـدُ فـي طَـرَبٍ أَتَـاهُ مُـؤَرِّخـاً ... (بَـدْرٌ لَـدَىٰ أَوجِ الأَثِيـرِ مَسِيـرُهُ)

سنة ١٣١٧ هـ

رفع المسيهم

(٢٨١)

وقُلْتُ مُؤَرِّخاً وِلادَةَ نَجْلِ المُشَارِ إِلَيهِ أَحمد سُعاد أفندي: [من الرمل]

هَـلَّ فـي أُفْـقٍ عَظِيـمِ الحَسَـبِ ... بَـدْرُ فَضْـلٍ فـي العُـلاَ لَـمْ يَغِـبِ
أَحَمـدُ الأَوصَـافِ زَاكِـي المَحْتِـدِ ... فَـرْعُ سَـادَاتٍ كِـرَامٍ نُجُـبِ
لِسعُـادٍ يَنْتَمِـي طَـالِعُـهُ ... واعْتِـزازٍ فِـي رفِيـعِ الـرُّتَـبِ
فَلْنُهَـنِّ أَسْعَـداً مَـنْ فَضْلُـهُ ... أَخْجَـلَ البَحْـرَ وقَطْـرَ السُّحُـبِ
صَـاحِـبُ الفَتْـحِ اللَّـدُنِّـيِّ الَّـذِي ... نُـورُهُ يَجْلُـو ظَـلامَ الغَيْهَـبِ
بِهِـلالٍ سَـوْفَ يُلْفَـىٰ كَـوْكَبـاً ... في سَمَاءِ المَجْدِ زَاهِي المَوْكِبِ
نَقْشبنـدِيُّ العُلُـومِ سَيِّـدٌ ... مَظْهَـرُ الإِرْشَـادِ سَامِـي النَّسَـبِ
إِن يُـوَاصِـلْ مَجْـدُهُ أَوْجَ العُـلا ... لَيْسَ فِي ذَاكَ السّرىٰ مِن عَجَبِ
إِنَّـهُ لِـذِي الجَنَـاحَيْـن انتُمَـىٰ ... سَيِّـدُ الأَقطَـابِ صَـافِي المَشْـرَبِ
ذُو كَـرَامَـاتٍ لهـا أَهْـلُ النُّهَـىٰ ... أَذْعَنُـوا مِـنْ عَجَـمٍ أَو عَـرَبِ
ذِكْـرُهُ الخَـالِـدُ زَيْـنُ الأُدَبَـا ... بَهْجَـةُ الكَـوْنِ جَمَـالُ الكُتُـبِ
يـا جَمَـالَ المَكْـرُمَـاتِ والعُـلاَ ... أَسْعَـدَ الإِفْضَـالِ للمُقْتَـرِبِ
بُلبُـلُ الأَفـراحِ يُثْنِـي إِذ أَتـىٰ ... أَحمـدُ الجُـودِ سُعَـادُ الأَدبِ
مـولِـدٌ تَـاريخُـهُ (جَـاءَ بِـهِ ... مطلَـعُ العِـزِّ ورَوْضُ الأَدبِ)

١٣١٩هـ

(٢٨٢)

وقُلْتُ أَيضاً مُرتَجِلاً ومداعباً: [من الكامل]

بَـدْرٌ بـأُفْـقِ الحُسْـنِ مَطْلَعُـهُ بَـدا ... كالسَّيفِ لَحْظاً والغُصُونِ تأَوُّدَا

رفع المسيهم

غَنَّىٰ فَأَسْكَرَ كُلَّ صَبٍّ مُغْرَمٍ ... وبِهِ الجَمالُ مُهَيَّمٌ لَمَّا شَدَا
إِنْ شِئْتَ وَصْفَ جَمَالِهِ فَهُوَ الَّذي ... بالحُسْنِ أَضْحَىٰ واللَّطافَةِ مُفْرَدَا
أَو رُمْتَ وَصْفَ الهَائِمِينَ بِحُبِّهِ ... لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَير ما نَفَسٍ بَدَا
فَهُوَ الجَميلُ مُحَرِّقُ الأَكبادِ مِنْ ... عاشِقيهِ بالتَّجَنِّي والعِدَا

(٢٨٣)

وقلت: [من الوافر]

بِمَيْدَانِ الحَصا بَزَغَتْ لَدَينا ... شُموسُ المَجْدِ والكَرَمِ العَميمِ
فيَالَكِ ليلَةً بَاهَتْ سَناها ... بَيَاضَ الصُّبْحِ مَعْ زُهْرِ النُّجُومِ
لِسَانُ صَفَائِهَا بالأُنْسِ نَادىٰ ... هَلُمُّوا للسُّرورِ المُسْتَدِيمِ
فَفِي المَيْدَانِ أَجْوَادٌ كِرَامٌ ... بِتَعْظِيمٍ لأَربَابِ العُلُومِ
فَلا زالَ الزَّمَانُ بِهِمْ مُحَلًّى ... بِجَدْوَاهُم يُعَزَّزُ بالنَّعِيمِ

(٢٨٤)

وقُلتُ مُؤَرِّخاً وَفَاةَ المَرْحومِ محمود أفندي شيخ الأَرض: [من الكامل]

زُرْ مَرْقَداً قد جَادَهُ غَيْثُ الرِّضَا ... فَتَعَطَّرَ الرَّوْضُ بِطِيبِ شَمِيمِهِ
قَدْ ضَمَّ مَحمودَ المآثِرِ مَنْ سَرَىٰ ... بَعْدَ الفَضَائِلِ والتُّقىٰ لِنَعيمِهِ
شَهْماً هُمَاماً قَدْ عَلا فَلَكَ العُلا ... فَغَدَتْ مَكَانَتُهُ بأَوْجِ نُجُومِهِ
بِجوارِ خَيْرِ الخَلْقِ أَضْحَىٰ مُنْعَماً ... نِعْمَ الجِوارُ ونِعْمَ حُسْنُ نَدِيمِهِ
مُذْ حَلَّ في أَسْنى الرِّضَا أَرَّخْتُ (في ... جَنَّاتِ عَدْنٍ زُيِّنَتْ لِقُدُومِهِ)

(١٣٢٠)

رفع المسيهم

(٢٨٥)

وقلتُ أيضاً: [من الكامل]

للهِ رَوضٌ ضَـمَّ طِيـبُ نعيمِـهِ عِلْمـاً وفَضْـلاً والتُّقـىٰ والجُـودَا
قَدْ حَلَّهُ مَحمُودُ شيخُ الأَرضِ مَنْ أَرْبىٰ على البَـدْرِ المُنيـرِ سُعـودَا
لَمَّا أَجابَ نِدَا الكَريمِ مُسارِعاً أَعْطـاَهُ فَضْـلاً حَـوْضَـهُ المَـوْرُودَا
بِقُـدُومِـهِ حُـورُ الجِنَـانِ تَبَـاشَـرَتْ تُنْشِـي الثَّنَـاءَ مُفَصَّـلاً وعُقُـودَا
وحَبَاهُ رَبُّ العَرْشِ في فِرْدَوْسِهِ أَرِّخ (مَكَـانـاً قَـدْ غـدا مَحْمُـودَا)

(٢٨٦)

وقُلْتُ مُخَمِّساً بيتَي الشَّيخِ عمادِ الدِّينِ الدِّمَشْقِيِّ البقَاعِيِّ في مليح بمحلَّة «التَّعديل»: [من الكامل]

يـا مَـنْ تـولَّـعَ بـالجَمَـالِ وحِـزْبِـهِ يَشْكُو منَ اللَّحظِ الجِرَاحَ بقَلْبِهِ
إِنْ كَانَ يُضْعِفُكَ الهَوىٰ في حَربهِ (إِيَّـاكَ والتَّعـدِيـلَ لا تَمْـرُرْ بِـهِ
وحَـذارِ مِـنْ ظَبْـيٍ هُنـاكَ كَحيـلِ)
كَـمْ مُستَهَـامٍ رَامَ مَيْلَـةَ عِطْفِـهِ فَحَبَـاهُ مِـنْ رُمْـحِ القَـوَامِ بِحَتْفِـهِ
لَمَّـا رَأَى الأَرواحَ ملكـةَ ظـرفِـهِ (مَـا زَالَ يَجْـرَحُ مَـنْ رَآهُ بِطَـرْفِـهِ
فَتَـوَقَّ شَـرَّ الجَـرْحِ وَالتَّعْـدِيـلِ)

(٢٨٧)

وقُلْتُ أيضاً: [من الكامل]

قَلْبـي لِغَيْـرِ وِدَادِكُـمْ لَـنْ يَـأْلَفـا فَلِمَ الصُّدُودُ ورَسْمُ جِسْمِي قَدْ عَفَا

يا سَادةً تَرَكوا الشَّجِيَّ عَلىٰ شَفَا (عُودُوا لِمَا كُنْتُم عَلَيهِ من الوَفَا
كَـرَمـاً فَـإِنِّـي ذَلِـكَ الخِـلُّ الـوَفِـي)

(٢٨٨)

وقُلْتُ بطلبٍ من بَعْضِ الإِخوان: [من الرمل]

لازمة

يـا أَديبـاً رامَ أَسبـابَ العُـلا ولِحُـبِّ الفَضْـلِ يَـوْمـاً مـا سَـلاَ
لازِمِ العِلْـمَ مُجِـدّاً واجْتَهِـدْ وعَـنِ الجَهْـلِ وأَهْلِيـهِ ابْتَعِـدْ
مَنْ يُعاني العِلْمَ في الخَلْقِ حُمِدْ وظَـلاَمُ الجَهْـلِ يُلقـي فـي البِـلاَ

دور

نُـزْهَـةُ الـرُّوحِ رِيَـاضُ الأَدَبِ مَـوْرِدُ التَّعليـمِ صَـافِـي المَشْـرَبِ
قُـلْ لِمَـنْ رَامَ ابْتِعَـادَ ٱلأَدَبِ حِلْيَةُ الْفَضْلِ غَدَتْ أَبْهَى الحُلَى

دور

وعـنِ التَّـدْريـسِ إِيَّـاكَ المَلَـلْ يـا هُمَـامـاً هـاجِـراً سُبُـلَ الـزَّلَـلِ
كُلُّ مَنْ سارَ على الدَّرْبِ وَصَلْ هٰكَـذا قَـدْ قَـالَ أَرْبَـابُ العُـلاَ

دور

مَـنْ يُضَيِّـعْ وَقْتَـهُ فـي الصِّغَـرِ لَـمْ يَـزَلْ فـي نَـدَمٍ فـي الكِبَـرِ
إِنَّ مَـنْ جَـدَّ لِنَيْـلِ الظَّفَـرْ فـي صِبَـاهُ حَـازَ مِنْـهُ الأَمَـلاَ

دور

فَلَنَـا العِـزُّ لَقَـدْ نِلْنَـا المُنـىٰ وبهٰـذا العَصْـرِ كَـمْ مَجْـدٍ لَنَـا
فـي حِمَـىٰ سُلْطَـانِنَـا فَخْـرِ الثَّنَـا رُوحِ هٰـذا العَصْـرِ بَلْ كُـلِّ المَـلاَ

رفع المسيهم

وَصَـلاةُ اللهِ فـي طُـولِ المَـدىٰ ... لِحَبيـبِ اللهِ مِصْبـاحِ الهُـدَىٰ
ما هَزارُ الدَّوْحِ في الرَّوضِ شَدَا ... وظَـلامُ الشَّـكِّ بـالـرُّشْـدِ انْجَلَـىٰ

(٢٨٩)

وقلتُ مُخَمِّساً بيتَي مُصْطَفىٰ أفندي الدكدك مُفَتِّشِ مَعارِفِ الآستانَةِ العَلِيَّةِ وأحدِ أعضاءِ مجلسِ المَعَارِفِ الكبيرِ بها، وقَدْ قَالَهُمَا تُجَاهَ الحُجْرَةِ الطَّاهِرَةِ النَّبويَّةِ، عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَفْضلُ الصَّلاةِ وأَزكىٰ تَحِيَّةٍ[1]: [من الوافر]

بَنَـانُ النَّـائِبَـاتِ إذا تشيـرُ ... وَقَـلَّ الصَّبْـرُ واعْتَـزَّ النَّصِيـرُ
أَقُـولُ ودَمْـعُ عَيْنَـيَّ غَـزِيـرُ ... (رَسُـولَ اللهِ إِنِّـي مُستَجِيـرُ
بِجَـاهِـكَ والـرَّجَـا أَنِّـي أُجـارُ)
إذا كُنْـتَ الغِيـاثَ فَلَـمْ يَضِـرْنـي ... هُبُـوبُ النَّـائِبَـاتِ ولَـمْ يَـزُرْنِـي
أَنَـا الفَـانِـي بِحُبِّـكَ فـاخْتَبِـرنـي ... رَجَـوْتُـكَ يـا أَبَـا الـزَّهْـرا أَجِـرْنِـي

(٢٩٠)

وقلتُ في واقِعَةِ حَالَ: [من الطويل]

أَقـولُ لِظَبـيٍ بـالصُّـدُودِ مُـوَلَّـعٍ ... وإِن سِيمَ وَصْلاً كَانَ فِيهِ مُمَاطِلاَ
يُحَرِّقُ قَلبَ الصَّبِّ في نَارِ خَدِّهِ ... فَيَجْعلُـهُ خَـالاً يُمِيـتُ العَـواذِلاَ
تَرَفَّقْ فَروضُ الحُسْنِ إِنْ رَاقَ مَنْظَراً ... فَسَوْفَ مِنْ الجُورِيِّ تَلْقاهُ عاطِلاَ
إذا جُرِّدَ المُوسَىٰ علىٰ خَدِّ شادِنٍ ... تَأَهَّبَ دَاعِي الحُبِّ للسَّيرِ راحِلاَ

---

(١) انظر تعليقنا (ص: ١٣٣).

(٢٩١)

وقُلْتُ علىٰ لِسانِ بَعْضِ الأَحباب : [من الطويل]

علىٰ مُقْلَتِي هَجْرُ الرُّقَادِ مُحَرَّمُ ... إلىٰ أَنْ أَرىٰ بالوَصْلِ حَظِّيَ يَعْظُمُ

دَعَاني الهَوىٰ قَهْراً فَلَبَّيْتُ أَمْرَهُ ... فَيَالَيْتَ مَنْ أَهْوَىٰ تَرِقُّ وتَرْحَمُ

لَحَى اللهُ عُذَّالي وشَتَّتَ شَمْلَهُمْ ... فكَمْ أَنْجَدُوا باللَّوْمِ طَوْراً وأَتْهَمُوا

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنِّي بِبَاهِرِ حُسْنِها ... قِيَاسُ اعْتِذاري في الغَرَامِ مُسَلَّمُ

خَلِيلَيَّ مَالي لا أَذوبُ صَبابةً ... وفِي حُسْنِها نُورُ الغَزَالةِ مُغْرَمُ

إِذا أَسْفَرَتْ جُنْحَ الظَّلامِ نِقابَها ... فَفِي ضوءِ غُرَّتِها الصَّباحُ مُتَيَّمُ

نَما حُبُّهَا في القَلْبِ فازْدَدْنَ صَبْوَةً ... فَسُلْوَانُها أَمْسَىٰ عَلَيَّ مُحَرَّمُ

مَلِيكَةُ حُسْنٍ تَحْسُدُ الشَّمْسُ وَجْهَها ... وما البَدْرُ إِلاَّ فِي هَوَاها مُهَيَّمُ

(٢٩٢)

وقُلْتُ : [من الوافر]

أَيَا مَنْ بالتَّجَنِّي قَدْ رَمَاني ... وأَصْغَىٰ لِلْعَواذِلِ حِينَ لامُوا

وأَظْمَأَني وأَرْوَىٰ مَنْ لَمَاهُ ... حُنَالاتٌ بِهَا افْتَخَرُ اللِّئَامُ

دَعِ التَّعْذِيبَ لا تَرْكَنْ إِليهِ ... وحَقِّكَ سَوْفَ يَنْقَطِعُ الخِصامُ

ولا تَفْخَرْ بِشَيءٍ عَنْ قَرِيبٍ ... يَزُولُ مُعَوَّضاً عَنْهُ القَتامُ

سَوَادُ الشَّعْرِ إِنْ يَظْهَرْ بِخَدٍّ ... تَوَلَّى الحُبُّ وانْهَزَمُ الغَرامُ

(٢٩٣)

وقُلتْ مُؤَرِّخاً وَفَاةَ بعضِ الأَصحاب : [من الوافر]

ورَوْضٌ حَلَّهُ شَهْمٌ تَقِيٌّ ... سَمَا بِرِضَاءِ مَوْلاَهُ الحَمِيدِ

رفع المسيهم

سَقَـاهُ صَيِّـبَ الغُفْـرانِ رَبِّـي فَحَـازَ الفَضْـلَ مـن كَـرَمِ المَجِيـدِ
ولَمَّـا أَن أَتَـىٰ دَارَ السَّـلامِ ولـذَّ لِـرُوحـهِ طِيـبُ الـوُرودِ
تَجَلَّـىٰ وَهْـوَ فِـي التَّأْرِيـخِ (بَـدْرٌ عَلِـيٌّ حَـلَّ فـي دارِ الخُلـودِ)

(٢٩٤)

وقُلْتُ أَيضاً: [من مجزوء الرمل]

إِنَّ مَـنْ أَضْنَـىٰ فُـؤَادِي مَلَـكٌ فِـي زِيِّ إِنْسِـي
إِنْ تَـرُمْ كَشْـفَ المُعَمَّـىٰ وتَـرَى المَحْجُـوبَ أُنسِـي
زِدْهُ بَعْـدَالـزَّايِ كَـافـاً تَـدْرِ سِـرّاً فِيـه أُنسِـي

(٢٩٥)

وقلت أيضاً: [من مجزوء الرمل]

زانَ خَـدَّ البَـدْرِ خـالٌ هُـوَ مِسْـكٌ فَـوقَ وَرْدِ
كَيْـفَ لا يُحـرِقُ وَهْـوَ مِثْـلُ قَلبِـي فـي التَّصَـدِّي
يـا حَبيبـي كُـنْ مُهَنَّـا إِنَّنِـي ذُبْـتُ بِـوَجْـدِي
تِـهْ دَلالاً أَنـتَ فَـرْدٌ فِـي جميـعِ الحُسْـنِ عِنْـدِي
لَـوْ دَرَى العَـاذِلُ هَتْكِـي مـا كَـوَانِـي بـالتَّعـدِّي
قَـدْ مَلَكْـتَ الـرُّوحَ مِنِّـي فَلِـمَ يـا بَـدْرُ صَـدِّي

(٢٩٦)

وقلتُ أَيضاً: [من الكامل]

قَـالُـوا فـلانٌ قَـدْ بَـدا فـي لِحْيَـةٍ مِـنْ طُـولِهـا تُغْنِـي عَـنِ السِّـروالِ

رفع المسيهم

قُلتُ لَهُمْ يا قَوْمِ تِلْكَ حِبَالةٌ ... للصَّيْدِ بَاهَتْ حِيلَةَ المُحتَالِ
لَمَّا خَلا عنْ كُلِّ فَضْلٍ صَدْرُهُ ... غَرَّ الغَبِيَّ بِلِحْيَةِ الإِضْلاَلِ

(٢٩٧)

وقُلْت أيضاً: [من البسيط]

أَعْلَى الفَضَائِلِ تَهْذِيبُ النُّفوسِ لِمَنْ ... أَخْلاَقُهُ حَسُنَتْ فازْدَادَ تَأْدِيبَا
هَلْ يستَوي عَالِمٌ يَسْمُو بِمَعْرِفَةٍ ... وجَاهِلٌ قَدْ غَدا بالجَهْلِ مَحْجُوبَا

(٢٩٨)

وقلتُ: [من البسيط]

جَوَاهِرُ العِلْمِ ما انضَمَّتْ إلىٰ أَحدٍ ... إلاَّ رَقَىٰ للعُلا واعْتَزَّ بالأَدبِ
فَهْوَ الجَمَالُ لِمَنْ في حُسْنِهِ اتَّصَفا ... وهْوَ الكَمَالُ وأَقْصَى المَجْدِ والأَدَبِ

(٢٩٩)

وقُلْتُ مَراسِلاً صَاحِبَ السَّعادَةِ عبدَ العزيزِ أفندي بنَ مصطَفىٰ أفندي الدكدكجيِّ، وهَوَ في دارِ السَّعَادة الآستانةِ العَلِيَّة: [من البسيط]

أُهْدِي مَقَاماً على الجَوْزَاءِ قَدْ رُفِعَا ... أَزْكَىٰ سَلامٍ لَهُ رِيحُ الصَّبَا اتَّضَعَا
يَتْلُوهُ أَبهىٰ تَحِيَّاتٍ إذا سَفَرتْ ... رأَيْتَ بَدْرَ الثَّنَا مِنْ أُفْقِهَا طَلَعَا
رَبْعٌ تَوَدُّ الدَّراري أَنَّهَا جُعِلَتْ ... لِطَالِعِ السَّعْدِ في آفاقِهِ تَبَعَا
كَمْ فاضِلٍ نَحْوَ ذَيَّاكَ الحِمَىٰ وَخَدَتْ ... بهِ المَهاري فلبَّىٰ نحوَها وَسَعَىٰ
تِلْكَ الجَواري علىٰ مَتْنِ البِحَارِ جَرَتْ ... لَمَّا حَدَاها بُخَارٌ بالذَّكا ابْتُدِعَا
تَعْنُو الثُّرَيَّا بِإِذْعَانٍ لِرِفْعَتِهِ ... وتَنْظُرُ المَيْلَ عَنْهُ للسِّوىٰ بِدَعَا

رفع المسيهم

فَبْـدَرُ مَطْلَعِـهِ عَبْـدُالعَـزِيـزِ بـهِ ... أَسْنى المَكَارِمِ والأَفضَالِ قَدْ جَمَعَا
مَوْلى الصَّنَائعِ والمَعْرُوفِ مِنْ قِدَمٍ ... عَلى الكَمَالاتِ في أَنواعِهَا طُبِعَا
مَـنْ رَامَ صَيِّبَـهُ يَبْغِـي نَـدَاهُ غَـدا ... عن وَجْهِ مَطْلَبِهِ التَّسويفُ مُرْتَفِعَا
شَهْمٌ هُمَامٌ سَلِيلُ المَجْدِ مَفْخَرُهُ ... فـي كُـلِّ مَنْقَبـةٍ مَحْمـودةٍ بَـرَعَـا
شَمَّـاءُ هِمَّتِـهِ فـي صِـدْقِ لَهْجَتِـهِ ... نُورُ السَّعَادةِ من أَرْجَائِها طَلَعَا
الأَلْمَعِـيُّ كَـرِيـمُ الأَصْـلِ تَحْسَبُـهُ ... حِينَ التَّناجِي عَلَى الأَسرارِ مُطَّلِعَا
يا سَيِّداً قَد حَوىٰ ما في الأَنَامِ منَ الـ ... فَضْلِ المُبينِ ولِلإِحْسَانِ ما مَنَعَا
عَطْفاً علىٰ مُدْنَفٍ في مَدْحِكُم سَعِدَتْ ... مِنْهُ الحُظوظ وعنهُ المانِعُ انقَشَعَا
فامْنُنْ عَلَيهِ بِتَنْوير المُنَىٰ كَرَماً ... فَمَنْ دَعَا باسْمِكُمْ نَحْوَ السُّها ارْتَفَعَا

(٣٠٠)

وقُلتُ في أَثْناءِ مَقالةٍ لَنا في «ثَمَراتِ الفُنون»: [من الرجز]

هَيَّـجَ داعٍ بـالصَّفـا قلبـي إلـىٰ ... طَيْبَـةَ مَـأْوىٰ أَهلِنَـا مِـنْ قِـدَمِ
إِنْ لَـمْ أُجِبْـهُ لـم أَكُـنْ ذَا شَغَـفٍ ... ولا تَبَـدَّتْ نِسْبَتِـي للحَـرَمِ

(٣٠١)

وقلت أيضاً: [من الرمل]

نِسبَـةُ التَّحقِيـقِ أَعْلـى نِسْبَـةٍ ... تَجْعَـلُ النَّـائِـي مَكَـانَ الأَقْـرَبِ

(٣٠٢)

وقلتُ مُخَمِّساً، والأَصلُ للصَّلتيِّ: [من البسيط]

يـا لائِمـاً مُغـرَمـاً قَـدْ رَامَ يَنْصَحُـهُ ... وبالمَلاَمِ وسَيفِ العَذْلِ يَجْرَحُهُ

المسيرة

مَهْلاً فَحالي بِهٰذا البَيْتِ أَشْرَحُهُ (كَمْ أَكتُمُ الحُبَّ فِي قَلْبي ويَفْضَحُهُ

دَمْعٌ من البَيْنِ نَارُ الشَّوقِ تَسْفَحُهُ)

وَالَوعَتِي مِن غَرَامٍ بالفُؤادِ لَهُ نَارُ اشْتِيَاقٍ ذَكَتْ فِيهِ تُفَصِّلُهُ

ما حِيلَتِي والهَوىٰ قَدْ مَرَّ مَنْهَلُهُ (حَديثُ حبِّي دُمُوعِي كَمْ تُسَلْسِلُهُ

والوَجْدُ يُعْرِبُ عَنْ حَالِي ويَشْرَحُهُ)

(٣٠٣)

وقُلْتُ أَيضاً في واقِعَةِ حال: [من الكامل]

ولَيِّنُ الأَعْطَافِ قَاسٍ قَلْبُهُ حُلْوُ الحَديثِ مُهَفْهَفٌ مُرُّ الجَفَا

بَيْنَا بطيبِ الوَصْلِ يُحْيِي صَبَّهُ إِذْ بالتَّجَافِي مَاتَ مِنْهُ بِلا خَفَا

أَوَّاهُ مِنْ وَجْدِي بِهِ ونِفَارِهِ وَيْلاَيَ مِنْ صَدٍّ أَتىٰ بَعْدَ الوَفَا

بِاللهِ رِفْقاً بِالمُتَيَّمِ إِنَّهُ فِي الحُبِّ قَدْ هَجَرَ العَذُولَ وَعَنَّفَا

لا تُشْمِتِ العُذَّالَ وارْحَمْ حُرْقَتِي وامْنُنْ عَلَيَّ أَيَا طَبِيبِي بالشِّفَا

(٢٠٤)

وقُلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ الحي زاده زاهد أفندي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ [من الهزج]:

وَرَوْضٍ حَلَّهُ شَهْمٌ شَرِيفُ الأَصْلِ ذُو حَسَبِ

تَقِيٌّ زَاهِدٌ فَطِنٌ إِمامُ الفَضْلِ والأَدَبِ

عَلَيْهِ صَيِّبُ الرِّضْوا نِ مُنْهَلٌّ مَدَىٰ حِقَبِ

إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ سَرَىٰ فَنَالَ العِزَّ فِي طَرَبِ

وحَازَ مِنَ الكَرِيمِ رِضًا بِفَضْلٍ غَيْرِ مُحْتَجِبِ

ومَجْداً إِذْ نُؤَرِّخُهُ (بَدَا فِي أَشْرَفِ الرُّتَبِ)

رفع المسيهم

(٣٠٥)

وقُلْتُ وقَدْ حَلَّ الوَباء في دِمَشْق في العَشْرِ الأَخير مِن رَمَضان سنة ١٣٢٠هـ: [من الكامل]

هٰذي دِمَشْقُ لَقَدْ تَكَامَلَ حُسْنُهَا ... فـالضَّيْـمُ عَنْهَـا بـالفَنَـاءِ مقـامُـهُ
لا سُوءَ يَدْنُو مِنْ حِماها بَعْدَما ... دِينُ الرَّسولِ بِهَا عَلَتْ أَعْلامُهُ
قُـلْ لِلَّـذي ظَـنَّ الـوَبـاءَ بِـأَرضِهَـا ... مِـنْ نُـورِهَـا بـاللهِ زالَ ظـلامُـهُ
إِنْ كَـانَ مَـرَّ مُـوَدِّعـاً دَاعـي الـوَبـا ... أَرِّخ بِهـا (فـالِعيـدُ كَـانَ خِتَـامُـهُ)

(٣٠٦)

وقلتُ: [من الطويل]

وَمَنْ يَجْعَلِ الإِفْكَ العَظِيمَ شِعَارَهُ ... تَجَـرَّعَ كَـأْسَ العَـارِ طُـولَ حَيَـاتِـهِ
ونَادىٰ خَطِيبُ الحَقِّ ذَاكَ مُكَذَّبٌ ... جَـزَاهُ علـىٰ دَعْـواهُ قَطْـعُ لَهـاتِـهِ

(٢٠٧)

وقُلْتُ مادِحاً حَضْرَةَ الشَّهمِ الهُمام عظم زاده محمد فوزي باشَا الأَفخم:

[من البسيط]

لا يَأْلَفُ المَجْدَ إِلاَّ السَّادَةُ النُّجَبا ... ولا المَعَـالـي إِلاَّ مَـنْ لَهـا انتُخِبَـا
وَلا الفَضـائِـلَ إِلاَّ سَيِّـدٌ رَفَعَـتْ ... فَـوْقَ الكَـواكـبِ آثَـارٌ لَـهُ الـرُّتَبَـا
سِيَّـــانِ أَوَّلُ مَسْـــرَاهُ وَآخِـــرُهُ ... كالشَّمْسِ في أَوْجِهَا أَو نورُها غَرَبَا
وتِلـكَ لَمَّـا سَمَـتْ نُـوراً ومَـرْتَبَـةً ... كُلُّ الكَواكبِ مِنْ لأْلائِها اكْتَسَبَا
وَكهْـرَبـائِيَّـةُ الأَكْـوانِ مُـذْ كُشِفَـتْ ... أَبْدىٰ أُهَيْلُ الحِجَا مِنْ سِرِّها عَجَبَا

رفع المسيهم

ما في المَنَاهِلِ مَنْ تَصْفُو مَوارِدُهُ ... إلاَّ الَّذي بالعُلا والفَخْرِ قَدْ عَذُبَا
ولَـمْ يَكُـنْ فـاضِـلٌ تَعْلُـو مَـراتِبُـهُ ... إلاَّ الَّذي مِنْ كُؤُوسِ الإِرْتِقَا شَرِبَا
لا أَجْنَحُ اليَوْمَ للغِزْلانِ أَنْشُدُهُمْ ... رُدُّوا علىٰ طَرْفِيَ النَّوْمَ الَّذي سُلِبَا
وَلا أَهِيـمُ بِمَـنْ لَـوْ شـامَ طَلْعَتَـهُ ... نُورُ الغَزالَةِ مِنْ بَعْدِ الضِّيَا ذَهَبَا
أَضْحَى الجَمالُ بِهِ مُغْرًى حَلِيفَ جَوًى ... فُـؤَادُهُ لِغَـرامٍ بِـالحَشَـا التَهَبَـا
ما الشَّوْقُ إلاَّ لِمَجْدٍ لَيْسَ يَحْجُبُهُ ... كَرُّ الغَدَاةِ ولَوْ نُورُ الضُّحَىٰ حُجِبَا
وَإِنْ سَمَا الفِكْرُ لِلْعَلْيَاء لَيْسَ يَرَىٰ ... حُبَّ الأَغَانِي إِلىٰ تَهْيَامِهِ سَبَبَا
يُفَكِّرُ اللَّيْلَ في نَظْمِ القَرِيضِ فَلَمْ ... يَجِـدْهُ إلاَّ لِمَـدْحِ الأَلْمَعِـي وَجَبَـا
بَحْرُ النَّوالِ أَبُو الأَفْضَالِ غَيْثُ نَدًى ... مُحمَّدُ الفَضْلِ خَيْرُ الأَكْرَمِينَ أَبَا
بِـهِ السَّعـادةُ لاذَتْ وَهْـيَ قَـائِلَـةٌ ... بُشْرَايَ فَرْعِي لِهٰذَا الأَصْلِ قَدْ نُسِبَا
مـا شَـامَـهُ حَـاسِـدٌ إلاَّ وأَتْبَعَـهُ ... عَمِيـمُ أَفْضَـالِـهِ مِـنْ مَجْـدِهِ شُهُبَـا
وإِنْ تَجَلَّـتْ لِأَهْـلِ الحِقْـدِ هَيْبَتُـهُ ... قُلـوبُهـم قُطِعَـتْ قَبْـلَ اللِّقَـا إِرَبَـا
وإِنْ نُجُومُ السَّمَا دَانَتْ لِنَاظِمِها ... في مَدْحِهِ غُرَراً لَمْ يَقْضِ ما وَجَبَا
فَخْرُ الأَمَاجِدِ آلُ العَظْمِ كَمْ لَهُمُ ... مِنَ المَفَاخِرِ ما قَدْ زَيَّنَ الكُتُبَا
هُـمُ الأَكـارِمُ لا يُحصِـي مَنَـاقِبَهُـمْ ... أَهْلُ البَلاغَةِ مَنْ أَمْلَىٰ وَمَنْ كَتَبَا
مَعَادِنُ النَّاسِ شَتَّىٰ في تَنَوُّعِها ... خِيارُهُمْ مِنْ صُنُوفِ المَدْحِ قَدْ وُهِبَا
لِفَضْلِ فَوْزي كَمَالٌ صِينَ عَنْ رِيَبٍ ... بـهِ الـزَّمـانُ تَهَنَّـا وانْثَنَـىٰ طَـرَبَـا
فِي صَائِبِ الرَّأْيِ والفِكْرِ السَّدِيدِ وبالطَّـبْعِ السَّليمِ لأَرْبَابِ العُقُولِ سَبَى
فَهُوَ الهُمَامُ إِمَامُ المَكْرُمَاتِ بَدَا ... وَهُوَ السَّمِيُّ عَلىٰ أَوْجِ العُلا حَسَبَا
تَبارَكَ الوَاهِبُ المَنَّانُ كَمْ هَطَلَتْ ... سَحـائِـبُ الجُـودِ مِنْـهُ مِنَّـةً وَحِبَـا
مَوْلايَ يا مَنْ سَمَا فَضْلاً وَمَرْتَبَةً ... لم يُحْصِ مَدْحَهُما الشُّعَرَاءُ والخُطَبَا

رفع المسيهم

أَنَـا المُقَصِّـرُ والمَعْلُـومُ مِـنْ قِـدَمِ ... شُمُولُ حِلْمِكَ مَنْ يَنْأَىٰ ومَنْ قَرُبَا
وَقَدْ نَزَحْتُ قُبَيلَ العِيدِ مُلْتَمِساً ... رِياضَةَ الفِكْرِ مِمَّا قَدْ جَنىٰ تَعَبَا
وَأَنْتُمو خَيْرُ مَنْ بالصَّفْحِ عامَلَني ... والعَبْـدُ يُصبِـحُ لـلإِغْضَـاءِ مُطَّلِبَـا
فاهْنَأْ بِعِيدٍ بِكُمْ عَادَ السُّرُورُ لَهُ ... فَظَـلَّ بـالعَـوْدِ للتَّبْشِيـرِ مُـرْتَقِبَـا
واسْتَجْلِ بَدْرَ الهَنا مِنْ كَوْكَبٍ ظَهَرَتْ ... مِنْهُ النَّجَابةُ أَزكَىٰ مَنْ سَمَا حَسَبَا
فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ أَضْحَىٰ خالِداً ولَهُ ... أَسْنَى الفَضَائِلِ بَيْنَ السَّادَةِ النُّجَبَا
فـاسْلَـمْ وَدُمْ للعُـلاَ كَهْفـاً تُعَـزُّ بِـهِ ... ما رَنَّحَتْ عَذَباتِ البَانِ رِيحُ صَبَا
واسْتَخْدِمِ المَجْدَ فِيمَا شِئْتَ مُحْتَكِماً ... لا يَأْلَفُ المَجْدَ إِلاَّ السَّادةُ النُّجَبَا

(٣٠٨)

وقَدِ اقْتَرَحَ عَلَيَّ بعضُ الأَحبابِ تَشْطِيرَ هٰذين البيتين، وهُما من قصيدةٍ طويلةٍ لفرنسيس فتح الله مراش الحَلبيِّ، فَقُلتُ مصدراً ومعجزاً: [من الكامل]

(رُحْ يا رَسُولُ إِلى الحَبيبِ وَقُلْ لَهُ) ... قَدْ لَذَّ مِنْكَ عَلَى النَّوَى التَّعْذيبُ
واتْـرُكْ عَـذُولاً قَـالَ عَنِّـي كَـاذِبـاً ... (ماتَ الغَرَامُ لَكَ البَقَا فَتَطِيبُ)
(إِنَّ المُحِبَّ سَلاكَ فَابْشِرْ بالمُنىٰ) ... عِنْـدَ الـوُشـاةِ وَمَـنْ عَلَيْـكَ رَقِيـبُ
ما قُلْتُ يَوْماً كُنْ حَبيبي هَاجِراً ... (فاذْهَبْ فأَنْتَ لِمَنْ تَشاءُ حَبيبُ)

(٣٠٩)

وقُلتُ أيضاً: [من الكامل]

(رُحْ يا رَسُولُ إِلى الحَبيبِ وقُلْ لَهُ) ... لا أَنْتَ أَنْتَ ولا الرَّقِيبُ رَقيبُ
لَمَّا صَحِبْتَ ذَوِي الجَهالةِ وَالخَنا ... (مَاتَ الغَرَامُ لَكَ البَقا فَتَطيبُ)
(إِنَّ المُحِبَّ سَلاكَ فَابْشِرْ بالمُنىٰ) ... يا مَنْ لَهُ في الفَاسِقِينَ نَصيبُ

رفع المسيهم

فاشْرَبْ كُؤوسَ المَقْتِ في دِمَنِ الشَّقَا (واذْهَبْ فأَنتَ لمَنْ تشاءُ حبيبُ)

(٣١٠)

وقلت أيضاً: [من الكامل]

(رُحْ يا رَسُولُ إلى الحَبيبِ وقلْ لَهُ) أَشْرَكْتَ في وُدِّي وذاكَ عَجيبُ
وَمَتَى التَّقَلُّبُ قَدْ أَلَمَّ بشَادِنٍ (مَاتَ الغَرامُ لكَ البَقا فَتَطيبُ)
(إِنَّ المُحِبَّ سَلاكَ فَابْشِرِ بالمُنىٰ) وأَراحَ قَلْباً حَلَّهُ التَّعْذِيبُ
دَعْني فَأَيَّامُ الوِصَالِ لَقَدْ مَضَتْ (واذْهَبْ فَأَنتْ لِمَنْ تَشَاءُ حَبيبُ)

(٣١١)

وقلتُ أيضاً: [من الكامل]

(رُحْ يا رَسُولُ إلى الحبيبِ وقُلْ لَهُ) إِنَّ الجَمَالَ زَوالُهُ لَقَريبُ
مُذْ حَلَّ جَيْشُ الشَّعْرِ في رَوْضِ البَهَا (مَاتَ الغَرامُ لَكَ البَقا فَتَطيبُ)
(إِنَّ المُحِبَّ سَلاكَ فابْشِرْ بالمُنىٰ) إِذْ بَدْرُ حُسْنِكَ قَدْ أَتَاهُ غُروبُ
كُفَّ الدَّلالَ فَلَيْسَ ذلك وقْتَهُ (واذْهَبْ فأَنتَ لِمَنْ تَشَاءُ حبيبُ)

(٣١٢)

وقلت: [من الكامل]

(رُحْ يا رَسُولُ إلى الحَبيبِ وقُلْ لَهُ) كُنْتَ الحَبيبَ لَنا وأَنْتَ لَبيبُ
والآنَ لَمَّا قَدْ تَبِعْتَ غَوايَةً (مَاتَ الغَرامُ لَكَ البَقا فَتَطيبُ)
(إِنَّ المُحِبَّ سَلاكَ فَابْشِرْ بالمُنىٰ) مِنْ نَيْلِ ما لا يَرْتَضِي التَّهْذيبُ
وارْتَعْ بِرَوْضِ اللَّهوِ مَعْ أَحْبَابِهِ (واذْهَبْ فَأَنْتَ لِمَنْ تَشَاءُ حَبيبُ)

رفع المسيهم

(٣١٣)

وقلتُ علىٰ لِسانِ رَجُلٍ كان عَاشِقاً لأحدِ أربابِ الجَمال، ثُمَّ اتَّخَذَ المَحبُوبُ لِمُحِبِّهِ شَريكاً مَالَ إلَيهِ بِكُلِّيَّتِهِ، فَتركَ لِقَاءَ مَحبُوبِهِ على الدوام، مَعَ ازْديادِ المَحَبَّة بينَهُما، وكتبَ إليه بهٰذه القصيدة: [من الطويل]

عَجِبْتُ مِنَ الأَحْبابِ كَيْفَ تَجَنَّتِ ... وَقَدْ كَانَ في التَّقْرِيبِ أَعْظَمُ رَغْبَتِي
وَكُنَّا وَلا نَخْشَى التَّفَرُّقَ بَيْنَنَا ... فَصِرْنَا نَلَذُّ طُولَ عَهْدِ التَّشَتُّتِ
تَرَانَا وَكُلٌّ للوِدادِ مُحَافِظٌ ... ولكنَّنَا نَأْبَىٰ اللِّقَاءَ بِنَظْرَةِ
تَرانا وَكُلٌّ خافِقُ القَلْبِ آسِفٌ ... وَلكنَّنَا نَرْجُوهُ صِرْفَ المَوَدَّةِ
تَرَانَا وَكُلٌّ هَائِمٌ بخَلِيلِهِ ... إذا مَا بَدَا في الحِبِّ عَكْسُ الأَشِعَّةِ
إذا غَابَ عَنِّي كانَ وَجْدي مُؤَانِسِي ... وإنْ سَامَنِي قُرْباً أَبُوءُ بِرَجْعَتِي
فَيَا عَجَباً هَلْ تِلْكَ فِتْنَةُ حَاسِدٍ ... أَمِ السَّاحِرُ المَفْتُونُ زَادَ بِعلَّةِ
أَمِ الوُدُّ في مَاضِيهِ كَانَ تَمَلُّقاً ... أَمِ العاذِلُ المَغْبُونُ لَمْ يَأْتِ بالَّتِي
سَقَاني مِنَ الهِجْرانِ كَاساً رَوِيَّةً ... أَذَابَتْ حَشَايَ والفُؤَادَ بِشُعْلَةِ
أَظَلُّ نَهَارِي بافتِكَارٍ وَلَوْعَةٍ ... وَطُولَ اللَّيالي مِنْ نَواهُ بِحَيْرَةِ
يُمَثِّل لِي يَومَ الرَّحِيلِ مَدَامِعِي ... وبُعْدِي قَرِيباً من دِيَارِ أَحِبَّتِي
فأَبْهَتُ لا أُصْغِي لِقَوْلِ مُنَادِمِي ... وأَذْهَلُ حَتَّىٰ أَنْ أَغِيبَ بِغَيْبَتِي
وأَشْكُو النَّوىٰ مِنْ حَاتِمٍ ومُجَاهِدٍ ... وما القَصْدُ إلا مَنْ إلَيهِ وِجْهَتِي
وما كانَ مِنْهُ غَيْرُ صِدْقِ تَقَلُّبٍ ... ولَمْ يَكُ مِنِّي غَيْرُ نَفْسٍ أَبِيَّةِ
علىٰ عَهْدِهِ بالوُدِّ أَلْفُ تحِيَّةٍ ... وَإِنْ كَانَ جَمْعُ الشَّمْلِ أَبْعَدَ مُنْيَةِ
لِتَهْنَ العِدَا فالدَّهْرُ فَرَّقَ بَيْنَنَا ... علىٰ رَغْمِ ما انْضَمَّتْ عَلَيْهِ طَوِيَّتِي
أَرى الصَّبْرَ يَجْفُونِي فأُصْبِحُ هَائِماً ... فيا صَبْرُ رِفقاً لا تُلِمَّ بِغُرْبَتِي

رفع المسيهم

وَيَا سَلْوَتي كُوني لَدَيَّ فَإِنَّني ... بقَلْبٍ ثَوَىٰ بَيْنَ الضُّلُوعِ مُفَتَّتِ
سأَشْكُو لِدَمْعي كَيْ يُزيلَ شِكَايَتي ... فَيُطْفي لَهِيبَ القَلْبِ مِنْ نَارِ زَفْرَتِي
فَيَا عَهْدَهُ المَاضِي وَلَمْ يَكُ رَاجِعاً ... عَلَيْكَ سَلامي ما النَّسَائِمُ هَبَّتِ
ويا رَبْعَهُ المَحْرُوسَ باليُمْنِ وَالهَنا ... عَلَيْكَ سلامُ اللهِ في كُلِّ لَمْحَةِ
فَحَيَّا الحَيَا أَيَّامَنَا بِلِقَائِهِ ... وَإِنْ لَم أَكُنْ أَطْمَعْ بِرَدِّ تَحِيَّةِ
سَلامٌ علىٰ عَهْدِ التَّواصُلِ بَيْنَنا ... وَإِنْ كانَ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيَّ بِعَوْدَةِ
سلامٌ علىٰ أَيَّامِ أُنْسٍ قَضَيْتُها ... إذا رُدَّ ماضِيها إِلَيْنَا بِرُدَّةِ
سَلامٌ علىٰ لَيْلِ المَوَدَّة والصَّفَا ... وَشَكْوىٰ أَليمِ الوَجْدِ في حانِ خَلْوَةِ
سَلامٌ علىٰ ذاكَ الوِدَادِ الذَّي مَضىٰ ... كَسَاهُ لَنَا الوَاشُونَ أَقْبَحَ حُلَّةِ
سَلامٌ علىٰ عَهْدِ الأُخُوَّةِ وَالوَفا ... وإِنْ كُنْتُ قَدْ أُبْدِلْتُ مِنْهُ بِغُصَّةِ
سلامٌ علىٰ ما كَانَ مِنْ جَمْعِ شَمْلِنا ... وَإِنْ كُنْتُ بالتَّفْرِيقِ أُبْتُ بِلَوْعَتِي
سَلامٌ على اللَّذَّاتِ مِنْ بَعْدِ بُعْدِه ... وَمِضْمَارُ دَاعي الشَّوْقِ طَلْقُ الأَعِنَّةِ
سَلامٌ عَلَىٰ يَوْمٍ تكَرَّرَ عَوْدُهُ ... دَوَاماً فَأَضْحَىٰ لا يَجُودُ بِزَوْرَةِ
سلامٌ على الوَصْلِ العَفيفِ تكَرُّماً ... فَقَدْ صَارَ لا يَحْنُو عَلَيَّ بِنَظْرَةِ
سلاماً سلاماً يا فُؤَادُ فَذَا مَضَىٰ ... وقَدْ بَاعَكَ المَحْبُوبُ أَخْسَرَ بَيْعَةِ
وهٰذا مُحَالٌ أَنْ تَرُدَّ زَمَانَه ... فَصَبْراً وإِلاَّ فَاسْتَعِدَّ لِمِحْنَةِ

(٣١٤)

وقلت: [من الكامل]

مَرَّ الغَزَالُ علىٰ مُحِبِّيهِ وَقَدْ ... خَصَّ التَّحِيَّةَ بَعْضَهُم بِكَمَالِهَا
ومَضَىٰ يَتيهُ على المَحَاسنِ قَائِلاً ... تِلْكَ الإِشَارةُ في بديعِ مِثَالِهَا
لَكُمُ السَّلامَةُ مِنْ سِهَامِ لَواحِظي ... وفُؤَادُ هٰذا مَرْتَعٌ لِنِبَالِهَا

رفع المسيهم

(٣١٥)

وقلتُ في غلامٍ واضعٍ كَفَّهُ علىٰ خَدِّهِ: [من الكامل]

بَدْرٌ علىٰ كُرْسي الخُدُودِ يَمينُهُ مُتَفَكِّراً فِي قَتْلِ ذِي الأَشْوَاقِ
قَدْ قَالَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ في مَوْقِفِي حَتَّىٰ تَقُومَ قِيَامَةُ العُشَّاقِ

(٣١٦)

وقلتُ: [من الوافر]

وَرَسَّامٍ يَفُوقُ البَدْرَ حُسْنَا بِهِ لَمْ يُبْقِ لِي فِي الجسمِ رَسْمَا
بِبِرْكَارِ البَهَاءِ يَقيسُ وَجْدِي لِيَجْعَلَ شَخْصَهُ في القَلْبِ رَسْمَا

(٣١٧)

وقُلتُ: [من الوافر]

سَلُوهُ لِمْ يُعامِلُني بِهَجْرٍ وَلَم يَرْحَمْ فُؤَاداً فيهِ مُغْرَمْ
وَمِنْ طَبْعِ الجَمِيلِ الرِّفْقُ فيمَنْ غَدا في حُبِّهِ أَبَداً مُتَيَّمْ

(٣١٨)

وقلتُ مُؤَرِّخاً: [من الرمل]

رَوْضَةٌ حَلَّتْ بِهَا بِنْتُ التُّقَىٰ في نَعِيمٍ وهَنَاءٍ سَاكِنَهْ
مِنْ بَنِي النَّحَّاسِ مَنْ أَمْسَتْ لَهُمْ جَنَّةُ المَأْوَىٰ رِضَاءً ضَامِنَهْ
لِجِوارِ المُصْطَفَىٰ لَمَّا مَضَتْ وَمَدِيدِ العَفْوِ كَانَتْ ظَاعِنَهْ
فبِذا تَاريخُها (دُمْ بالصَّفَا جَنَّةُ الفِرْدَوْسَ مَأْوَىٰ آمِنَهْ)

رفع المسيهم

(٣١٩)

وقلت: [من الوافر]

أُحِبُّ الرَّاءَ تَهْيَاماً بِـ«رُشْدِي» وَإِنْ فِي هَجْرِهِ قَدْ ضَاعَ رُشْدِي
يُمَثِّلُ شَخْصُهُ شَوْقِي لِعَيْنِي فَيَأْلَفُ طَبْعُهُ بُعْدِي وَصَدِّي
فَهَلْ حُدِّثْتُمُو عَنْ مِثْلِ هٰذا وَهَلْ أَبْصَرْتُمو وَجْداً كَوَجْدِي

(٣٢٠)

وقلتُ: [من الطويل]

عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ اسْتَهَامَ بِغَيْرِهِ وَلَوْ نَظَرَالمِرْآةَ هَامَ بِنَفْسِهِ
صِحاحٌ مِرَاضٌ كَمْ فَتَكْنَ بِمُهْجَةٍ لَهَا تَرَكَ الجَبَّارُ شِدَّةَ بَأْسِهِ

(٣٢١)

وقلتُ مَشَطِّراً: [من الكامل]

قَلْبُ المُتَيَّمِ كَادَ أَنْ يَتَفَتَّتَا وفِرَاقُ صَبْرِي بالتَّأَوُّهِ قَدْ أَتَىٰ
فَإِلامَ يا مَلِكَ المَحَاسِنِ هَاجِرِي وإِلىٰ مَتَىٰ هٰذا الصُّدودُ إِلىٰ مَتىٰ
يا مُعْرِضاً عَنِّي بِغَيْرِ جِنَايَةٍ وَأَصَاخَ لِلْوَاشِي وَصَبْرِي مَوَّتَا
إِنْ كُنْتَ تَرْمِينِي بِصَدٍّ مُتْلِفٍ فَعَوَائِدُ الغِزْلانِ أَنْ تَتَلَفَّتَا
صَدٌّ وَهَجْرٌ زَائِدٌ وَصَبَابَةٌ وَنُحُولُ جِسْمٍ لِلْكَآبَةِ أَثْبَتَا
حُزْنٌ وَتَسْهِيدٌ وَعَذْلُ عَوَاذِلٍ مَا كُلُّ هٰذا الأَمْرِ يَحْمِلُهُ الفَتَىٰ

رفع المسيهم

(٣٢٢)

وقلتُ مُشَطِّراً، والأصلُ لأَحدِ الأُدباء: [من الوافر]

(دَوَاعِي الأُنْسِ بالأَفْرَاحِ وَافَتْ) وَحُزْتُ مِنَ اللِّقَا أَقْصَى الأَمَانِي
وَبُلْبُلُ حَظِّنَا يَشْدُو سُرُوراً (وغَرَّدَ بالصَّفَا وُرْقُ التَّهَانِي)
(فَيَا بُشْرَاكَ يا قَلْبِي تَمَلَّىٰ) وَكُنْ بالصَّفْو فِي طُولِ الزَّمانِ
ويا قَلْبِي تَهَنَّا بِانْشِرَاحٍ (فَقَدْ وَافَاكَ رَبُّ اللُّطْفِ هَانِي)

(٣٢٣)

وقلت مُخَمِّساً: [من مجزوء الرمل]

أَذْهَبَ التَّقْرِيبُ صَدِّي وَوَفَانِي اليَوْمَ رُشْدِي
يَا هَنَائِي دامَ سَعْدِي (وافَتِ الأَفْرَاحُ عِنْدِي
وصَفَا وَقْتُ التَّهَانِي)
يَا صَفَائِي حَيْثُ مِنْ رُشْدِيَ الوَصْلُ ضُمِنْ
إِنْ يَقُلْ غَيْري يهِنْ (حِينَمَا شَرَّفَ إِنْ
سَانُ عَيْنِ اللُّطْفِ هَانِي)

(٣٢٤)

وقُلْتُ مُشَطِّراً: [من مجزوء الرمل]

(وَافَتِ الأَفْرَاحُ عِنْدِي) وفُؤَادِي فِي أَمَانِ
وَوَفَانِي اليَوْمَ رُشْدِي (وصَفَا وَقْتُ التَّهَانِي)
(حِينَمَا شَرَّفَ إِنْ) سَانَ ذَيَّاكَ الزَّمَانِ
صَدُّه يَعْدِلُ إِحْـ (ـسَانَ عَيْنِ اللُّطْفِ هَانِي)

رفع المسيهما

(٣٢٥)

وقُلْتُ مُؤَرِّخاً بِرْكَةَ مَاءٍ أَنْشَأَها أَحَدُ أَصْحابِنا عندَ ضَريحِ نَبِيِّ اللهِ ذِي الكِفْلِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: [من الرمل]

فـي جَـوارِ صَـاحِـبِ الكِفْـلِ غَـدَا ... حَوْضُ مَاءٍ فاقَ أَعْلَى المُشْتَرِي

جُـــدِّدَتْ آثـــارُهُ بَعْـــدَ البِلـــى ... مِـــنْ سَعيـــدٍ ذِي ثَنَـــاءٍ أَعْطَـــرِ

إِذْ لِآلِ المُصْطَفَـــىٰ آلِ العَبَـــا ... مَنْ سَمَوْا بالطِّيبِ عَرْفَ الْعَنْبَرِ

وَالصِّحـابِ الأَكْـرَمِيـنَ الشُّـرَفـا ... صَـارَ وَقْفـاً فـي المَسَـا والبُكَـرِ

ولِـرُوحِ وَالِـدِ السَّـاعِـي بِـهِ ... ذَاكَ عُثْمَـانُ التَّقِـيُّ والسَّـرِي

يـا لَـهُ فَضْـلٌ عَلَىٰ طُـولِ المَـدىٰ ... قَـدْ حَبَـاهُ بِـالثَّـوَابِ الأَكْبَـرِ

كُـلُّ مَـنْ ذَاقَ رَحِيـقَ مَـائِـهِ ... صَادِراً عَنْ وِرْدِهِ العَذْبِ الرَّوي

سَلْسَبِيـلٌ فِيـهِ قَـدْ أَرَّخْتُـهُ ... (بَـارِقٌ مِـنْ مـاءِ عَيْـنِ الكَـوْثَـرِ)

(٣٢٦)

وقلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ رَجُل شُجَاعٍ مَات قَتيلاً: [من الوافر]

لِسَاكِنِ ذَا الضَّرِيحِ جَزِيلُ أَجْرٍ ... شَهِيـداً قَـدْ قَضـىٰ شَهْمـاً رَخِيًّـا

رَأَىٰ حُمْـرَ المَنـايـا فـاحْتَسـاهـا ... وكَـانَـتْ قَبْـلَ ذَاكَ لَـهُ نَجِيًّـا

وقـالَـتْ للخُلـودِ بِخَيْـرِ مـأْوَىٰ ... نُـؤَرِّخُ (والنَّعِيـمُ غَـدَا عَلِيًّـا)

(٣٢٧)

وقلتُ مُخَمِّساً: [من الرمل]

قَدْ تَجلَّى الحَظُّ والنَّحْسُ انْثَنَىٰ ... والصَّفَـا للـوَقْـتِ أَضْحَـىٰ دَيْـدَنَـا

رفع المسيهم

وَبدا الـوَاشِـي يُنـدِي فـي العَنَـا (أَيْـنَ أَيَّـامٌ نَقَضْـتُ بـالمُنَـىٰ
ذَهَبَـتْ سَـالِبَـةً مِنَّـا السُّـرُورْ)

وَجَّهَـتْ أُسْـدُ المَعَـالِـي جُنْـدَهَـا نَحْوَ أَهْلِ المَجْدِ تَبْغِي رُشْدَهَا
قَـالَـتِ الأَعْـدَاءُ تَبْكِـي عِنْـدَهـا (وأَتَـتْ أَيَّـامُ نَحْـسٍ بَعْـدَهَـا
فَـدَهَتْنَـا بِهُمُـومٍ وَكُـدُورْ)

يـا لَهَـا مِـنْ مِحْنَـةٍ قَـدْ أَرْعَـدَتْ لِأُولِـي الجَهْـلِ جَمِيعـاً شَـرَّدَتْ
قَـالَ أَهْـلُ الـوَجْـدِ طُـرّاً إِذْ بَـدَتْ (رَفَعَـتْ مِنّـا الصِّغـارَ وَغَـدَتْ
تَخْفِـضُ الكِبَـارَ نَـاراً بَعْـدَ نُـورْ)

قَـالَ عَـنْ هٰـذا النَّبَـا طِغَـامُنَـا عِنْـدَمـا قَـدْ صَـدَقَـتْ أَحْـلاَمُنَـا
وَأَتَتْنَـا بِـالهَنَـا أَعْـوَامُنَـا (لَيْـتَ شِعْـرِي هَـلْ نَـرَىٰ أَيَّـامَنَـا
فِـي هَنَـاءٍ وصَفَـاءٍ وَحُبُـورْ)

(٣٢٨)

وقُلْتُ مُؤَرِّخاً: [من الكامل]

يا رَوْضَةً قَدْ جَادَها صَوْبُ الرِّضَا مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ الكَرِيمِ القَادِرِ
لا زِلْـتِ مِـنْ جَنَّـاتِ عَـدْنٍ مَنْـزِلاً يَـزْهُـو النَّعِيـمُ بِـهِ بِعِـزٍّ وَافِـرِ
وَبِهَـا لِعَبْـدِ اللهِ خَيْـرُ كَـرَامَـةٍ أَمْسَىٰ بِهَا بالفَضْلِ أَوفَىٰ ظَافِرِ
وَبِكَوْثَرِ الفِرْدَوسِ يُسْقَىٰ مَنْ أَتَىٰ يَسْعَـىٰ إِلَيْـهِ مِثْـلَ بَـدْرٍ سَـافِـرِ
لَمَّـا دَعَـاهُ اللهُ لِـلإِحْسَـانِ فِـي دَارِ النَّعِيـمِ لِخَيْـرِ جُـودٍ ظَـاهِـرِ
لَبَّـاهُ طَـوْعـاً لِلْجِنَـانِ فَحَبَّـذَا بَـدْرٌ سَـرَىٰ تَـارِيخُـهُ(لِغَـافِـرِ)

رفع المسيهم

(٣٢٩)

وقلتُ مُؤَرِّخاً مَولُوداً لِبَعْضِ الأَصحاب : [من الرمل]

رَاحَ يَخْتَـارُ التَّهَـانِـي مَـوْرِدَا مَنْهَـلُ الأَفْـرَاحِ لـلأُنْـسِ اهْتَـدَىٰ
وَانْثَنَـىٰ نَحْـوَ الصَّفَـا يُنْشِـدُنَـا هٰـذِه الأَوْقَـاتُ لِلْبُشْـرىٰ هُـدَى
يـا هَنَـاءً لَـمْ تَـزَلْ أَوْقـاتُـهُ بَـدْرُهَـا يَطْلُـعُ فِـي طُـولِ المَـدَىٰ
فِـي بَنِـي سُلطَـانَ أَرْبـابِ الثَّنَـا مَنْ غَدَوا في المَكْرُمَاتِ مَشْهَدا
وَسَلِيـمٌ مِنْهُمُـو يـا طَـالَمـا حَـازَ بـالمَجْـدِ الجَمِيـلِ السُّؤْدَدَا
بَـدْرُ أَفْضَـالٍ بَـدَا مِـنْ بُـرْجِـهِ كَـوْكَـبٌ بِـالمَجْـدِ يَسْمُـو الفَـرْقَـدَا
لَـم يَـزَلْ فَجْـرُ التَّهَـانِـي قَـائِـلاً فَـازَ صُبْحِـي بِـالمَعَـالـي سَـرْمَـدَا
وأَتَـىٰ مِيـلادُهُ فـي طَـالِـعٍ بِـالسُّعُـودِ قَـدْ تَبَـاهَـىٰ وارْتَـدَى
مَطْلَـعٌ لِلْمُشْتَـرِي سُلْطَـانُـهُ وَعَـنِ الـزُّهْـرَةِ بِـالحـظِّ شَـدَا
يـا هَنَـاءً قَـدْ أَتَـىٰ تَـارِيخُـهُ (فَـرَحـاً ضِيَـاءُ صُبْحِـي قَـدْ بَـدَا)

(٣٣٠)

وقُلْتُ : [من الرمل]

يا لَيالِي الوَصْلِ في نَادِي الصَّفَا هَـلْ لَـكِ اليَـوْمَ إِلَيْنَـا مِـنْ رُجُـوعْ

دور

يُنْعِـشُ الـرُّوحَ بِـأَلْطَـافِ الـوَفـا وتَعُـودُ الجَفْـنَ لَـذَّاتُ الهُجُـوعْ
مَـنْ مُجِيـري مِـنْ حَبِيـبٍ سَلَبـا بُعْـدُهُ المَعْقُـولَ والصَّبْـرُ استَقَـالْ
كُلَّمَـا طَـالَ الـزَّمَـانُ اقْتَـرَبـا مِـنْ فُـؤَادِي وَإِلـى الهِجْـرَانِ مَـالْ
وَالنَّـوىٰ أَبْـدىٰ إِلَـيَّ العَجَبـا وَوُجُودِي قَدْ حَكَىٰ طَيْفَ الخَيَالْ

لَيْـتَ شِعْـرِي هَـلْ أَرَاهُ مُسْعِفَـا ذَا هُيَـامٍ ذَابَ مِـنْ فَـرْطِ الـوُلُـوعْ
مُظْهِـراً مِـنْ رَثِّ جِسْمِـيَ الخَفـا مُطْفِئـاً نَـارَ الجَـوىٰ بَيْـنَ الضُّلُـوعْ

دور

مـا لَـهُ يـاآلَ وُدِّي لَـمْ يَـزَلْ يُضْـرِمُ النَّـارَ بـأَحْشَـاءِ الأَسِيـرْ
وَهَـوَاهُ قَـدْ قَضَـاهُ فـي الأَزَلْ مَـنْ عَلَيْـهِ مُعْضِـلُ الأَمْـرِ يَسِيـرْ
مـا احْتِيَـالِي إِنْ بِـيَ الأَمْـرُ نَـزَلْ أَيْنَمـا حَلَلْـتُ أَمْ أَيْـنَ أَسِيـرْ
لا أَرَىٰ لِـي غَيْـرَ دَمْـعٍ ذَرَفـا وَجَـوًى يَقْضِـي عَلَـيَّ بـالخُضُـوعْ
وتَبَـارِيـحٍ تَـزِيـدُ اللَّهَفَـا تُعْلِنُ الأَشْوَاقَ فـي ظِلِّ الرُّبُوعْ

دور

عَـادِلٌ فـي حُكْمِـهِ كَيْـفَ جَـرَىٰ والـرِّضَـا فَـرْضٌ عَلَـيَّ وَاجِـبُ
والصَّفَـا فِـي يَـدِهِ إِنْ أَمَـرَا يَـأْتِنِـي وَالمَقْـتُ مِنْـهُ لاَزِبُ
وَهَـواهُ قَـدْ قَضَـىٰ أَنْ أَشْكُـرَا لَـوْ أَتَتْنـي بـالنَّـوى العَجَـائِـبُ
وَغَـرَامـي بـالصَّفَـا قَـدْ حَلَفَـا أَنْ يُجَاري الشَّمْسَ في كُلِّ طُلُوعْ
لَوْ أَبَىٰ والصَّبْرُ والجِسْمُ اخْتَفَىٰ لَـمْ يَكُـنْ مِـنْ بَعْـدِ مـا كَـانَ قُنُـوعْ

دور

وَلَهِـي وَالحُسْـنُ مِنْـهُ فِـي ازْدِيـادْ فَـانْصِفُـونِـي إِنَّ ذَا أَمْـرٌ عُجَـابْ
وَهَـوَانِـي قَـدْ أَتَـىٰ طِبْـقَ المُـرَادْ فَحَـلاَ فـي حُبِّـهِ مُـرُّ العَـذَابْ
هَـلْ لَـهُ مِـنْ مَـانِعٍ طِيـبَ الـوِدَادْ يَجْعَلُ العَهْدَ الوَثِيقَ في ارْتِيَابْ
أَسَفـي عَمَّـا مَضَـىٰ وَاأَسَفـا وَجَّـهَ العُـذَّالُ نَحْـوِيَ الجُمـوعْ
وَهْـوَ لا يُعِيـدُ مـا قَـدْ سَلَفـا مِنْ وِصَالٍ جَمَدَتْ فِيهِ الدُّمُوعْ

رفع المسيهم

(٣٣١)

رَشْفُ الشَّمولُ مِنْ عِلْمِ الأُصُول[1]

(٣٣٢)

وَقُلْتُ على لسان صورةِ غادَةٍ خَيالِيَّةٍ: [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْحُسْنَ تَعْشَقُهُ النُّهَى ... وَيَزِيدُ أَرْبَابَ الْغَرَامِ خَبَالاَ

أَتْحَفْتُ ذَا الْوَجْدِ القَرِيبَ بِمَنْظَرِي ... وبَعَثْتُ لِلصَّبِّ الْبَعِيدِ خَيَالاَ

(٣٣٣)

وَقُلْتُ مَادِحاً مردم بك زاده محمد راشد باشا وَمُهَنِّئَه برتبة «ميرميران» السَّنِيَّة: [من الكامل]

يَا مَنْهَلاً صَفَا لِلْوَارِدِ ... دُمْ بِالتَّهَانِي رَغْمَ أَنْفِ الْحَاسِدِ

وَابْنَ الْمَكَارِمِ فَوْقَ مَنْزِلِ شَمْسِهَا ... فَلأَنْتَ أَوْلَى مَنْ نَرَى بِمَحَامِدِ

وَالْمَدْحُ فِي أَبْهَى صِفَاتِكَ هَائِمٌ ... وَلَهُ بِكَوْثَرِهَا أَجَلُّ مَوَارِدِ

لِمَ لا يَهِيمُ وَآلُ مَرْدَمَ سَادَةٌ ... نَظَمَ الزَّمَانُ ثَنَاءَهُمْ بِقَصَائِدِ

أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرٍ مَا مِنْهُمُ ... أَبَداً سِوَى الشَّهْمِ الكَرِيمِ الماجِدِ

هُمُو سَمَاءُ الْمَكْرُمَاتِ وَشَمْسُهُمْ ... هَذَا الْهُمَامُ الرَّاشِدُ بْنُ الرَّاشِدِ

فَخْرُ الْمَنَاصِبِ وَابْنُ بَجْدَةَ مَجْدُهَا ... بَدْرُ الْمَعَانِي ذُو الْكَمَالِ السَّائِدِ

أَلْقَتْ تَقَالِيداً إِلَيْهِ مَنَاصِبٌ ... فَمَضى بِهَا لَمْ يُلْفَ غَيْرَ الحَامِدِ

---

(١) لما كانت هذه المنظومة خارجةً عن موضوع الديوان، وكانت تستحق أن تُفرد بشكل مستقل، قمتُ بإفرادها، وطباعتها مستقلةً، وقد صدرت بعنوان، «رشف الشمول في علم الأصول» بدمشق سنة ١٤٢٤هـ، ولله الحمد وحده، وعليه فقد تم حذفها من هنا، والإحالة عليها هناك.

رفع المسيهم

وَإِذَا رَآهُ الحَـقُّ قَـالَ مُنَـادِيـاً ... الآنَ نِلْتُ مِنَ الزَّمَانِ مَقَاصِدِي
وَالبَـاطِـلُ المَشْـؤُومُ وَلَّـى قَـائِـلاً ... يَـا لَيْتَنِـي قَـدْ مِـتُّ قَبْـلَ مَـوَاعِـدِ
لَـمْ يَـدْرِ غَيْـرَ الْحَـقَّ وَالْحِلْـمَ بِـهِ ... وَلَـهُ بِـذَاكَ اللهُ خَيْـرُ مُسَـاعِـدِ
أَنْعِـمْ بِـهِ مِـنْ رَاشِـدٍ أَكْـرِمْ بِـهِ ... فَلَقَـدْ بَنَـى رُكْنـاً لِمَجْـدٍ صَـاعِـدِ
وَكَـذَاكَ أَفْعَـالُ الْكِـرَامِ إِذَا بَـدَتْ ... لَمْ تُحْصِ مَدْحَهُمُ بَدِيعُ قَصَائِدِ
لَـوْ أَنَّ رُتْبَتَـهُ تُنَـاسِـبُ قَـدْرَهُ ... عِظَماً لأَصْبَحَ فَوْقَ أَوْجِ عُطَارِدِ
لَكِنَّمَـا فَخْـرُ المُلُـوكِ وَعِـزُّهُـمْ ... رَبُّ الْعَـلاَءِ مُبِيـدُ أَثْـرِ الجَـاحِـدِ
أَهْـدَىٰ إِلَيْـهِ «ميـرميـران» لِكَـيْ ... تَـأْتِـي بَشِيـراً بِـالْعَـلاءِ الْـوَافِـدِ
وَيَنَالَ مِنْهَا بَعْدَها أَسْمَى المُنى ... مِـن حُسْـنِ مَـرْتَبَـةٍ كَنَظْـمِ قَـلاَئِـدِ
بُشْرَاكَ يَا مَوْلَى الْفَضَائِلِ إِنَّكُمْ ... أَهْـلٌ «لِكُـلِّ فَضِيلَـةٍ وَفَـوَائِـدِ»

(٣٣٤)

وقلت في جموع القلة : [من الرجز]

أَفْعَـالُ يـأْتـي مِـنْ جُمُـوعِ القِلَّـةِ ... أَفْعِلَـــةٌ وَأَفْعُـــلٌ وَفِعْلَـــةِ
وَمَـاعَـدا هٰـذا فجَمْـعُ الكَثْـرَةِ ... فَـاجْـرِ القِيـاسَ وَاتَّبِـعْ مَحَجَّتِـي

(٣٣٥)

وقلتُ مُخَمِّساً : [من الرمل]

سِرُّ هٰذا الكَوْنِ يُطْوىٰ في الهَوَىٰ ... والجَـوَىٰ يَنْشُـرُ مـا مِنْـهُ انْطَـوَىٰ
يـا غَـزَالاً فـي فُـؤَادِي قَـدْ ثَـوَىٰ ... (قُلْـتُ لَمَّـا خَفَـقَ القَلْـبُ جَـوَىٰ
حِينَ شامَتْ قُرْطَكَ الخَفَّاقَ عَينِي)
كَـانَ لُـبُّ النَّـاسِ فِيـكَ وَامِقَـا ... فَغَـدَا النَّجْـمُ لِـوَجْـدٍ سـابِقَـا

فكِـلاَ النَّـوْعَيـنِ أَمْسَـىٰ عَـاشِقَـا (كُنْـتَ لا تَمْلِـكُ إلاَّ خَـافِقَـا
فهَنيئـاً لَـكَ مُلْـكُ الخَـافِقَيـنِ)

(٣٣٦)

وقلتُ مُشَطِّراً: [من الرمل]

(قُلْـتُ لَمَّـا خَفَـقَ القَلْـبُ جَـوًى) وَانْجَلَىٰ عَنْ سِرِّ ما أَخْفَاهُ غَيْنِي
كَهْـرَبَـاءُ الحُـبِّ قَـدْ حَقَّقْتُهَـا (حِينَ شَامَتْ قُرْطَكَ الخَفَّاقَ عَيْنِي)
(كُنْـتَ لاَ تَمْلِـكُ إلاَّ خَـافِقـاً) مَـوْضِـعَ السِّـرِّ بقَلْـبِ المَغْـرِبَيْـنِ
فَمَلَكْـتَ الشَّـرْقَ فـي نُـورِ البَهَـا (فَهَنيئـاً لَـكَ مُلْـكُ الخـافِقَيـنِ)

(٣٣٧)

وقلتُ: [من الرمل]

وَاصِـلَ الصَّـبُّ وَقَـدْ طَـالَ النَّـوَىٰ وَحَشَـا العُـذَّالِ بـالعَطْـفِ شَـوَىٰ
فَاسْتَمِعْ ماكَانَ في قُدْسِ طُوَىٰ (قُلْـتُ لَمَّـا خَفَـقَ القَلْـبُ جَـوَىٰ
حِينَ شَامَتْ قُرْطَكَ الخَفَّاقَ عَيْنِي)
قَـدْ غَـدَا قُـرْطُـكَ مِثْلِـي عـاشِقَـا هـائِمـاً فـوقَ الخُـدودِ وَامِقَـا
يـا سُلَيْمـانَ المِـلاحِ السَّـابِقَـا (كُنْـتَ لا تَمْلِـكُ إلاَّ خـافِقَـا
فَهَنِيئـاً لَـكَ مُلْـكُ الخَـافِقَيـنِ)

(٣٣٨)

وقلت مؤَرِّخاً وفاةَ أحمد أفندي القُوَّتلي: [من الكامل]

رَوْضٌ بِـرَوْحٍ ثُـمَّ رَيْحَـانٍ سَمَـا وَنَعيـمِ جَنَّـاتٍ وَحُسْنَـىٰ هـاطِلَـهْ

رفع المسيهم

قَـدْ ضَـمَّ شَهْمـاً بِـالتُّقَـىٰ أَوْقَـاتُـهُ ... كانَتْ وَطاعَةِ ذي الجلالِ آهِلَهْ
فـي دارِ دُنيـاه الصَّـلاحُ سَميـرُهُ ... وَمَضىٰ وأَحْمَدُ فِعْلُهُ وَالفَضْلُ لَهْ
هُوَ كَوْكَبٌ مِنْ آلِ قُوَّتْلي ثَوَىٰ ... بِجِـوارِ رَبٍّ لا يُخَيِّـب سـائِلَـهْ
وَلَـهْ شَـرَابُ العَفْـوِ فـي دارِ البَقـا ... أَرِّخْ (حلاَ بِالرَّحْمةِ المُتَواصِلَهْ)

(٣٣٩)

وقلت: [من الوافر]

إِلَـهَ الخَلْـقِ مَـا هَـذَا القَضـاءُ ... وَهَـلْ لِـلأَمْـرِ مِـنْ بَعْـدُ انْقِضَـاءُ
حَكَمْـتَ بِحِكْمَـةٍ خَفِيَـتْ عَلَيْنَـا ... وَسِـرٌّ لَيْتَـهُ كُشِـفَ الغِطَـاءُ
أَفـي هَـذا شَقـاءٌ رُمْـتَ مِنِّـي ... أَمِ السَّعْـدُ بِـهِ كـانَ انْجِـلاءُ
وَهَـلْ رُمْـتَ انْتِقـاماً مِـنْ عُبَيـدٍ ... ضَعيـفٍ مـا لَـهُ أَبـداً غَنـاءُ
إِلَيْـكَ الأَمْـرُ إِنْ قَـدَّرْتَ شَيئـاً ... فَمـا يُغْنِـي التَّبَصُّـرُ والـدُّعَـاءُ
وَإِنَّ الصَّبْـرَ مِـنْ بَعْـضِ العَطَـايَـا ... وَصَبْـري قَـدْ تَقَـاسَمَـهُ الفَنـاءُ
فَمـا فِعْلـي وإِنِّـي فِـي اضْطِـرارٍ ... وَكـادَ الجِسْـمُ يُتْلِفُـهُ العَنـاءُ

(٣٤٠)

وقلتُ مَشطِّراً: [من المجتث]

(إِيَّـاكَ إِيَّـاكَ مِمَّـنْ) ... لا خَيْـرَ يُـرْجَـىٰ لَـدَيْهِـمْ
يَسْتَبْشِـرُونَ إذا مَـا ... (يُعْـزَى الفَخَـارُ إِلَيْهِـمْ)
(وَفـي دِمَشْـقَ أُنَـاسٌ) ... كـالبَحْـرِ فَيْـضُ يَـدَيْهِـمْ
وَآخَـرُونَ ذِئَـابٌ ... (لَـوِ اطَّلَعْـتَ عَلَيْهِـمْ)

رفع المسيهم

(٣٤١)

وقلتُ: [من مجزوء الكامل]

صَبْـــرِي لَقَـــدْ أَنْفَقْتُـــهُ وَتَجَلُّـــدِي مَـــزَّقْتُـــهُ
عَجَبـــاً لِحَـــالٍ ذُقْتُـــهُ (مَـــرِضَ الحَبِيـــبُ فَـــزُرْتُـــهُ
فَمَـرِضْـتُ مِـنْ أَسَفِـي عَلَيـهِ)
ثَـــوْبَ السَّقَـــامِ أَعَـــارَنِـــي وَبِـــالفَنَـــاءِ أَجـــازَنِـــي
لَمَّـــا النُّحُـــولُ أَدَارنِـــي (شُفِـــيَ الحَبِيـــبُ فَـــزَارَنِـــي
فَشُفِيـــتُ مِـــنْ نَظَـــرِي إِلَيْـــهِ)

(٣٤٢)

وقُلتُ، وقدْ كتبتُهُ علىٰ ظهرِ كتابٍ أرسلتُهُ لبعضِ الأَحبابِ: [من الكامل]

إِنَّ الهَـدِيَّـةَ خَيْـرُ مـا صَـانَ الـوَفـا وَأَعَـزُّ مـا ارْتَـاحَـتْ لَـهُ الأَحْبَـابُ
ذِكْـرَى الـوِدَادِ بِهَـا يَفُـوقُ لَـذَاذةً رَشْفَ الشَّمُولِ فَتَذْهَبُ الأَوْصَابُ
فَلَكُـمْ وُرَيْقَـاتٍ بَـدَا اسْتِحْيَـاؤُهـا بقَبُـولِهـا مِـنْ فَضْلِكُـمْ تَـرْتَـابُ
فَـارْحَـمْ تَعَثُّـرَ ذَيْلِهَـا يـا مَـنْ بِـهِ أَدَبـاً وَلُطْفـاً تَفْخَـرُ الأَصْحَـابُ
وَحَيـاتِكُـمْ لا أَنْثَنِـي عَـنْ وُدِّكُـمْ أَبَـداً ولا تَغْتَـالُـهُ أَسْبَـابُ
إِنْ كُنْتُ رُوحِي قَبْلَ ذَا أَهْدَيْتُهَا فَـأَجَـلُّ مـا يُهـدِي اللَّبِيـبُ كِتَـابُ

(٣٤٣)

وقلتُ مُشَطِّراً: [من البسيط]

(مَـرَّتْ بِحُلَّـةِ دِيبَـاجٍ مُسَهَّمَـةٍ) شَمْسٌ تَرَاءَتْ لنا في جُنْحِ ظَلْمَاءِ

رفع المسيهما

طُرَّاتُها النَّجْمُ تَبْدُو مِنْ تَمَوُّجِها سَوْدَاءَ قَدْ سَحَبَتْها في سُوَيْدائِي
كَـأَنَّهـا وَهْـيَ تَمْشـي فـي مُنَقَّبِهـا غَزَالَةٌ كُسِفَتْ عَنْ مَنْظَرِ الرَّائِي
أَوْ نَيْزَكٌ قَدْ مَضَىٰ في الجَوِّ يَلْمَعُ أَوْ رُمْحٌ مِنَ البَرْقِ يُلْوَىٰ داخل الماءِ

(٣٤٤)

وقلتُ مُخَمِّساً: [من الخفيف]

مَنْ مُجِيري وَالحُبُّ قَدْ رامَ سَلْبا وَعَـذَابـاً لِمُـدْنَـفٍ صَـارَ صَبَّـا
مِـنْ جَـوَاهُ يَصيـحُ وَالـوَجْـدُ لَبَّـىٰ (يا مَريضَ الجُفُونِ عَذَّبْتَ قَلْبَا
كانَ قَبْلَ الهَوَىٰ صَحِيحاً سَوِيًّا)
يـا مَليـكَ الجَمـالِ سَـابـي العِبَـادِ سَـالِبـاً رَاحَتِـي بِطُـولِ البِعَـادِ
أَوَّاهُ رِفْقـاً بِحَـقِّ طِيـبِ الـوِدَادِ (لا تُعَـذِّبْ بِنَـاظِـرَيْـكَ فُـؤَادِي
فَضَعِيفَـانِ يَغْلِبَـانِ قَـوِيَّـا)

(٣٤٥)

وقلتُ أَثْنَاء تقريظِ رسالةٍ أَلَّفها الشَّابُّ النَّجيبُ عمر أفندي الطِّيبي، سَمَّاها: «كَشْفَ اللِّثَام في رَدِّ قَولِ المُبْتدِعِين اللِّئَام وإِثْباتِ إِحْياءِ أَبويهِ عَليهِ السَّلام»: [من مجزوء الرمل]

عُمَـرُ الطِّيبِـي اجْتَنَـاهَـا فَـازْدَهَـتْ حُسْنـاً وَطِيبَـا
وَمِـنَ الشَّـرْعِ انْتَقَـاهَـا فَهْـوَ قَـدْ كَـانَ المُصِيبَـا
كُـلُّ مَـنْ يَعْشَـقُ حِبّـاً يُبْغِـضُ فِيـهِ المُـرِيبَـا
وَيَـرَاهُ خَيْـرَ شَخْـصٍ وَيَـرى النَّقْـصَ سَلِيبَـا

رفع المسيهم

كَيْـــفَ وَالمُخْتَـــارُ طَـٰـــه ... ذُو البَهَـــا كـــانَ الحَبِيبَـــا
فـــالْـــزَمِ التَّعْظِيـــمَ وَاسْلُـــكْ ... خَيْـــرَ نَهْـــجٍ يـــا لَبِيبَـــا
نَسَـــبُ المُخْتَـــارِ شَمْـــسٌ ... وَسَنَـــاهَـــا لَـــنْ يَـــؤُوبَـــا
طَـــاهِـــرٌ مِـــنْ كُـــلِّ شَـــيْءٍ ... مـــا أَتَـــىٰ فـــي السِّـــرِّ حُـــوبَـــا

(٣٤٦)

وقلتُ أَثْنَاءَ كِتَابٍ أَرْسَلتُهُ إلىٰ بعضِ الأَعِزَّاءِ وهُوَ فِي السِّجن: [من الكامل]

يـا مَـنْ شَمَـائِلُـهُ أَرَقُّ وَأَلْطَـفُ ... مِنْ نَسْمَةِ الأَسْحَارِ وَهْوَ الأَظْرَفُ
إِنْ كانَ صَدْرُكَ ضَائِقاً في سِجْنِهِ ... فِيهِ ابْتُلِي مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ يُوسُفُ
أَوْ كُنْتَ تَأْسَفُ يا وَجِيهُ مِنْ الأَعَا ... دِي فَاصْطَبِرْ فَمَقَالُهُمْ لا يُؤْسِفُ
لا تَبْتَئِسْ فَالْعُسْرُ يَأْتِي بَعْدَهُ ... يُسْرٌ بِأَنْوَاعِ الصَّفَا يَتَأَلَّفُ
وَالفَضْلُ لا يُؤْتَاهُ إِلاَّ مَاجِدٌ ... مَاضِي العَزَائِمِ شَأْوُهُ لا يُوصَفُ
وَإِذَا الأُمُورُ تَعَاظَمَتْ أَلْقَىٰ لَهَا ... صَدْراً رَحِيباً بِالتَّصَاغُرِ يُسْعِفُ
وَالشَّمْسُ لَيْسَ يَضُرُّهَا طَبْقُ الغُيُو ... مِ وَلا الكُسُوفُ إِذَا أَتَاهَا تَضْعُفُ
كَمْ قَبْلَكَ المَاضُونَ مِنْ آلِ النُّهَىٰ ... سِيمُوا بِخَسْفٍ لِلْفَرَائِصِ يُرْجِفُ
فانْجَابَ لَيْلُ الشَّكِّ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ... فَرَقُوا مَقَاماً لِلبَصَائِرِ يُرْهِفُ
وَمَضَى الظَّلامُ فَأَصْبَحُوا في نَيِّرٍ ... نُوراً يُضِيءُ وَكَوْكَبٌ لا يُخْسَفُ
فَاصْبِرْ أُخَيَّ فَعَهْدُنَا ما شِمْتَهُ ... يَوْماً عَنِ الوُدِّ القَدِيمِ يُصَرَّفُ
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ وَأَنْتَ في ... ضِيقٍ وأَبْنَاءُ الوَفا لَمْ يُسْعِفُوا
تَبّاً لَهُمْ مِنْ غادِرِينَ تَرَقَّبُوا ... فُرَصَ الزَّمَانِ فَغَالَطُوكَ وسَوَّفُوا
وَالصَّحْبُ إِنْ كَانُوا بِعَقْلٍ نَاقِصٍ ... تَرَكُوا العَشِيرَ لِنَحْسِهِمْ يَتَأَسَّفُ

رفع المسيهم

يَـا لَيْتَنِـي مِـنْ قَبْـلِ ذَلِـكَ عَـالِـمٌ ... بِصَنِيعِهِـمِ وَبِمَـا إِلَيْـهِ يُصَـرَّفُـوا
لَحَذَوْتُ حَذْوَ أُولي المَفَاخِرِ والنُّهَىٰ ... فَـرَأَيْـتُ أَنِّـي بـالحَقـائِـقِ أُعْـرَفُ
لَكِـنَّ مِثْلَـكَ بـاعَ دُرّاً بـالحَصَـىٰ ... فَسَرَوا إلى الأَسَفِ المُبِينِ وأَسْلَفُوا
جَعَلُـوكَ مَلْعَبَـةً لِخُبْـثِ خِـدَاعِهِـمْ ... وَالحَـقُّ يَعْلُـو وَالأَبَـاطِـلُ تُتْلَـفُ
والدَّهْرُ في دَوَرَانِهِ يُعْطِي الفَتَىٰ ... عَقْلاً يَعِزُّ عَلَى السِّماكِ وَيشْرُفُ
يَـا أُمَّ دَفْـرٍ كَـمْ خَـدَعْـتِ مُبَجَّـلاً ... فَغَـدا بِقَيْـدٍ مِـنْ قُيُـودِكِ يَـرْسُـفُ
وَمَزَجْتِ بِالسُّمِّ الزُّعافِ شَرَابَهُ ... وَيَظُنُّـهُ صِـرْفـاً وَذاكَ القَـرْقَـفُ
كَـمْ مِـنْ حَكِيـمٍ قَـدْ قَـلاكِ وَإِنَّـهُ ... مِنْ سُوءِ فِعْلِكِ وَالخَدِيعَةِ يَرْجُفُ
فالصَّبْرُ مُخْتَارُ الكِرامِ عَلَى المَدَىٰ ... واللهُ بِـالعَبْـدِ المُفَـوِّضِ يَلْطُـفُ
وَاليُسْـرُ يَـأْتِـي بَعْـدَ عُسْـرٍ دَائِمـاً ... فَـاصْبِـرْ فَـرَبُّـكَ بـالمَسَـرَّةِ يَعْطِفُ

(٣٤٧)

وقلتُ متغزِّلاً : [من الوافر]

فُـؤَادي لِلْهَـوَىٰ سُلِّمْـتَ قَسْـرَا ... فَحُزْتَ مِنَ اللِّحَاظِ النُّجْلِ أَسْرَا
سَـرَيْـتَ لِمَنْـزِلِ الأَحْبَـابِ لَيْـلاً ... فَسُبْحَـانَ الَّـذِي بـالـوَجْـدِ أَسْـرَىٰ
لِسِـرِّ الكَهْـرَبَـاءِ شَهِـدْتَ ذَوْقـاً ... لِتَكْشِـفَ مِـنْ خَبَـايـا الحِـبِّ سِـرَّا
فَمـا بَـالُ القُلُـوبِ لَهـا انْجِـذَابٌ ... إِلـى الحُسْـنِ المُـرِيـعِ تَـراهُ جَبْـرَا
وَمَـا بَـالُ المُحِـبِّ يَـذِلُّ رَغْمـاً ... وَإِنْ يَـكُ أَشْجَـعَ الآسَـادِ طُـرَّا
أَرَىٰ فـي الكَـوْنِ لُغْـزاً دَقَّ مَعْنًـى ... تَـرَىٰ فـي كَشْفِـهِ الأَلْبَـابَ حَيْـرَىٰ
بَـدَتْ شَمْـسُ الجَمَـالِ فَقَـابَلَتْهـا ... سُـوَيْـدَاءُ الفُـؤَادِ فَظَـلَّ جَمْـرَا
مَـرَايـا الاحْتِـرَاقِ غَـدا إذا مـا ... يُقَـابِـلُ بـالصَّفـا شَمْسـاً وَبَـدْرَا

رفع المسيهم

ولَكِـنْ مـا عَهِـدْنَـا البَـدْرَ نَـاراً ... فَكَيْـفَ يَـزِيـدُنـي الإِقْبَـالُ حَـرَّا
إذا حَقَّقْـــتُ أَنَّ البَـــدْرَ فِيـــهِ ... حَـرُورٌ فـي الفُـؤَادِ يَـزِيـدُ أَزْرَا
وَعِنْـدَ القُطْـبِ يُعْلَـمُ ذَاكَ طَبْعـاً ... فَقَلْبِـي لِلْغَـرَائِـبِ كَـانَ خِـدْرَا
غَـرَامِـي والْتِيَـاعِـي وَاشْتِيـاقـي ... عَجِيـبٌ ظَـلَّ لِلعُشَّـاقِ خِـدْرَا
يُبَشِّـرُنِـي بِهِجْـرَانـي وَصَـدِّي ... فَهَـلاَّ بـالتَّـوَاصُـلِ مِنْـهُ بُشْـرَىٰ
عَذُولِي فِي الهَوَىٰ أَمْسَىٰ جَهُولاً ... غبيّـاً لا يَـرَىٰ لِلْفَضْـلِ قَـدْرَا
تَسـاوَتْ عِنْـدَهُ صُـوَرُ المعـانـي ... فَمـا للظـاهِـراتِ يُطيـقُ خُبْـرَا
فَلَـوْ يَـدْري مِـنَ الحُسْـنِ المُفَـدَّىٰ ... عَجـائِـبَ سِـرِّهِ مـا ازْدادَ كُفْـرَا
فَفِـي مَعْنَـى الجَمَـالِ يَحَـارُ عَقْـلٌ ... بِفَلْسَفَـةِ العُلُـومِ يَظَـلُّ دَهْـرَا
فَـإِن مِنْـهُ الشُّعَـاعُ عَلـىٰ كَثِيـفٍ ... تَسَلَّـطَ يَطْـوِهِ فِـي الحَـالِ فَـوْرَا
فـلاَ الـدِّرْعُ المَنِيـعُ وَلا الحنَـايَـا ... عَنِ القَلْبِ الجَرِيحِ تَكُونُ غفْرَا
لِـهُ بـالـرَّادِيُـومِ شَبِيـهُ مَعْنَـى ... ولَكِـنْ بـاخْتِـرَاقِ الحُجْـبِ أَدْرَىٰ
وَفي تَلَفِ النُّفُوسِ مِنَ المَوَاضِي ... وأَطْـرَافِ الـرِّمَـاحِ يَجِـلُّ قَـدْرَا
عَجِبْتُ مِـنَ المُحِـبِّ عَلَـىٰ لَظَـاهُ ... وَذاكَ الفِعْـلِ كَيْـفَ يُطِيـقُ صَبْـرَا
أَمَـا يَخْشَـى الفنَـاءَ بـهِ إِذَا مَـا ... يُقَـابِلُـهُ فَـلاَ يَـأْلُـوهُ غَـدْرَا
وَأَعْجَـبُ مِنْـهُ أَنَّ الحِـبَّ يَجْنِـي ... فَيَقْتُـلُ صَبَّـهُ صَـدّاً وَهَجْـرَا
بِـهِ قَلْـبُ الحَقَـائِـقِ قَـرَّ عَيْنـاً ... فَكَـمْ نَسَـبَ الغَبِـيُّ إِلَيْـهِ سِحْـرَا
بِـهِ امْتَـازَ الصَّفِـيُّ مِـنَ المَعَـانِـي ... مَعَـانِـي العِشْـقِ تَلْبِيسـاً وَمَكْـرَا
يَصِيـرُ بِـهِ الجَبَـانُ شَـدِيـدَ بَـأْسٍ ... شُجَـاعـاً يَنْثُـرُ الأَبْطَـالَ نَثْـرَا
ويَصْعَـدُ بِـالبَلِيـدِ إِلـىٰ مَقَـامٍ ... بَعِيـدٍ فـي المَـدَىٰ فِكْـراً وَغَـوْرَا
هُـوَ السِّـرُّ المَصُـونُ فَكَـمْ تَجَلَّـىٰ ... فَـأَعْجَـزَ كَشْفُـهُ سِـرّاً وَجَهْـرَا
فمـا هَـٰذي المَعَـانِي يـا خَلِيلِـي ... أَجِبْنِـي وَاسْبِـرِ الأَغْـوَارَ سَبْـرَا

(٣٤٨)

وقلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ أَحَدِ الأَحْبَاب، وكانَ قَدْ جُرِحَ في فخِذِهِ جُرْحاً قَطَعَ لهُ ثلاثةً منَ الشَّرايين، فَمَات مِنْهَا: [من الكامل]

لَمَّـا تَكَـامَـلَ ذا الهِـلاَلُ بِبُـرْجِـهِ ... لَيْلاً إِلىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ قَدْ سَرَىٰ
فَمَضَىٰ وَلِلأَدَبِ الحَزِينِ لِجُرْحِهِ ... عَيْـنٌ تَفِيـضُ عَلَيْـهِ دَمْعـاً أَحْمَـرَا
لاقَىٰ مِنَ الدُّنْيا جِرَاحاً فانْثَنَىٰ ... نَحْـوَ النَّعِيـمِ لأُنْسِـهِ مُتَبَخْتِـرَا
لِـلأُنْـسِ أَرِّخْ (زَاهِيـاً لِكَمَـالِـهِ ... قَمَـراً هَـوَىٰ مِـنْ أَوْجِـهِ فتَكَـوَّرَا)

١٣٢٤هـ

(٣٤٩)

وقلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ المرحومِ عبدِ الرَّحيمِ أفندِي بنِ العَلاَّمةِ عُمَر أفندي الغزِّي العامريِّ الدِّمشقيِّ: [من الكامل]

للهِ رَوْضٌ حَـلَّ فِيـهِ عَـالِـمٌ ... سَامِي الذُّرا في فَضْلِهِ عَبْدُ الرَّحِيمْ
مِنْ سَادَةٍ وَهُمُو بَنُو الغَزِّيِّ مَنْ ... شَادُوا العُلا بالعِلْمِ وَالمَجْدِ القَدِيمْ
لَمَّا ارْتَوىٰ مِنْ كَوْثَرِ التَّقْوَىٰ وَمِنْ ... صَافِي الرِّضَا حُبّاً بِمَولاهُ الكَرِيمْ
نَـادَاهُ فِـي تَـارِيخِـهِ (أَقْبِـلْ إِلَـىٰ ... رَوْحٍ وَرَيْحَـانٍ وَجَنَّـاتِ النَّعِيـمْ)

١٣٢٤هـ

(٣٥٠)

وقلت علىٰ لسان صورة غادة خَيالية: [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الحُسْنَ تَعْشَقُهُ النُّهَىٰ ... وَيَـزِيـدُ أَرْبَـابَ الغَـرَامِ خَبَـالاَ
أَتْحَفْتُ ذَا الوَجْدِ القَرِيبَ بِمَنْظَرِي ... وَبَعَثْتُ لِلصَّـبِّ البَعِيـدِ خَيَـالاَ[1]

---

(١) تقدم ذكر هذين البيتين، برقم: (٣٣٢).

رفع المسيهم

(٣٥١)

وقلتُ مَادِحاً مردم بك زاده سعاد تلو محمد راشد باشا ومُهنِّئُهُ برُتبةِ «ميرميران» السَّنِيَّة : [من الكامل]

يـا مَنْهَـلاً عَـذْبـاً صَفـا لِلْـوَارِدِ ... دُمْ بالتَّهَانِي رَغْمَ أَنْفِ الحَاسِدِ

وابنَ المَكَارِمِ فَوْقَ مَنْزِلِ شَمْسِهَا ... فَلأَنْتَ أَوْلَىٰ مَنْ نَرَىٰ بِمَحَامِدِ

وَالمَدْحُ في أَبْهَىٰ صِفَاتِكِ هَائِمٌ ... وَلَـهُ بِكَـوْثَـرِهَـا أَجَـلُّ مَـوَارِدِ

لِـمَ لا يَهِيـمُ وَآلُ مَـرْدَمَ سَـادَةٌ ... نَظَـمَ الـزَّمَـانُ ثَنَـاءَهُـم بِقَصَـائِـدِ

أَكْـرِمْ بِهِـمْ مِـنْ مَعْشَـرٍ مـا مِنْهُـم ... أَبَداً سِوَى الشَّهْمِ الكَرِيمِ المَاجِدِ

وَهُمُو سَمَاءُ المَكْرُمَاتِ وَشَمْسُهُمْ ... هٰذا الهُمَامُ الرَّاشِدُ بْنُ الرَّاشِدِ

فَخْرُ المَنَاصِبِ وابْنُ بَجْدَةِ مَجْدِهَا ... بَدْرُ المَعَالِي ذُو الكَمَالِ السَّائِدِ

أَلْقَـتْ مَقَـالِيـداً إِلَيْـهِ مَنَـاصِـبٌ ... فَمَضَىٰ بِهَا لَمْ يُلْفَ غَيْرَ الحَامِدِ

وإذا رَآهُ الحَـقُّ قَـالَ مُنَـادِيـاً ... اَلآنَ نِلْتُ مِنَ الزَّمَانِ مَقَاصِدِي

وَالبَـاطِـلُ المَشْؤُومُ وَلَّـىٰ قَـائِـلاً ... يـا لَيْتَنِـي قَـد مِـتُّ قَبْـلَ مَـوَاعِـدِ

لَـم يَـدْرِ غَيْـرَ الحَـقِّ وَالحُكْـمَ بِـهِ ... ولَـهُ بِـذَاكَ اللهُ خَيْـرُ مُسَـاعِـدِ

أَنْعِـمْ بِـهِ مِـنْ رَاشِـدٍ أَكْـرِمْ بِـهِ ... فَلَقَـدْ بَنَـىٰ رُكْنـاً لِمَجْـدٍ صَـاعِـدِ

وَكَـذَاكَ أَفْعَـالُ الكِـرَامِ إذا بَـدَتْ ... لَمْ تُحْصِ مَدْحَهُمُ بَدِيعُ قَصَائِدِ

لَـوْ أَنَّ رُتْبَتَـهُ تُنَـاسِـبُ قَـدْرَهُ ... عِظَماً لأَضْحَتْ فَوْقَ أَوْجِ عُطَارِدِ

لَكِنَّمَـا فَخْـرُ المُلُـوكِ وَعِـزُّهُـمْ ... رَبُّ العَـلاءِ مُبِيـدُ أَثْـرِ الجَـاحِـدِ

أَهْـدىٰ إِلَيْـهِ«ميـرميـرانَ» لِكَـيْ ... يَـأْتِـي بَشِيـراً بِـالعَـلاءِ الـوَافِـدِ

وَيَنَالَ مِمَّا بَعْدَهَا أَسْمَى المُنىٰ ... مِـنْ حُسْـنِ مـرْتَبَـةٍ كَنَظْـمِ قَـلاَئِـدِ

رفع المسيهم

بُشْرَاكَ يا مَولَى الفَضَائِلِ إِنَّكُمْ أَهْـلٌ لِكُـلِّ فَضِيلَـةٍ وَفَـوَائِـدِ
وَلَسَوْفَ سُلْطَانُ الوَرَىٰ يُهْدِيكُمُو أَجْلَى المَرَاتِبِ في نِظَامِ فَرَائِدِ
فَاسْلَمْ وَدُمْ فَسَنَاءُ سَعْدِكَ ظَاهِرٌ فَـوْقَ النَّعَـائِـمِ فـي أَمَـانِ الـوَاحِـدِ
وَبِـهِ العُـلا أَرِّخْـهْ (دامَ بِـالصَّفـا لميـرميـرانَ الهَنَـاءُ بِـرَاشِـدِ)

(١٣٢٥)

(٣٥٢)

وقلتُ مَادِحاً صَاحِبَ الدَّولَةِ شُكري بَاشَا والي ولايةِ سُوريَّة الجَليلة، ومهِّنئُهُ بِرُتبة الوِزارَةِ السَّامية: [من الكامل]

بُشْرَىٰ لَنَا فَالسَّعْدُ أَقْبَلَ بِالمُنىٰ وَأَتَـىٰ لسُـورِيَّـا الهَنَـا مُتَفَنِّنَـا
وَبَـدا التَّـرَقِّـي وَالتَّقَـدُّمُ سَـافِـراً عَنْ حُسْنِهِ يُنْشِي المَحَامِدَ مُعْلِنَا
وَكَـواكِـبُ الإِسْعَـادِ حَـلَّ بِبُـرْجِهـا بَدْرٌ يَحُوزُ مِنَ الكَمَالِ الأَحْسَنَا
وَصَحَائِفُ الأَكْوَانِ لاَحَ بِنَشْرِهَا سَطْرَانِ قَدْ رَقَما المَديحَ وأَتْقَنَا
سُـوَرُ الثَّنَـاءِ مُسَطَّـرَاتٌ فَـوْقَهـا تَزْهُو بِشُكْرِ الآصِفِ السَّامي السَّنَا
ذَاكَ الوَزيرُ وَمَلْجَأُ الإِنْصَافِ مَنْ مِنْ عَدْلِهِ تُمْسِي المَخَاوِفُ مَأْمَنَا
لَقَـبُ الـوِزَارَةِ قَـالَ عِنْـدَ قُـدُومِـهِ شُكْـرِي لِشُكْـرِي لا يَـزَالُ مُـدَوَّنَـا
والأَمْـنُ قَـالَ كَمَـالُـهْ أَرِّخْ (هُنـا وَرَدَ البَشِيـرُ بِمَـا يُقِـرُّ الأَعْيُنَـا)

(١٣٢٥)

ذُو الدَّوْلَةِ الشَّهْمُ العَلِيُّ مَكَانَةً وَالٍ عَلَـىٰ سُـورِيَّـةَ حِصْـنٌ لَنَـا
قَدْ جَدَّ في صِدْقٍ بِخِدْمَةِ دَوْلَةٍ أَوْصَـافُهَـا بـالحُسْـنِ كَلَّـتْ أَلْسُنَـا
قَامَتْ عَلَىٰ أَعْلَى النُّجُومِ وَلَمْ تَزَلْ تَسْمُو وَتَعْلُو وَالحَوَاسِدُ في فَنَا

وَأُسُودُهَا تَحْمِي بَدِيعَ جَمَالِهَا ... فَعَدُوُّهَا فِي حَتْفِهِ قَدْ كُفِّنَا
هِيَ ذُو المَقَالِ وَرَبُّ كُلِّ فَصَاحَةٍ ... وَسِوَىٰ مَنَاهِجِهَا يَظَلُّ الأَلْكَنَا
ما مِنْ حَكِيمٍ شَامَ فَضْلَ رُقِيِّهَا ... إِلاَّ أَقَرَّ لَهُ وَحَقَّقَ مُذْعِنَا
بَسَطَتْ عَلَىٰ كُلِّ المَمَالِكِ عَدْلَها ... تَخْتَارُ مِنْ خَيْرِ الوُلاَةِ ذَوِي الغَنَا
وَعَلَىٰ بِلادِ الشَّامِ حِينَ تَفَضَّلَتْ ... بِوَزِيرِهَا جاءَ الهَنَا مُسْتَوْطِنَا
وَتَوشَّحَتْ بِسُرورِها حُلَلَ البَهَا ... فَبَدَا التَّرَقِّي وَالتَّسَامِي بَيِّنَا
وَأَمِيرُ كُلِّ المُؤْمِنِينَ اخْتَارَهُ ... لِوِزَارَةٍ وَالصِّدْقَ مِنْهُ تَيَقَّنَا
فَلَهُ البِشَارَةُ كُلَّمَا شَمْسُ العُلا ... فِي أَوْجِهَا عَنْ فَضْلِهِ لَنْ تَظْعَنَا
وَالحَظُّ قَالَ وَلِلصَّفَاءِ سَرَائِرٌ ... تُنْشِي المَحَامِدَ وَالمَدِيحَ تَيَمُّنَا
لَمَّا بِأَيْمَنِ طَالِعٍ أَرَّخْتُهُ ... (حَازَ الوِزَارَةَ دَامَ شُكْرِي بالهَنَا)

(١٣٢٥)

(٣٥٣)

أَنْشَدَنا أحدُ الأُدَباءِ بَيْتاً، ثُمَّ طَلَب إِجَازَتَهُ، فالبيتُ: [من الكامل]

كَمْ لَيْلَةٍ مَنَعَ الغَرَامُ مَنَامِيَ ... وَحَلا لِقَلْبِي فِي هَوَاكَ سَقَامِي

فأَجَزْتُهُ بقَوْلي: [من الكامل]

وَمُهْجَتِي مِنْ مُقْلَتِي قَطَرَتْ دَماً ... وَتَنَهُّدِي يَزْدَادُ مِنْهُ ضِرَامِي
وَالفَجْرُ كُفِّنَ بِالظَّلاَمِ لِأَنَّهُ ... قَدْ مَاتَ وَالأَشْجَانُ مِنْ لُوَّامِي
رِفْقاً أَيَا مَلِكَ المَحَاسِنِ رَحْمَةً ... عَطْفاً عَلَيَّ بِوَافِرِ الإِنْعَامِ
أَنَا عَبْدُ حُسْنِكَ يا أَمِيرُ مَلاَحَةً ... فاحْكُمْ بِحُكْمِكَ في غَرِيبِ غَرامي

رفع المسيهم

(٣٥٤)

وقلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ الشَّيخِ أَبي الصَّفا المَالكِيِّ: [من الكامل]

لِأَبي الصَّفَاءِ المَالِكيِّ لَقَدْ صَفا ... وِرْدُ المَسَـرَّةِ وَالصَّفَـا بِنَعِيمِـهِ
قَدْ جَدَّ في التَّقْوَىٰ وَأَخْلَصَ قَصْدَهُ ... فـي جَعْلِـهِ القُـرْآنَ خَيْـرَ نَـدِيمِـهِ
فَحَبَاهُ رَبُّ العَـرْشِ فَضْـلاً بَـاهِـراً ... وَسَنـا رِضَـاءٍ زَادَ فـي تَكْـرِيمِـهِ
طُـوبَىٰ لَـهُ تَـأْرِيخُهَـا (بِهَـا الهَنَـا ... جَنَّـاتُ عَـدنٍ زُيِّنَـتْ لِقُـدُومِـهِ)

(٣٥٥)

وقلتُ مادِحاً صاحِبَ السَّعادةِ يحيىٰ باشا أغريبوز، ومهنِّئاً له بميرميران الرَّفيعةِ الشَّأْنِ: [من الكامل]

وَافَـىٰ عَلَـىٰ رَغْـمِ العِـدَا يَتَـأَوَّدُ ... ظَبْـيٌ أَغَـنُّ بـالمَحَـاسِـنِ مُفْـرَدُ
وَبَدا فَشِمْنَا الشَّمْسَ لاحَتْ في الدُّجَىٰ ... والبَدْرُ مِنْ فَوْقِ الحَوَاجِبِ يَرْصُدُ
وَرَمَى القُلُوبَ بِسَهْمِ لَحْظٍ دُونَهُ ... سِلْـكٌ تَكَهْـرَبَ بـالبَهَـا يَتَـوَلَّـدُ
لا بِـدْعَ فـي سِـرِّ الجَمَـالِ فَـإِنَّـهُ ... عَـنْ فَهْـمِ أَرْبَـابِ الحِجَـا لا يَبْعُـدُ
فَشُعَاعُهُ يَطْوِي الكَثِيفَ وَيَرْتَقِي ... حَتَّـىٰ يَكُـونَ اللُّـبَّ مِنَّـا المَـوْرِدُ
لَوْ شَاءَ دَعْوَةَ مَنْ ثَوَىٰ فِي قَبْرِهِ ... لَبَّـاهُ طَـوْعـاً هَـائِمـاً يَتَـوَدَّدُ
وَيَطِيرُ شَوْقاً فِي مَنَاطِيدِ الهَوَىٰ ... في الجَوِّ وَهْوَ مِنَ الصَّبَابَةِ يُرْعِدُ
فَشُعَاعُ «رنتجن» لَفِي خَجَلٍ وَمِنْ ... أَفْعَـالِـهِ حَسَـداً وَقَهْـراً يَكْمَـدُ
ما كَوْكَبٌ أَمْسَىٰ يُصَادِمُ كَوْكَباً ... وَلَـهُ بِـإِتْـلافِ الحَيَـاةِ يُهَـدِّدُ
بِـأَشَـدَّ مِـنْ فِعْـلِ العُيُـونِ بِمُهْجَـةٍ ... مِـنْ حَـرِّ آلامِ الجَـوَىٰ تَتَـوَقَّـدُ
عَجَبـاً لِقَلْـبٍ فِـي الغَـرامِ مُـوَلَّـهٍ ... يَبْقَـىٰ وَسَيْـفُ اللَّحْـظِ فِيـهِ يُجَـرَّدُ

رفع المسيهم

وَإذا القَـوَامُ سَطَـا بِشِـدَّةِ بَـأْسِـهِ ... هَيْهَـاتَ مِنْـهُ ذَابِـلٌ وَمُهَنَّـدُ

أَلِفَ امْتِلاكَ قُلوبِ أَرْبَابِ الهَوَىٰ ... إِنْ غَوَّرُوا في سَيْرِهِم أَوْ أَنْجَدُوا

مُتَعَلِّمـاً مِـنْ فَضْـلِ يَحيَـىٰ سِيـرَةً ... مِنْهَـا المَهَـابَـةَ والسَّنَـا يَتَقَلَّـدُ

مِـنْ «آلِ أَغْـريبـوزَ» شَهْـمٌ سَيِّـدٌ ... وَلَـهُ الفَضَـائِـلُ وَالمَكَـارِمُ تَشْهَـدُ

مـا إِنْ تَـولَّـىٰ مَنْصِبـاً إِلاَّ بَـدَا ... لِفِعَـالِـهِ الحُسْنَى البَدِيعَةِ يُحْمَدُ

مِـنْ حُسْـنِ مَنْقَبَـةٍ وَأَفْضَـلِ سِيـرَةٍ ... حِصْـنَ المَحَـامِـدِ والثَّنَـاءِ يُشَيِّـدُ

وَإذا الكِرامُ تَسابَقَتْ نَحْوَ العُلا ... فَـلأَوْجِهـا عِنْـدَ التَّسَـابُـقِ يَصْعَـدُ

فَتَظَـلُّ آهِلَـةً بِـهِ أَرْجَـاؤُهَـا ... وَتَـوَدُّهُ وهُـوَ الهُمَـامُ السَّيِّـدُ

فَلِـذَاكَ كَـافَـأَهُ المَلِيـكُ بِـرُتْبَـةٍ ... مِـنْ بَعْـدِهَـا سَيَنَـالُ مَـا هُـوَ أَزْيَـدُ

أَنْعِـمْ بِهَـا مِـنْ رُتْبَـةٍ فَـرَحـاً بِهـا ... وَبِفَضْلِهـا خَـدُّ الـزَّمَـانِ مُـوَرَّدُ

وَالقَـوْسُ إِنْ تُعْطَـىٰ لِبَـارِيهَـا لَهَـا ... شَرَفٌ عَلَىٰ طُولِ المَدَىٰ لا يُفْقَدُ

بُشْرَاكَ يا مَنْ بَانَ حُسْنُ فِعَالِهِ ... عَنْ طِيبِ أَصْلٍ طَاهِرٍ لا يُجْحَدُ

وَلَكَ الهَنَاءُ وبِمِثْلِ ما قَدْ حُزْتَهُ ... وَبِمِثْلِـهِ أَبَـداً وَأَنْـتَ الأَمْجَـدُ

في نِعْمَةٍ ما مَالَ غُصْنٌ في نَقَا ... وَلِسَـانُ أَهْـلِ الـوُدِّ فِيكُـمْ يُنْشِـدُ

طَـرَبـاً لَنَـا أَرِّخْ (عُـلا يَحْيَـىٰ لَـهُ ... بِمِيـرْميـرانَ الهَنَـا مُتَجَـدِّدُ)

(٣٥٦)

سَأَلني بَعضُ الأَصحابِ تَأْريخاً يكُونُ تِذْكَاراً لولادَتِهِ، فقلتُ: [من الكامل]

تُطْوى المَظَـاهِـرُ ثُـمَّ يُنْشَـرُ طَيُّهَـا ... أَبَـداً بِـأَمْـرِ الـوَاحِـدِ القَيُّـومِ

وَوُجُودُنَا في ذَا الوُجودِ لِحِكْمَةٍ ... لَـمْ نَـدْرِ مِنْهَـا غَيْـرَ ظِـلِّ رُسُـومِ

وَالعَقْـلُ عَـنْ تَحْقِيقِهَـا فـي حَيْـرَةٍ ... لا يَهْتَـدِي إِلاَّ بنُـورِ وُسُـومِ

في هٰذِهِ الدُّنْيا ـ رَعَاكَ اللهُ ـ كَمْ ... جيلٍ مَضَىٰ عَنْهَا بِفَرْطِ وُجُومِ
وَتَلاَهُ جِيلٌ بَعْدَهُ ثُمَّ انْطَوَىٰ ... فاعْجَبْ لأَمْرٍ لَيْسَ بِالمَفْهُومِ
ما إِنْ عَرَفْتُ مُؤَرِّخاً (تَذْكارُهُ) ... إِلاَّ ظَلاماً فِيهِ بَعْضُ نُجُومِ
وَوِلادَتِي أَرَّخْتُها (في كَوْنِها ... لأَرَىٰ عَجَائِبَ سِرِّها المَكْتُومِ)

(٣٥٧)

وكتَبتُ علىٰ صورةٍ شَمسيَّةٍ لبعضِ الأَحباب: [من البسيط]

هٰذا خَيالِي شُعَاعُ الشَّمْسِ صَوَّرَهُ ... وَرَاءَهُ صُورَةٌ جَلَّتْ عَنِ الفِكْرِ
يُبْدِي مِثَالي وَلا يُبْدِي سَنا هِمَمِي ... وَالرَّسْمُ يُعْرِبُ أَحْيَاناً عَنِ الأَثَرِ

(٣٥٨)

وقُلتُ مُهَنِّئاً صاحِبَ السَّعادَةِ مظهر بك بالرُّتْبَةِ الأُولىٰ من الصِّنف الثاني، ومُؤَرِّخاً: [من مجزوء الرمل]

صُبْحُ أَوْقَاتِ التَّهَانِي ... فِي رِيَاضِ الأُنْسِ أَسْفَرْ
وَالحُسُودُ الغَمْرُ وَلَّىٰ ... بِالدُّمُوعِ يَتَعَثَّرْ
وَالمَعَالِي طَائِعَاتٌ ... فِي حِمَاكُمْ تَتَبَخْتَرْ
تَلْثُمُ الأَذْيَالَ شُكْراً ... وَهْيَ لِلنِّعْمَةِ أَشْكَرْ
وَالدَّرَارِي فِي نَظِيمِ الـ ... مَدْحِ أَضْحَتْ عِقْدَ جَوْهَرْ
يَا بَنِي المَشْكُورِ مِنْكُمْ ... بِالثَّنَا الكَوْنُ تَعَطَّرْ
كَمْ لَكُمْ بِيضُ أَيَادٍ ... فَضْلُهُنَّ لَيْسَ يُحْصَرْ
وَهْيَ مِنْ عَهْدٍ قَدِيمٍ ... لِجَمِيعِ المَجْدِ مَصْدَرْ
يَحْسُدُ النَّجْمُ عُلاَهَا ... وَسَنَاهَا مِنْهُ أَشْهَرْ

مِنْكُـــمُ مَظْهَـــرُ فَضْـــلٍ ... لِمَعـــانِـــي العِـــزِّ أَظْهَـــرْ
فـــاضِـــلٌ شَهْـــمٌ لَبِيـــبٌ ... سَيِّـــدٌ مِـــنْ خَيْـــرِ مَعْشَـــرْ
فِـــي بَلِيـــغِ القَـــوْلِ عَنْـــهُ ... طَـــرْفَـــةُ بْـــنُ العَبْـــدِ قَصَّـــرْ
وإِذَا مَـــا جَـــالَ يَـــوْمـــاً ... فـــي الأَعَـــادِي فَهْـــوَ قَسْـــوَرْ
قَـــدْ حَبَـــاهُ اللهُ فَضْـــلاً ... فِـــي المَعَـــالِـــي لَيْـــسَ يُنْكَـــرْ
وَأَمِيـــرُ المُـــؤْمِنِيـــنَ ... فَضْلُـــهُ لا زَالَ يُشْكَـــرْ
زَادَهُ عِـــزّاً مُنِيفـــاً ... وَرِضَـــاءً مِنْـــهُ أَوْفَـــرْ
رُتْبَـــةٌ أُولَـــىٰ لِثَـــانٍ ... مِـــنْ صُنُـــوفِ المَجْـــدِ تُشْكَـــرْ
فَبِهَـــا رَوْضُ التَّهَـــانِـــي ... بِـــالهَنَـــا وَالسَّعْـــدِ أَثْمَـــرْ
وَهْـــيَ مِـــرْقَـــاةٌ سِـــوَاهَـــا ... يُـــرْتَقَـــىٰ مِنْهَـــا لأَكْبَـــرْ
وَلَهَـــا بَـــدْرَانُ أَدَّىٰ ... خَـــادِمـــاً فَـــرْضـــاً وَبَشَّـــرْ
حَيْـــثُ قَـــالَ فِيـــهِ أَرِّخْ ... (سَيِّـــدٌ للمَجْـــدِ مَظْهَـــرْ)

(١٣٢٦)

(٣٥٩)

وقلتُ مُوَرِّياً بنهر الصفا في لبنان: [من الرمل]

بَـدْرُ تَـمٍّ عَـنْ جَمـالٍ قَـدْ سَفَـرْ ... صَـاحَ فـي عُشَّـاقِـهِ أَيْـنَ المَفَـرْ
قُلْـتُ مِـنْ أَيِّ البُـرُوجِ قـالَ لِـي ... أَصْـلُ أُمِّـي كَـانَ مِـنْ دَيْـرِالقَمَـرْ
قُلْـتُ هَـلْ بِـالقُـرْبِ مِنَّـا رَوْضَـةٌ ... مَـاؤُهـا يُسْلِـي وينسيـني الضَّجَـرْ
قَـالَ هَيَّـا لِلصَّفَـا سَـوِيَّـةً ... كَـوْثَـرٌ يُنْسِيـكَ وَعْثَـاءَ السَّفَـرْ
وانْثَنَـىٰ كـالظَّبْـي فـي ابْتِسَـامَـةِ ... أَسَـرَتْ لُبِّـي وَوَالَتْنِـي السَّهَـرْ

رفع المسيهم

(٣٦٠)

وقلتُ في مَليح نَقَل كَأْسَ الشَّرابِ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ، وانْكَسَرَ : [من الرجز]

طَافَ عَلَى النُّدْمَانِ بالرَّاحِ رَشَا ... أَهْيَفُ القَدِّ بِعَيْنَيْهِ ابْتِهَاجْ
قَدْ كَسَرَ الزُّجَاجَ في مَلْمَسِهِ ... مِنْ عادَةِ الأَلْمَاسِ تَكْسِيرُ الزُّجاجْ

(٣٦١)

وقلت مُشَطِّراً بيْتَيْ سَيْدِنَا حَسَّان : [من الطويل]

(لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارِ عُشْرِهَا) ... تَحَلَّتْ بِهَا الأَزْمَانُ لَمْ تَرَ ذَا فَقْرِ
وَلَوْ قَسَمَ الوَهَّابُ بَعْضَ نَوالِهَا ... (على البَرِّ كَانَ البَرُّ أَنْدىٰ مِنَ البَحْرِ)
(لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهىٰ لِكِبارِها) ... تَسَامَتْ فَجَلَّتْ بِالحِسَابِ عَنِ الحَصْرِ
وَكَيْفَ يَرُومُ العَقْلُ حَصْرَ حُدُودِهَا ... (وَهِمَّتُهُ الصُّغْرىٰ أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ)

(٣٦٢)

صِدْق المَقالِ المُنْصفِ

في مَدحِ

عبد الرحمن بك اليوسف : [من الكامل]

الوَقْتُ يَعْشَقُ أَنْ تَرَىٰ أَسْحَارُهُ ... أَبْنَاءَهُ الأَحْرَارَ هُمْ أَنْصارُهُ
يَتَسَابَقُونَ إلى اعْتِلاءِ شُؤُونِهِ ... وَعَلَيْهِمُ في المُعْضِلاتِ مَدَارُهُ
تَتَعلَّقُ الآمَالُ فِيهِمْ بَعْدَمَا ... قَدْ قَوَّضَتْ بُنْيَانَهُ أَشْرَارَهُ
للهِ دَرُّ عِصَابَةٍ رَدَّتْ إلى الـ ... وَطَنِ المُفَدَّىٰ جُلَّ ما يَخْتَارُهُ
أَلِفُوا التَّسَاوِيَ وَالعَدَالَةَ وَالإخا ... فَجَمِيعُهُم في ذَا الصُّوَىٰ مِضْمَارُهُ
وَإذا اسْتَبَدَّ ذَوُو الجَهَالَةِ جَرَّدُوا ... سَيْفاً إلى الأَعْدَاءِ تَمْضِي نَارُهُ

رفع المسيهم

لا يَرْهَبُونَ المَوْتَ في طَلَبِ العُلا ... والنَّصْرُ تَلْمَعُ بَيْنَهُم أَنْوارُهُ

وَإذا السِّيَاسَةُ بالصِّفَاتِ تَلَوَّنَتْ ... وَبَدَا لَدَيْهَا لِلْبَصِيرِ صَغَارُهُ

أَعْطُوا المَشَاكِلَ في صُعُوبَةِ حَلِّها ... فِكْراً مِنَ المَلأ العَلِيِّ نِجارُهُ

لَمَّا تَمَادَى المُسْتَبِدُّ بِجَهْلِهِ ... وَعَلا علىٰ فِرْعَوْنِهِ تَيَّارُهُ

صَاحُوا بِهِ كَصِيَاحِ مُوسىٰ عِنْدَما ... فِرْعَونُ في مِصْرَ تَعَالَتْ دَارُهُ

فَأَتَوْا بِهِ قَسْراً رَهِينَ ذُنُوبِهِ ... لَمْ يُغْنِ عَنْهُ مَكْرُهُ وَنُضَارُهُ

ما قَابَلَ الظُّلْمُ الشَّرِيعَةَ مُعْجَباً ... في غَيِّهِ إلاَّ انْمَحَتْ آثَارُهُ

***

وَبِمُهْجَتِي أَبْطَالُ دُسْتُورٍ بِهِمْ ... يُقْصَىٰ عَنِ الوَطَنِ العَزِيزِ دَمَارُهُ

فَلْيَعْلَمِ الأَعْدَاءُ أَنَّ أُسُودَنَا ... يُحْمَى الحِمَىٰ بِسُيُوفِهَا وَذِمَارُهُ

وَبِهِ مِنِ الأَحْرَارِ خَيْرُ عِصَابَةٍ ... تَحْيَا بِنُورِ عُقُولِهِمْ أَدْوَارُهُ

أَلِفُوا الشَّهَامَةَ فَهْيَ غَرْسُ صُدُورِهِمْ ... وَالمَجْدُ يَعْشَقُهُمْ فَهُمْ سُمَّارُهُ

وَعَلَيْهِمُ أَرْبَى ابْنُ يُوسُفَ مَنْزِلاً ... قَدْ فَاحَ في أَوْجِ العُلا مِعْطَارُهُ

بَذَلَ النَّفَائِسَ في ارْتِقَاءِ مَنَازِلٍ ... كَادَ الهُبُوطُ بِهَا يَتِمُّ شِعَارُهُ

فَلْيَهْنَأِ الوَطَنُ العَزِيزُ بِهِ فَقَدْ ... صَارَتْ بِهِ أَنْصَارَهُ أَخْيَارُهُ

وَبِهِ يُؤَمِّلُ أَنْ يَفُوزَ لأَنَّهُ ... عَنْ كُلِّ شَيءٍ قُدِّسَتْ أَسْرَارُهُ

هَلْ يَسْتَوِي حُرُّ الضَّمِيرِ بِطَبْعِهِ ... وَمُقَلِّدٌ تُزْجِي الخَنَا أَطْوَارُهُ

لاَ وَالَّذِي جَعَلَ الأَنَامَ مَعادِناً ... وَقَضَى التَّفَاضُلَ بَيْنَهُمْ أَقْدَارُهُ

وَأَدَامَ فِينَا عَابِدَ الرَّحْمٰنِ في ... شَرَفٍ يَدُومُ مَدَى الزَّمَانِ وَقَارُهُ

أَحْيَا مَسَالِكَ يُوسُفٍ في عَصْرِهِ ... فَنَدَاهُ سُورِيَّا غَدَتْ تَمْتَارُهُ

وَلَهُ المَحَبَّةُ في القُلُوبِ تَمَكَّنَتْ ... مَحْسُودُهُ يَدْنُو إِلَيْهِ بَوَارُهُ

رفع المسيهم

سَلْ مَكَّةً وَطَرِيقَها وَحَجِيجَها ... تُنْبِيكَ عَنْ أَفْضَالِهِ أَخْبَارُهُ

كَمْ أَلَّفَتْ يُمْنَاهُ بَيْنَ قَبَائِلٍ ... غَنَّى المُهَنَّدُ بَيْنَهُمْ أَوْتَارُهُ

وَيَبِيتُ يَحْرُسُ فِي اللَّيَالِي مَوْكِباً ... لِلْكَعْبَةِ الغَرَّاءِ كَانَ أُوَارُهُ

مَا أَمَّ بَيْتَ اللهِ فِينَا مُحْرِمٌ ... إِلاَّ بِمِدْحَتِهِ سَمَتْ أَشْعَارُهُ

إِنَّ الحِجَازَ إِلَيْهِ أَوْفَى مُغْرَمٍ ... تَشْتَاقُهُ أَقْطَارُهُ وَدِيَارُهُ

قَدْ نُزِّهَتْ عَنْ كُلِّ مَسْلَكِ خَائِنٍ ... مَتَمَلِّقٍ مُتَلَوِّنٍ أَفْكَارُهُ

لا يُنْكِرُ الشَّمْسَ المُنِيرَةَ في الضُّحَىٰ ... إِلاَّ الَّذي قَدْ أُعْمِيَتْ أَبْصَارُهُ

***

وسَلِ المَدارِسَ وَاليَتَامَىٰ في الدُّجَىٰ ... كَمْ قَدْ قَضَىٰ بِحَيَاتِهِم مِدْرَارُهُ

فَشِمَالُهُ لَمْ تَدْرِ جُودَ يَمِينِهِ ... وَتَئِنُّ مِنْ ثِقَلِ النَّدَىٰ زُوَّارُهُ

لا يَعْشَقُ الدُّسْتُورُ غَيْرَ جَمَالِهِ ... في شَامِنا مَهْمَا تَنَاءَتْ دَارُهُ

قَدْ صَارَ أَهْلُ القَهْقَرىٰ مِنْ خَوْفِهِمْ ... مِنْهُ بِمَسخِ مُهْلِكٍ إِعْصَارُهُ

والصَّادِقُ الحُرُّ الكَرِيمُ لَفِي هَنَا ... يَزْدَادُ مَا طَرَدَ الظَّلامَ نَهَارُهُ

وَالغَادِرُ المُحْتَالُ ذُو وَجَلٍ وَلَوْ ... بَلَغَتْ بَلاَغَةَ يَعْرُبٍ أَعْذَارُهُ

***

واذْكُرْ بِلَيْلِ الوَقْفَةِ الأَغْمَارَ إِذْ ... ثارُوا وَجَيْشُ الطَّيشِ طَارَ شَرَارُهُ

نَقِمُوا على الدُّسْتورِ فانْهَالُوا عَلَىٰ ... دَارِ الحُكُومةِ وَالمَجَرَّةُ غارُهُ

يَتَسابَقُونَ إلى الغَوايَةِ وَالضَّلا ... لِ وَكُلُّهُم بِالحقِّ هُمْ كُفَّارُهُ

فَبَدا نَصِيرَ الحَقِّ فيهِمْ وَحْدَهُ ... حَتىٰ بَدَا مِنْ ذِي الضَّلالِ خَسَارُهُ

وَانْسَلَّ شَيْطَانُ الغَوَايَةِ مُدْبِراً ... يَدْعُو الثُّبُورَ وَلاَ يَقَرُّ قَرارُهُ

رفع المسيهم

تِلْكَ الشَّهَامَةُ لا فِعَالُ مُنَافِقٍ ... بَلَغَتْ ذُرَا أَوْطَانِهِ أَوْزارُهُ

وَإذا الحَسُودُ أَبَىٰ ظُهُورَ فَضِيلَةٍ ... نَطَقَتْ بِتاريخِ الثَّنَا أَسْفارُهُ

فَإِلَيْكَ شِبْلَ مُحَمَّدِ بنِ اليُوسُفِي ... الصِّدْقُ مَنْسوبٌ وَأَنْتَ مَنارُهُ

وَبِفَضْلِكَ التَّارِيخُ جَذْلاَنٌ إذا ... غَنَّىٰ بِتَكْرَارِ المَديحِ هَزَارُهُ

والمَجْدُ في جَدْوَاكَ ظَلَّ مُتَيَّماً ... يُعزىٰ لِمَجْدِكَ عِزُّهُ وَفَخَارُهُ

إِنْ أَجْهَدَ النَّفْسَ البَلِيغُ مُهَيَّماً ... في مَدْحِكُمْ لَمْ يَأْتِهِ مِعْشَارُهُ

فاسْلَمْ إلى الأَوْطَانِ بَدْراً زاهِراً ... ما دامَ في فَلَكِ العُلا سَيَّارُهُ

(٣٦٣)

وقلت مُوَرِّياً في ياسمين: [من الوافر]

فَقَدْتُ مِنَ الغَرَامِ فَضْلَ رُشْدِي ... وَقَدْ أَضْحَىٰ صَلاحِي في صَلاحِ

وَمِلْتُ إلى الحَدِيثِ وَكُنْتُ قَبْلاً ... أُخادِعُ بالظَّلاَمِ عَنِ الصَّبَاحِ

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الحَقَّ جَهْراً ... يُنَادِيني بِحَيَّ عَلَى الفَلاحِ

رَأَيْتُ صَلاحَ دِينِي خَيْرَ شَيْءٍ ... أَلُوذُ بِهِ لِيَحْصُلَ لِي نَجَاحِي

(٣٦٤)

وذهبتُ لعيادة مفتي دمشق سليمانَ أفندي الجوخدار، فلم تتيسَّر لي رُؤيتهُ، فكتبت إليه مُضمناً آية من القرآن: [من الكامل]

يَامَالِكَ الأَلْبابِ مُلْكاً مُحْسِناً ... (لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)

لَمَّا حَجَبْتَ حَجَبْتَ كُلَّ مَسَرَّةٍ ... عَنَّا وَلَجَّ زَمانُنَا في صَدِّهِ

لا تَخْشَ شَيْئاً فَهْوَ غَيْمٌ زائِلٌ ... واللهُ يأْمُرُ بالشِّفَا مِنْ عِنْدِهِ

رفع المسيهم

(٣٦٥)

وقلتُ مراسلاً أحد الأحباب : [من البسيط]

يـا سَـائِـراً وَسَفِيـنُ البَحْـرِ تَحْمِلُـهُ ... سَـلْ نـارَهَـا تُنْبِيكَ عَـنْ أَنْفَـاسِـي

قَلْبِي كَمِرْجَلِكَ الحَزِينِ تَضَرُّماً ... وَبُخَـارُهُ قَـدْ نـابَ عَـنْ إِبْـلاَسِـي

بِـاللهِ إِنْ جئْـتَ الـدِّيـارَ عَشِيَّـةً ... خَبِّـرْهُ أَنِّـي غِبْـتُ عَـنْ إِحْسَاسِـي

يا بَحْرُ هَلْ أَزْعَجْتَ خاطِرَ فاتِني ... أَمْ كُنْـتَ ذَا لُطْـفٍ وَذا إِينَـاسِ

إِنِّـي عَهِـدْتُـكَ يـا ظَلُـومُ مُفَـرِّقـاً ... ذَا سَطْـوَةٍ مَمْـزُوجَـةٍ بـالبَـاسِ

يـا ثَغْـرَ بَيْـرُوتَ لِمَـاذَا خُنْتَنِـي ... وَتَـرَكْـتَ بَـدْرِي لِلْعَنـاءِ يُقَـاسِـي

لَعِـبَ الـزَّمـانُ بِنَـا فَشَتَّـتَ شَمْلَنَـا ... وأَتَـىٰ بِفِعْـلِ الغَـادِرِ الخَنَّـاسِ

أَتُـرَاهُ يَـوْمـاً بـاللِّقَـاءِ مُبَشِّـرِي ... مِنْ قَبْلِ أَنْ أُمْسِي لَدَىٰ أَرْمَاسِي

أَتُـرَاهُ يَنْسَـى العَهْـدَ فِيمـا بَيْنَنَـا ... رُحْمَـاهُ لَسْـتُ لِعَهْـدِهِ بِـالنَّـاسِـي

لَمْ أَنْسَهُ والسُّحْبُ تَسْكُبُ دَمْعَها ... وَاللَّيْـلُ جَـاءَ بِـوَجْهِـهِ العَبَّـاسِ

فـأَتَـىٰ يُـداعِبُنـي يَقُـولُ بِلُطْفِـهِ ... أَتُـرِيـدُنِـي مِـنْ جُمْلَـةِ الجُـلاَّسِ

وَيَجُودُ بِالوَصْلِ العَفِيفِ تَكَرُّماً ... رَغْمـاً لأَنْـفِ العَـاذِلِ النَّعَّـاسِ

لَـمْ أَنْسَ زَوْرَتَـهُ وَأَذْيـالُ الـدُّجَىٰ ... أَلْقَـتْ بِقَلْـبِ الصُّبْـحِ مَـرَّ اليَـاسِ

يُمْسِي يُعَاطِينِي كُؤُوسَ حَدِيثِهِ ... وَجَبِينُـهُ جُنِـحَ الـدُّجَـىٰ نِبْـراسِـي

أَتُـرَىٰ يَعُـودُ زَمَـانُنَـا فـي دُمَّـرٍ ... وَالعَيْشُ طَلْقٌ والحَبِيبُ مُوَاسِي

وَيَعُـودُ صَفْـوُ زَمـانِنـا بـالفِيحَـةِ ... وَالـرَّوْضُ مـاسَ بقـدِّهِ المَيَّـاسِ

وَأُسـامِـرُ البَـدْرَ المُنِيـرَ بِجلَّـقٍ ... بَيْنَ الرِّياضِ وَلا نَرىٰ مِنْ بَاسِ

يـا سَـائِـقَ الـوابـورِ فيـهِ مُهْجَتِـي ... أَلْقَيْـتَ فـي أَيِّ الثُّغُـورِ مِـرَاسِـي

هَلاَّ اسْتَوىٰ في بَحْرِ دَمْعي إِنَّهُ ... لا بَحْـرَ يَعْـدِلُ لُجَّـهُ بِقِيـاسِ

رفع المسيهم

(٣٦٦)

وقلت أيضاً: [من الكامل]

مَا لِي يُغَالِطُنِي الخَيَالُ وَيَكْذِبُ ... وَيَقُولُ صَبْراً إِنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا
وَأَظُنُّ إِنْ نَظَرَتْ عُيُونِي شِبْهَهُ ... أَنَّ الحَبِيبَ أَتَىٰ إِلَيَّ فأَطْرَبُ
قَدْ كَانَ عَوَّدَنِي الزِّيَارَةَ رَحْمَةً ... مِنْهُ وَبَدْرِي سَافِرٌ لا يُحْجَبُ
فَمَضَىٰ فَصِرْتُ مُرَاقِباً أَوْقَاتَهُ ... فَأَقُولُ جاءَ وإِنْ مَضَتْ أَتَعَتَّبُ
وَأَرَىٰ عَوَاذِلَهُ تُزَخْرِفُ ذَمَّهُ ... كَيْداً وَتَسْقِينِي المَلامَ وَتَكْذِبُ
تَرْمِيهِ بِالقَذْفِ الشَّنِيعِ نِكَايَةً ... وَبِوُدِّهِمْ أَنِّي لَهُ لا أَكْتُبُ
كَذَبُوا وَحَقِّ وِدَادِهِ هُوَ مُنْيَتِي ... مَهْمَا يَكُنْ فَهُوَ المُنَىٰ وَالمَطْلَبُ
إِنِّي لَهُ الخِلُّ الوَفِيُّ وَإِنْ نَأَىٰ ... عَنِّي وَأَمْسَىٰ وُدُّهُ يَتَقَلَّبُ
دُمْ يا سَعِيدُ بِرَغْمِ ضِدِّكَ في هَنا ... إِنِّي وَإِنْ جَدَّ النَّوَىٰ نِعْمَ الأَبُ
أَسْعَىٰ لِمَا تَخْتَارُ جُهْدِي فَاقْتَرِحْ ... أَيّاً تُرِيدُ وَمَا لِسَانُكَ يَطْلُبُ
وَإِذا كَتَمْتَ عَلَىٰ صَدِيقِكَ حَالَةً ... نَمَّ العَذُولُ بِها فأَنْتَ المُذْنِبُ

(٣٦٧)

وقلتُ: [من الوافر]

أَيَا دَارَ السَّعَادَةِ أَنْتِ مِصْرٌ ... وَهٰذا يُوسُفٌ نِعْمَ الأَمِينُ
وَإِنِّي مِثْلُ يَعْقُوبٍ بِحُزْنِي ... وَلِي في الحُبِّ مِنْ قِدَمٍ فُنُونُ

رفع المسيهم

(٣٦٨)

وقلتُ عندَ صياح «الشمندفير» بَعْدَ الوداع : [من الكامل]

مَهْ يا سَفِينَ البَرِّ مالكَ صَائِحُ ... هَلْ أَنْتَ لِي بَعْدَ البِعادِ تَكِيدُ
أَبْعَدْتَ حِبِّي عَنْ عُيُونِي عَنْوَةً ... وَتَرَكْتَ جَفْنِي بِالدُّمُوعِ يَجُودُ
فَمَتَىٰ تُبَشِّرُ بِاللِّقاء وَيَأْتِنِي ... عِيدٌ بِوَصْلِ الحِبِّ وَهْوَ سَعِيدُ
قَسَماً بِهِ لا أَنْثَنِي عَنْ حُبِّهِ ... وَعَلَيَّ فِي قَوْلِي الإِلَهُ شَهِيدُ

(٣٦٩)

وقلتُ وقَدْ كَرَّر صياحَه : [من الكامل]

كُفَّ الصِّيَاحَ فَإِنَّ صَبْرِي قَدْ فَنِي ... وَعَلَيَّ رَبِّي بِالفِرَاقِ لَقَدْ قَضَىٰ
أَوّاهُ وَالَهَفِي عَلَىٰ زَمَنِ اللِّقَا ... فَمَتَىٰ أَرَىٰ بَدْرِي أَمَامِي قَدْ أَضَا
مِنْ بَعْدِهِ أَنْكَرْتُ كُلَّ مُصاحِبٍ ... فَأَنا الغَرِيبُ وَذاكَ مِنْ حُكْمِ القَضَا

(٣٧٠)

وقلت : [من الكامل]

حَلَفَ الزَّمَانُ لَيُنْسِيَنِّي عَهْدَهُ ... حَنِثَتْ يَمِينُكَ يا زَمَانُ فَكَفِّرِ
مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّنِي أَسْلُوهُ أَوْ ... يَحْلُو لِعَيْنِي الغَيْرُ فَهْوَ المُفْتَرِي
لَوْ أَنَّ بِي سَعَةً لَمَا فَارَقْتُهُ ... وَلَكُنْتُ خُضْتُ اليَوْمَ مَتْنَ الأَبْحُرِ

(٣٧١)

وقلت : [من الكامل]

إِنْ قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ قُرْبَ لِقَائِنَا ... عِشْنَا معاً وَصَفَتْ لَنَا أَيَّامُنَا
وَإِذا تَبَاعَدَتِ الدِّيارُ فَإِنَّنِي ... بِسِواهُ لا أَلْهُو وَلا أَرْجُو المُنَىٰ

رفع المسيهم

(٣٧٢)

وقلت مخاطباً للبدر :

إِنْ كُنْتَ يابَدْرَ السَّمَاءِ مشاهِداً ... بَـدْرِي عَلَيْـهِ فَـأَكْثِـرِ التَّسْلِيمَـا
وَالْثِمْ شَبِيهَكَ وَاحْتَرِسْ مِنْ لَحْظِهِ ... فَهْـوَ المُكَلِّـمُ قَلْبَنَـا تَكْلِيمَـا
خَبِّـرْهُ أَنَّ الـدَّمْـعَ شِبْـهُ خُـدُودِهِ ... وَالجِسْمَ بَعْدَ البُعْدِ صَارَ سَقِيمَا
هَلْ يا تُرَىٰ نَسِيَ العُهُودَ وَمَلَّنِي ... أَمْ كَـانَ فـي صِـدْقِ الـوِدَادِ مُقِيمَـا
عَهْـدِي بِـهِ صِـدْقُ الـوِدَادِ وَإِنَّمَـا ... بِفِـرَاقِـهِ كَـانَ الـزَّمَـانُ ظَلُـومَـا

(٣٧٣)

وقلتُ أيضاً : [من البسيط]

يا سَائِلَ الرَّسْمِ إِنَّ الرَّكْبَ قَدْ رَحَلاَ ... وَغَـادَرُوكَ وَحِيداً تَـرْقُـبُ الأَمَـلا
سَارَ السَّفِينُ بِهِمْ في البَحْرِ وَا أَسَفِي ... فَصَارَ وَجْدُكَ في الأَحْشَاءِ مُشْتَعِلا
فَجَـابَ دُمَّـرَ مَـعْ لُبْنَـانَ مُسْتَبِقـاً ... رِيحَ الشَّمَالِ وَجَابَ السَّهْلَ وَالجَبَلاَ
يَعْلُو الدُّخَانُ علىٰ هَاماتِهِ وَلَهُ ... مِنَ الزَّفيرِ صُرَاخٌ بِالدُّخَانِ عَلا
فَجَـاءَ بَيْـرُوتَ يُتْحِفُهـا سَنـا قَمَـرٍ ... مِنْ جَنَّةٍ عَنْهُ رِضْوَانٌ لَقَدْ غَفَلا
فَغَارَ مِنْهُ سَفِينُ البَحْرِ فَاخْتَطَفَتْ ... أَيْـدِيـهِ بَـدْراً بِـأَنْـوَاعِ البَهَـا كَمُـلا
وَأَزْبَدَ البَحْرُ وَالأَمْواجُ قَدْ رَقَصَتْ ... وَصـاحَ وَابُـورُهُ أَهْـلاً بِمَـنْ نَـزَلا
حَـثَّ المَسِيـرَ وَقَلْبِـي بَعْـدَهُ فَـرِقٌ ... كَـأَنَّ سُـوريَّـةَ عَنْهَـا الضِّيَـا رَحَـلا
وَقَـامَ عُـذَّالُنَـا بـالإِفْـكِ تَقْصِـدُهُ ... كَيْمَا يَرَوْا حُبَّهُ وَالوَجْدَ مُرْتَحِلا
لَمْ أَدْرِ حَالَتَهُ مِنْ بَعْدِما اتَّخَذَتْ ... أَيْدِي الفِراقِ لَنا غِبَّ النَّوَىٰ سُبُلا
مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ صَارَ الشِّعْرُ لِي نَسَباً ... وَكُنْتُ قَبْلاً تَرَكْتُ الشِّعْرُ وَالغَزَلا

رفع المسيهم

يَا بَحْرُ وَيْحَكَ هَلْ أَزْعَجْتَ خَاطِرَهُ ... أَمِ الحَنَانُ بَدَا وَالرِّفْقُ قَدْ حَصَلا
وَهَلْ بَخِلْتَ بِهِ عَنْ نَيْلِ بُغْيَتِهِ ... أَمْ هَلْ لِدَارِ المَعَالِي وَالهَنَا وَصَلا
فَاللهُ يَحْرُسُهُ دَوْماً وَيَكلؤُهُ ... بالحِفْظِ مَا قَارِئٌ آيَ الكِتَابِ تَلا

(٣٧٤)

وقلت: [من البسيط]

إِنِّي ذَكَرْتُكَ وَالقَانُونُ ذُو لَهَفٍ ... مِنْ بُعْدِنَا وَلَهِيبُ القَلْبِ في سُعُرِ
فَقُلْتُ لِلْعُودُ هَلْ عَوْدُ الزَّمَانِ لَنَا ... فَقَالَ قَانُونُهُ إِنْ عُدْتُ للشَّجَرِ
فَخَاصَمَتْهُ «الكَمَنْجَا» وَهْيَ قَائِلَةٌ ... لا تُيْئِسُوا هَائِماً قَدْ ضَلَّ في الفِكَرِ
قَدْ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلاً بَاتَ مُفْتَرِقاً ... وَيُسْعِدُ الطالعُ المَنْحُوسَ في البُكَرِ

(٣٧٥)

وقلت: [من الوافر]

أَيَا «قَانُونُ» وَيْحَكَ زَادَ نَوْحِي ... وَيَا «عُودُ» مَتَىٰ بَدْرِي يَعُودُ
وَيَا سُقْمَ «الكَمَنْجَا» صَارَ جِسْمِي ... شَبِيهَكِ وَالدُّمُوعُ لَهُ تَجُودُ
فَهَلْ أُلْفِي بُعَيْدَ الصَّوْمِ عِيداً ... سَعِيداً جَاءَنِي فِيهِ سَعِيدُ
أَرَى بِوِصَالِهِ غَيْرِي مُهَنَّا ... وَأَنِّي عَنْهُ في جِسْمِي بَعِيدُ

(٣٧٦)

وقلت: [من الوافر]

أَلا يَا عَاذِلِي في الحُبِّ دَعْنِي ... فَحَالِي صَارَ في أَمْرٍ غَرِيبِ
فَمَاذَا تَبْتَغِي يا وَغْدُ مِنِّي ... وَإِنِّي قَدْ غَدَوْتُ بِلا حَبِيبِ

رفع المسيهم

(٣٧٧)

وقلتُ: [من البسيط]

إِنَّ الُمحِبَّ كَثيرُ الغَمِّ ذُو أَمَلٍ ... يَقْضِي اللَّيَالِيَ في هَمٍّ وَفي حَرَبِ
فَالدَّهْرُ يُتْلِفُهُ وَالحُبُّ يَقْتُلُهُ ... وَلَمْ يَجِدْ مُسْعِفاً مِنْهُ فَيَا عَجَبِي
لَيْتَ المَحَبَّةَ ما كانَتْ أَوائِلُهَا ... فَإِنَّ أَوْسَطَهَا يُفْضِي إلى العَطَبِ
أَوْهِ مِنَ الحُبِّ أَضْنىٰ مُهْجَتِي وَأَنَا ... في حَالَةِ اليَأْس لَمْ أُدْرِكْ بِهِ طَلَبِي
يُرِيدُ هَتْكِي وَلَمْ أَظْفَرْ بِنَيْلِ مُنًى ... أَوَّاهُ وَاقَلَقِي أَوَّاهُ واحَرَبِي
جَنَيْتُ ذَنْباً فَعُقْباهُ إلىٰ نَدَمِي ... أَسِيرُ مِنْ أَجْلِهِ وَالقَلْبُ في لَهَبِ
أَيْنَ الخَلاَصُ وَرُوحِي في التَّرَاقِ وَقَدْ ... عَزَّ التَّصَبُّرُ عَمَّا حَلَّ مِنْ نُوَبِ
وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ لي مِمَّا أُحَاوِلُهُ ... وَلَمْ أَجِدْ لِلرَّجَا شَيئاً مِنَ السَّبَبِ
لَيْسَ المَلُومُ سِوَىٰ نَفْسِي وَلَيْسَ لَهَا ... بِالمُنْجِدِ اليَوْمَ مِمَّا كانَ مِنْ عَجَبِ
وهٰذِهِ سُنَّةُ العُشَّاقِ تُحْرِقُهُمْ ... نارُ الغَرامِ وَيَهْنَا الضِّدُّ بالطَّرَبِ

(٣٧٨)

وقلت مراسلاً: [من البسيط]

حُيِّيتَ لُبْنَانُ في الآصَالِ وَالبُكَرِ ... وَجَادَ رَبْعَكَ هَطَّالٌ مِنَ المَطَرِ
وَدُمْتَ يا «سُوقَ غَرْبٍ» بالنَّعِيمِ مَدَى ... مَرِّ النَّسِيمِ على الرَّوْضاتِ وَالشَّجَرِ
قَدْ كَانَ لِي في رُباهُ بِالصَّفَا زَمَنٌ ... أَعُدُّهُ خَيْرَ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُمُرِي
أُنَادِمُ الرَّوْضَ في أَعلى الجِبَالِ وَكَمْ ... أَحْيَا فُؤَادِي شَذَاهُ أَوَّلَ البُكَرِ
يا حَادِيَ السُّفْنِ إِنْ مَرَّتْ بِعَالِيَةٍ ... وَلِلْبُخَارِ زفِيرٌ دَائِمُ الشَّرَرِ
مِلْ لِلْحِمَىٰ صَاحِبِي وَاقْرَ السَّلاَمَ علىٰ ... بَدْرٍ بَدَا عِنْدَهُ أَجلَىٰ مِنَ القَمَرِ

رفع المسيهم

مُنِيفُ عِزٍّ فَمَا أَبْهَىٰ شَمَائِلَهُ ... كَأَنَّمَا لَفْظُهُ قَدْ صِيغَ مِنْ دُرَرِ
لِلْيُوسُفِي يَنْتَمِي إِفْضَالُهُ وَإِذا ... ما شِئْتَ تَنْعَتُهُ قُلْ طَيِّبُ الأَثَرِ
سَامَ المَكَارِمَ فَانْقَادَتْ لَهُ عَجَلاً ... فَنَالَ مِنْهَا ثَنَاءً مُسْنَدَ الخَبَرِ
يا طِيبَ أَيَّامِنَا اللاَّئِي مَضَتْ وَلَنا ... في سَفْحِ لُبْنَانَ أَصْنَافٌ مِنَ السَّمَرِ
بَيْنَ الصَّنَوْبَرِ قَدْ كانَتْ مَجَالِسُنَا ... أُسَامِرُ الرِّيمَ أَحْيَاناً إِلى السَّحَرِ
وَلِلْوِدَادِ صَفَاءٌ طَابَ مَوْرِدُهُ ... أَنْعِمْ بِهِ مَنْهَلاً في الوِرْدِ وَالصَّدَرِ
حَتَّىٰ أَعَدَّتْ لَنَا عُذَّالُنا شَرَكاً ... وَأَبْدَلَتْ صَفْوَنَا بِالبُعْدِ وَالكَدَرِ
وَأَصْبَحَ الخِلُّ لا يَرْعَىٰ لَنَا ذِمَماً ... كَأَنَّ أُلْفَتَنَا كانَتْ إِلى الحَجَرِ
ثُمَّ انْثَنَىٰ لا عَدِمْتُ الدَّهْرَ طَلْعَتَهُ ... يُحْيِي الوِدَادَ وَيَدْعُونِي إِلى السَّفَرِ
جَاءَ الرَّسُولُ فَلَمْ يَظْفَرْ بِمَطْلَبِهِ ... إِنِّي لَهُ عَنْ مَغِيبِي خَيْرُ مَعْتَذِرِ
إِنِّي على العَهْدِ يانَسْلَ الكِرَامِ فَلا ... تَجْعَلْ صُدُودَكَ يُدْنِينِي إِلى الخَطَرِ

(٣٧٩)

وقلت: [من البسيط]

إِنَّ الحَبِيبَ الَّذي أُلْفِيهِ مُشْتَرَكاً ... يَفِرُّ عَنْهُ فُؤَادِي خَشْيَةَ الشِّرْكِ
وَلاَ أَلُومُ أَخَا غَدْرٍ علىٰ سَفَهٍ ... وَمَا لَهُ رَادِعٌ عِنْدِي سِوَى التَّرْكِ

(٣٨٠)

وقلت أَرثي الأَديبَ الفَاضِلَ الصَّالحَ الشيخَ مُحمَّد بنَ المُبارَكِ الجَزائِريَّ المُتَوَفّىٰ في جُمادىٰ سنَةَ ثَلاَثِينَ وثلاثِ مئةٍ وأَلف مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّة: [من الكامل]

للهِ شَكْوَى القَلْبِ مِنْ بُرَحَائِهِ ... فَهِيَ الَّتِي أَوْدَتْ بِحُسْنِ عَزَائِهِ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُ في الخُطُوبِ تَأَوُّهٌ ... لَشَفَيْتُ مِنْهُ القَلْبَ مِنْ بَلْوَائِهِ

وَإذا دَجَا لَيْلُ المُصَابِ مُفَاجِئاً ... ضَاقَ الزَّمَانُ بِأَرْضِهِ وَفَضَائِهِ

دَهْرٌ يُلاعِبُ لُبَّ أَرْبَابِ النُّهَىٰ ... وَيَسِيرُ حَيْثُ يُرِيدُ فِي أَبْنَائِهِ

فَكَأَنَّنَا الأَغْرَاضُ لا نَبْقَىٰ بِهِ ... آنَيْنِ فِي تَصْرِيفِهِ وَمَضَائِهِ

يَاأُمَّ دَفْرٍ هَلْ مَدَارُكِ حَالِفٌ ... أَلاَّ يُجَاوِرَنَا سِوَىٰ لأْوَائِهِ

بَيْنَا المُفَضَّلُ يَسْتَوِي لِعَلاَئِهِ ... إِذْ صَارَ فِي الأَرْمَاسِ مِنْ غَبْرَائِهِ

كَابْنِ المُبَارَكِ نُخْبَةِ الأَشْرافِ مَنْ ... أَرْبَىٰ على الكُبَرَاءِ مِنْ نُظَرَائِهِ

أَمْسَىٰ يُحَسَّنُ زَادَهُ لِمَعَادِهِ ... ثُمَّ انْثَنَىٰ فِي الصُّبْحِ نَحْوَ بَقَائِهِ

رُوحٌ بِهَيْكَلِهَا اسْتَهَامَتْ بُرْهَةً ... لِكَمَالِهَا تَخْتَالُ فِي أَحْشَائِهِ

مِثْلَ الزُّجَاجَةِ يَسْتَضِيءُ بِنُورِها ... ثُمَّ اسْتَطَارَ لِدَارِهِ وَعَلاَئِهِ

قَدْ كَانَ مَنْزِلُهَا بِأَرْفَعِ رُتْبَةٍ ... فَتَسَفَّلَتْ ثُمَّ ارْتَقَتْ لِسَنَائِهِ

أَمُحَمَّدٌ يا بْنَ المُبَارَكِ مَنْ سَعَىٰ ... لِجِوَارِأَهْلِ المَجْدِ مِنْ آبَائِهِ

أَوْدَعْتَنَا حُزْناً وَأَنْتَ مُهَيَّمٌ ... فِي منْزِلٍ لَمْ نُحْصِ بَعْضَ بَهَائِهِ

وَتَرَكْتَ فِينَا مِنْ عُلُومِكَ آيَةً ... فِيهَا البَدِيعُ ازْدَادَ فِي غُلَوَائِهِ

فَلْيَبْكِهِ النَّظْمُ البَدِيعُ وَيَبْكِهِ ... الإِنْشَاءُ فِي إِصْبَاحِهِ وَمَسَائِهِ

وَلُغَاتُ يَعْرُبَ قَدْ أَقَامَتْ مَأْتَماً ... فَسَعَىٰ إِلَيهِ الجُلُّ مِنْ أَبْنَائِهِ

تَأْبِينُهُ فِي عصْرِنَا وَرِثَاؤُهُ ... قَدْ أَصْبَحَا حَقّاً علىٰ أُدَبَائِهِ

شَخْصٌ تَلَوَّنَ مِنْ تُقًى وَهِدَايَةٍ ... لِيَدُلَّ مَنْ قَدْ حَارَ فِي ظَلْمَائِهِ

سِرٌّ بَدَا لأُولِي البَصَائِرِ بُرْهَةً ... ثُمَّ انْطَوىٰ فِي مسْتَكِنِّ خَفَائِهِ

فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ مَطْلَعُ بَدْرِهِ ... مِنْ بَعْدِما انْبَهَرَ العُلا بِضِيَائِهِ

وَإِذا النُّفُوسُ الزَّاكِيَاتُ تَكَامَلَتْ ... جُذِبَتْ إِلىٰ أَبْدَانِها بِوَفَائِهِ

حَيَّتْ ضَرِيحَكَ رَحْمَةُ الرَّحمَنِ مَا ... دامَ الزَّمَانُ مُمَتَّعاً بِذُكَائِهِ

رفع المسيهم

وَأَثَابَكَ الحُسْنَىٰ بِجَنَّاتِ الرِّضَا وَزِيَادةٍ مِنْ فَضْلِهِ وَعَطائِهِ
وَرَعَىٰ بَنِيكَ وَأَسْبَغَ النُّعْمَىٰ لَهُمْ أَنْتَ الذُّكَاءُ وَهُمْ نُجومُ هُدَائِهِ

(٣٨١)

وقُلْتُ أَيضاً ارْتِجَالاً علىٰ لِسَانِ طَلَبةِ المَدَارِس: [من الوافر]

أَرَىٰ في الشَّرْقِ نُوراً قَدْ تَجَلَّىٰ وَبَدْراً في سَمَاءِ العِزِّ هَلاَّ
وَأَشْرافاً يُنادونَ المَعَالي فَتَأْتِيهِمْ وَلَيْلُ الصَّدِّ وَلَّىٰ
وَأَقْماراً بِسُورِيَّا نَرَاهَا بِإِحْيَاءِ العُلُومِ تَرُومُ شُغْلاَ
فَيَا آلَ المَعَالِي أَنْجِدُونَا وَأَحْيُوا بِالعُلُومِ بِلًى تَجَلَّىٰ
فَإِنْ كُنَّا صِغاراً سَوْفَ نَسْمُو فَكُونُوا في عُلاَنا اليَوْمَ أَهْلا
أَبانَ الغَرْبُ عَنْ سِرٍّ غَرِيبٍ فَأَعْجَزَ مَنْ تَقَدَّمَ أَو تَوَلَّىٰ
وَقَدْ كُنَّا أَمامَهُمُ فَصَارُوا أَئِمَّتَنَا وَنَحْنُ اسْمٌ أَذِلاَّ
فَأَحْيُوا سَادَتِي مَجْداً قَديماً بَنَاهُ الأَوَّلُونَ وَقَدْ تَخَلَّىٰ
دَعُونَا نَسْتَبِقْ قَصَبَ المَعَالِي ونُحْيي مِنْ عُلانَا ما اضْمَحَلاَّ
وَنَتْرُكَ مَنْ يُنادِي بِانْشِقاقٍ وَلَمْ يَرقُبْ بِنَا ذِمَماً وَإِلاَّ
نَكُونُ لَدَى الزَّمَانِ علىٰ إِخَاءٍ لِنَسْقِيَ ضِدَّنَا ذُلاً وَوَيْلاَ
كَفَىٰ يا قَوْمَنَا ما قَدْ رَأَيْنَا وَمَا بِالنَّومِ مِنَّا قَدْ تَجَلَّىٰ
فَنَحْنُ صِغَارُكُمْ فَاسْعَوا عَلَيْنا وَلاَ تَدَعُوا مَكَانَ الغَيْثِ مَحْلاَ
فَإِنْ أَحْسَنْتُمُ الغَرْسَ المُفَدَّىٰ قَطَفْتُمْ مِنْ نَتَائِجِهِ وَإِلاَّ

رفع المسيهم

(٣٨٢)

وقُلتُ مُهَنِّئاً حَضْرَةَ الأميرِ عَلي باشَا الجَزائِرِيَّ ابنَ الأمير عَبدِ القَادِر حينَ جَاءَ من حَرْبِ الطُّلْيَانِ في طرابلس الغَرْبِ في ربيع الأوَل سنة ١٣٣١هـ، ونشرت يومئذ في جريدة المهاجر عدد ٥٦ : [من الكامل]

بَـدْرُ المَسَـرَّةِ فـي بُـرُوجِ كَمَـالِـهِ ... بِقُـدُومِ مَـنْ بَهَـرَ العُـلا بفعـالِـهِ

والشَّمْسُ تَنْشُرُ مِنْ أَشِعَّتِهَا عَلَى الـ ... ـعَلْياءِ تَرْسُمُ مِنْهُ حُسْنَ خِصَالِهِ

وَدِمَشْقُ تَطْرَبُ مِنْ وَفَاءِ حَبِيبِها ... مِـنْ بَعْـدِ مَـا لَـجَّ الجَفَـا بِمِطـالِـهِ

بَدْرٌ سَرَىٰ لِلغَرْبِ يَكْسُوهُ السَّنَا ... إِنَّ الكَـوَاكِـبَ سَيْـرُهَـا لِحِيَـالِـهِ

وَعَـدا عَلى الطُّلْيَـانِ حَـرُّ شِهـابِـهِ ... فَتَـزَلْـزَلَـتْ أَرْكَـانُهُـمْ بِخَيـالِـهِ

للهِ أَخْلَـصَ مَـا نَـوىٰ بِجِهـادِهِ ... فَـأَذاقَ أَهْـلَ البَغْـيِ مُـرَّ نِضـالِـهِ

سِبْـطُ النَّبِـيِّ وسِـرُّ بَضْعَـةِ حَيْـدَرٍ ... لَيْثُ الوَغَىٰ مُرْدِي العِدَا بِنِزَالِهِ

وَعَلِيُّ أَهْلِ المَجْدِ مِنْ قَوْمٍ هُمُو ... أَقمـارُ دِيـنِ اللهِ فـي إِقْبَـالِـهِ

نـادَتْ طَـرَابُلُـسٌ لَـهُ لِيُغِيْثَهـا ... فـأَرَىٰ زَئِيـرَ اللَّيْـثِ فـي أَشْبَـالِـهِ

وَأَقـامَ حَـرْبـاً شَيَّبَـتْ أَطْفـالَ مَـنْ ... أَعْـدَىٰ عَلَيْهَـا فـانْثَنَـىٰ بِـوَبَـالِـهِ

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ تَسْلِيمُهـا مِـنْ غَـادِرٍ ... نَجِـسٍ تَـولَّـىٰ هـائِمـاً بضَـلالِـهِ

لأَرَى العِدَا حرَبْاً يَشُبُّ ضِرامَها ... فَيَكـونُ مَـدْفَـنُ جُلِّهِـمْ بِـرِمَـالِـهِ

وَكذٰلِكَ السَّاداتُ لا تُدْعَىٰ إلىٰ ... أَعْلـى العُـلاَ إِلاَّ سَمَـتْ بِكَمـالِـهِ

للهِ أَبْطـالٌ تَلـوذُ بِـهِ لَـدَىٰ ... أَنْ بَاءَ جَيْشُ النَّحْسِ في زِلْزَالِهِ

وَالبَحْرُ يَنْتَظِرُ اللُّحومَ مِنَ العِدا ... وَالوَحْشُ ينْعَمُ في جَوَابِ سُؤَالِهِ

وَالجَوُّ يَنْسُجُ مِنْ خُيُوطِ دُخانِهِ ... والصَّـاعِقـاتُ تَثُـورُ مِـنْ أَبْطـالِـهِ

والرَّعْدُ مِنْ ضَرْبِ القَنابِلِ صَائِحٌ ... وَالمَوْتُ يَلمَعُ مِنْ خِلالِ ظِلاَلِهِ
وَالأَرضُ مادَتْ وَالجِبَالُ كَأَنَّهَا ... سُفُنٌ تَسيرُ إلىٰ نَدَىٰ إِقْبَالِهِ
وابْنُ الرَّسُولِ يُحَرِّضُ الأَقْوامَ في ... بَأْسٍ شَدِيدٍ غَابَ عَنْ عُذَّالِهِ
تِلْكَ المَكَارِمُ لا ادِّعَاءُ مَفَاخِرٍ ... لاَ تَرْتَقِي أَعْلامُهَا لِنِعَالِهِ
أَرْضَى النَّبِيَّ مُحَمَّداً بِفِعالِهِ ... وَكَذاكَ أَعْمَالُ الَّذِي مِنْ آلِهِ
يا بْنَ الَّذِي قَهَرَ الفِرَنْجَةَ سَيْفُهُ ... وَأَذاقَهُمْ طَعْمَ الرَّدَىٰ بِنِبالِهِ
وَجُيُوشُهُ في البَأْسِ كانتْ تَحْتَمِي ... بِجَوَادِهِ وتظلُّ مِنْ إِنْزالِهِ
وَالدَّهْرُ يَرْسُمُ مِنْ مَناقِبِه عَلَىٰ ... صَفَحَاتِهِ مَا كانَ عِنْدَ مَجَالِهِ
إِنَّ العَدُوَّ لَكُمْ يَمُوتُ بِغَيْظِهِ ... وَعُمْرُكُمْ يَزْدَادُ مِنْ آجَالِهِ
يا بْنَ الأَمِيرِ الشَّهْمِ عَبْدِ القادِرِ ... مَنْ تَقْصُرُ الأَقْمَارُ عَنْ إِجْلالِهِ
الدَّهْرُ طَوْعُ يَمِينِكِ اللَّاتي بها انْـ ... ـبَهَرَ السَّحَابُ الجَوْنُ في تَهْطالِهِ
والسَّيْفُ يَعْشَقُهَا لِيَنْثُرَ نَظْمَ ما ... نَظَمَتْ جُيُوشُ الضِّدِّ عِنْدَ ضَلالِهِ
فَيَسِيرُ إِذْ تُنْشي الجَحَافِلُ قَسْطَلاً ... لَمْ يَدْرِ ما يُمْناهُ عِنْدَ شِمالِهِ
في مَدْحِكَ الزَّاهِي سَمَتْ أَقْدَارُ مَنْ ... يَنْحُوهُ في بُكَرٍ وَفي آصَالِهِ
فاسْلَمْ عَلَىٰ رَغْمِ الحَسُودِ مُعَظَّماً ... وَالضِّدُّ مَشْغُولٌ بِشُؤْمِ خَبَالِهِ

(٣٨٣)

وقلتُ في مَدحِ الأَميرِ سَعيدِ بنِ الأَمَيرِ عليّ باشا بنِ الأَميرِ عبدِ القَادِرِ الجَزَائِرِيَ، ونَحنُ في قَريةِ «عولم» بالقُرْبِ من بُحَيْرَةِ «طبريَّة»: [من البسيط]

في طَالِعِ السَّعْدِ مِنْ أُفْقِ الهَنَاءِ بَدَا ... دَاعِي البَشَائِرِ وَالإِقْبَالِ قَدْ وَفَدَا
وَبُلْبُلُ الرَّوْضِ غَنَّىٰ فَالغُصُونُ بِهِ ... تَخْتَالُ تِيهاً وَدَاعِي الأُنْسِ قَدْ وَرِدَا

رفع المسيهم

أَضْحَى الزَّمَانُ يُجَلِّي العِزَّ في طَرَبٍ ... إلى الأَميرِ الَّذي أَضْحَىٰ لَهُ سَنَدَا

لَيْثُ الوَغَىٰ وَإِمَامُ المَكْرُمَاتِ وَمَنْ ... كَهْفاً لِمَنْ رَامَهُ في النَّائِبَاتِ غَدَا

آبَاؤُهُ الغُرُّ مِنْ خَيْرِ الأَنَامِ لِذا ... مَنْ رَامَ فَوْزاً يَنَلْ مِنْ حُبِّهِمْ رَشَدَا

ذُرِّيَّةُ المُصْطَفَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... هُمُ الهُدَاةُ لِمَنْ يَرْجُو سَبِيلَ هُدَى

أَبْدَى الكِتابُ كَثِيراً مِنْ مَدائِحِكُمْ ... فَحَسْبُكَ الفَضْلُ مِنْ رَبٍّ بِهِ شَهِدَا

نُورُ النُّبُوَّةِ يَزْهُو في وُجُوهِهِمُ ... هُمُ النُّجُومُ لِمَنْ أَوْطَانَهُمْ قَصَدَا

وَالمَوْرِدُ العَذْبُ صَافٍ مِنْ سَعِيدِهِمُ ... نَجْلِ العَلِيِّ الَّذي يَرْوِي لِمَنْ وَرَدَا

لا غَرْوَ إِنْ سَادَ في أَدْنىٰ شَبِيبَتِهِ ... فَالشِّبْلُ يُدْعَىٰ علىٰ رَغْمِ العِدَا أَسَدَا

تَبَارَكَ اللهُ مَنْ أَعْطَاهُ مَرْتَبَةً ... تَعْلُو البُدُورَ وَتَسْمُو أَوْجَهَا أَبَدَا

فَفِي المَعَابِدِ أَتْقَىٰ مَنْ رَأَيْتُ وَفي ... قَهْرِ الكُمَاةِ تَرَىٰ أَبْطَالَهُمْ بَدَدا

وَفِي المَكَارِمِ تَلْقَى السُّحْبَ في عَجَلٍ ... فَبَارَكَ اللهُ في جَدٍّ وَمَا وَلَدَا

بَنِي الأَمِيرِ لأَنْتُمْ خَيْرُ مَنْ رَكِبَ ... ظَهْرَ المَطِيِّ وَحَثَّ السَّيْرَ مُجْتَهِدَا

فَفِي الجَزَائِرِ مِنْ آثَارِكُمْ عَجَبٌ ... وَمَرْبَعُ الشَّامِ مِنْ أَفْضَالِكُمْ حُمِدَا

وَقُطْرُ «درنا» وَمَا وَالاهُ ظَلَّ بِهِ ... مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمُ مَا أَعْجَزَ العَدَدَا

مَدْحِي لَكُمْ قَاصِرٌ في كلِّ آوِنَةٍ ... وَضِدُّكُم في لَظَىٰ نَارِ الجَحِيمِ غَدَا

فَاللهُ يَحْفَظُكُمْ دَوْماً وَيَنْصُرُكُمْ ... ما طَالِعُ السَّعْدِ في أُفْقِ الهَنَاءِ بَدَا

(٣٨٤)

وقُلتُ مُؤَرِّخاً وفاةَ شفيقةَ بنتِ سليم أفندي العمري الدِّمَشْقِيِّ: [من الكامل]

يا مَنْزِلاً قَدْ صَارَ أَبْهَىٰ رَوْضَةٍ ... يُسْقَىٰ بِغَيْثِ الرَّحْمَةِ الهَطَّالِ

لِشَفِيقَةٍ تُنْمَىٰ إلى الفَارُوقِ مِنْ ... بَيْتِ العُلا وَالعِزِّ والإِجْلالِ

لَبَّتْ نِدَا الرَّحمٰنِ مُسْرِعَةً إلىٰ ... عِزٍّ مَنيعٍ فِي نَعِيمٍ ظِلالِ
وَبِهَا الرِّضَا قَدْ فازَ أَرِّخْ (وَلَها ... قَدْ حَلَّ في عِشْرينَ مِنْ شَوَّالِ)

(٣٨٥)

وقُلتُ أَمْدَحُ عَبدَ الرَّحمٰن بك اليُوسُف، وقد قَدِمَ مِنَ الآستانة: [من الكامل]

الكَوْنُ يُظْهِرُ كامِنَ الأَسْرَارِ ... بِمَشَارِقِ الأَفْكَارِ لِلأَخْيَارِ
وَلَهُ علىٰ مَرِّ العُصُورِ خَزائِنٌ ... مِفْتَاحُ مُقْفَلِهَا يَدُ الأَحْرَارِ
وَهُدَاةُ فَضْلٍ أَيْنَمَا قَصَدُوَا تَرَا ... هُمُ أَبْدَلُوا الإِعْسَارَ بِالإِيسَارِ
إِنْ مَاطَلُوا الأَغْيارَ في بَدْءِ السُّرَىٰ ... فَالسَّبْقُ يُعْرَفُ آخِرَ المِضْمَارِ
كَمْ مُشْكِلاتٍ قَدْ تَفَاقَمَ أَمْرُهَا ... وَاسْتَغْلَقَتْ في سَائِرِ الأَدْوَارِ
وَرَأَى المُزَخْرِفُ مَرْتَعاً في رَبْعِهَا ... دَوْراً بِهِ لَعِبَتْ يَدُ الأَغْيَارِ
فَأَتَتْ أَشِعَّةُ فِكْرَةٍ مِنْ مَاجِدٍ ... خَبِرَ الزَّمَانَ بِصَائِبِ الأَفْكَارِ
فَأَزَاحَ ظُلْمَتَهَا بِنُورِ ذَكَائِهِ ... كَاللَّيْلِ تَكْشِفُهُ يَدُ الأَسْحَارِ
للهِ قَوْمٌ كَالدَّرَارِي في الوَرَىٰ ... حُجِبَتْ مَعَالِيهِمْ عَنِ الأَبْصَارِ
لا تُدْرِكُ الأَقْمَارُ مَنْزِلَهُمْ كَمَا ... لَمْ يُدْرِكُوا شَمْساً سَمَتْ بِفَخَارِ
هُوَ عَابِدُ الرَّحمٰنِ فَخْرُ زَمَانِنَا ... كَهْفُ العُلا مِنْ سَادَةٍ أَطْهَارِ
رَبُّ الكَمالِ اليُوسُفِي مَنْ مَدْحُهُ ... ذِكْرى الأَنَامِ بِسَائِرِ الأَقْطارِ
مَا البَدْرُ إِنْ يَبْدُو عُلاهُ لِنَاظِرٍ ... مَا الشَّمْسُ بَلْ ما سَائِرُ الأَقْمَارِ
مَوْلًى بِهِ الأَوطانُ في فَخْرٍ وَمَنْ ... نُعمَاهُ تَرْفُلُ في حُلِيٍّ نُضَارِ
مِنْ أَعْيُنِ الأَفْلاَكِ عُوِّذَ مَجْدُهُ ... لا مِنْ عُيُونِ الحَاسِدِ الغَدَّارِ
وَإِذا الأُمُورُ تَعاظَمَتْ وَتشَابَهَتْ ... كَانَتْ إِلَيْهِ مَعُونَةُ الأَقْدَارِ

إِنَّ الَّـذي يَبْغِـي عُـلاَهُ وَشَـأْوَهُ (مُتَطَلِّـبٌ فـي المـاءِ جَـذْوَةَ نَـارِ)
ماضِي العَزِيمَةِ في الخُطُوبِ إذا دَهَتْ وَبِـذَاكَ يَشْهَـدُ صَـادِقُ الأَخْبَـارِ
هِمَمٌ عَلَتْ أَمْسَى الحَسُودُ لأَجْلِهَا مُتَسَنِّمـاً لِغَـوَارِبِ الأَكْـدَارِ
دَارُ السَّعَادَةِ بالسُّعُودِ لَقَدْ سَمَتْ مُـذْ حَلَّهَـا وَالـوَقْـتُ فـي أَخْطَـارِ
فَلِـذَاكَ نَـدْعُـوهُ وَنَـدْعُـو قَـوْمَـهُ طُـولَ المَـدَىٰ بِـالسَّـادَةِ الأَنْصـارِ
فـي رِفْعَـةِ الأَوْطَـانِ يَتَّحِـدُونَ لا يَتَسَـابَقُـونَ إِلـىٰ سَـرَابِ فَخَـارِ
مَـوْلاَيَ سُـورِيّـا بِكُـمْ دَامَ الهَنَـا لِـرُبُـوعِهَـا بِلَـوَامِـعِ الأَنْـوَارِ
وَالعِيـدُ جَـاءَ مُبَشِّـراً بِقُـدُومِكُـمْ وَمُبَـرْهِنـاً عَـنْ طِيبِـهِ المِعْطَـارِ
فَهُـوَ السَّفِيـرُ لَنَـا لَـدَيْـهِ رِسَـالَـةٌ تَحْكِي اعْتِلاءَكَ في لَطِيفِ وَقَارِ
إِنِّـي وَإِنْ طَـالَ الـزَّمَـانُ مُقَصِّـرُ في خِدْمَتِي لَكُمُ وَفي أَشْعَارِي
فاسْلَمْ مَعَ الأَشْبَالِ في طُولِ المَدَىٰ مـا أَعْقَـبَ الظَّلْمَـاءَ ضَـوْءُ نَهَـارِ

(٣٨٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الغَفَّارِ، والصَّلاةِ وَالسَّلامِ علىٰ حَبيبِهِ المُخْتَارِ، وَآلِهِ السَّادَةِ الأَخْيارِ، فإِنّي ناظِمٌ في هٰذِهِ العُجَالَةِ مِنْ كُلِّ بَحْرٍ مِنْ أَبْحُرِ العَرُوضِ السِّتَّةَ عَشَرَ بَيْتَينِ مِنَ العَروضِ الأُولىٰ مِنَ الضَّرْبِ الأَوَّلِ مِنْ كُلِّ بَحْر، مَعَ ذِكْرِ الأَوْزَانِ؛ تَيْسِيراً لتذكرة المُعانينَ لهٰذا الفَنِّ، ولِلمُعْتَنِينَ بهِ، واللهُ المُيَسِّرُ وَالمُسَهِّلُ، فَأَقُولُ:

بَحْرُ الطَّوِيلِ

زَمَـانِي سَعِيـدٌ إِنْ أَرَاكَ مُـوَاصِلِي وَحُـزْنِـي إِذا عَـزَّ اللِّقَـاءُ طَـوِيـلُ
فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ لِحَـاظٌ لِفَتْكِـي لاَ تَـزَالُ تَصُـولُ

بَحْرُ المَدِيدِ

يالَقَوْمِي في الهَوَىٰ عَزَّ صَبْرِي ... وَالنَّوَىٰ بِالهَتْكِ كَانَ الكَفِيلاَ
فَاعِلاَتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ ... عَنْ مَدِيدِ الشَّوْقِ أَرْوِي النُّحُولاَ

بَحْرُ البَسِيطِ

هٰذَا الصُّدُودُ فَأَيْنَ العَهْدُ يا قَمَرُ ... كَيْفَ البُدُورُ عَنِ الأَحْبَابِ تَسْتَتِرُ
مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ ... بَسِيطُ شَوْقِي إِلَيْكُمْ جَاءَ يَعْتَذِرُ

بَحْرُ الوَافِرِ

عِذَارُ مُعَذِّبِي بِبَدِيعِ لُطْفٍ ... تَلاعَبَ بِالعُقُولِ كَمَا أَرَادَا
مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُن فَعُولُنْ ... بِوَافِرِ حُسْنِهِ مَلَكَ الفُؤَادَا

بَحْرُ الكَامِلِ

لَهَفِي علىٰ زَمَنٍ مَضَىٰ لِلِقَائِهِ ... وَأَبَاحَ طَرْفِي أَنْ يَجُودَ بِمَائِهِ
مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ ... شَغَفِي إِلَيْهِ كَامِلٌ بِوَفَائِهِ

ومنه

سَمَحَ الحَبِيبُ بِعَطْفِهِ وَوِصَالِهِ ... وَشَفَى الفُؤَادَ بِلُطْفِهِ وَدَلالِهِ
فَهُوَ النَّعِيمُ إذا وَفَىٰ بِعُهُودِهِ ... مُتَجَنِّباً خَبَرَ القِلَىٰ فِي بَالِهِ

(٣٨٧)

وقلتُ مراسِلاً صاحبَ السَّعادةِ مُحَمَّد باشا العَظْم : [من الكامل]

بِمُحَمَّدٍ فَوْزِي إِذَا دَهْرِي أَتَىٰ ... ضِدَّ المُرَادِ يَكُونُ مِنْهُ مُسْعِدِي
وَإِذا تَسَتَّرْتُ بِظِلِّ جَنَاحِهِ ... نِلْتُ العَلاَءَ وَذَابَ قَلْبُ الحُسَّدِ

رفع المسيهم

يَـا سَيِّـداً مَـلأَ المَسَـامِـعَ مَـدْحُـهُ ... الْفَخْرُ مِنْ أَثْوَابِ فَضْلِكَ يَرْتَدِي
مَـا ثَـمَّ مَنْقَبَـةٌ وَفَضْـلٌ بَـاهِـرٌ ... في ذَا الزَّمَانِ لِغَيْرِ فَضْلِ مُحَمَّدِ
فَلَـهُ العَـلاءُ لَفِـي اشْتِيَـاقٍ دَائِـمٍ ... وَلَـهُ الثَّنَـاءُ يَقُـولُ هٰـذَا مَقْصِـدِي
شَهْـمٌ كَـرِيـمُ الأَصْـلِ زَاكٍ فَـرْعُـهُ ... فَرْعُ الأَكَارِمِ ذِي الفَخَارِ السَّرْمَدِي
وَرِثَ المَفَـاخِـرَ سَـادةٌ عَـنْ سَـادَةٍ ... شَـادُوا العُـلا بِمُهَنَّـدٍ وَبِسُـؤْدُدِ
فَهُمُ العِظَامُ الفَضْلِ وَالشَّرَفِ الَّذي ... فَـوْقَ السِّمَـاكِ مَحَلُّـهُ بِتَجَـدُّدِ
وَجَمَـالُهُـم بِمُحَمَّـدٍ مِـنْ فَضْلِـهِ ... يُثْنِي عَلَيْهِ في الصَّبَاحِ وَفي الغَدِ
إِنَّ البَلِيـغَ لأَلْكَـنٌ فـي مَـدْحِـهِ ... وَالجُـودُ فيـهِ مُفْصِـحٌ بِتَـأَكُّـدِ
لازَالَ كَهْفَ القَاصِدِينَ وَمَدْحُهُ ... لأُولِي البَلاَغَةِ مِنْ صَفَاءِ المَوْرِدِ
فَلَكَمْ نَفَىٰ عَنِّي تَحَامُلَ حَادِثٍ ... فَغَـدَوْتُ فِـي زَمَـنٍ لَطِيـفٍ أَسْعَـدِ
وَلَسَـوْفَ يَشْمُلُنِـي بِلُطْـفِ طِبَـاعِـهِ ... إِنِّـي لِحُسْـنِ وَفَـائِـهِ لَـمْ أَجْحَـدِ
لَمْ أَنْسَ مادَامَتْ حَيَاتِي فَضْلَهُ ... فَلَكَمْ لَهُ في مِثْلِ مِثْلِي مِنْ يَدِ

(٣٨٨)

وقلت مخمساً: [من الطويل]

إِلَـهُ الجَمَـالِ فـي القُلُـوبِ مَكِيـنُ ... إذا مَـا قَسَـا قَلْـبٌ وَلَيْـسَ يَلِيـنُ
أَذَلَّـتْ قُـواهُ فَـاعْتَـرَاهُ جُنُـونُ ... (عُيُـونٌ عَـنِ السِّحْـرِ المُبِيـنِ تُبِيـنُ
لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الجُفُونِ سُكُونُ)
غَرَامٌ يُذِلُّ الأُسْدَ في غَابِ اللِّوَىٰ ... وَأَلْحَاظُ رِيمٍ لا تَقُومُ لَهَا القُوَىٰ
تُلاعِبُ أَهْلَ العَقْلِ رَغْماً على السَّوَىٰ ... (إذا أَبْصَرَتْ قَلْباً خَلِيّاً مِنَ الهَوَىٰ
تَقُـولُ لَـهُ كُـنْ مُغْـرَمـاً فَيَكُـونُ)

رفع المسيهم

(٣٨٩)

وقلتُ مُشَطِّراً: [من الطويل]

(عُيُونٌ عَنِ السِّحْرِ المُبِينِ تُبِينُ) لَهَا بِفُؤَادِ العَاشِقِينَ فُنُونُ
إذا فَتَكَتْ كَانَتْ سُيُوفاً مَوَاضِياً (لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الجُفُونِ سُكُونُ)
(وَإِنْ أَبْصَرَتْ قَلْباً خَلِيّاً مِنَ الهَوَىٰ) رَمَتْهُ بِسِحْرٍ كَانَ مِنْهُ جُنُونُ
فَتَأْمُرُهُ بِالطَّوْعِ رَغْماً فَإِنْ أَبَىٰ (تَقُولُ لَهُ كُنْ مُغْرَماً فَيَكُونُ)

(٣٩٠)

وقُلْتُ مُؤَرِّخاً وفاة أحمد بن عبيد السّقباني: [من الكامل]

هٰذا ضَرِيحُ ابْنِ عُبَيْدٍ أَحْمَدٍ بِالنُّورِ يَزْهُو حَائِزاً طِيبَ الثَّنَا
قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَزِيزاً مُكْرَمَا وَاخْتَارَ فِي أَعلى الجِنَانِ سَكَنَا
فَسَبَقَتْ مِنْ رَبِّهِ الحُسْنَىٰ لَهُ وَللرِّضَا بُشْرَىٰ لَهُ حَقّاً دَنَا
لِابْنِ عُبَيْدِ العِزِّ أَرِّخْهُ (زَكَا فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ مِنْ دَارِ الهَنَا)

(١٣٢٦)

(٣٩١)

وقلتُ مُؤَرِّخاً وفاة الشَّيخ حِلمي تَقِيِّ الدِّين: [من الكامل]

للهِ رَوْضٌ قَدْ زَهَا حِلْمِي بِهِ فِي حُلَّةِ النَّعْمَاءِ فِي سِرٍّ لَطِيفْ
أَبْنَاءُ خَيْرِ الخَلْقِ نُورٌ لاَمِعٌ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فِي العِزِّ المُنِيفْ
لَمَّا أَتَىٰ دَارَ الرِّضَا قَالَتْ لَنَا تَأْرِيخُهُ (حَلَّ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّرِيفْ)

(١٣٢٤)

رفع المسيهما

(٣٩٢)

وقلت مؤرِّخاً وفاةَ امرأةٍ من بني العُمَري: [من الكامل]

يـا مَنْـزِلاً قَـدْ صَـارَ أَبْهَـىٰ رَوْضَـةٍ ... يُسْقَـىٰ بِغَيْـثِ الـرَّحْمَـةِ التَّهْطَـالِ
لِشَفِيقَـةٍ تُنْمَـىٰ إلـى الفَـارُوقِ مِـنْ ... بَيْـتِ العُـلا وَالعِـزِّ وَالإِقْبَـالِ
وَبِهَـاالـرِّضَـا قَـدْ قَـالَ أَرِّخْ (وَلَهَـا ... قَدْ حَلَّ فِي عِشْرِينَ مِنْ شَوَّالِ)

(٣٩٣)

وقلت في واقعة حال: [من الوافر]

طَهُـورُ الـذَّيْـلِ إِنْ نَظَـرَتْ إِلَيْـهِ ... عُيُـونُ ذَوي المَحَبَّـةِ لا يُبَـالِـي
وَيَطْعُنُهُـمْ بِـرُمْـحِ القَـدِّ طَعْنـاً ... وَيَغْـزُوهُـمْ بِـرَشْقَـاتِ النِّبَـالِ
وَمَـنْ يَغْضَـبْ إذا نَظَـرَتْ إِلَيْـهِ ... لِحَـاظٌ تَجْتَنِـي وَرْدَ الجَمَـالِ
عَلَيْـهِ أَنْ يُـلازِمَ قَعْـرَ بَيْـتٍ ... وَيَفْعَـلَ فِعْـلَ رَبَّـاتِ الحِجَـالِ
فَسَـوْفَ الشِّعْـرُ يَجْـزِيـهِ جَـزَاءً ... علـىٰ مَـا نَـالَ مِـنْ قُبْـحِ الفِعَـالِ
وَيَقْـرَعُ سِنَّـهُ نَـدَمـاً وَلكِـنْ ... مَضَىٰ مَا كَانَ مِنْ طَيْفِ الخَيَالِ

(٣٩٤)

وقلت: [من الكامل]

اليَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَينِ فَخَلِّ مَنْ ... بِاليَأْسِ مِنْكَ عَنِ الوَفَا مَشْغُولُ
وَإذا الخَلِيـلُ غَـدَا مَلُـولاً يـائِسـاً ... عَـامِلْـهُ فـي يَـأْسٍ مَـدَاهُ يَطُـولُ
فَتَقَلُّبُ الأَحْبَابِ قَدْ أَوْهَى القُوَىٰ ... هَيْهَـاتَ أَنْ يُصْفـي الـوِدَادَ خَلِيـلُ

رفع المسيهم

(٣٩٥)

وقلت مُخَمِّساً، والأَصلُ للشَّيخِ عِمَادِ الدِّينِ الدِّمَشقيِّ البقاعي في مَليحٍ بِمَحَلَّةِ «التعديل»: [من الكامل]

يَـا مَـنْ تَـوَلَّـعَ بِـالجَمَـالِ وَحِـزْبِـهِ ... يَشْكُو مِنَ اللَّحْظِ الجِراحَ بِقَلْبِهِ
إِنْ كَانَ يُضْعِفُكَ الهَوَىٰ في حَرْبِهِ ... (إِيَّـاكَ وَالتَّعْـدِيـلَ لاَ تَمْـرُرْ بِـهِ

(وَحَـذَارِ مِـنْ ظَبيٍ هُنَـاكَ كَحيـلِ)

كَـمْ مُسْتَهَـامٍ رَامَ مَيْلَـةَ عِطْفِـهِ ... فَحَبَـاهُ مِـنْ رُمْـحِ القَـوَامِ بِحَتْفِـهِ
لَمَّـا رَأَى الأَرْوَاحَ قَبْضَـةَ كَفِّـهِ ... (مـا زَالَ يَجْـرَحُ مَـنْ رَآهُ بِطَـرْفِـهِ)

(فَتَـوَقَّ شَـرَّ الجَـرْحِ والتَّعْـديـلِ)

(٣٩٦)

وقلت مخمساً: [من الكامل]

قَلْبِـي لِغَيْـرِ وِدَادِكُـمْ لَـنْ يَـأْلَفَـا ... فَلِمَ الصُّدُودُ وَرَسْمُ جِسْمِي قَدْ عَفَا
يَا سَادَةً تَرَكُوا الشَّجِيَّ علىٰ شَفَا ... (عُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الوَفَا)

(كَرَماً فَإِنَّي ذٰلِك الخِلُّ الوَفِي)

(٣٩٧)

وقلتُ في مَرثِيَّةِ الأَميرِ عَليِّ بن الأمير عبد القادر الجَزَائِرِيِّ الحَسَنِيِّ، وكانَ قد تُوفِّي في القُسْطَنْطِينِيَّة مَنْفِيّاً أيام الحرب العَامِّ: [من البسيط]

يَا دَهْرُ هَّلا تَؤُوبُ اليَوْمَ بِالخَجَلِ ... لَمّا فَجَعْتَ المَعَالِي بِالأَمِيرِ عَلِي
وَتَقْرَعُ السِّنَّ قَرْعَ النَّادِمِينَ علىٰ ... مَا كَانَ مِنْكَ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالعَجَلِ

رفع المسيهم

لَقَـدْ أَتَيْـتَ بِـرُزْءٍ مِنْـهُ أَزْمَتُنَـا ... آبَتْ بِجُـرْحٍ عَظِيـمٍ غَيْـرِ مُنْـدَمِـلِ

وجَـرَّعَتْنَـا كُـؤُوسَ البَيْـنِ مُتْـرَعَـةً ... لَيْسَـتْ تُـرَدُّ بِتَـدْبِيـرٍ ولا حِيَـلِ

أَوَّاهُ صَبْـراً عَلـىٰ فِعْـلٍ أَتَيْـتَ بـهِ ... رَمَيْتَ يا دَهْرُ كَفَّ المَجْدِ بالشَّلَلِ

لَمَّـا رأَىٰ أَنْفُسـاً لِلْفَخْـرِ سـامِيَـةً ... أَرادَ عِـزّاً مَـدَى الأَزْمَـانِ لَـمْ يَـزُلِ

فاخْتَارَ في أَرفَعِ الفِرْدَوسِ مَنْزِلَةً ... مَعْ جَدِّهِ خِيرَةِ الأَمْلاَكِ والرُّسُلِ

تِلْكَ المَنازِلُ تَهواها النُّفوسُ وَمَنْ ... يَهْوىٰ سِوَاها فَبَيْنَ العُذْرِ والعَذَلِ

رُوحٌ مِـنَ المَـلأَ الأَعْلَـىٰ تَنَـزُّلُهَـا ... ثُمَّ ارْتَقَتْ للسَّنا مِنْ عالمِ الدَّخَلِ

وَأَوْرَثَتْ أَنْفُساً حُزْناً يَذُوبُ لَهُ ... صُمُّ الصُّخُورِ وَيَسْمُو ذِرْوَةَ الجَبَلِ

فـالعَيْـنُ بَـاكِيَـةٌ حُـزْنـاً تَقُـولُ لَنَـا ... أَنَا الغَرِيقُ فَما خَوْفِي مِنَ البَلَلِ

قَدْ كَانَ بَحْراً شُجاعاً فائِضاً كَرَماً ... مَا بِالكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَلا بَخَلِ

وَفـي طـرابُلُـسٍ للهِ مَشْهَـدُهُ ... يَوْمَ الكَرِيهَةِ بينَ البِيضِ والأَسَلِ

مِقْـدَامُ فَضْـلٍ وَحَـرْبٍ والإِلَـهُ لَـهُ ... نِعْمَ المُعينُ لِخَيْرِ القَصْدِ والسُّبُلِ

إِنْ عَلَّمَ الأُسْدَ أَنْوَاعَ الطِّعَانِ فَمَا ... قَد شِئْتَ في وَصْفِهِ عِنْدَ اللِّقَا فَقُلِ

فَهُـمْ كَـدَائِـرَةٍ أَطْـرَافُهَـا اشتَبَهَـتْ ... فَلَنْ تَرىٰ بَدلاً يُغْنِيكَ عَنْ بَدَلِ

مِنْ سَادَةٍ تَعْلَمُ الجَوْزَاءُ مَنْزِلَهُمْ ... فِي ذِرْوَةِ المَجْدِ حَلُّوا مَنْزِلَ الحَمَلِ

شُهْبُ النُّجُومِ شُهُودٌ في فَضائِلِهِمْ ... والأَرْضُ تَشْهَدُ في التَّفْصيلِ وَالجُمَلِ

مِنْ سَادَةٍ تَعْلَمُ الجَوْزَاءُ مَنْزِلَهُمْ ... وَالأَرْضُ تَشْهَدُ في التَّفْصِيلِ والجُمَلِ

لا يَأْلَفُونَ سِوَىٰ فِعْلِ الجَميلِ وَلا ... يَرْتَدُّ قاصِدُهُم في حُرْقَةِ الفَشَلِ

آلُ النَّبِـيِّ وَإِنَّ اللهَ طَهَّـرَهُـمْ ... مِنْ كُلِّ رِجْسٍ وَمِمَّا كَانَ مِنْ زَلَلِ

مَـا غَـاب بَـدْرٌ لَهُـمْ إِلاَّ وَقَـامَ لَـهُ ... بَـدْرٌ سَنَـاهُ عَلَـى الأَيَّـامِ لَـمْ يَحُـلِ

إِنْ غَابَ عَنَّا عَلِيٌّ فَالكِرَامُ لَهُمْ ... خَلاَئِفٌ سَادَةٌ في القَولِ وَالعَمَل
فالسَّابِقُونَ تسَامَوا في خَلاَئِفِهِمْ ... فَالفَضْلُ بَيْنَهُمُ كالعَارِضِ الهَطِلِ
عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَبْغُونَ الثَّبَاتَ فهُمْ ... في شِدَّةِ الحَزْمِ لا يُلْوونَ لِلْوَهَلِ
يَرَوْنَ في الصَّبْرِ مِفْتَاحاً لِكُلِّ رَجًا ... وَإِنَّـهُ وَأَبـي أَحْلَـىٰ مِـنَ العَسَـلِ
عَلَى الأَمِيرِ سَلاَمُ اللهِ مَا ظَهَرَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ لَدَى الإِبْكَارِ وَالأُصُلِ
تَارِيخُهُ قَدْ أَتَىٰ (غُفْرَانُهُ) فَسَمَا ... فِرْدَوْسُ عِزٍّ لَهُ مِنْ أَشْرَفِ النُّزُلِ
فَمِنْ ضَرِيحكَ نورُ العَفْوِ مُنْبَعِثٌ ... وَأَنْتَ في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ في شُغُلِ

(٣٩٨)

وقلتُ مؤرخاً وفاةَ مصطفىٰ هاشم التاجر: [من البسيط]

يا رَوْضَةً في فَرادِيسِ الجِنَانِ لَهَا ... مَقامُ صِدْقٍ جِوَار المُصْطَفَى الهَاشِمِي
حَوَيْتِ جُوداً وَفَضْلاً عَزَّ مَطْلَبُهُ ... مَعَ التُّقَىٰ والرِّضَا والعِزِّ مِنْ رَاحِمِ
لا زالَ فَضْـلُ الكَـريـمِ يمنَحُ مَـنْ ... قَدْ حَلَّهُ سَحَراً غَيْثَ الرِّضَا الدَّائِمِ
لمـا لَـهُ لاَمِـعُ الغُفْـرانِ أَرِّخْ (بَـدا ... لاحَ الهَنَا والسَّنَا لِمُصْطَفَىٰ هَاشِمِ)

(١٣٣٥)

(٣٩٩)

وقلتُ مُؤرِّخاً: [من الكامل]

حَيَّـا الإِلَـهُ رَوْضَـةَ العَفْـوِ الَّتِـي ... ضَمَّتْ خَدِيجَةَ في نَعِيمٍ وَسُرُورْ
تُنْمَـىٰ إِلـى الشمَّـاعِ نِسْبَتُهَـا وَفـي ... ذَاكَ التَّنَاسُبِ نُورُها مِنْ فَوْقِ نُورْ
في جَنَّةِ الفِرْدَوسِ كان مُقَامُهَا ... تَـزْهُـو بـهِ مـا بَيْـنَ وِلْـدَانٍ وَحُـورْ
قَدِمَتْ عَلىٰ رَبِّ العُلا وَقُدُومُها ... يَـا طِيبَـهُ أَرِّخْ (بَـدا وَهُـوَ الغَفُـورْ)

رفع المسيهم

(٤٠٠)

وقلت: [من الكامل]

يا رَوْضَةً ضَمَّتْ سَمِيَّ المُصْطَفىٰ ... مِنْ نَسْلِ قَوْمٍ قَدْ سَمَوْا بِالجُودِ
مِنْ آلِ هَاشِمِ الكِرَامِ أُولي التُّقَىٰ ... لا زِلْتَ مَهْبِطَ رَحْمَةِ المَعْبُودِ
قَدْ حَلَّ في أَعْلَى الجِنَانِ بِجِيرَةٍ ... تَسْمُو بِحَوْضِ نَبِيِّهَا المَوْرُودِ
فَلَكَ التَّهَانِي دائِماً أَرِّخْ (بِهَا ... وَلَكَ الهَنا بُشراكَ طيبُ خُلُودِ)

(٤٠١)

وقُلتُ أَيضاً في مَرثِيَّةِ الأمير علي بَاشَا أَيضاً: [من الكامل]

صَبْراً وإِنْ كانَ المُصابُ جَليلا ... فاللهُ يَجْزِي الصَّابِرِينَ جَزِيلا
خَطْبٌ أَلَمَّ بِفُرْقَةِ السَّنَدِ الَّذِي ... لَمْ تُبْقِ فُرْقَتُهُ لَنا مَعْقُولا
فَالمَجْدُ بَعْدَ أَمِيرِهِ يَبْكِي وَفِي ... ثَوْبِ الحِدَادِ مُزَمَّلٌ تَزْمِيلا
فَقْدُ الأَمِيرِ غَدَا كَفُرْقَةِ جَدِّهِ ... خَيْرِ الأَنَامِ مُمَثَّلاً تَمثِيلا
وَلَهُ بِأَعْمَاقِ الجَوَارِحِ أَنَّةٌ ... يَزْدَادُ مِنْهَا رَنَّةً وَعَوِيلا
فَقْدُ الأَمِيرِ عَلِيِّ ابْنِ المُصْطَفىٰ ... كَنْزِ الوَفَا جَعَلَ الزَّمَانَ عَلِيلا
حَكَمَ الإِلٰهُ بِذا قَضَىٰ رَبُّ المَشا ... رِقِ وَالمَغَارِبِ فاتَّخِذْهُ وَكِيلا
وَتَسابَقَتْ أَرْضُ البِلادَ لِضَمِّهِ ... فاخْتَارَ دارَ المُلْكِ مِنْهُ مَقِيلا
وَإِذا سَرَى البَدْرُ المُنِيرُ لِبُرْجِهِ ... تَخِذَ المسِيرَ إِلى الكَمَالِ سَبِيلا
أَمْسَىٰ عَلِيٌّ فِي الجِنَانِ وَبُعْدُهُ ... عَنَّا عَظِيمٌ وَالتَّصَبُّرُ عِيلا
رِفْقاً أَميرَ المَجْدِ إِنَّكَ سِرْتَ في ... مَلأِ المَلائِكِ لا تُرِيدُ قُفُولا
وَنَزَلْتَ وَالجَنَّاتُ طَابَتْ مَنْزِلاً ... وقُطُوفُهَا لَكَ ذُلِّلَتْ تَذْلِيلا

فـاهْنَـأْ بِعَيْـشٍ فِـي النَّعِيـمِ مُخَلَّـداً ... وَلَـكَ الثَّنَـاءُ مُـرَتَّـلٌ تَـرْتِيـلا

في جِيرَةِ المُخْتَارِ جَدِّكَ لَمْ تَزَلْ ... مُتفـاخِـراً واللهُ كَـانَ كَفِيـلا

رُوحٌ مُقَـدَّسَـةٌ تَـدَانَـتْ بُـرْهَـةً ... وَتَصَـاعَـدَتْ لِمَكَـانِهَـا تَحْـوِيـلا

مَنْ شَاءَ أَنْ يُحْصِي مَزَايَاها الَّتِي ... خُصَّـتْ بِهَـا وَجَـدَ المَقَـامَ مَهُـولا

وَتَـرَكْـتَ فِينَـا رَحْمَـةً بِنفـوسِنَـا ... شِبْلَيْـنِ أَضْحَـوا لِلْعُـلا تَحْجِيـلا

أُسْدُ الوَغىٰ غَيْظُ العِدَىٰ بَحْرُ النَّدَىٰ ... وَعَلى المَعَالِي قَدْ جَرَرْنَ ذُيُولا

فَسَعِيدُ فيهِ السَّعْدُ فِي أَوْجِ العُلا ... شَمْسُ الكَمَـالِ وَمَـا تُـرِيـدُ أُفُـولا

وَإِمـامُ أَهْـلِ المَجْـدِ عَبْـدُ القَـادِرِ ... وَالْمَجْـدُ مِنْـهُ مُهَلِّـلٌ تَهْلِيـلا

لا يُمْكِـنُ التَّمْيِيـزُ بَيْنَهُمَـا كَـدَا ... ئِـرَةٍ وَلَيْـسَ كَمَـالُهُـمْ مَجْهُـولا

يَـا آلَ طٰـهَ أَنْتُـمُ أَهْـلُ الثَّبَـا ... تِ بِكُلِّ خَطْبٍ قَدْ غَدَا مَمْلُولا

فَـالصَّبْـرُ شِيمَتُكُـمْ وَأَنْتُـمْ أَهْلُـهُ ... فَدَعُوا الحَسُودَ بِصَبْرِكُمْ مَخْذُولا

فَرَسُولُ رَبِّ الخَلْقِ لَمْ يَكُ خَالِداً ... وَالمَوْتُ سَيْفٌ لَمْ يَزَلْ مَسْلُولا

مَا مَاتَ مَنْ تَرَكَ الخَلائِفَ مِثْلَكُمْ ... بَـلْ كَـانَ حَيّـاً فـي الأَنَـامِ جَلِيـلا

فَعَلَى الأَمِيرِ سَلامُ رَبِّي والرِّضا ... مَـا انهـلَّ غَيْـثٌ بُكْـرَةً وَأَصِيـلا

أَوَمَـا عَلِـيٌّ فـي الجِنَـانِ لَـهُ الهَنَـا ... مَـعَ جَـدِّهِ أَرِّخْ (حَـوَى تَفْضِيـلا)

(٤٠٢)

وقلت مُرْتَجِلاً بالتماسِ بعضِ الأصحابِ مُطَرِّزاً: [من الطويل]

سَلاَمٌ عَلَى الحِبِّ اللَّطِيفِ مَعَ الوَفَا ... وَأَهْلاً بِمَنْ هَجَرَ التَّبَاعُدَ وَالجَفَا

مُحَـالٌ بِـأَنْ ننْسَـى المَـوَدَّةَ بَيْنَنَـا ... وإِنْ زَالَ رَضْوَىٰ وَالحَجُونُ مَعَ الصَّفَا

يَهُونُ عَلَيَّ المَوْتُ في تَرْكِ حُبِّكُمْ ... وَإِنِّي بِذِكْرَاكُمْ يَدُومُ لِيَ الصَّفَا

المسيرة

حَلالٌ لَدَى العُشَّاقِ سَفْحُ دُمُوعِهِمْ رَبِّي عَنِ العُشَّاقِ دَوْماً لَقَدْ عَفا
هَنيئاً لِمَنْ كَانَ الحَبِيبُ جَلِيسَهُ فهٰذا بجَنَّاتِ النَّعِيمِ وقَدْ كَفَىٰ

(٤٠٣)

وقلتُ مَادِحاً فَخْرَ الدِّينِ بك مديرَ أَوقافِ سُورِيَّةَ: [من البسيط]

فَاقَتْ دِمَشْقُ بِفَخْرِ الدِّينِ إِذْ ظَهَرَا وَعِزُّ أَوْقَافِها لِلأَوْجِ فيهِ سَرَىٰ
خُصَّتْ بِفَضْلٍ بَدَا في طَيِّهِ أَثَرٌ في وَصْفِهِ حَارَتِ الكُتَّابُ والشُّعَرا
رُحْمَاكَ يَا أَوْحَداً تُمسِي العُلُومُ بِهِ بالفَخْرِ إِذْ صُبْحُهَا وَالنُّورُ مِنْكَ يُرَىٰ
يَحْمِي عُلاكَ أُهَيْلَ العِلْمِ في زَمَنٍ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُمْ فَجَاوَرُوا الفُقَرا
بِالمَجْدِ وَالفَضْلِ لا زَالَ العَلاءُ لَهُ بِمَدْحِكُمْ أَثَرٌ لِلضِّدِّ قَدْ أَسَرَا
كَيْفَ المَدَائِحُ لاَ تَهْوَاكُمُ وَلَكُمْ أَسْنَىٰ مَقَامٍ علىٰ أَوْجِ العُلا ظَهَرَا

(٤٠٤)

وقلتُ[1] بعدَ الحرب الكبرىٰ مُتَأَسِّفاً على البلاد الإسلامية، وعلىٰ ما حَلَّ بِها، وقد نُشِرَتْ في جَرِيدة «الإِقبال» البَيْرُوتِيَّة: [من الكامل]

دَعْ ذِكْرَ سُعْدى وَالزَّمَانَ الماضي وَاشْرَحْ بِرَبِّكَ عِلَّةَ الأَمْرَاضِ
تَرَكَتْكَ سَلْمَىٰ واسْتَبَدَّتْ غَيْرُهَا وبَنَتْ مَطَامِعَهَا عَلَىٰ الأَنْقَاضِ
لاَ دَرَّ دَرُّكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّنِي مَا دُمْتَ حَيّاً لَسْتُ عَنْكَ بِرَاضِي
يَا دَارَ سَلْمَىٰ إِنَّ سُكَّانَ الحِمَىٰ قُرِضَتْ مَعَالِمُهُمْ بِلا مِقْرَاضِ
تَرَكُوا سُلَيْمَىٰ بَيْنَ أَنْيَابِ الأُسُو دِ تَقُولُ وَيْلِي مَنْ يَرُمْ إِنْهَاضِي

---

(١) من هنا بدأت الكتابة باليد اليسرى.

رفع المسيهم

يـا أَيُّهَـا النُّعْمَـانُ نُعْمَـانَ الأَرَا ... كِ أَمَا عَلِمْتَ بِمَكْرِ ذِي الأَغْرَاضِ

قَدْ حَطَّمُوا عَهْدَ الحَطِيمِ وَبَدَّلُوا ... عَهْـدَ الحَبِيـبِ بِـذِلَّـةِ الأَعْـرَاضِ

لاَ عَاصِمٌ لَكَ يَا بْنَ نوحٍ فاتَّئِدْ ... وَاحْكُمْ بِمَا تَهْوَىٰ فَأَنْتَ القَاضِي

حَكَّمْتَ نَفْسَكَ طَامِعاً في لُقْمَةٍ ... لَـوْ أَنَّهَـا بِتَمَـزُّقِ الأَعْـرَاضِ

وَا لَـوْعَتَـاهُ لِمُـدْنَـفٍ ظَفِـرَ الـوُشَـا ... ةُ بِحُبِّـهِ فَغَـدَا علـىٰ أَرْمَـاضِ

يَشْكُو إلى العُقْبَانِ شُؤْمَ جُرُوحِهِ ... يُسلِـي الفُـؤَادَ بِـدَمْعِـهِ الفَيَّـاضِ

يـا آلَ بَـدْرٍ وَالحُـدَيْبِيَـةِ حَـلَّ فـي ... وَادِي الغضىٰ جُرثومَةُ الأَمْراضِ

عَهْـدِي بِـدَارِ أَحِبَّتِـي بـالمُنْحَنَـىٰ ... فَتَبَـدَّلَـتْ بِـالصَّـدِّ والإِعْـرَاضِ

فَرُبُوعُهَا أَضْحَتْ يُنَادِمُ مِصْرُهَا ... لِثَـرَى مِـنَ النِّيلَيْـنِ ذَاتِ بَيَـاضِ

يَتَمَتَّـعُ الـوُرَّادُ مِـنْ قمـعِ الظَّمَـا ... لـكِنَّـهُ شِـرْبٌ علـى إِدْهَـاضِ

يـا لَلْعَشِيـرَةِ لِلمُتَيَّـم إِنَّـهُ ... لَـمْ تُـؤْنِسَنْـهُ تُـونِـسٌ بـرِيَـاضِ

يَهْفُـو الفُـؤَادُ إلـى الجَـزَائِرِ كُلَّمَـا ... مَـرَّ النَّسِيـمُ بِعِـرقـهِ النَّبَّـاضِ

قَدْ كَان في جبالِها مَلْهًى وَفي ... رَوْضَـاتِهـا عِـوَضٌ مِـنَ الأَعْـواضِ

لٰكِنَّهـا قـد نـازَعَتْـهُ مـراكِـشٌ ... فَـابْتَـذَّتِ الْخِـلاَّنَ بِـالإيمـاضِ

يا لَهْفَ قَلْبِي كَمْ يُجَاذِبُهُ الغَرَامُ ... إلـى التَّنَقُّـلِ فـي دُجـا الإِغْمَـاضِ

واللَّيْلُ يَمْضي والكَواكِبُ تَنْجَلِي ... والعَيْنُ لَمْ تُدْرِكْ هَنا الإِغمَاضِ

أَتَـرُومُ مِنِّـي أَنْ أَكُـونَ بِسُحْـرَةٍ ... بِـرِيـاضِ أَنْـدَلُـسٍ بِـلا إِنْمَـاضِ

ذَاكَ المُحَـالُ أَيـا فُـؤَادُ فَمِـلْ إِلـىٰ ... وِرْدٍ حَـلا بِتَـلأْلُـؤِ الـرَّضْـرَاضِ

يَسْـرِي بِـأَرضِ النَّيْـرَبَيْـنِ بجلَّـقٍ ... أَنْعِـمْ بِمَـا تَحْـوِيـهِ طِيـبَ أَرَاضِ

فَـإِذا ظَفِـرْتَ بِـرَشْفَـةٍ مِـنْ دِجْلَـةٍ ... قُـلْ لِلفُـرَاتِ ظَفِـرْتُ بـالأَوْفَـاضِ

وَإِذا تَمَخَّضَـتِ اللَّيَـالـي نُجِّبَـتْ ... بِعَجَائِبٍ مِنْ بَعْد طُولِ مَخَاضِ

رفع المسيهم

عَهْدُ الجَزِيرَةِ لَمْ أَكَدْ أَنْسَى لَهُ ... حُسْنَ الوِدَادِ لِقَوْمِهِ الرُّوَّاضِ

هِيَ مَرْتَعُ الآرَامِ والآسَادِ مَنْ ... جبروا ؟؟؟ شهامة بتَرَاضِ

أَحْيُوا الفَضَائِلَ واستَهَانُوا بالأُلَىٰ ... أَلِفُوا سُمُومَ الحَيَّةِ النَّضْنَاضِ

جَادَ الحَيَا وادي الدَّواسِرِ ما ابتغى ... طِيبَ المَعِيشَةِ من رمراضِ

فَمَتَىٰ أَراكِ أَيَا مَنَازِلَ يَعْرُبٍ ... تَتَمَتَّعِينَ بِعَيْشِكِ الفَضْفَاضِ[1]

وإِلامَ يا قَلْبي الخَؤونَ تَبيعُني ... بَيْعَ الإِماءِ قانِعاً بتَراضِ

وَلَرُبَّ يَوْمٍ بِالحَجُونِ وَبالصَّفا ... أَلْهُو بِهِ بِمَحاسِنِ التَّرْياض

فَمَضَى وخَلَّفَنِي الأَسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ ... وغَدَا مَجَالَ الفَاتِكِ العِرْبَاضِ

وَإِذَا النُّفُوسُ تَصَاغَرَتْ وَتَبَلَّدَتْ ... قَنِعَتْ لِخِسَّتِها بفَضْلِ بضاض

إِنْ أَبْرَمَتْ أَمراً تَراهُ في غَدٍ ... مُتَناقِضاً كالنَّاقَةِ المِجْهَاضِ

يا أُمَّ دَفْرٍ ضاقَ بِي رَحْبُ الفَلا ... واغْتَالَ حبي صَوْلَةُ الفَضْفَاضِ

وأَتَىٰ حِرَاضاً ذلَّة مِنْ بَعْدِهِ ... فَبَدَتْ بذُلّ العاشِقِ المِحْرَاضِ

لا تستطيعُ الذَّودَ عَنْ جَنَبَاتِهَا ... وَحُقُوقُها آلتْ إلى الإِدْحَاضِ

فَلْنَجْعَلِ البَضْبَاض أَشْرَف مأكلٍ ... في بَلْدَحٍ قدْ جَادَ بالبَضباضَ

والنَّفْسُ لا تَهْنا بِغَيْرِ أَلِيفِهَا ... والفَذُّ عَنْهَ مُفَرَّقُ الأَبْعَاضِ

فَلَعَلَّ سَلْمَىٰ أَنْ تَجُودَ بِوَصْلِهَا ... وَنَدِينُ عُذَّالَ الهَوَىٰ بِقِرَاضِ

❑ ❑ ❑

---

(١) كذا وردت هذه الأبيات في الأصل المخطوط، وهي كما ترىٰ مضطربةً وقلقةً، فلعل ذلك لما كان يعانيه الشاعر من مرض وألم وكتابة بيده اليسرىٰ، وسيمر بك نظائرها فيما سيأتي.

رفع المسيهم

[الباب الرابع]

السوانح في المستشفى

[الباب الرابع]

(٤٠٥)

نِمْتُ ليلةَ النِّصْفِ مِنْ شَوّالٍ عَامَ اثنينِ وأَربعين وثلاثِ مِئَةٍ بعدَ الأَلفِ في غُرْفَتِي فِي مَدْرَسَة عبد اللهِ باشا العظم في دِمَشْقَ، فانْتَبَهْتُ وَقْتَ الفَجْر، وإِذَا بِي قَدْ أُصِبْتُ بِخَدرٍ في رجلي وَفي يَدِي اليُمناوَيْنِ، بِحَيْثُ بَطُلَتْ حَرَكَتُهُما، فَنُقِلْتُ في اليَوْمِ الثَّاني إلى المُسْتَشفى العَامِّ بِدِمَشْقَ المَبنِيِّ بالبَرَامِكة، فَكُنْتُ فيهِ كالغَريبِ، وصَارَ مَنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ وأُصْغِي لَهُ قَلْبي كالعَدُوِّ المُجَاهِرِ المُحْتَال، ومَنْ بِهِ منَ النَّصَارىٰ يَعْرِفُونَ قَدْري، ويُلاطِفُوني أَحْسَنَ مُلاطَفَة، فَكُنتُ أُسَلِّي نَفْسِي بنظم الشِّعرِ، بعدَ أَنْ كُنتُ تَرَكْتُهُ، وأُرَوِّضُ يَدِي اليُسْرىٰ علىٰ كِتَابة ما أَنْظِمُه.

ولَمَّا كانَ ذٰلك تَذْكَاراً لِمَا بُلِيتُ بهِ، قَيَّدْتُهُ في هٰذا الدّيَوان؛ لِيَكُونَ سَانِحة من السَّوَانِحِ، يعلم ما كنت أُلاقِيه مِنْ تَقَلُّباتِ الدَّهْرِ وغَدْره، وهٰذِهِ طَلَيعَةُ السَّوَانح أَقول: [من البسيط]

لله أَشْكُو الَّذي قَاسَيْتُ مِنْ أَلَمِ ... وَمِنْ هُمومٍ بِها زادا ضَنَى ضَرَمي

قَدْ بِتُّ لَيْلِيَ في أَمْنٍ وَفي دَعَةٍ ... وَفِي صَبَاحِيَ لا أَمْشِي علىٰ قَدَمي

رفع المسيهما

أَيْقَظْتُ طَرْفِي وَرِجْلِي مَسَّهَا خَدَرٌ ... وَجَاوَبَتْهَا يَدي بالضَّعْفِ وَالوَدَمِ

نِصْفِي اليَمِينُ أَرَاهُ لا حِرَاكَ بِهِ ... وَلَسْتُ أُظْهِرُ مَا أُبْدِيهِ مِنْ كَلِمِي

مِنْ قَبْلُ كُنْتُ كَسَحْبَانٍ بِلا مَلَلٍ ... وَمُرْهَفُ القَلَمِ المَحْبوبِ مِنْ خَدَمِي

مَكَثْتُ في غُرْفَتِي وَالوَهْمُ خَامَرَنِي ... في وحْدَةٍ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَالأُمَمِ

سُكَّانُ مَدْرَسَتِي ثارَتْ مَطَامِعُهُمْ ... فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُم لِلغَدْرِ بالذِّمَمِ

جَاؤُوا عِجَالاً وَقالُوا في الوَصِيَّةِ قَدْ ... جَاءَتْ بِهَا سُنَنٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنَمِ

غَدْراً وَمَكْراً أَتَوا للإِسْتِلابِ فَمَا ... فِيهِمْ صَدِيقٌ سِوَىٰ لِصٍّ وَمُجْتَرِمِ

فَقُلْتُ: مَالي سِوَى الأَسْفَارِ مِنْ نَشَبٍ ... مَمْلُوءَةٍ بِصَحيحِ العِلمِ وَالحِكَمِ

رَأَيْتُ كُلَّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُهُ ... بالطَّرفِ يَرْمُقُنِي والسَّمْعُ في صَمَمِ

جَاءَ الطَّبيبُ فأَعطانِي الدَّواء بِلا ... مُقَابِلٍ وَبَدا في أُنسِ مُحْتَكِمِ

دخولي المستشفىٰ

قَضَّيْتُ يَوْماً وثاني اليومِ جاءَ فَتىً ... وقالَ دَارُ الشِّفَا خَيْرٌ لِمُغْتَنِمِ

فَسَيَّرُونِيَ مَحْمُولاً إِلىٰ نُزُلٍ ... لَمْ نَلْقَ فِيهِ سِوَى الشَّاكِي مِنَ الأَلَمِ

وَأَصْعَدُونِي كَأَنِّي مَيِّتٌ حُمِلَتْ ... أَعْوَادُ حَدْبَائِهِ لِلْقَبْرِ مِنْ أَكَمِ

إِلىٰ سَرِيرٍ وَحَوْلِي في أَسِرَّتِهِ ... كُلٌّ عَلِيلٌ بِهِ ضَرْبٌ مِنَ اللَّمَمِ

فَبِتُّ فِيهِ مَبِيتَ الوَالِهِينَ إِذَا ... بِالهَجْرِ ذَاقُوا الضَّنَىٰ في دَاجي الظُّلَمِ

هٰذا يَصيحُ وَلا خِلٌّ يُصْيخُ لَهُ ... وَذَاكَ يَصْرُخُ في الظَّلْمَاءِ وَاغَمَمِي

وَذَا يَئِنُّ أَنِينَ الوَالِهِينَ لَهُ ... صَوْتٌ يُرَدِّدُهُ مِنْ مُنْكَرِ النَّغَمِ

وَآخَرُونَ بِهِ يَبْغُونَ رَاحَتَهُمْ ... وَذَا بِلا مَرَضٍ يَحْتَالُ لِلْقَمِ

وَوَاحِدٌ سِجْنُهُ أَفْنَىٰ تَصبُّرَهُ ... يَؤُمُّ دَارَ الشِّفَا قَدْ قَالَ وَاسَقَمِي

وَالقَائِمُونَ بِأَمْرِ الطِّبِّ أَكْثَرُهُمْ ... لا فَرْقَ يَعْرِفُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهُمِ

يَحْتَاجُ دَاخِلُهُ كُلَّ اللُّغَاتِ إذا ... يبغي مُخَاطَبَةَ الخُدَّامِ وَالحَشَمِ

إلى الخُصُوصِ نُقِلْتُ فَالتَقَيتُ بهِ ... جَاراً خَلاَئِقُهُ أَدْهَىٰ مِنَ التُّهَمِ

يُمْسِي وَيُصْبِحُ في نَوْمٍ وَفي كَسَلٍ ... وَإِنْ تَكَلَّمَ قَالَ الجَارُ واسَأَمِي

فاللهُ يُلْهِمُنِي الصَّبْرَ الجَمِيلَ علىٰ ... هٰذَا المُصَابِ وَيَشْفِي دَائِيَ العَمَمِ

مَكَثْتُ عَشْراً وَيَوْمَيْنِ عَلىٰ لَبَنٍ ... لا شَيءَ أُرْزَقُهُ إِلاَّ مِنَ الغَنَمِ

جَاءَ الطَّبيبُ يَرُومُ الفَحْصَ عَنْ مَرَضِي ... في دِقَّةٍ وَلَهِيبُ القَلْبِ في ضَرَمِ

أَضْحَىٰ يُلاَطِفُنِي أَحْلَىٰ مُلاَطَفَةٍ ... حَسْنَاءُ تُنْبِئُ عَنْ لُطْفٍ وَعَنْ شَمَمِ

حُسْنِي الطَّبِيبُ جَزَاهُ اللهُ صَالِحَةً ... وَزَادَهُ شَرَفاً في سَائِرِ الأُمَمِ

إلى الأَكَارِمِ يَنْمي مِنْ بَنِي سَبَحٍ ... لا زَالَ مُشْتَهَراً في العُرْبِ وَالعَجَمِ

بَدْرُ الأَطِبَّاءِ في بُلْدَانِنَا وَلَهُ ... مَآثِرٌ مِنْ جَمِيلِ الحِلْمِ وَالشِّيَمِ

فَظَلَّ شَهْرَيْنِ يَسْقِينِي الدَّوَا وَأَنَا ... علىٰ فِرَاشِيَ في أَحْشَاءِ مُضْطَرِمِ

طَوْراً تُدَلِّكُنِي شَمْطَاءُ خَادِمَةٌ ... مِنَ الفِرَنْسِيسِ مِنْ نِصْفِي إِلى القَدَمِ

يَتْلُوهُ دَلْكُ يَدِي وَهْيَ تُضَاحِكُنِي ... فَاعْجَبْ لَهَا إِذْ أَتَتْ في زِيِّ مُلْتَزِمِ

وَالزَّائِرُونَ يُرِينِي الدَّاءَ أَنْمُلَةً ... بَعْضٌ وَبَعْضٌ يُرِينِيهِ كذَي سَلَمِ

على الوُقُوفِ قَدَرْتُ بَعْدُ وَانْطَلَقَتْ ... رِجْلِي فَكَانَ لَهَا نَوْعٌ مِنَ الهِمَمِ

وَالكَهْرَبَاءُ غَدَتْ فِيهَا مُعَالَجَتِي ... غِبّاً وَدَائِي بِهٰذا غَيْرُ مُنْحَسِمِ

لِي ثُلْثُ عَامٍ أُعَانِي الدَّاءَ مُصْطَبِراً ... لَمْ أَدْرِ مِنْ بَعْدِهِ ما خُطَّ بالقَلَمِ

يَا رَبِّ لا أَرْتَجِي عَوْناً سِوَاكَ فَلاَ ... أَشْكُو إِلىٰ أَحَدٍ يا بَارِئَ النَّسَمِ

إِنْ لَمْ تُعِنِّي فَمَنْ لِي مُنْجِدٌ وَأَنَا ... غَرِيبُ دَارٍ فَقِيرٌ غَيْرُ مُحْتَرَمِ

يَا خَالِقَ الخَلْقِ يا مَنْ لاَ شَرِيكَ لَهُ ... يا سَامِعاً دعْوَةَ المُضْطَرِّ في الظُّلَمِ
أَجِبْ دُعَائِي وَعَجِّلْ بِالشِّفَاءِ فَقَدْ ... فَقَدْتُ صَبْرِي بِهِ يامُحْيِيَ الرِّمَمِ
وَظَلَّ حُسْنِي على التَّدْلِيكِ يَعْرِضُنِي ... بِالكَهْرَبَا وَشِفَائِي خَائِنٌ ذِمَمِي
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهَا مُتَقَلِّصاً عَصَبِي ... وَقَدْ تَهَيَّأْتُ للتَّأْخِيرِ وَالسَّأَمِ
فَاسْتَحْسَنَ الأَطِبَّاءُ تَرْكَهَا زَمَناً ... عَلِّي أَرَىٰ ما جَرَىٰ بِي غَيرَ مُلْتَزِمِ
وَأَحْضَرُوا لِي دَوَاءً زَادَتْ حَلاَوَتُهُ ... وَاليَوْمَ أَشْرَبُهُ وَالبُرْءَ لَمْ أَشِمِ
وهٰذِهِ عِلَّتِي أَشْكُو لِخَالِقِهَا ... شَكْوَىٰ فَقِيرٍ إِلَيهِ مُلْقِيَ السَّلَمِ

هٰذا ما جَرَىٰ بِهِ القَلَمِ، وأنَا في حَالةِ المَرضِ الشَّدِيدِ أَكتبُ بِيدِيَ الشِّمَال.

(٤٠٦)

وقلتُ والقَلْبُ في ضَرَم أَمْدَحُ سَيِّدَ الأُمَمِ: [من البسيط]

حَيَّا زَرُوداً وَحَيَّا مَوْطِنَ العَرَبِ ... وَأَرْضَ يَثْرِبَ هَطَّالٌ مِنَ السُّحُبِ
مَنَازِلٌ تُرْبُهَا كُحْلُ العُيُونِ فَمَنْ ... يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهِ يَنْجُو مِنَ الوَصَبِ
جَادَ الحَيَا مَشْرِقَ الأَنْوَارِ غَارَ حِرَا ... بِالنُّورِ جَلَّىٰ ظَلاَمَ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ
جَاءَ الأَمِينُ بِهِ بِالحَقِّ مُعْجِزةً ... تُحْيِي قُلُوباً بِهَا الطُّغْيَانُ فِي لَجَبِ
خَيْرُ الخَلِيقَةِ كَانَ الاصْطِفَاءُ لَهُ ... في عَالَمِ الغَيْبِ قَبْلَ العَرْشِ وَالحُجُبِ
مُحَمَّدُ المُصْطَفَىٰ آيَاتُهُ نَسَخَتْ ... مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ مِنْ سِفْرٍ وَمِنْ كُتُبِ
دَعَا إِلى اللهِ فِي سِرٍّ وَفي عَلَنٍ ... فَمَنْ أَجَابَ اهْتَدَىٰ وَالوَغْدُ لَمْ يُجِبِ
بَيْنَ النَّبِيِّينَ وَالأَمْلاكِ قَاطِبَةً ... شَاعَتْ نُبُوَّتُهُ في سَالِفِ الحِقَبِ
وَكُلُّهُمْ نَائِبٌ في نَشْرِ شِرْعَتِهِ ... فَشَأْنُهُ بَيْنَهُم لَيْسَ بِمُضْطَرِبِ

تَـوْرَاةُ مُـوسَـىٰ بِـهِ جَـاءَتْ مُبَشِّـرَةً ... وَقَدْ أَتَى الوَصْفُ في الإِنْجِيلِ مِنْ كَثَبِ

فَهْـوَ النَّبِـيُّ الَّـذي آيـاتُـهُ ظَهَـرَتْ ... مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ في مَظْهَرِ العَجَبِ

قَدْ أَوْضَحَ الحَقَّ بالنُّورِ المُبِينِ فَمَنْ ... شَاءَ الهِدَايَةَ أَضْحَىٰ غَيْرَ مُحْتَجِبِ

وَمَـنْ تَمَـرَّدَ فِـي طُغْيَـانِـهِ وَلَغَـا ... صَارَ السَّمِيرُ لَهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ

تَبَّـتْ يَـدَاهُ وَتَـبَّ السَّـامِعُـونَ لَـهُ ... وَفي الجَحِيمِ لَهُ مَثْوًى مِنَ اللَّهَبِ

آيَـاتُ حَـقٍّ وَصِـدْقٍ كُلَّمَـا تُلِيَـتْ ... زَادَتْ عَجَائِبُهَا لِلْعَارِفِ العَرَبِي

قَدْ أَنْكَرَ الوَحْيَ قَوْمٌ لا خَلاَقَ لَهُمْ ... ظَنُّـوهُ فَلْسَفَـةً بِـالـزُّورِ والكَـذِبِ

وَأَنْكَرَ البَعْضُ إِعْجَازَ الكِتَابَ وَقَدْ ... حَلَّوا زَخَارِفَهُم بِالشَّكِّ وَالرِّيَبِ

فالإِنْسُ وَالجِنُّ لَوْ رَامُوا مُعَارَضَةَ ... آيَـاتِـهِ رَجَعُـوا بِـالعَجْـزِ وَالتَّعَـبِ

هُوَ الكِتَابُ الَّذي قَدْ جَاءَ مُعْجِزَةً ... فَأَعْجَزَ البُلَغَا بِالشِّعْرِ وَالخُطَبِ

نَـزَلَ الأَمِيـنُ بِـهِ حَقّـاً بِـلاَ رِيَـبِ ... يَرْمِي مُعَارِضَهُ المَفْتُونَ بِالشُّهُبِ

أَسْرَىٰ بِهِ رَبُّنَا لِلْقُدْسِ في غَسَقٍ ... إِلىٰ مَقَامٍ عَنِ الأَمْلاَكِ مُحْتَجِبِ

وَلِلنَّبِيِّينَ أَضْحَىٰ شَمْسَ كَوْكَبِهِمْ ... مِنْهُ اسْتَمَدُّوا جَمِيعاً أَعْظَمَ الرُّتَبِ

تَبَـارَكَ اللهُ مَـا أَحْلَـىٰ شَمَـائِلَـهُ ... تُعَلِّمُ المُقْتَدِي قِسْطاً مِنَ الأَدَبِ

فَـاقَ النَّبِيِّـيـنَ تَكْـريمـاً ومُعْجِـزَةً ... وَحُبُّهُ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ القُرَبِ

وَلَـمْ يَكُـنْ هَمُّـهُ الـدُّنْيَـا وَزِينَتُهَـا ... وَلاَ الجُمَانُ وَلا مَالٌ مِنَ الذَّهَبِ

أَتَىٰ بِشَرْعٍ على الأَزْمَانِ مُنْطَبِقٍ ... لاَ يَقْبَلُ النَّسْخَ وَالتَّبديلَ في سَبَبِ

فَحَارَبَ الشِّرْكَ وَالأَصْنَامُ بَدَّدَهَا ... حَتَّىٰ غَدَتْ مِلَّةُ التَّوْحِيدِ في نَسَبِ

خَوَارِقُ المُعْجِزَاتِ الغُرِّ قَدْ خَرَقَتْ ... ما لَفَّقَ السِّحْرُ وَالكُهَّانُ مِنْ لَهَبِ

إِنْ سَـرَّ مَـنْ قَبْلَـهُ إِهْـلاكُ أُمَّتِـهِ ... فَالمُصْطَفَىٰ رَحْمَةٌ وَالصَّدْرُ في رَحَبِ

يَدْعُو لَهُمْ بِالهُدَىٰ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ ... وَاللهُ يُسْلِيـهِ مِـنْ هَـمٍّ ومِـنْ كُـرَبِ

رفع المسيهم

كَمْ أَضْمَرُوا الغَدْرَ مُقْرُوناً بِكَيْدِهِمُ ... وَاللهُ يَعْصِمُهُ مِنْ كُلِّ مُرْتَقِبِ

وَبِالمَلاَئِكَةِ الجَبَّارُ أَيَّدَهُ ... مَسِيرَ شَهْرٍ أَتَاهُ النَّصْرُ بِالرُّعُبِ

كَمْ أَوْقَدَ المُشْرِكُونَ الحَرْبَ فَانْقَلَبُوا ... هَلْكَىٰ وَنَاجِيهِمُ يَرْتَدُّ بِالحَرَبِ

لِلإِنْسِ وَالجِنِّ رَبُّ العَرْشِ أَرْسَلَهُ ... طُوبَىٰ لِمُتَّبِعٍ لِلحَقِّ مُقْتَرِبِ

كَمْ مِنْ غَزَاةٍ بِهَا قَلْبُ العِدَا وَجِلٌ ... وَكَمْ مِنْ سَرَايَا حَوَتْ مَا كَانَ مِنْ نَشَبِ

قَدْ أَرْهَبَتْ كُلَّ صِنْدِيدٍ شَجَاعَتُهُ ... وَجَيْشُهُ يَحْتَمِي فِيهِ مِنَ الرَّهَبِ

وَالوَحْيُ يَنْزِلُ وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ ... تَرْمِي الأَبَاطِيلَ وَالأَهْوَاءَ مِنْ صَبَبِ

حَتَّىٰ غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلاَمِ مُشْرِقَةً ... مَذَاقُهَا فِي فَمِ الأَقْوَامِ كَالضَّرَبِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ الإِلٰهُ وَالمَلاَئِكَةُ ... فَمَنْ يُصَلِّي عَلَيهِ فَازَ بِالأَرَبِ

فيَا سَمِيعَ الدُّعَا أَرْجُو بِحُرْمَتِهِ ... شِفَاءَ دَائِي وَإِسْعَافِي إِلَىٰ طَلَبِي

إِنِّي غَرِيبٌ فَلاَ أَهْلٌ وَلاَ سَكَنٌ ... وَلاَ صَدِيقٌ يُرَىٰ فِي زِيِّ مُحْتَسِبِ

يَارَبِّ عَجِّلْ لِمُضْطَرٍّ إِجَابَتَهُ ... فَمَنْ رَجَا فَضْلَكَ الهَتَّانَ لَمْ يَخِبِ

بِالمُصْطَفَىٰ سَيِّدِ الأَكْوَانِ مَرْحَمَةً ... بِهَا شِفَائِيَ فَالأَعْدَاءُ فِي طَرَبِ

حَارَ الطَّبِيبُ بِدَائِي كُلَّمَا بَذَلَ الـ ... مَجْهُودَ أَدْرَكَهُ نَوْعٌ مِنَ الغَلَبِ

صَلَّى الإِلَهُ على الهَادِي الشَّفِيعِ لَنا ... وَالآلِ وَالصَّحْبِ أَهْلِ المَجْدِ والحَسَبِ

مَعَ السَّلامِ علىٰ مَرِّ الزَّمَانِ وَمَا ... جَادَ الغَمَامُ بِمُنْهَلٍّ مِنَ السُّحُبِ

(٤٠٧)

وقُلتُ بقَلْبٍ كَسير أَمْدَحُ البَشيرَ النَّذير : [من الكامل]

يا سَعْدُ مِلْ لِلرَّقْمَتَينِ فَحَاجِرِ ... وَاقْرَ السَّلامَ على الحَبيبِ الهَاجِرِ

وَإذا مَرَرْتَ بِحَيِّ مُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ ... فَاشْرَحْ لَهُمْ وَجْداً ثَوَىٰ بِضَمَائِرِي

وَعلى العَقِيقِ عَقِيقُ دَمْعِي قَدْ هَمَىٰ ... فَالنَّومُ طَلَّقَ لِلْعُذَيْبِ مَحَاجِرِي

شَـوْقـاً إلـىٰ أَنْـوَارِ طَيْبَـةَ إِنَّهَـا ... بَلَـدُ الحَبِيـبِ وحُجَّـةُ المُتَفـاخِـرِ

اخْتَارَهَا الرَّحْمٰنُ مَوْطِنَ أَحْمَدٍ ... فَسَرَىٰ كَبَدْرٍ في الدَّيَاجِي زَاهِرِ

أَخْفَاهُ نَسْجُ العَنْكَبُوتِ عَنِ العِدَا ... في الغَارِ وَالأَيْكُ ثَوَتْ في الظَّاهِرِ

وَيَقُـولُ لِلصِّـدِّيـقِ لا تَحْـزَنْ فَـإِنَّ اللهَ عَـوْنٌ لِلمُجِـدِّ الصَّـابِـرِ

رَجَعُـوا وَقَـدْ أَنْجَـى الإِلَـهُ نَبِيَّـهُ ... بِالرُّغْمِ عَنْ إِفْكِ الجَحُودِ الفاجِرِ

وَعَدَا علىٰ فَرَسٍ سُرَاقَةُ فانبرىٰ ... صَلْـدٌ فَقَيَّـدَ سَـاقَـهُ بِـالحَـافِـرِ

وَأَتَـى الهَنَـاءُ لأُمِّ مَعْبَـدٍ إِنَّهَـا ... كَـانَـتْ تُهَيِّـئُ نُـزْلَهَـا للسَّـائِـرِ

نَـزَلَ النَّبِـيُّ بِـهِ فَـأَحْصَـتْ نَعْتَـهُ ... وَالشَّـاةُ قَـدْ دَرَّتْ بِخَيْـرٍ ظَـاهِـرِ

وَدِيَـارُ طَيْبَـةَ أَشْـرَقَـتْ لِقُـدُومِـهِ ... بِـالنُّـورِ فِيهَـا كُـلُّ بَـدْرٍ سَـافِـرِ

طُوبَىٰ لأَنْصَارِ الهُدَىٰ فَلَهُمْ عَلىٰ ... طُولِ المَدَىٰ فَضْلٌ وَطِيبُ مَفَاخِرِ

ضَمُّوا النَّبِيَّ وَمَنْ يُهَاجِرُ نَحْوَهُ ... وَحَمَوْهُ مِنْ كَيْدِ الجَحُودِ الماكِرِ

فَعَـلاَمَـةُ الإِيمَـانِ حُبُّهُـمُ وَبُغْـ ... ـضُهُـمُ نِفَـاقٌ وَاقْتِـرَافُ كَبَـائِـرِ

هُمْ حِصْنُ دِينِ اللهِ وَالأُسْدُ الأُلَىٰ ... يَحْمُـوا عَـرِينَهُـمُ بسَيْـفٍ بَـاتِـرِ

مَـا فِيهِـمُ إِلاَّ شُجَـاعٌ بَـاسِـلٌ ... خَـوَّاضُ أَهْـوَالٍ بِقَلْـبٍ صَـابِـرِ

وَعلى الأُلَىٰ هَجَرُوا الدِّيَارَ وَهَاجَروا ... رِضْـوَانُ رَبِّـي مَـعْ سَـلاَمٍ عَـاطِـرِ

هَجَرُوا لَذِيذَ النَّوْمِ في جُنْحِ الدُّجَىٰ ... وَأَشْبَعُـوا بِـالسَّيْـفِ بَطْـنَ الطَّـائِـرَ

قَدْ عَوَّدُوا أَنْفُسَهُمْ خَوْضَ الوَغَىٰ ... وَبَلَـوْا أَعَـادِيَهُـمْ بِشَـقِّ مَـرَائِـرِ

تَرَكُوهُمُ وَالحَرْبُ تُوقِدُ نَارَهَا ... رِزْقَ الـوُحُـوشِ وَطُعْمَـةً لِلكَاسِرِ

فَهُمُـو سُيُـوفُ اللهِ وَالنَّجْـمُ الَّـذي ... فِيـهِ اهْتَـدَىٰ للهِ كُـلُّ مُسَـافِـرِ

نَالَ السَّعادَةَ صَحْبُ شَمْسِ الاهْتِدَا ... فَـالبَـدَوِيُّ فِيهِـمُ كَـالحَـاضِـرِ

رفع المسيهم

يَا سَعْدُ هٰذا النُّورُ قَدْ عَمَّ الدُّنَا ... وَبِهِ انْجَلَتْ ظُلَمُ الظَّلاَمِ السَّاتِرِ

هٰـذا النَّبِـيُّ شَـاهِـدٌ وَمُبَشِّـرٌ ... وَنَذِيرُ مَنْ أَضْحَىٰ بِقَلْبٍ كَافِرِ

وَهُـوَ الَّـذي للهِ أَضْحَـىٰ دَاعِيـاً ... مَـا مَـالَ عَـنْ دَعْـوَاهُ غَيـرُ مُكَابِـرِ

وَمُبَشِّـراً أَهْـلَ الإِجَـابَـةِ بِـالـرِّضَـا ... وَالعَفْـوِ مِـنْ رَبٍّ كَـرِيـمٍ غَـافِـرِ

وَهُـوَ الَّـذي لِـلأَنْبِيَـاءِ خَـاتَـمٌ ... وَرَسُـولُ رَبِّ العَـالَمِيـنَ القَـادِرِ

يَهْـدِي إِلـىٰ سُبُلِ السَّلامِ كَلامُهُ ... وَيَفُـوحُ رَيَّـاهُ بِطِيـبِ عَبَـاهِـرِ

جَمَعَتْ لَهُ الأَحْزَابُ أُسْدَ عَرِينِها ... مِـنْ كُـلِّ لَيْـثٍ بِـالشَّجَاعَـةِ مَاهِرِ

فَـأَرْسَـلَ اللهُ جُنُـوداً لَـنْ تُـرَىٰ ... وَالـرِّيـحَ زَلْـزَلَهُـم بِـأَعْظَـمِ زَاجِـرِ

وَكَفَى اللَّطِيفُ المُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ ... وَالحَـقُّ قَـالَ اللهُ أَكْبَـرُ نَـاصِـرِي

وَأَنْـزَلَ اللهُ الَّـذِيـنَ ظَـاهَـرُوا ... مِـنَ الصَّيَـاصِـي عِبْـرَةً لِمُظَـاهِـرِ

وَرِثُـوهُـمُ وَالسَّيْـفُ يَحْكُـمُ فِيهِـمُ ... وَالـذُّلُّ صَيَّـرَهُـمْ بِقَبْضَـةِ آسِـرِ

صَبَرَ الصِّحَابُ وصَابَرُوا ورَابَطُوا ... ولازَمُـوا التَّقْـوَىٰ بِقَلْـبٍ عَـامِـرِ

فَلْيَهْنِهِـمْ رِضْـوَانُ رَبِّهِـمُ إِذا ... حَـلَّ الشَّقَـاءُ لِكُـلِّ فَـدْمٍ خَـاسِـرِ

نَـزَلَـتْ مَـلاَئِكَـةُ السَّمَـاءِ لِنَصْـرِهِ ... فـأَذَاقَـتِ الأَعْـدَاء شَـرَّ مَصَـادِرِ

فـي يَـوْمِ بَـدْرٍ وَحُنَيْـنٍ لِلعِـدَا ... ذُلٌّ تَـوَالَـىٰ عِنْـدَ شُـؤْمِ مَـآثِـرِ

للهِ كَـمْ مِـنْ غَـزْوَةٍ مَحْمُـودَةٍ ... كَانَتْ لِلَيْلِ الشِّرْكِ أَعْظَمَ حَاسِرِ

ضَـاءَتْ بِهَـا الـدُّنْيَـا بِنُورٍ بَـاهِـرٍ ... وَبَـدَا الفَـلاحُ بِـأَوَّلٍ وَبِـآخِـرِ

وتِجارَةُ الطُّغْيَانِ قَدْ رَجَعَتْ بِلا ... رِبْـحٍ وَوَلَّـىٰ أَهْلُهَـا بِخَسَـائِـرِ

فَـاللهُ قَـدْ مَـدَحَ النَّبِـيَّ مُحَمَّـداً ... فـي مُعْجِـزٍ لِنَـاظِـمٍ وَلِنَـاثِـرِ

فَبِمَـدْحِـهِ أَرْجُـو شِفَـاءً عَـاجِـلاً ... مِـنْ كُـلِّ دَاءٍ مُـزْعِـجٍ لِسَـرَائِـرِي

لاَ سِيَّمَـا دَائِـي الَّـذي قَـدْ عَـاقَنِـي ... عَنْ خِدْمَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الطَّاهِرِ

صَلَّـىٰ عَلَيْـهِ اللهُ مَـا نَجْـمٌ بَـدَا ... وَأَتَـى العَلِيـلَ شِفَـاؤُهُ بِبَشَـائِـرِ

رفع المسيهم

(٤٠٨)

وقلتُ أَمْدَحُ سَيِّدَ الأَكْوانِ: [من الكامل]

آيَـاتُ حُبِّـكَ رُتِّلَـتْ تَـرْتِيـلاَ ... وَالوَجْدُ أَصْبَحَ في الفُؤَادِ نَزِيلا

نَفْحُ الخُزَامَىٰ إِنْ تَهُبَّ بِهِ الصَّبَا ... فِيـهِ الشِّفَـاءُ لِمَـنْ أَقَـامَ عَلِيـلا

يَـا حَـادِيَ الأَظْعَـانِ يَمِّـمْ رَوْضَـةً ... طَـابَتْ فَـأَضْحَتْ مَـوْرِداً وَمَقِيـلا

فَنَسِيمُهَـا فِيـهِ الشِّفَـاءُ لِمَـنْ غَـدَا ... وَالـدَّاءُ فِيـهِ قَـدْ أَلَـمَّ وَبِيـلا

لَمَّـا غَـدَتْ وَطَـنَ النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ ... صَـارَتْ لِكُـلِّ العَـالَمِيـنَ دَلِيـلا

هِيَ مَشْرِقُ الأَنْوَارِ وَالبَلَدُ الَّذي ... بِـالـوَحْـيِ فِيهَـا فُضِّلَـتْ تَفْضِيـلا

هِـيَ طَيْبَـةٌ وَالطِّيـبُ مِنْهَـا أَصْلُـهُ ... وَقُطُـوفُهَـا قَـدْ ذُلِّلَـتْ تَـذْلِيـلا

خَيْرُ البِقَاعِ مَا حَوَىٰ خَيْرَ الوَرَىٰ ... وَأَحَـاطَـهُ فَثَـوىٰ بِـهِ مَشْمُـولا

وَبِـذَاتِـهِ السَّبْـعُ الطِّبَـاقُ تَشَـرَّفَـتْ ... وَاللهُ زَادَ عَـلاءَهَـا تَفْضِيـلا

وَلَهُ الكِتَابُ المُعْجِزُ البُلَغَاءَ فِي ... مَعْنَـاهُ أَنْـزَلَـهُ الإِلٰـهُ نُـزُولا

بِـالحَـقِّ أَنْـزَلَـهُ بَشِيـراً هَـادِيـاً ... بِالرُّشْدِ وَالإِصْلاَحِ ظَلَّ . . . . [1]

نَزَلَ الأَمِينُ بِهِ فَيَا حَسَرَاتِ مَنْ ... كَـذَبُـوا بِـذَاكَ وَقُتِّلُـوا تَقْتِيـلا

قَـدْ جَـاءَ وَالأَصْنَـامُ مَعْبُـودٌ لَهُـمْ ... وَالـرُّشْـدُ بُـدِّلَ بِـالشَّقَـا تَبْـدِيـلا

فَأَمَاطَ غَيْمَ الغَيِّ عَنْ شَمسِ الهُدَىٰ ... وَأَقَـامَ لِلتَّـوْحِيـدِ فِيـهِ دَلِيـلا

يَـا أَيُّهَـا المُـدَّثِـرُ أَصْبِـحْ مُنْـذِراً ... وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَابْتَغِ المَأْمُولا

كَبِّـرْ إِلَهَـكَ إِنَّـهُ لَـكَ نَـاصِـرٌ ... وَاسْجُـدْ لَـهُ مُتَبَتِّـلاً تَبْتِيـلا

قُمْ فِي الدُّجَا إِلاَّ قَلِيلاً نَاسِكاً ... وَاتْـلُ الكِتَـابَ مُـرَتَّـلاً تَـرتِيـلا

طَهِّـرْ ثِيَـابَـكَ لاَ تَكُـنْ مُسْتَكْثِـراً ... إِعْطَـاءَ مُحْتَـاجٍ أَتَـاكَ ذَلِيـلا

وَاصْبِـرْ لِـرَبِّـكَ إِنَّـهُ لَـكَ عَـاصِـمٌ ... لاَ تَخْـشَ ضُـرّاً كَـانَ أَوْ تَنْكِيـلا

---

(١) كلمة غير واضحة في الديوان.

رفع المسيهم

فَدَعَا إِلى التَّوحِيدِ في سِرٍّ وَفي ... عَلَنٍ يُجَاهِرُ بُكْرَةً وَأَصِيلا

حَتَّى اخْتَفَى الشِّرْكُ وَأَصْبَحَ أَهْلُهُ ... يَسْتَنْجِدُونَ رَنَّةً وَعَوِيلا

يَتَحَيَّرُونَ وَلا مَنَاصَ لَهُمْ وَلا الْـ ... أَصْنَامُ تُوضِحُ لِلنَّجَاةِ سَبِيلا

تَعْساً لِعُبَّادِ الحِجَارَةِ إِنَّهُمْ ... لَمْ يَرْتَضُوا خَيْرَ الأَنَامِ رَسُولا

ظَنُّوا النَّجَاةَ بِهَا فَخَابُوا خَيْبَةً ... فِيهَا الهَلاَكُ وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا

سَلْ أَهْلَ خَيْبَرَ كَيْفَ مَصْرَعُهُمْ وَقَدْ ... زَادَ العِنَادُ وَضُلِّلُوا تَضْلِيلا

وَقُرَيْظَةُ البَاغُونَ شُتِّتَ شَمْلُهُمْ ... مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ بِهِمْ مَأْهُولا

وَبَنُو النَّضِيرِ إِلَيهِمُ لَمَّا افْتَرَوا ... سَاقَ البَلاَءَ أَعِنَّةً وَنُصُولا

وَالمُشْرِكُونَ بِبَطْنِ بَكَّةَ أُشْرِبُوا ... بَعْدَ التَّفَاخُرِ أَنَّةً وَذُهُولا

وَأَتَىٰ بِهَا الفَتْحُ المُبِينُ فَاتِحاً ... بَابَ الجِنَانِ لِمَنْ يُرِيدُ دُخُولا

فِي حَجَّةِ التَّوْدِيعِ أَنْزَلَ رَبُّنَا ... اليَوْمَ كَمَّلَ دِينُكُمْ تَكْمِيلا

وَرَضِي لَنَا الإِسْلاَمَ دِيناً خَالِصاً ... وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ ضُحًىٰ وَأَصِيلا

وَالوَارِدُونَ الحَوْضَ يُعْطَوْنَ إِذا ... وَرَدُوا عَلَيْهِ غُرَّةً وَحُجُولا

وَلَسَوفَ يَبعَثُهُ الإِلٰهُ مَقَامَهُ الـ ... ـمَحْمُودَ وَهْوَ مُبَجَّلٌ تَبْجِيلا

وَاللهُ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ وَالوَرَىٰ ... كُلٌّ تَرَاهُ بِشَأْنِهِ مَشْغُولا

وَيَقُولُ يَا رَبِّ النَّجَاةَ لأُمَّتِي ... وَاليَومُ أَصْبَحَ مُؤْلِماً وَمَهُولا

يَا مُصْطَفَى الرَّحْمٰنِ يَا مَنْ شَرْعُهُ ... قَدْ نَسَخَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلا

كُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ كُلُّ مُشَفَّعٍ ... أَضْحَىٰ بِهِ مُتَطَفِّلاً تَطْفِيلا

يَا رَبِّ أَدْعُوكَ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ ... مَنْ أَوْضَحَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلا

وَغَدَا بِهِ التَّوْحِيدُ فِي أَوْجِ العُلا ... وَالشِّرْكُ وَلَّىٰ خَاسِئاً مَخْذُولا

أَنْ تُذْهِبَ الدَّاءَ المُلِمَّ بِسَاحَتِي ... فَضْلاً فَغَيْرَكَ لاَ أَرَىٰ مَسْؤُولا

إِنَّ الطَّبِيبَ بِهِ تَحَيَّرَ وَانْثَنَىٰ ... وَدَوَاؤُهُ لَمْ يُجْدِ فِيهِ فَتِيلا

رفع المسيهم

يـا مَـنْ شَفَـىٰ أَيُّـوبَ مِـنْ أَدْوَائِـهِ ... مَعْقُـودُ صَبْـرِي قَـدْ غَـدَا مَحْلُـولا
يَا مَنْ يُجِيبُ دَعْوَةَ المُضْطَرِّ إِذْ ... يَـدْعُـوهُ إِجْعَـلْ لِـي دُعًـا مَقْبُـولا
وَاصْرِفْ بِقَوْلِكَ كُنْ بَلائِي بِالشِّفَا ... فَسَرِيعُ جُودِكَ لَمْ يَكُنْ مَمْطُولا
صَلَّـىٰ عَلَيْـكَ اللهُ يـاعَلَـمَ الهُـدَىٰ ... مَا الرَّكْبُ أَضْمَرَ لِلْحِجَازِ رَحِيلا

(٤٠٩)

وقلتُ علىٰ حسب مقْتَضَيَاتِ الأَحْوَال : [من مجزوء الكامل]

إِنَّ بِـــــلاداً طَبعُهَـــــا ... بُغْـــضُ العُلُـــومِ وَأَهْلِهَـــا
هَيْهَـــــاتَ أَنْ تَـــــرْقَـــــىٰ وَأَنَّ اللهَ يَجْمَـــــعُ شَمْلَهَـــا

(٤١٠)

وقلتُ : [من المحدث]

«فيلومينا» شَمْسُ الحُسْنِ . . . . سَـارَتْ فَـالشَّـرْقُ بِهَـا أَزْهَـرْ
غَـابَـتْ عَـنْ مَشْفَـانَـا زَمَنـاً ... وَفُـــؤَادِي فِيـــهِ يَتَفَطَّـــرْ
وَإِذا طَلَعَـــتْ فيـــهِ قـــالَ ... هٰـــذا رَبِّـــي هٰـــذَا أَكْبَـــرْ
الشَّمْـــسُ تَحْسُـــدُ طَلْعَتَهَـــا ... وَتَغِيـــبُ إِذَا الـــوَجْـــهُ أَسْفَـــرْ
وَعَلَـىٰ فَمِهَـا كَتَـبَ الحُسْـنُ ... إِنَّـــا أَعْطَيْنَـــاكَ الكَـــوْثَـــرْ
مَـنْ ذَاقَ سُـلافَتَهَـا أَضْحَـىٰ ... بِـالـوَجْـدِ يُعَـرْبِـدُ إِذْ يَسْكَـرْ
وأَرَاقِـمُ صُـدْغَيْهَـا قَـرُبَـتْ ... مِنْـهُ فَحَمَـتْ كَنْـزَ الجَـوْهَـرْ
بـالحـبِّ غَـدَوْتُ نَشْـوانـاً ... لَسْـتُ أَصْحُـو حتـى المَحْشَـرْ
والصَّبْـرُ وَدَّعَ حِيـنَ نَـأَتْ ... . دَمّـــاً أَحْمَـــرْ
كَلِفَـتْ رُوحِـي بِمَحَـاسِنِهـا ... وَبِـرَيَّـا ذِكْـرَاهَـا الأَعْطَـرْ

رفع المسيهم

وَغَـــرَامِـــي زَادَ بِفُـــرْقَتِهَـــا ... يَـا قَلْـبُ صَحَـا الـدَّاءُ الأَكْبَـرْ
لَـــوْلاَ مَـــرَضٌ قَـــدْ قَيَّـــدَنِـــي ... لَتَبِعْـــتُ ذَاكَ البَـــدْرَ الأَنْـــوَرْ
وَأَكُـــونُ مَـــعَ الخُـــدَّامِ لَـــهُ ... لأَرَىٰ ذَاكَ النَّـــادِي الأَعْظَـــرْ
يـــا جَنَّـــةَ حُسْـــنٍ تَـــرَكَتْنِـــي ... بِجَحِيـــمِ البُعْـــدِ أَتَحَسَّـــرْ
ذَهَبَـــتْ لِـــلأَوْطَـــانِ صُبْحـــاً ... فَبِهَـــا رَوْضُ الأُنْـــسِ بَشَّـــرْ
وَدِمَشْـــقُ الشَّـــامِ قَـــدْ كُسِيَـــتْ ... مِـــنْ فُـــرْقَتِهَـــا ثَـــوبـــاً أَغْبَـــرْ
هٰـــذِي العَـــذْرَاءُ مَـــرْيمُنَـــا ... وَبِهَـــا الإِنْجِيـــلُ لَقَـــدْ أَخْبَـــرْ
فَلَهَـــا مِنِّـــي الـــوُدُّ الصَّـــافِـــي ... مَـــا الأَلْحَـــاظُ النُّجـــلُ تَسْحَـــرْ
وَلَهَـــا الأَمْـــرُ فِيمَـــا شَـــاءَتْ ... مَهْمَـــا كَـــانَ الفِكْـــرُ صَـــوَّرْ

(٤١١)

كانَتْ تلكَ الغَادةُ تَقْرَأُ عَلَيَّ مَعانِي الشِّعر، فَلَمَّا قَرَأَتْ قصيدةَ ابْن زَيْدُون، أَحَبَّتْهَا، وَوَلِعَتْ بِها، فَنَظَمْتُ لَهَا قَصيدةً علىٰ مِنْوَالِها، وهي:

[من البسيط]

يَا جَنَّةً عَنْ رِيَاضِ الخُلْدِ تُغْنِينَا ... شَرْعُ الغَرَامِ بِهَا قَدْ صَارَ لِي دِينَا
مِنْ قَبْلُ كُنْتُ ولَيْسَ الغِيدُ تَأْسِرُنِي ... واليَـوْمَ سَـاحِـرَةُ الأَلحَـاظِ تَسْبِينَـا
فـاعْجَـبْ لِصَـبٍّ لَـهُ دَاءٌ يُكَـابِـدُهُ ... وَلَيْـسَ يُعْتِقُـهُ وهْـوَ ابْـنُ سِتِّينَـا
سارَ القِطَارُ بِشَمْسِي نَحْوَ بَلْدَتِها ... ونَارُهُ في الحَشَا وَالقَلْبِ تَكْوِينَا
للهِ لَيْـلٌ قَضَيْنَـاهُ مُسَـامَـرَةً ... في كِلْمَةِ ابْنِ زُرَيْقٍ وَابْنِ زَيْدُونَا
وَالْعِلْـمُ يُطْـرِبُنَـا وَالْعِلْـمُ ثَـالِثُنَـا ... والـوُدُّ حَـارِسُنَـا والفَضْـلُ سَـاقِينا
وبِـالعَفَـافِ وَبِـالآدابِ مَفْخَـرُنَـا ... فَلْيَخْسَ حَاسِدُنَا دَوْماً وَوَاشِينَا

رفع المسيهم

يا مُنْتهَى الحُسْنِ لاَ نَرْضَىٰ بِكُمْ بَدَلاً ... ما دَامَتِ الرُّوحُ في الأَحْشا تُنَادِينا

إِنِّـي أَرَىٰ مَلَكـاً فـي زِيِّ آنِسَـةٍ ... جَاءَتْ مِنَ المَلأِ الأَعْلَىٰ تُنَاجِينَا

تَبَـارَكَ اللهُ مَـا أَحْلَـىٰ شَمَـائِلَهَـا ... يَزِيدُ في الآنِسَاتِ العِلْمُ تَحْسِينَا

عِلْـمُ الفَتَـاةِ بِـهِ تَـزْهُـو مُفَـاخِـرةً ... على الرِّجَالِ وَلِي مِنْهَا بَرَاهِينَا

يـا مُـدَّعِيـنَ بِـأَنَّ العِلْـمَ يَسْلُبُهَـا ... ثَوْبَ العَفَافِ لَقَدْ صِرْتُمْ مَجَانِينَا

فَـالعَـالِمَـاتُ بِهِـنَّ الـدُّورُ عَـامِـرةٌ ... والجَاهِلاتُ لَهَا صِرْنَ الشَّيَاطِينا

يَا زِينَةَ الآنِسَاتِ الغِيدِ لا بَرِحَتْ ... أَيَّـامُ سَعْـدِكِ بِـالحُسْنَـىٰ تُهَنِّئُنَـا

يا مُؤْنِساً كُنْتُ أَسْلُو فيهِ عَنْ مَرَضِي ... مَتَىٰ يَعُودُ اللِّقَا في رَغْمِ وَاشِينَا

رُوحِي وَرُوحُك أُقْنُومَانِ فِي جَسَدٍ ... بِالقُدْسِ صَارَا أَقَانِيماً كَما شِينَا

فِي عالَمِ الأُنْسِ نَجْوَانَا وَإِنْ بَعُدَتْ ... أَجْسَـامُنَـا وَلَـذِيـذَ الصَّفْـو يَسْقِينَـا

تُبْـدِي القُلُـوبُ أَشِعَّتَهَـا فَتُنْبِئُنَـا ... عَنِ المَوَدَّةِ في أَسْلاَكِ «مَركونا»

كَـأَنَّمَـا كَـوْكَـبُ المِـرِّيـخِ أَرْسَلَهَـا ... لِعَـالَـمِ الأَرْضِ تُخْبِـرُنَـا وَتحبينـا

لا أَبْعَـدَ اللهُ أَيَّـامَ اللِّقَـاءِ فَكَـمْ ... بِـالقُـرْبِ تَنْشُـرُنَـا وَالبُعْـدُ يَطْـوِينَا

سَـارَتْ لِبَلْـدَتِهَـا تَبْغِـي زِيَـارَتَهَـا ... فَـأَنْبَتَـتْ أَرْضُهَـا وَرْداً وَنِسْـرِينَـا

بَـلابِـلُ الـدَّوحِ قَـدْ قَـالَـتْ مُغَـرِّدَةً ... لَنَا البِشَارَةُ [قَدْ] وَافَتْ «فلومينا»

وَخَلَّفَتْنَـا بِنَـارِ الـوَجْـدِ تُضْـرِمُهَـا ... نَـارُ الصَّبَـابَـةِ فـي أَحْشَـائِنَـا حِينَـا

عَـلَّ الـدِّيَـارَ تَجُـودُ بـاللِّقَـا كَـرَمـاً ... فَلَمْحَـةٌ مِـنْ جَمَـالِ الحِـبِّ تُغْنِينَـا

لا أَبْعَـدَ اللهُ أَيَّـامَ الـوِصَـالِ فَقَـدْ ... كَـانَـتْ بِطلْعَتِهَـا غُـرّاً مَيَـامِينَـا

عَهْـدُ الـوِدَادِ وَثِيـقٌ لَسْـتُ أَنْقُضُـهُ ... وَحِفْظُـهُ بَيْنَنَـا أَقْصَـىٰ أَمَـانِينَـا

(٤١٢)

أَشَاعَ بَعْضُ الغَوْغَاءِ المُدَّعِينَ العِلْمَ أَنَّ تَعليمَ الإِنَاثِ حَرامٌ، وأَقَاموا النَّكِيرَ عَلَىٰ تَعْلِيمِهِنَّ بينَ العَوَامّ، فَأَتَتنِي تِلكَ الأَديبَةُ تَبْحَثُ معي في هٰذا المَوْضُوعِ، ومَعَهَا اثنانِ من أَطِبَّاءِ المَسِيحِيِّينَ، فَلَمَّا انْقَضَى البَحْثُ، نَظَمْتُ هذه القَصِيدَةَ، فَقُلْتُ: [من الرمل]

إِنْ تَـرُمْ مَجْـداً سَمَـا هَـامَ الحَمَلْ ... فَـامْـزِجِ الْعِلْـمَ الصَّحِيـحَ بِـالعَمَلْ

وَاغْتَـرِبْ لِلْغَـرْبِ فـي تَحْصِيلِـهِ ... وَاهْجُـرِ العُـذَّالَ أَرْبَـابَ الـزَّلَـلْ

كُنْ لَدَى التَّحْصِيلِ في جِدٍّ وَلا ... تَغْتَـرِرْ بِقَـوْلِ أَرْبَـابِ الكَسَـلْ

أَيْنَمـا نَظَـرْتَ فـي الكَـوْنِ تَجِـدْ ... مِـنْ بَقَـايَـا العِلْـمِ مِـنْ قَـوْمٍ أُوَلْ

هٰـذِهِ أَهْـرَامُ مِصْـرٍ عِبْـرَةٌ ... وَبِـرَابِيهـا وأَصْنَـافِ القُلَـلْ

وَبَقَـايَـا تَـدْمُـرٍ وَبَـابِـلٍ ... وَبَني غَسَّانَ في ضَاحِي الجَبَلْ

وَحُصُـونُ بَعْلَبَـكَّ أَلَبَسَـتْ ... كُـلَّ مَـنْ نَـاوَأَهَـا ثَـوْبَ الخَجَـلْ

وَادِي مُوسَىٰ نُزْهَةُ الأَبْصَارِ مَنْ ... طَـاف فيـهِ حَـارَ فِـي أَمْـرٍ جَلَـلْ

وَثَمُـودُ لِلْبَـرَايَـا تَـرَكُـوا ... أَثَـراً مِـنْ بَعْـدِهِـمْ لِمَـنْ عَقَـلْ

وَدِيـارُ العُـرْبِ كَـمْ فِيهـا بِنَـا ... شَـرِبَ الـدَّهْـرُ عَلَيْـهِ وَأَكَـلْ

كُلُّهَـا آثَـارُ عِلْـمٍ مَـنْ مَضَـىٰ ... فَـاتْبَعِ الحَـقَّ ودَعْ عَنْـكَ الخَطَـلْ

هٰـذِهِ آثَـارُ أَقْـوَامٍ خَلَـتْ ... وَبَقَـايَـا العِلْـمِ فِيهَـا لَـمْ تَـزَلْ

وَالـدَّهَـارِيـرُ عَفَـتْ أَكْثَـرَهَـا ... وَظَـلامُ الجَهْـلِ غَطَّـىٰ وَسَـدَلْ

وَغَـدَا العِلْـمُ يُنَـادِي أَهْلَـهُ ... مَـنْ يُجِبْنِـي نَـالَ غَـايَـاتِ الأَمَـلْ

وَعَلَـى الأَقْطَـارِ يَسْتَـوْلِـي وفـي ... مَقْعَـدِ التَّكْـرِيـمِ يُعْلَـىٰ ويُجَـلْ

فَـأَزَالَ الغَـرْبُ شَكْـوَاهُ بِمـا ... حَـازَ مِـنْ مَـالٍ جَلِيـلٍ وَخَـوَلْ

رفع المسيهم

خَضَعَ الجَوُّ لَهُمْ والبَرُّ في ... طَاعَةٍ وَالبَحْرُ مِنْهُمْ في وَجَلْ
زَاحَمَ الأَطْيَارَ طَيَّارَاتُهُمْ ... وَفَسِيحُ البَرِّ غُصَّ بِالعَجَلْ
وَالْجَوَارِي المُنْشَآتُ مَلأَتْ ... كُلَّ بَحْرٍ وَبِهَا الشَّمْلُ اتَّصَلْ
شَارَكَ الحِيتَانَ غَوَّاصَاتُهُم ... وبَرِيدُ البَرْقِ لِلدُّنْيَا شَغَلْ
عَجَباً لِلْكَهْرَبَاءِ أَبْدَعَتْ ... مَا يَحَارُ فِيهِ أَرْبَابُ الحِيَلْ
هَذَّبُوا العِلْمَ وَأَحْيَوا ذِكْرَهُ ... فَبِهِمْ يَاصَاحِ يُضْرَبُ المَثَلْ
صَدَقَ الوَرْدِيُّ فِيمَا قَالَهُ ... مِنْ نِظَامٍ جَاءَ في أَبْهَىٰ حُلَلْ
لا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَداً ... إِنَّمَا أَصْلُ الفَتَىٰ ما قَدْ حَصَلْ
وَقُصَارَى القَوْلِ أَنَّ الغَرْبَ فِي ... حَالَةٍ قَدْ أَدْهَشَتْ كُلَّ المِلَلْ
فَمَتَىٰ يَا شَرْقُ تَحْذُو حَذْوَهُ ... طَارِحاً مِنْ فِيكَ أَفْيُونَ الكَسَلْ
كُلَّمَا الشَّمْسُ عَلَيْكَ أَشْرَقَتْ ... عَابَتْكَ وَهْيَ مِنْكَ في خَجَلْ
نِعْمَ قَوْمٌ بِالثَّبَاتِ أَصْبَحُوا ... في ظِلالِ الجِدِّ يا نِعْمَ الظُّلَلْ
عِنْدَهُمْ جَمْعُ القُلُوبِ سُنَّةٌ ... مَنْ يُلازِمْها جَنَىٰ أَحْلَىٰ عَسَلْ
خَلَعُوا ثَوْبَ الخُمُولِ وَغَدَوْا ... فِي لِبَاسٍ مِنْ ذَكَاءٍ مُرْتَجَلْ
أَيْنَ هُمْ يَا سَعْدُ أَخْبِرْنِي فَقَدْ ... ضَاقَ صَدْرِي وِنِدَائِي في فَشَلْ
والخُرَافَاتُ غَدَتْ مَعْبُودَةً ... مَنْ يُكَذِّبْهَا فَعَنْهُ لاَ تَسَلْ
وَغُرُورُ القَوْمِ فِي ظَاهِرِهِمْ ... قَدْ حَكَىٰ قَوْمٌ بِسُواعٍ وهُبَلْ
والعَوَامُ فِي حِبَالِ مَكْرِهِمْ ... قَدْ غَدَتْ مُنْقَادَةً مِثْلَ الجَمَلْ
نَبَذُوا العِلْمَ الصَّحِيحَ وانْبَرَوْا ... يَدَّعُونَ المَجْدَ فَرْداً وَجُمَلْ
لَمْ يُرَاعُوا حِكْمَةَ البَارِي وَلَمْ ... يُرْضِهِمْ خَالِقُهُمْ عَزَّ وَجَلْ
يا دِيَارَ العُرْبِ حَيَّاكِ الحَيَا ... وَطَنَ الأَمْجَادِ مِنْ كُلِّ بَطَلْ

رفع المسيهم

كُنْتِ مِنْ أَرْضِ سَبَا بِاليَمَنِ ... لِأَرَاضِي القُدْسِ في عِزٍّ جَلَلْ
مِنْ قُرًى مُتَّصِلٍ بُنيَانُهَا ... بِرِيَاضٍ وَبِهَا الشَّمْلُ اتَّصَلْ
وَأُبَاةُ الضَّيْمِ تَحْمِيهَا فَمَا ... يَطْمَعُ الأَعْدَاءُ مِنْهَا بِالوَشَلْ
مَزَّقَ التَّفْرِيقُ فِيهَا شَمْلَهَا ... وَبِفَقْدِ الأُنْسِ طَرْفُهَا اكْتَحَلْ
فَانْهَضُوا يَا عُرْبُ لِلْعَلْيَا فَمَا ... عِنْدَكُمْ مَأْوَىٰ جَبَانٍ وبَخَلْ
يَا حُمَاةَ الجَارِ أُحْمُوا مَجْدَكُمُ ... بِالقَنَا مِنْ قَبْلِ سَوْفَ وَلَعَلْ
وَانْظِمُوا الشَّمْلَ كَنظْمِ شِعْرِكُمْ ... مِنْ بَسِيطٍ وَسَرِيعٍ وَرَمَلْ
واجْعَلُوا العِلْمَ الصَّحِيحَ حِلْيَةً ... فِي صُدُورِ مَنْ تَحَفَّىٰ وَانْتَعَلْ
واسْتَرِدُّوهُ مِنَ الغَرْبِ فَقَدْ ... كَانَ فِيكُمْ آمِناً ثُمَّ انْتَقَلْ
إِنَّ سَعْيَ المَرْءِ فِي نَيْلِ العُلا ... كَالهِلالِ كُلَّمَا سَارَ اكْتَمَلْ

(٤١٣)

ثُمَّ أَتْبَعْتُ هٰذه القَصِيدَةَ بقَصِيدَةٍ ثَانِيَةٍ في تعليمِ الإِنَاثِ فَقُلتُ: [من الرمل]

خَيْرُ فَضْلٍ لِلْفَتَاةِ الأَدَبُ ... فَهْوَ عِزٌّ وَلَهُ تَنْتَسِبُ
فَاجْعَلُوا نَدِيمَهَا صَنْعَتَهَا ... فَهْيَ دَارُ مَجْدِهَا وَالحَسَبُ
إِنَّ مَنْ كَانَتْ بِغَيْرِ صَنْعَةٍ ... عَنْ رُبُوعِ أُنْسِهَا تَغْتَرِبُ
فِي حُلُوقِ الأَهْلِ تُمْسِي غُصَّةً ... وَلَهُمْ مِنْ كُلِّ هَمٍّ تَجْلِبُ
وَلَهَا عِلْمُ الحِسَابِ زِينَةٌ ... إِنْ مَضَتْ لِشَأْنِهَا تَكْتَسِبُ
فَبِهِ تَعْرِفُ أَنْ تَشْرِي وَلا ... مَالُهَا فِي بَيْعِهَا يُنْتَهَبُ
وَلَهَا التَّارِيخُ أَبْهَىٰ حِلْيَةٍ ... فَهْوَ خَيْرٌ مِنْ عَجُوزٍ تَكْذِبُ
تَذْكُرُ البُعْبُعَ والغُولَ لَهَا ... فَتَظَلُّ مِنْ خَيَالٍ تَهْرُبُ

رفع المسيهم

يَسْلُبُ التَّنْجِيمُ مِنْهَا مَالَهَا ... وَهْيَ فِي حَسْرَتِهَا تَنْتَحِبُ

كَمْ عَجُوزٍ بِالخُرَافَاتِ لَهَا ... حِيَلٌ صَوْنَ الفَتَاةِ تَسْلُبُ

كُلُّ شُؤْمِ الغَانِيَاتِ أَصْلُهُ ... جَهْلُهَا التَّارِيخَ وَهْوَ المَطْلَبُ

حُسْنُهَا تَدْبِيرُهَا مَنْزِلَهَا ... فبِهِ تَسْمُو وَفِيهِ تُنْحَبُ

إِنَّمَا المَنْزِلُ لِلْعَيْشِ سَمَا ... وَالغَوَانِي فِيهِ هُنَّ الكَوْكَبُ

فَإِذَا الجَهْلُ سَرَىٰ مِنْ دُونِهِ ... جَاءَهُ الكَسْفُ وَمِنْهُ يَغْرُبُ

وَضِيَاءُ العِلْمِ يَكْسُوهُ سَنًا ... وَبِهِ المَنْزِلُ دَوْماً طَيِّبُ

مَالُهَا تَحْفَظُهُ وَمَا لَهَا ... فِي سِوَىٰ فِعْلِ الجَمِيلِ مَذْهَبُ

وَالعَفَافُ نِعْمَ مَلْبُوسٍ لَهَا ... سُنْدُسٌ فِيهِ طِرَازٌ مُذْهَبُ

عَلِّمُوهَا قَوْمَنَا الجُغْرَافِيَا ... عَلَّهَا عَنْ دَارِهَا تَغْتَرِبُ

فَبِهَا تَعْرِفُ حَدَّ قُطْرِهَا ... وبُنُوداً قَدْ حَوَتْهَا الكُتُبُ

أَخْبَرَ القُرْآنُ عَنْهَا طَالِباً ... سْيَرَنَا في الأَرضِ لَيسَ يَذْهَبُ

لِنَرَى الأَحْقَابَ مَعْ وادي سَبَا ... وثَمُودَ لِلْجِبَالِ نَقَبُوا

وَدِيَارُ العُرْبِ مِمَّنْ قَدْ مَضَىٰ ... دَرَسَتْ آثَارَهُنَّ الحِقَبُ

عِلْمُ تَقْوِيمِ البِلادِ كَمْ بِهِ ... كُتُبٌ لِلْمُسْلِمِينَ تُكْتَبُ

أَتَرَى المَرْأَةَ مِنْهَا حُرِمَتْ ... يا دَعِيَّ العِلْمِ أَنْتَ السَّبَبُ

أَتُرِيدُ أَنْ تَرَى النَّجْمَ وَلاَ ... تَعْرِفَ السَّيْرَ ومَا يَنْقَلِبُ

أَمْ تَقولَ البَدْرُ حُوتٌ غَالَهُ ... وحَجِيجُ القَوْمِ فِيهِ يُغْلَبُ

أَمْ تَرى الشَّمْسَ إِذَا مَا كُسِفَتْ ... غَرِقَتْ في اليَمِّ إِذْ تَحْتَجِبُ

يا رِجَالاً عَلِّمُوا غَادَتَكُمْ ... إِنَّهَا في الدَّارِ أُمٌّ وَأَبُ

عَلِّمُوهَا الخَطَّ كَيْ تُبْقِي لَكُم ... أَثَراً وَالنَّسْلُ مِنْهَا يُنْجَبُ

إِنَّهَا المَدْرَسَةُ الأُولىٰ لَهُ ... لِلصَّلاحِ والفَسَادِ تُنْسَبُ

فَلَهَا صَوْنٌ وَمَجْدٌ بَاذِخٌ ... إِنْ تَكُنْ تَقْرَأُ ثُمَّ تَكْتُبُ

وَبِهِ تَأْمَنُ غِشَّ البَاعَةِ ... لَيْسَ مِنْهُ قَلْبُهَا يَضْطَرِبُ

حَسِّنُوا أَخْلاَقَهَا كَيْلا يَكُنْ ... بَعْلُهَا مِنْ فِعْلِهَا يَكْتَئِبُ

زَوِّجُوهَا مِنْ لَبِيبٍ مِثْلِهَا ... وانْتَقُوا الزَّوْجَ إِذَا مَا تَخْطِبُوا

وَغُرُورُ المَرْءِ بِالمَالِ لَهُ ... سَكَرَاتٌ بِالعُقُولِ تَلْعَبُ

إِنَّمَا الفِتْنَةُ عِنْدَ العُقَلا ... وَذَوي الأَلْبَابِ فِينَا الذَّهَبُ

كَمْ فَقِيرٍ سَيِّدٌ مِنْ عِلْمِهِ ... وَغَنِيٍّ صَدْعُهُ لا يُرْأَبُ

إِنْ تُنَادِمْهُ تَجِدْهُ صَخْرَةً ... أَوْ تُعَامِلْهُ فَمِنْهُ ثَعْلَبُ

ومُهُورُالغَانِيَاتِ وَضْعُهَا ... عِنْدَ بَعْلٍ طَابَ مِنْهُ المَشْرَبُ

يَأْنَسُ الأَهْلُ بِهِ وَالزَّوْجُ لاَ ... تَشْتَكِي هَضْماً وَلاَ تَنْتَحِبُ

وَضْعُهَا فِي الجَاهِلِينَ نِقْمَةٌ ... زَرْعُهَا في أَهْلِهَا مُعْشَوْشِبُ

تَخْسَرُ النَّسْلَ وَتَبْقَىٰ في عَنَا ... ءٍ يَجْلِبُ الدَّاءَ العُضَالَ الغَضَبُ

إِنَّ حَشْرَ المَرْءِ مَعْ أَضْدَادِهِ ... هُوَ دَاءٌ وَشِفَاهُ يَصْعُبُ

ارْفَعُوا عَنْهَا حِجَابَ جهلِهَا ... قَبْلَ أَنْ تُرْفَعَ عَنْهَا الحُجُبُ

إِنَّ مَنْ كَانَتْ بِلا عِلْمٍ وَلا ... صَنْعَةٍ يَحْكُم فِيهَا اللَّعِبُ

في الدَّنَايَا وَالأَذَىٰ يُوقِعُهَا ... وَاحْتِيَالٍ لَيْسَ عَنْهُ مَهْرَبُ

كُلُّ شَرٍّ في البَطَالاتِ أَتَىٰ ... وَالنَّشَاطُ كُلَّ خَيْرٍ يَجْلِبُ

قَدْ مَحَضْتُ النُّصْحَ فالعاقلُ يَسْمَعُهُ وَقَدْ حَدَاهُ الطَّرَبُ

وَنِظَامِي لِلَّذي يَبْغِي الهُدَىٰ ... ورُقِيَّ الإِرْتِقَاءِ يَصْحَبُ

(٤١٤)

وقلتُ أَتَذَكَّرُ أَيَّامَ الأَحبَاب : [من الرمل]

لازمة

يَـا رَعَـى اللهُ زَمَـانـاً سَلَفَـا ... بِـرُبُـوعِ الشَّـامِ وَقْـتَ الغَلَـسِ
فِيهِ وَقْتِي طَابَ مَعْ أَهْلِ الوَفَا ... وَكُـؤُوسَ الـوُدِّ فِيـهِ نَحْتَسِـي

دور

زَادَنِـي البُعْـدُ الأَلِيـمُ وَصَبَـا ... وَغَـرَامـاً كُنْـتُ عَنْـهُ فـي رِضَـا
وَلَهَـا الفُـؤَادُ مَـالَ وَصَبَـا ... رَاضِيـاً فـي حُكْمِـهِ وَمَـا قَضَـىٰ
أَنْشَـقُ النَّشْـرَ إِذَا هَبَّـتْ صَبَـا ... مِـنْ دِيَـارٍ بَـدْرُهَـا فيهَـا أَضَـا
لَسْـتُ أَبْغِـي مِـنْ سِـوَاهَـا خَلَفَـا ... لاَ وَلا ثَـوْبَ السُّلُـوِّ أَكْتَسِـي
كَيْـفَ أَنْسَـىٰ عَهْـدَ أَيَّـامِ الصَّفَـا ... وَزَمَـانـاً فِيـهِ حِبِّـي مُـؤْنِسِـي

دور

رَبْـرَبٌ رُبِّـيَ فـي وَادِي النَّقَـا ... أَحْـوَرُ الطَّـرْفِ أَغَـنُّ أَغْيَـدُ
شَمْـسُ حُسْـنٍ بِـالجَمَـالِ أَشْـرَقَـا ... مِنْـهُ ضـاءَ البَـدْرُ ثُـمَّ الفَـرْقَـدُ
فَـاقَ أَرْبَـابَ الجَمَـالِ رَوْنَقَـا ... وَهْـوَ مِـنْ بَيْـنِ النُّجُـومِ الأَسْعَـدُ
عِيـلَ صَبْـرِي مِـنْ جَفَـاهُ شَغَفَـا ... حِينَ سَارَ الوَجْدُ مَجْرَى النَّفَسِ
بِـتُّ فـي لَيْلِـي وَطَـرْفِـي مَـاغَفَـا ... وَكُـؤُوسَ الـوَجْـدِ فيـهِ أَحْتَسِـي

دور

ظَبْيَـةٌ مِـنْ آلِ غَسَّـانَ لَهَـا ... مَـرْتَـعٌ مـابَيْـنَ عِلْـمٍ وَأَدَبْ
مـا رَآهَـا نَـاسِـكٌ إِلاَّ لَهَـا ... لِلْجَـوَىٰ وَالـوَجْـدِ صَلَّـىٰ وَاقْتَـرَبْ

رفع المسيهم

وَبَنُـو بَلْقِيـسَ قَـالُـوا إِنَّهَـا ... في سَبَا قَدْ قَلَّدَتْ مَجْدَ العَرَبْ
آهِ لَـوْ كَـانَ زَمَـانِـي مُسْعِفَـا ... وَرِدَاءَ البُـرْءِ فِيـهِ أَكْتَسِـي
وَمَكَـانَ مَـرَضِـي حَـلَّ الشِّفَـا ... لَسَـرَيْـتُ نَحْـوَهَـا فـي الغَلَـسِ

دور

يـا رَعَـى اللهُ عُهُـودَ النَّيْـرَبَيْـنِ ... بَيْـنَ وَرْدٍ وَرِيَـاضٍ وَشَجَـرِ
مـاؤُهُ يَنْسَـابُ أَمْثَـالَ اللُّجَيـنِ ... فَـوْقَ حَصْبَـاءَ تَـلأْلأُ كَـالـدُّرَرْ
قَدْ سَمَا بالحُسْنِ أَعْلَى الشَّرَفَينْ ... وَعَلَـى الـرَّبْـوَةِ تَـاهَ وَافْتَخَـرْ
سَارَ فِيهِ البَسْطُ وَالقَبْضُ اخْتَفَى ... وَاكْتَسَـتْ أَرْجَـاؤُهُ مِـنْ سُنْـدُسِ
وَالـرَّقِيـبُ طَـرْفُـهُ لَمَّـا غَفَـا ... حَـدَّقَـتْ فِيـهِ عُيُـونُ النَّـرْجِـسِ

دور

ياعُيُونَ الغِيدِ فِي أَعْلَى الشَّرَفْ ... مِـنْ دِمَشْـقَ فِـي رِيَـاضٍ وَنَهَـرْ
لَحْظُـكِ الفَتَّـانُ قَلْبِـيَ اخْتَطَـفْ ... فَتَلَظَّـىٰ بَعْـدَ بُعْـدِي بِـالشَّـرَرْ
مَلِـكُ الجَمَـالِ بِـالحُسْـنِ اعْتَـرَفْ ... مَلَـكٌ أَنْـتَ وَمَـا أَنْـتَ بَشَـرْ
وَغُصَيْـنُ البَـانِ نَحْـوَكَ هَفَـا ... يَلْثَـمُ الأَقْـدَامَ كَـالمُخْتَلِـسِ
تَسْـرِقُ الأَغْصَـانُ مِنْـكَ الهَيَفَـا ... وَهْـيَ مِـنْ بَهْجَتِهَـا فـي عُـرُسِ

دور

فَمَتَـىٰ يَـا شَمْسُ نَحْظَـىٰ بِـاللِّقَـا ... وَيَعُـودُ شَمْلُنَـا مُجْتَمِعَـا
وَيَـذُودُ الجَفْـنُ عَنْـهُ الأَرَقَـا ... وَكُـؤُوسَ الـوُدِّ نُسْقَـىٰ جُـرَعَـا
وَظَـلاَمُ البُعْـدِ يَبْـدُو مُشْـرِقَـا ... نَجْمَـعُ الآدَابَ وَالعِلْـمَ مَعَـا
فَكَفَـانَـا مَـا نُقَـاسِيـهِ كَفَـىٰ ... فَـزَمَـانُ الـوُدِّ مِنَّـا مَـا نُسِـي

رفع المسيهم

لَيْلُنَـــا نَنْهَـــبُ مِنْـــهُ زُلَفَـــا وَالـرَّقِيـبُ مُمْعِـنٌ فـي الهَـوَسِ

دور

بَعْدَكَ القِرْطَاسُ صَارَ لِي نَدِيمْ فيـهِ أَلْهُـو عَـنْ هُيَـامِـي وَالقَلَـقْ
وَخَيَـالِـي فـي بَـوَادِيـهِ يَهِيـمْ فـي نَهَـارِي وَاللَّيَـالِـي فـي قَلَـقْ
بِشَـذَا الأَحْبَـابِ إِنْ جَـاءَ النَّسِيـمْ نَظَـمَ البُشْـرَىٰ لَـدَيَّ فِـي نَسَـقْ
وَأَتَـانِـي بِـالـوَفَـاءِ طُـرَفَـا تَتَهَـادَىٰ فـي أَعَـزِّ مَلْبَـسِ
وَتَبَـــدَّىٰ شَمْلُنَـــا مُـــؤْتَلِفَـــا وَزَمَـانُ البُعْـدِ عَنَّـا قَـدْ نُسِـي

(٤١٥)

وقُلْتُ سَانِحة : [من الكامل]

يَـا زَمَـنَ المَـأْمُـونِ عَـوْدُكَ أَحْمَـدُ طُـوبَـىٰ لأَنْفَـاسٍ بِـهِ تَتَـرَدَّدُ
قَـدْ كُنْـتَ رَبْـعَ العُلَمَـاءِ الحُكَمَـا فِـي كُـلِّ فَـنٍّ فَضْلُهُـمْ لا يُجْحَـدُ
دَارَ السَّلاَمِ كُنْتِ شَمْساً في الضَّحَىٰ كُـلُّ الأَنَـامِ بِفَضْلِهَـا تَسْتَـرْشِـدُ
وَالـوَقْـتُ زَاهٍ وَالسَّـلاَمُ زَاهِـرٌ وَالأُنْـسُ فِيـهِ وَالمَعَـايِـشُ تُحْمَـدُ
وَيَقُـولُ كُـلُّ مُهَـذَّبٍ فـي طَبعِـهِ بِـاللهِ يـا زَمَـنَ الصَّفَـا لا تَبْعُـدُ
قَدْ حَسَدَتْكَ الأَنْجُمُ الزُّهْرُ علىٰ تِلْـكَ المَعَـالِـي وَتَـلاهَـا الفَـرْقَـدُ
حَتَّـىٰ رُمِيـتَ بِـالتَّتَـارِ فَـأَصْبَحـتْ نُعْمَـاكَ بُـؤْسـاً وَالـرَّدى يَتَجـدَّدُ
وَالقَتْـلُ عَـمَّ السَّـاكِنِيـنَ بِـرَبْعِهَـا وَالعِلْـمُ بَـاكٍ عَيْنُـهُ لا تَجْمُـدُ
وَمِيَـاهُ دِجْلَـةَ بِـالـدِّمَـاءِ أَشْكَلَـتْ وَجُيُـوشُ أَهْـلِ الانْتِقَـامِ تُعَـرْبِـدُ
للهِ كَـمْ مِـنْ كُتُـبٍ قَـدْ أُغْـرِقَـتْ مِـنْ فَقْـدِهَـا لِلْعِلْـمِ طَـرْفٌ أَرْمَـدُ
فَمُصَابُ بَغْدَادَ لَهُ أَسِفَ الوَرَىٰ وَلِهَوْلِ مَا قَدْ حَلَّ يَبْكِي الْجَلْمَدُ

رفع المسيهم

مِـنْ بَعْـدِهِ الفِتَـنُ العَظِيمَـةُ أَقْبَلَـتْ ... وَسُيُـوفُ أَهْـلِ البَغْـيِ فِيهَـا تُـوقِـدُ
يادَهْرُ كَمْ مِنْ نَكْبَةٍ مِنْ أَجْلِهَا ... عَيْـنُ الحَكِيـمِ لِهَـوْلِهَـا لا تَـرْقُـدُ
والشَّامُ من تَيْمورَ قَدْ مُنِيَتْ بِما ... بصحـائِـفِ التَّـاريـخِ طُـرّاً تُسْـرَدُ
للهِ فـي هٰـذِي الخَلِيقَـةِ حِكْمَـةٌ ... تَـدَعُ المُهَـذَّبَ فِكْـرُهُ يَتَبَلَّـدُ

(٤١٦)

وقلت في واقعة حال: [من الكامل]

يَا شَمْسَ أَفْلاَكِ الجَمَالِ الزَّاهِرَهْ ... وَفَخَـارَ رَبَّـاتِ الـوُجُـوهِ السَّـافِـرَهْ
الشَّمْسُ أَجْمَلُ مَا تَكُونُ إِذَا بَدَتْ ... لِلْعَيْـنِ فِـي وَسَـطِ النَّهَـارِ ظَـاهِـرَهْ
إِنَّ التَّعَفُّـفَ فـي القُلُـوبِ مَكَـانُـهُ ... لا بِـالمُـلاءَةِ وَالبَـراقِـعِ سَـاتِـرَهْ
وَمَقَـالُ أَهْـلِ الإِفْـكِ لَـمْ تَعْبَـأْ بِـهِ ... نَفْسٌ لَهَا شَرَفُ العَفَافِ طَاهِرَهْ
لَـمْ يَـرْمِ بِـالفَحْشَـاءِ نَفْسـاً حُـرَّةً ... إِلاَّ حَسُـودٌ ذُو طِبَـاعٍ خَـاسِـرَهْ
مَـنْ قَـالَ إِنَّ المِسْـكَ لاَ رِيـحَ لَـهُ ... أَكْـذَبَـهُ فِـي الحَـالِ رِيـحٌ عَـاطِـرَهْ
لا تَـأْسَفِـي يَـا دُرَّةً مِـنْ إِفْكِهِـمْ ... أَنْتِ الفَرِيدَةُ في المَزَايَا الفَاخِرَهْ

(٤١٧)

وقلت مؤرخاً: [من الكامل]

بُشْـرَىٰ رَشِيـدٍ فـي كَمَـالِ سُعُـودِهِ ... وَلَـهُ الهَنَـا بِنَجَـابَـةِ مَـوْلُـودِهِ
بَدْرٌ بَدَا في أَسْعَدِ الأَوْقَاتِ قَدْ ... وَافَـىٰ كَعِطْـرِ النَّـدِّ طِيـبُ وُرُودِهِ
وَالـوَقْـتُ بَشَّـرَنَـا بِطِيـبِ وُرُودِهِ ... يَحْيَـا سَعِيـداً مُنْعَمـاً بِـوُجُـودِهِ
بِـالعِـزِّ وَالإِقْبَـالِ وافَـىٰ وَالثَّنَـا ... وَلَـهُ المُهَنِّـي قَـائِـلاً لِـرَشِيـدِهِ
بِنَصُـوحِ التَّـأْرِيـخُ (زَاهٍ لِلْعُـلا ... قَمَـرٌ تَكَـامَـلَ فـي سَمـاءِ سُعُـودِهِ)

رفع المسيهم

(٤١٨)

وقلتُ مُودِّعاً الدُّكتور حُسْني بك سَبَح لَمَّا سَافَر إلىٰ باريز : [من الكامل]

سَافَرْتَ يَا حُسْنِي بِأَيْمَنِ طَالِعٍ ... لِلْمَجْدِ تَسْتَصْفِي عُلُومَ المَغْرِبِ
وَتَعُودُ مِثْلَ الشَّمْسِ في أَوْجِ العُلاَ ... فَالشَّرْقُ يَرْقُبُ مِنْكَ أَهْنا مَطْلَبِ
نِلْتَ الفَخَارَ المُرْتَجَىٰ يَا شَرْقُ إِذْ ... أَوْجَدْتَ في أَهليكَ كُلَّ مُهَذَّبِ
وَلَسوْفَ في حُسْنِي جَمَالُكَ وَالهَنَا ... يَتَكَامَلانِ فَطِبْ بِأَعلىٰ كَوْكَبِ

(٤١٩)

وكتبتُ إلىٰ آنِسَةٍ مَسيحِيَّةٍ دَخَلَتْ مَدْرَسَةَ الطِّبِّ : [من الرمل]

أَبْشِـــرِي يـــادُرَّةَ الغَـــوَّاصِ إِذْ ... صِـرْتِ بِـالعِلْـمِ تُبَـاهِـي النُّجَبَـا
فَـاسْهَـرِي اللَّيْـلَ لإِدْرَاكِ العُـلا ... وَاجْعَلِـي المِـدرَاسَ أُمّـاً وَأَبـاً
إِنَّ فَـــنَّ الكِيمِيَـــاءِ زَاهِـــرٌ ... إِذْ غَـــدَا لـــلآنِسَـــاتِ نَسَبَـــا
فَـارْتَقِـي لِلطِّـبِّ وَانْحِـي نَحْـوَهُ ... فَهْـوَ أَرْقَـىٰ وَأَجَـلُّ حَسَبَـا
إِنَّـــهُ لـــلآنِسَـــاتِ شَـــرَفٌ ... وَعَلَيْهِـــمْ دَرْسُـــهُ قَـــدْ وَجَبَـــا

(٤٢٠)

وقلتُ أَيضاً في شكوى الزمان : [من البسيط]

قَضَّيْتُ عُمْرِيَ في جَهْدٍ وَفي تَعَبٍ ... وَما حَصَلْتُ بِهِ يَوْماً عَلَىٰ أَمَلِ
وَعِشْتُ مُنْفَرِداً في كِسْرِ مَدْرَسَتِي ... كُتْبِي نَدِيمِيَ في حِلِّي وَمُرْتَحَلِي
مَنْ يَأْخُذُ العِلْمَ عَنِّي صَارَ يَحْسُدُني ... وَيَبْتَغِي فُرْصَةً لِلسَّعْي في فَشَلِي
يَطْوِي المَحَاسِنَ وَالزَّلاَّتُ يَنْشُرُهَا ... إِنْ غَابَ عَنِّي سَعَىٰ بالكَيْدِ والحِيَلِ

رفع المسيهم

يُسَدِّدُ السَّهْمَ كَيْ يَرْمِي بِهِ شَرَفي كَـأَنَّـهُ مِـنْ رُمَـاةٍ مِـنْ بَنِـي ثُعَـلِ
فاللهُ حَسْبِي عَلَىٰ هٰذا الزَّمانِ فَقَدْ حَلَبْتُ شَطْرَيْهِ مِنْ صَابٍ بِلا عَسَلِ

(٤٢١)

وقلتُ أَيضاً: [من مجزوء الكامل]

سُبْحَـانَ مَـنْ قَسَـمَ الحُظُـو ظَ بِحُكْمِـهِ بَيْـنَ البَشَـرْ
هٰـذَا غَنِـيٌّ مُكْـرَمٌ وَذَا فَقِيـرٌ مُحْتَقَـرْ
وَجَـاهِـلٌ مُعَـزَّزٌ وَعَـالِـمٌ فيـهِ احْتَقَـرْ
يُمْسِـي بِـلا مَـأْوًى وفـي حَيَـاتِـهِ عَلَـىٰ خَطَـرْ

(٤٢٢)

وقلت: [من مجزوء الكامل]

إِنَّ بِـلاَدًا طَبْعُهَـا بُغْـضُ العُلُـومِ وَأَهْلِهـا
هَيْهَـاتَ أَنْ تَـرقَـى وأَ نَّ الـدَّهْـرَ يَجْمَـعُ شَمْلَهـا

(٤٢٣)

وقلتُ: [من مجزوء الرجز]

وَغَـادَةٍ تَسْـأَلُنِـي مَـاالجَبْـرُ مِـنْ فَـنَّ الحِسـاب
فَقُلْـتُ يـا كُـلَّ المُنـىٰ أَنْ تَـرْفَعِـي عَنَّـا الحِجـابْ

(٤٢٤)

[وقلت]: [من الرجز]

أَصْعَـبُ مَـا لَقِيتُـهُ فـي مَـرَضِـي مُطْـلُ الَّـذِي يَعُـودُنِـي فِيمَـا أُرِيـدْ
يَخْـرُجُ عَنِّـي وَهْـوَ يُضْمِـرُ الجَفَـا والانتِظَارُ قَالَ لِي هَلْ مِنْ مَزِيدْ

رفع المسيهم

(٤٢٥)

أيضاً: [من المحدث]

نَفْسِي سَئِمَتْ فِي المُسْتَشْفَىٰ ... والحَقُّ لَهَا فِي أَنْ تَسْأَمْ
مَنْ يَدْخُلْهُ لَيْسَ يَشْفَىٰ ... ومِنَ الخُدَّامِ يَتَأَلَّمْ
سَعِدَتْ أَيَّامُ تَارِكِه ... وَإِلَى اللهِ البَارِي سَلَّمْ

(٤٢٦)

وقلتُ: [من الرمل]

يَا صَبَاحاً كَانَ فِيهِ مَرضِي ... هَلْ أَرَىٰ فِيكَ الشِّفَاءَ زَائِري
قَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَوِدَّائِي الجَفَا ... وَلَهُمْ تَمَلُّقٌ فِي الظَّاهِرِ

(٤٢٧)

وقلتُ علىٰ لِسَانِ الحَيَوانَات: [من الرمل]

جاءَ قَوْمٌ غَابَ ضِرْغَامٍ ضُحَى ... يَقْطِفُونَ ثَمَرَاتِ الشَّجَرِ
وَظِلَالُ الدَّوْحِ فِيهِ انْبَسَطَتْ ... وَبِهِ راقَتْ مِيَاهُ النَّهَرِ
وشَذَا الأَزْهَارِ يَحْكِي لَهُمُ ... نَفْحَةَ المِسْكِ وَطِيبَ العَنْبَرِ
فَرَآهُمْ أَسَدُ الغَابِ بِهِ ... فَأَزالَ ما بِهِ مِنْ ضَجَرْ
أَظْهَرَ النَّوْمَ لَهُمْ مِنْ كَرَمٍ ... كَيْ يَأْمَنُوا مِنْهُ مَكَانَ الضَّرَرِ
وَتَلَهَّىٰ كَيْ يُرِيهِمْ أَنَّهُ ... كَانَ يَشْكُو مِنْ عَنَاءِ السَّهَرِ
كُلُّ شَيْءٍ قَدْ جَرَىٰ ... لِي لَيْسَ بِالأَمْرِ الْغَرِيبِ
هَكَذا الدَّهْرُ يُعَادِي ... كُلَّ مِقْدَامٍ لَبِيبِ

رفع المسيهم

طَمِعَ القَوْمُ بِهِ فَارْتَكَبُوا ... فِي الفِعَالِ سَيِّئَاتِ المُفْتَرِي
وَأَتَوْهُ وَاسْتَحَلُّوا ضَرْبَهُ ... وهْوَ يُبْدِي أَنَّهُ لَمْ يَشْعُرِ
فَأَسَالُوا دَمَهُ مِنْ رَأْسِهِ ... فَبَدَا الجِسْمُ بِلَوْنٍ أَحْمَرِ
وَمَضَوْا عَنْهُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ ... قَدْ أَتَوْا فِعْلاً حَمِيدَ الأَثَرِ
صَبَرَ اللَّيْثُ زَمَاناً فَبَرَا ... وَمَضَىٰ عَنْهُ زَمَانُ الخَطَرِ
وَغَدَا يَخْطِرُ فِي بُسْتَانِهِ ... فِي عُيُونٍ قَدْ رَمَتْ بِالشَّرَرِ
فَأَتَاهُ القَوْمُ فِي أَعْذَارِهِمْ ... يَرْتَجُونَ العَفْوَ مِنْ مُقْتَدِرِ
قَالَ إِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمُ ... إِنَّمَا الغَدْرُ طِبَاعُ البَشَرِ
وَجِوَارُ الوَحْشِ أَهْنَا مَوْرِدَا ... مِنْ جِوَارٍ فَاسِدٍ فِي نَظَرِي
فَاسِدُ الأَخْلاَقِ لاَ تَأْمَنْ لَهُ ... وَاحْتَرِسْ مِنْهُ بِحِصْنِ الحَذَرِ
لَيْسَ يُرْمَىٰ بِالحِجَارَةِ سِوَىٰ ... شَجَرٍ قَدْ أَيْنَعَتْ بِالثَّمَرِ
كُلَّمَا هَذَّبْتَ فَدْماً فَاسِداً ... عَادَ فِي ؟؟؟ كَالحَجَرِ
طِينَةُ النَّاسِ اللِّئَامِ عُجِنَتْ ... بِمِيَاهِ مَكْرِهِمْ وَالبَطَرِ
وَانْثَنَى الضَّيْغَمُ عَنْهُمْ قَائِلاً ... لَيْتَكُمْ كُنْتُمْ رَهِينَ الحُفَرِ

(٤٢٨)

وقلت موشحاً في واقعة حال: [من الرمل]

لازمة

كَانَتِ المَرْأَةُ فِي رَوْضٍ نَضِيرْ ... وَمُحَيَّاهَا البَدِيعُ مُسْفِرُ
فَاحَ مِنْ أَزْهَارِهِ نَفْحُ العَبِيرْ ... وَهْيَ فِي كُتْبِ الفُنُونِ تَنْظُرُ

دور

فَأَتَىٰ شَيْخٌ إِلَيْهَا نَاصِحَا ... بِعُيُونٍ حَمْلَقَتْ بِالنَّظَرِ

(فِكْرُكِ ضَلَّ في العُلُومِ سابِحَا) إِنَّ فـي فِعْلِـكِ عَيْـنَ الضَّـرَرِ
قـالَ إِنِّـي لَـمْ أَكُـنْ مُسَـامِحَـا كَشْـفَ وَجْـهٍ ذِي جَمَـالٍ أَزْهَـرِ
إِنَّمَـا المَـرأَةُ عَقْلُهَـا قَصِيـرْ هٰكَـذا عَنْهـا الثِّقَـاتُ أَخْبَـرُوا
فـي قَـوَامٍ فَـاتِـنٍ حِيـنَ تَسِيـرْ عَـنْ مُـرَادِ النَّفْـسِ لَيْـسَ تَصبـر

دور

قَـالَـتِ الغَـادَةُ أَيُّهَـا المُلِيـمْ أَنْـتَ مِـنْ آلِ سَبَـا أَمْ آلِ هُـودْ
قَـدْ سَلَبْنَـا اللُّـبَّ مِـنْ كُـلِّ حَلِيـمْ بِـذَكَـاءٍ لا يُـرَىٰ فِيـهِ جُمُـودْ
وَمَلَكْنَـا مِـنْ دَهَـائِنَـا الحَكِيـمْ فَـأَنْتُـمُ بـالأَسْـرِ مِنَّـا فـي قُيُـودْ
يا تُرَىٰ مَنْ هُوَ في عَقْلٍ يَسِيرْ نَحْـنُ أَمْ أَنْتُـمْ أَلا فَـاعْتَبِـرُوا
حَكِّمُـوا عُقُـولَكُـمْ فِيمَـا يَصِيـرْ وَارْجِعُـوا عَـنْ غَيِّكُـمْ وَازْدَجِـرُوا

دور

بَيْتُنَـا مَـدْرَسَـةٌ طُـوبَـىٰ لَهَـا إِنْ تَكُـنْ مَعْمُـورَةً بِعِلْمِنَـا
جَهْلُنَـا أَوْلادَنَـا يُـذِلُّهَـا ونَـرَىٰ شَقَـاءَهُـم مِـنْ ظُلْمِنَـا
يَـا جَهُـولاً عَـنْ عُلُـومٍ قَـدْ نَهَـىٰ غَـادَةً تَـرْجُـو نَجَـاحَ قَـوْمِنَـا
أَنْتَ في غَيٍّ وفي سُوءِ المَصِيرْ وَحَقُـودٌ وأَذانَـا تُضْمِـرُ
لَسْـتَ فـي شَـأْنِ الـزَّمَـانِ بِخَبِيـرْ لِلنَّصُـوحِ عَقْلُـكَ يَفْتَقِـرُ

دور

كَشْفِـيَ الـوَجْـهَ وَسَتْـرُهُ سَـوَاءْ إِنْ أَكُـنْ عَفِيفَـةً مُهَـذَّبَـهْ
عَقْلُ مَنْ كَانَتْ بِجَهْلٍ كالهَبَاءْ أَسْفَـرَتْ أَوْ أَصْبَحَـتْ مُحْتَجِبَـهْ
يَعْشَـقُ النَّـاظِـرُ مـا يُخفِي الغِطَـاءْ والظُّهُـورُ لِلمَـلالِ مُقـرِبَـهْ
إِنَّنِـي أُنْثَـىٰ فَحَسِّـنْ يَـا سَمِيـرْ لِـي عُلُـومِـي فَبِهَـا أَسْتَتِـرُ

رفع المسيهم

وَغِطَاءُ الوَجْهِ لا يُجْدِي نَقِيرْ عَنْ فَتَاةٍ جَهْلُهَا مُسْتَكْثِرُ

دور

بُهِتَ الشَّيْخُ وَغَشَّاهُ الخَجَلْ وثَنَىٰ عِطْفَيهِ تِيهاً ثُمَّ قَالْ
إِنَّمَا الغَادَاتُ أَتْقَنَّ الجَدَلْ قَوْلُهُنَّ يَسْلُبُ عَقْلَ الرِّجَالْ
لَيْسَ عِنْدِي مِنْ جَوَابٍ بِالعَجَلْ أَسبُرُ الإِسْفَارَ في جُنْحِ اللَّيَالْ
وَأَرِيكِ النَّصَّ كالبَدْرِ المُنيرْ وإِلَيْكِ بِالجَوابِ أُحْضِرُ
وَتَوَلَّىٰ والفُؤَادُ في سَعِيرْ قَائِلاً سِحْرُ الفَتَاةِ يُؤْثَرُ

(٤٢٩)

وقلت: [من مجزوء الرجز]

كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مُسْفِرَهْ أَعَفَّ مِنْ مُحْتَجِبَهْ
آدَابُ تِلْكَ مُثْمِرَهْ وَهٰذِهِ كالعَقْرَبَهْ
جَهْلُ ذَوَاتِ الأَسْوِرَهْ أَصْلُ البَلا والمَتْرَبَهْ
بَيْتُ الرِّجَالِ دَمَّرَهْ بِنْتُ الدَّلالِ المُعْجَبَهْ
تَسْتُرُهُنَّ حِبَرَهْ لِلْمُوبِقَاتِ مجْلِبَهْ
وَالجَاهِلاتُ مُحْضِرَهْ مِنَ الفَسَادِ أَغْرَبَهْ
فَالجَاهِلُ مَا أَفْقَرَهُ لِلْعَقْلِ قَبْلَ التَّجْرِبَهْ

(٤٣٠)

وقلت: [من مجزوء الرجز]

لَيْتَ شُعَاعَ «رَنْتِكِن» سَارَ مَسِيرَ الارْتِقَا
لِيَكْشِفَ السِّرَّ المُخَبَّـ ـا فِي صُدُورِ الأَصْدِقَا

(٤٣١)

وقلت: [من الرجز]

الفَـالُ والـزَّجْـرُ وَفَـنُّ الطِّيَـرَهْ أَقْـوَالُ قَـوْمٍ مِنْهُـمُ مُبْتَكَـرَهْ
لِيَسْحَـرُوا الغِـرَّ الضَّعِيـفَ عَقْلُـهُ وَيخْـدَعُـوهُ كَخِـدَاعِ السَّحَـرَهْ
مَـا صَـدَّقَ التَّنْجِيـمَ إِلاَّ أَبْلَـهٌ مِـنْ رِجَـالٍ جَـاهِلِيـنَ أَوْ مَـرَهْ
مَـنْ يَعْتَقِـدْ أَنَّ الخُـرَافَـاتِ لَهـا أَصْـلٌ أَصِيـلٌ فَهْـوَ مِثْـلُ البَقَـرَهْ
كُنْ طَالِبَ العِلْمِ الصَّحيحِ وَانْحُهُ كَيْـلاَ تَكُـونَ لِلْحَكِيـمِ مَسْخَـرَهْ

(٤٣٢)

وقلتُ: [من الرمل]

قَـدَّرَ اللهُ وَمَـاشَـاءَ فَعَـلْ لَيْـسَ هٰـذَا مِـنْ أَفَـاعِيـلِ زُحَـلْ
لا تَقُـلْ لَـوْ أَنَّنِـي أَوْ لَيْتَنِـي فَهْـوَ مِنْـهُ لِلشَّيَـاطِيـنِ محَـلْ
إِنْ تَثِـقْ بِـاللهِ فِـي دَاءٍ أَتَـىٰ عَـنْ قَـرِيـبٍ تَجِـدِ الـدَّاءَ رَحَـلْ

(٤٣٣)

وقلتُ في شَكْوَى الزَّمَان: [من الرمل]

لا تَلُـمْ رَسُـولَـكَ فِـي بُطْئِـهِ وَلُـمِ الحَـظَّ وَأَفْعَـالَ الـزَّمَـنْ
دَهْـرُنَـا دَهْـرُ الغَبِـيِّ الجَـاهِـلِ وَالعَلِيـمُ صَـارَ مِنْـهُ فِـي مِحَـنْ
حِكْمَـةٌ لَـمْ نَـدْرِ مَـا أَسْبَـابُهَـا حَيَّـرَتْ أَهْـلَ العُقُـولِ وَالفِطَـنْ

رفع المسيهم

(٤٣٤)

وقلت: [من البسيط]

يُقَالُ بِالجِدِّ يَبْغِي المَرْءُ حَاجَتَهُ ... وَإِنْ تَكَاسَلَ لَمْ يُدْرِكْ لَهَا أَثَرا

لِي حَاجَةٌ بِالمَسَاعِي كُنْتُ أَطْلُبُهَا ... دَهْراً طَوِيلاً وَلا أُلْفِي لَها خَبَرَا

(٤٣٥)

وقلْتُ: [مجزوء الرمل]

رَبَّـــةُ الحُسْـــنِ سَبَتْنَـــا ... بِـــاللِّحَـــاظِ الجُـــؤْذُرِيَّـــهْ

شَـــارَكَـــتْ أَهْـــلَ العُلُـــومِ ... بِـــالفُنُـــونِ الصَّيْـــدَلِيَّـــهْ

(٤٣٦)

أيضاً: [من مجزوء الرمل]

يـــا ذَوَاتِ الخِـــدْرِ هُبُّـــوا ... لِلعُلُـــومِ وَاطْلُبُـــوهَـــا

نَسْلُكُـــمْ يَـــزْدَادُ نُبْـــلاً ... وَعَلَـــى الجُهَّـــالِ تِيهَـــا

إِنَّمَـــا الغَـــادَاتُ رُكْـــنٌ ... فِـــي البُيُـــوتِ عَمِّـــرُوهَـــا

يـــا مَصَـــابِيـــحَ الـــدِّيَـــارِ ... اِحْـــذَرُوا أَنْ تُطْفِئُـــوهـــا

مـــانِـــعُ التَّعْلِيـــمِ عَنْكُـــمْ ... جَـــاهِـــلٌ يُمْسِـــي سَفِيهَـــا

(٤٣٧)

وقلت: [من الكامل]

فَلْسَفَـةُ اليُـونَـانِ قَـدْ هَـذَّبَهَـا ... قَـوْمٌ وَجَـاءَ غَيْـرُهُـمْ بِفَلْسَفَـهْ

وَالكُـلُّ حَيَّـرَ فِكْـرَهُـمْ وَقُلُـوبَهُـمْ ... دَهْـرٌ خَـؤُونٌ ذُو دَهَـاءٍ وَسَفَـهْ

رفع المسيهم

(٤٣٨)

أَيضاً: [من الرمل]

كُلُّنَـــا مُتَّبِـــعٌ أَهْـــوَاءَه ... يَجْـذِبُ الشَّـرْعَ إِلـىٰ مُـرَادِهِ
فَـاليَهُـودُ حَـرَّفَـتْ تَـوْرَاتَهـا ... وَسِـوَاهُـمْ ضَـلَّ فـي إِلْحَـادِهِ
وَالحَنِيفِـيُّ غَـدَا مُـؤَوِّلاً ... شَـرْعَـهُ فَحَـادَ عَـنْ رَشَـادِهِ
فَـالـزمـوا كِتَـابَ رَبٍّ قَـادرٍ ... واتْـرُكُـوا المُحْتَـالَ فـي عِنَـادِهِ

(٤٣٩)

وقلت أيضاً: [من الوافر]

مُحَيَّـا النَّـاسِ لِلْفَطِـنِ الأَرِيـبِ ... يَشِـفُّ عَـنِ المُخبَّـا فـي القُلُـوبِ
فَكَـمْ فـي اللَّحْـظِ مِـنْ سِرٍّ دَقِيـقٍ ... يُجَلِّـي مـا تَسَتَّـرَ عَـنْ قَـرِيـبِ
وَلِلْقَلْـبِ إِلـى القَلْـبِ اتِّصَـالٌ ... بِـهِ يَـأْتِيـكَ بِـالأَمْـرِ العَجِيـبِ
مَـدَارِكُـهُ تَسَـامَـتْ فـي سَنَـاهَـا ... وَنُـورُ العَقْـلِ كَشَّـافُ الغُيُـوبِ
فَنَفْسُـكَ أَعْجَـبُ الأَشْيَـاءِ يَـا مَـنْ ... يُـرِيـدُ الكَشْـفَ عَـنْ سِرٍّ غَـرِيـبِ

(٤٤٠)

ولَمَّا كَان قَبْرُ الإِمَامِ أحمدَ بْن تيميَّةَ في بُستانِ المُسْتَشفىٰ، وكَانَ قَرِيباً مِنِّي لَمَّا كُنْتُ فيه، تَذَكَّرتُ هٰذا الجِوارَ، فَقُلت: [من مجزوء الرمل]

ابْـــنُ تَيْمِيَّـــةَ جَـــارِي ... وَأَنَـــا مِنْـــهُ قَـــرِيـــبْ
كُتْبُـــهُ قَـــدْ أَبْعَـــدُوهَـــا ... عَنْـــهُ فَـــالأَمْـــرُ عَجِيـــبْ
قَـــامَ فـــي سِجْـــنِ الأَعَـــادِي ... مُفْـــرَداً عَـــنِ القَـــرِيـــبْ

رفع المسيهم

يَشْتَكِـــي مِـــنْ ظُلْمِهِـــمْ حِينـــاً وَلا ثَـــمَّ مُجِيـــبْ
وَإذا سِجْنِـــيَ دَائِـــي فِيـــهِ قَـــدْ حَـــارَ الطَّبِيـــبْ
وَالأَخِـــلاَّءُ جَفَـــوْنِـــي مُمْعِنِيـــنَ فـــي المَغِيـــبْ
لا كِتَـــابَ اليَـــوْمَ عِنْـــدِي لا ولا خِـــلٌّ أَرِيـــبْ
كُـــلُّ شَـــيءٍ قَـــدْ جَـــرَىٰ لـــي لَيْـــسَ بـــالأَمْـــرِ الغَـــرِيـــب
هَكَـــذا الـــدَّهْـــرُ يُعَـــادِي كُـــلَّ مِقْـــدَامٍ لَبِيـــبْ

(٤٤١)

وقُلتُ مُهَنِّئاً رئيسَ الأَطِبَّاءِ رضَا بك سَعيد بوِزَارةِ المَعَارِف بدَوْلَة سُورِية: [من الكامل]

بُشْرَىٰ لَنا إِذْ مَجْدُنَا الزَّاهِي سَمَا وَهَـزَارُ رَوْضِ العِلْـمِ فِيـهِ تَـرَنَّمَـا
وَبَـدَا لِسُـورِيّـا الجَمَـالُ بِمَظْهَـرٍ بَهَـرَ النَّـواظِـرَ واستطَـالَ الأَنْجُمـا
للهِ دَرُّكَ يـــا زمـــانَ السَّعـــدِ إِذْ بـرضـا سَعيـدٍ جُـدْتَ فيـهِ تكـرُّمَـا
هُوَ شَمْسُنَا وَكَواكَبُ العُلَمَا بِهِ طَـافَـتْ فَـأَصْبَـحَ نُـورُهُـنَّ مُتَمَّمَـا
وَالمَعْهَـدُ الطِّبِّـيُّ حَـازَ مَفَـاخِـراً بِـرَئِيسِـهِ وَعَلـى السِّمَـاكَيْـنِ سَمَـا
أَضْحَى المُشَارَ إِلَيْهِ ما بَيْنَ المَلا وَعَلـى المَعَـاهِـدِ كُلِّهِـنَّ تَقَـدَّمَـا
وَالمَجْمَـعُ السُّـوريُّ جَمَّـعَ شَمْلَـهُ وإِلَيْـكَ يـا زَيْـنَ المَحَـافِـلِ سَلَّمَـا
بِالجَاذِبِيَّةِ قَدْ حَكَمْتَ عَلَى الفَضَا ئِلِ فاسْتَجَابَتْ نَحوَ ذَيَّاكَ الحِمَىٰ
وَلَـكَ المَعَـارِفُ أَصْبَحَـتْ مُنْقَـادَةً والثَّغْـرُ مِنْهـا قَـدْ غَـدَا مُتَبَسِّمَـا
خَطَبَتْ وِدَادَكَ فاسْتَجَبْتَ لَها ولَمْ تَتْـرُكْ حِمَـاهَـا هَـائِمـاً مُتَـأَلِّمَـا
فَتَفَاخَرَتْ إِذْ صِرْتَ أَنْتَ وَزِيرَها والبَـأْسُ [مِنْهـا] قَـدْ تَبَـدَّلَ أَنْعُمَـا

رفع المسيهم

يَا قُطْبَ دَائِرَةِ الكَمَالِ وَمَنْ لَهُ ... أَسْنَى المَحَامِدِ والكَمَالاتِ انْتَمَىٰ
إِنَّ المَعَارِفَ وُحِّدَتْ لِوَحِيدِهَا ... فَبَدَا بِهِ عِقْدُ الجَمَالِ مُنَظَّمَا
لا زِلْتَ مَشْكُوراً وَمَدْحُكَ لَمْ يَزَلْ ... يُتْلَىٰ عَلَىٰ طُولِ الزَّمَانِ مُعَظَّمَا
لَمَّا تَسَامَى المَعْهَدُ الطِّبِّي بِكُمْ ... طَلَبَتْ مَعَارِفُنا الشِّفَاءَ مِنَ الظَّما
فَأَجبتَ طِلْبَتَهَا فَحُقَّ لَهَا الهَنَا ... وَلِسَانُهَا عَنْ كُلِّ مَدْحٍ تَرْجَمَا
والسَّعْدُ بَشَّرَ أَرَّخَتْ (أَيَّامُهُ ... شيَّدْتَ رُكْناً لِلعُلاَ لَنْ يُهْدَمَا)

(١٣٤٣)

(٤٤٢)

وقلت أيضاً مؤرِّخاً: [من الكامل]

آيَاتُ مَجْدِكَ قَدْ حَلاَ تَحْبِيرُهَا ... وَعَبِيرُ مَدْحِكَ لِلعَلاَءِ سُرُورُهَا
أَمُثَلَّثَ النَّعَمَاءِ دامَ لَنَا الهنا ... إِذْ أَنْتَ عَيْنُ أُولي العُلُومِ ونُورُها
وَبِكَ المَعَارِفُ بالفَخَارِ تَتَوَّجَتْ ... وأَتَىٰ بِإِعْلاَنِ السُّرُورِ بَشِيرُهَا
مِرْآةُ فِكْرِكَ بالمُخَبَّا أَخْبَرَتْ ... كَالرَّادْيُومِ وزَادَ عَنْهُ نُورُها
والسَّعْدُ في الإِقْبَالِ أَرِّخْهُ (وَيَا ... فَرَحَ المَعَارِفِ حَيْثُ أَنْتَ وَزِيرُهَا)

(١٩٢٥)

(٤٤٣)

وقُلتُ في نَافِع أَفَنْدي الحَرِيري الحَلَبِيّ، وكانَ طَبيبي يُدَاوِيني:

[من مجزوء الرمل]

إِنْ تَكُنْ [تبغي] شِفَاء ... مِنْ دَوَاءٍ هُوَ نَافِعْ
فَاتَّخِذْ قَوْلِيَ نُصْحاً ... واقْصِدِ الدُّكْتُورَ نَافِعْ

رفع المسيهم

(٤٤٤)

وقلتُ: [من مجزوء الكامل]

مُـــدَبِّـــرَ الجِسْـــمِ لَقَـــدْ عَجَـــزْتَ عَـــنْ تَـــدْبِيـــرِهِ
وَاليَـــأْسُ قَـــدْ خَـــامَـــرَنِـــي وَالظَّـــنُّ فِـــي تَحْيِيـــرِهِ
فَـــلاَ أُبَـــالِـــي بَعْـــدَ ذَا بِمَغِيبِـــــهِ وَحُضـــــورِهِ

(٤٤٥)

وقلتُ: [من الرمل]

مَلَكَتْ قُلُوبَ العَاشِقِينَ لِحَاظُها وَلِكُـلِّ نَفْـسٍ لا تَـزالُ عَـزِيـزَهْ
إِنْ قِيلَ مَنْ هَارُوتُ أَبْطَلَ سِحْرَهُ سِحْرُ العُيُونِ النُّجْلِ قُلْتُ عَزِيزَهْ

(٤٤٦)

وقلتُ: [من الرمل]

غَـادَةٌ قَـدْ أَسَـرَتْ عُقُـولَنَـا حُسْنُهَـا يَـزْدَادُ فـي كُـلِّ صَبِيحَـهْ
أَقْبَلَـتْ فـي جِيـدِ غِـزْلاَنِ النَّقَـا وجَبِيـنٍ فَـوْقَ وَجْنَـاتِ صَبِيحَـهْ
قُلْـتُ مـا الإِسـمُ أَيَـا ذَاتَ البَهَـا والعُيُونِ النُّجْلِ قالَتْ لِي صَبِيحَهْ

(٤٤٧)

بَلَغَنِي أَنَّ الشَّيخَ أحمدَ السَّنوسِي نَزَلَ ضَيفاً في دَارِ الأَميرِ سَعيد الجَزَائِرِيِّ، فَلَمْ أستَطِعْ الذَّهَابَ إِلَيهِ، فَكَتَبْتُ لَه هٰذِهِ الأَبياتَ لِيَنُوبَ عَنِّي في الزِّيَارَة فقلتُ: [من الكامل]

لا زِلْـتَ يـا نُـزُلَ الكِـرَامِ سَعِيـدا بـالسَّعْـدِ تَسْمُـو إِذْ تَضُـمُّ سَعِيـدا

رفع المسيهم

وَبِكَ المَكارِمُ والشَّهَامَةُ وَالنَّدى ... وجميلُ فِعْلٍ لَمْ يَزَلْ مَحْمُودَا

أَكْرِمْ بِشَهْمٍ مَاجِدٍ مُتَفَضِّلٍ ... قَدْ طَابَ أَصْلاً ظَاهِراً وَجُدُودَا

ذُو هِمَّةٍ عَلْيَاءَ لا تَدْرِي الوَنَىٰ ... رَفَعَتْ لَهُ في الخَافِقَيْنِ بُنُودَا

سَعِدَتْ مَطَالِعُ سَعْدِهِ فيْ بُرْجِها ... لِيَكِيدَ ضِدّاً خَامِلاً وَحَسُودَا

فَهُوَ السَّعِيدُ على الدَّوَامِ وَضِدُّهُ ... يُسْقَى المَذَلَّةَ خَاسِئاً مَطْرُودَا

بَطَلٌ إذا لَقِيَ الكُمَاةَ عَنَتْ لَهُ ... شُمُّ الأُنُوفِ وَفَتَّتَ الجُلْمُودَا

يَرمِي الغُيُوبَ بِصَائِبَاتِ فِكْرِهِ ... وَيَرَى المُخَبَّأَ حَاضِراً مَشْهُودَا

وَمُوَفَّقٌ فَإذا أَرَادَ قَضِيَّةً ... مَهَّدَ الإِلَهُ سَبِيلَهَا تَمْهِيدَا

حَفِظَ الكَرِيمُ لَنَا السَّعِيدَ بِفَضْلِهِ ... وَأَدَامَ وِرْدَ نَوَالِهِ مَوْرُودَا

(٤٤٨)

وقلتُ مُوَدِّعاً رَئِيسَةَ المُسْتَشْفىٰ : [من مجزوء الرمل]

شَمْسُنَا الشَّمْسُ المُضِيَّهْ ... «فيلُومينا»اليَازِجِيَّهْ

مُذْ بَعُدْنَا عَنْ حِمَاهَا ... صُبْحُنَا أَضْحَىٰ عَشِيَّهْ

فَافْتَرَقْنَا في قُلُوبٍ ... جَامِعَاتٍ بالسَّوِيَّهْ

رُوحُهَا رُوحُ عَفَافٍ ... حَسُنَتْ مِنْهَا الطَّوِيَّهْ

أَلِفَتْ رُوحِي حِمَاهَا ... وَبِهِ صَارَتْ شَجِيَّهْ

إِنْ تَرُمْ تَرْكَ وِدَادِي ... وَلَهَا فِي ذَاكَ نِيَّهْ

فَأَنَا قَيْسُ هَوَاهَا ... وَهْيَ لَيْلَى العَامِرِيَّهْ

سَاعَةُ التَّوْدِيعِ حَانَتْ ... ولَهَا النَّفْسُ أَبِيَّهْ

لَيْسَ ذَاكَ بِاخْتِيَارِي ... بَلْ بَدَا عَكْسَ القَضِيَّهْ

رفع المسيهم

فَـاذْكُـرِينِـي يَـاحَيَـاتِـي وَاجْعَلِـي النَّفْـسَ رَضِيَّـهْ
عَـلَّ أَيَّـامَ الفِـرَاقِ بِـاللِّقَـا عَـادَتْ بَهِيَّـهْ
وَأَتَـىٰ دَائِـي شِفَـاءٌ مُـذْهِـبٌ عَنِّـي البَلِيَّـهْ
وَخَلُصْـتُ مِـنْ أَذَاهُ بِـرِيَـاضٍ عَبْهَـرِيَّـهْ
عِنْـدَهَـا نَقْضِـي حُقُـوقـاً وَجَبَـتْ لِـي بِـالسَّجِيَّـهْ
يَـا نَسِيـمَ الفَجْـرِ حَيِّـي بِـالنُّسَيْمَـاتِ الشَّـذِيَّـهْ
مَعْهَـدَ الأَحْبَـابِ وَاقْـرَأْ فِيـهِ أَصْنَـافَ التَّحِيَّـهْ
إِنَّنِـي بِـالـرَّغْـمِ عَنِّـي صِـرْتُ فِـي أَرْضٍ قَصِيَّـهْ
وَخَيَـالُ الحِـبِّ أُنْسِـي وَالمَـزَايَـا العَبْقَـرِيَّـهْ
أَنَـا لا أَبْغِـي سِـوَاهَـا إِنْ تَكُـنْ عَنِّـي غَنِيَّـهْ
كَيْـفَ لا أَهْـوَىٰ فَتَـاةً بِـالـذَّكَـاءِ أَلْمَعِيَّـهْ

هٰذا آخِرُ ما أَتَمَمْتُ نَظْمَه في المُسْتَشفَىٰ، وكَتبتُهُ بِيدِيَ اليُسرىٰ، والحَمْدُ للهِ عَلىٰ كُلِّ حَال[1].

❑ ❑ ❑

(١) يقول محقق الكتاب **نور الدين بن صلاح الدين طالب**: فرغتُ من النظر الأخير فيه صباح الاثنين السابع عشر من شهر ذي الحجةِ الحرامِ سنةَ ست وعشرين وأربعمئة وألف، في منزلي بمدينة «**دَومة**» الزاهرة، موطن صاحب هذا الديوان الإمام عبد القادر بن بدران، رحمه الله وغفر له ورفع درجته في المهديين، وتقبل منا عملنا وجعله خالصاً لوجهه الكريم، وكان البدء في تحقيقه في أوائل سنة أربع وعشرين وأربعمئة وألف، تخللته مشاريعٌ وأسفار وأمراض، أسأل الله أن يجعلها في سبيله، وخدمة لدينه وسنة نبيه ولغة كتابه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رفع المسيهما

الفهارس العامة

أولاً : فهرس الأعلام

ثانياً : فهرس الأماكن

ثالثاً : فهرس القوافي

رابعاً : فهرس الموضوعات

رفع المسيهما

أولاً: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
إبراهيم باشا	١٣٢
إبراهيم	٦١
ابن السبكي	١٣٥
ابن الصبابة يكنى بـ«الظبائي»	٩٨
ابن العربي	١٩٨
ابن بدر الدين	١٨٧
ابن بدران	٦٢، ٧٨، ١٠١، ١٦٠، ١١٧
ابن زريق	٢٨٤
ابن زيدون	٢٨٤
ابن سهل الأندلسي	١٦٥
ابن عساكر	١٥٣، ١٥٤
أبو الخير عابدين	١٧٨
أبو الصفا المالكي	٢٣٦
أبو الفتح بن عبد القادر الخطيب الدمشقي	١٥٣، ١٥٤
أبو نواس	٥٣
أحمد أفندي القوتلي	٢٢٥

العلم	الصفحة
أحمد السنوسي	٣٠٦
أحمد باشا الشمعة	١٥٩، ١٦٩، ١٧٢، ١٨٥
أحمد باشا بن عمر باشا	١١٠
أحمد بك بن حيدر باشا المصري	١٣٢، ١٣٣
أحمد بن السبيع	١٤٤
أحمد بن تيمية	٣٠٣
أحمد بن طه	١٣٩
أحمد بن عبيد السقباني	٢٦٠
أحمد حسن الشطي	٥٤، ٥٥
أحمد سعاد أفندي	٢٠٠
أرسطو	٦١
أرطاليس	٥٨
أسطرنوميا	٦١
أسعد أفندي	١٩٩، ٢٠٠
إسماعيل ـ عليه السلام ـ	٨٧
إكليل بك المؤيد	١٨٧، ١٨٨
الأمير عبد القادر الجزائري	١٣٧، ٢٥٤
أمين أفندي ترزي	١٦٠
أيوب ـ عليه السلام ـ	٢٨٣
أيوبي زاده سعيد أفندي	١٩٥، ١٩٦
البحتري	٥٢
بدر الدين بن يوسف المغربي	٥٦، ٥٧
تيمور	٢٩٤
جالوت	١٣٨

رفع المسيهما

العلم	الصفحة
جو مطريا	٦١
جول كانبون	١٤٤، ١٤٥
حاتم	١٤٢
حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ	٢٤٠
حسن أفندي بيهم البيروتي	١٢٠
حسن باشا	١٦١، ١٧٦
حسني بك سبح	٢٩٥
حلمي تقي الدين	٢٦٠
الحي زاده زاهد أفندي	٢٠٩
حيدر (يعني: علياً)	٢٥٣
ذو الكفل ـ عليه السلام ـ	٢١٩
رشدي بك	١٧٢، ١٧٤، ١٧٥
رضا بك سعيد	٣٠٤
الزمخشري	١٢٧
زينب	٧٧
سعيد الفرا	١٩٨
سعيد بك اليوسفي	١٨٠
سعيد بن الأمير علي الجزائري	٢٥٤، ٣٠٦
سعيد أفندي	٦٢
سليم العطار	٥٠، ٥٤، ٦٧، ١١٣
سليم سمارة	١٩٨
سليمان أفندي الجوخدار	٢٤٣
سنا بنت المفدى	١١٢
سوفسطا	٦١

رفع المسيهما

العلم	الصفحة
سيبويه	٥٢
الشافعي	٥٢
شفيقة آل العمري	٢٦١
شفيقة بنت سليم أفندي العمري الدمشقي	٢٥٥
شكري باشا	٢٣٤، ٢٣٥
شمس الدين أبو المعالي محمد بن القماح	١٣٥
الشهاب الخفاجي	١١٤، ١١٥
صادق باشا المؤيد	١٨٩، ١٩٠
صالح أفندي طه	٩٩، ١٠١
صبيحة	٣٠٦
الصلتي	٢٠٨
طاهر بن أحمد بن عبد القادر الجزائري	١٨٧
عارف المنير	٩٩
عبد الحليم	١٠٦
عبد الحميد (السلطان العثماني)	١٦٢، ١٧٢، ١٨٩
عبد الخالق أفندي	١٩٩
عبد الرحمن القصار	١٢١
عبد الرحمن بك اليوسف	٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٦
عبد الرحمن بن كثير المكي	١١٥
عبد الرحيم الغزي	٢٣٢
عبد الرزاق البيطار	١٩٨
عبد العزيز أفندي الدكدكجي	٢٠٧
عبد الفتاح المحمودي اللاذقي	١٠٣
عبد القادر أفندي الميداني	١١٠

رفع المسيهما

العلم	الصفحة
عبد القادر الجيلي	١٣٤
عبد الله أبو طالب الحسني	١٤٣
عثمان باشا	٥٩، ٥٩
عزيزة	٣٠٦
عظم زاده محمد فوزي باشا	٢١٠، ٢١١
علي ـ رضي الله عنه ـ	١٦٤
علي الجزائري	١٣٧، ١٤٢، ١٩٢، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥
علي بك بن مردم بك	١٠٦
عماد الدين الدمشقي البقاعي	٢٠٢، ٢٦٢
عمر أفندي الطيبي	٢٢٨
عمر العطار	٥٧، ٥٨
عيسى ـ عليه السلام ـ	٥٩
فخر الدين بك	٢٦٧
الفرزدق	١٢٦
فرعون	٢٤١
فرنسيس فتح الله مراش الحلبي	٢١٢
فيلومينا	٢٨٥، ٣٠٧
القاسم بن عبس المعروف بـ«أبي دلف العجلي»	٦٦
قيس	٣٠٧
كافور	١٤٦
الكليم ـ عليه السلام ـ	٥٩
ليلى العامرية	٣٠٧
المأمون	٢٩٣

رفع المسيهم

العلم	الصفحة
محمد أبو الهدى الصيادي	١٨٨، ١٨٩
محمد أفندي المنيني	١٥٨
محمد الأنبابي المصري	١٢٤
محمد اليوسفي	٢٤٣
محمد باشا العظم	٢٥٨
محمد باشا بن علي باشا	١٨٩، ١٩٣، ٢٥٨
محمد بن المبارك الجزائري	٢٥٠، ٢٥١
محمد حسن الشطي	٥٤، ٥٥
محمود أفندي أبو الشامات	١٦٨
محمود أفندي شيخ الأرض	٢٠١، ٢٠٢
محيي الدين بك	١٦٥، ١٧٥
محيي الدين بن عربي	١١٣
مردم بك زاده محمد راشد باشا	٢٢٣، ٢٣٣
مسلم بن الوليد «صريع الغواني»	٦٦
مصطفى أفندي الدكدك	٢٠٤
مصطفى الشطي	١٠٨
مصطفى هاشم التاجر	٢٦٤
مظهر بك	٢٣٨
المعري	١٢٧، ١٦٣
معن	١٤٢
مكي بك	١٨٣
موسى ـ عليه السلام ـ	٢٤١، ٢٧٧
النابغة	٦٥
ناظم باشا	١٩٤

رفع المسيهما

العلم	الصفحة
نافع أفندي الحريري الحلبي	٣٠٥
نجل ابن حنبل	٥٥
نجم الدين الغزي	١١١
نوار	١٢٦
نوري بك	١٠٣
هاروت	٣٠٦
يحيى باشا أغريبوز	٢٣٦، ٢٣٧
يعقوب ـ عليه السلام ـ	٢٤٥
يعيش	١٣٧
يوسف ـ عليه السلام ـ	٨٧، ٢٢٩، ٢٤٥

* * *

ثانياً: فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
الأزهر	١٢٤
الآستانة	٢٠٤، ٢٠٧، ٢٥٦
أندلس	١٣٨
أوربا	١٣٣
إيطاليا	١٣٣
بابل	٢٨٦
باريس	١٤٦، ٢٩٥
بانياس	١٣٨
بحيرة طبرية	٢٥٤
بدر	١٨٠، ٢٨٦
البرامكة	٢٧٣
بردى	١٣٨
بعلبك	٢٨٦
بغداد	٢٩٣
بنو النضير	٢٨٢
بنو غسان	٢٨٦

رفع المسيهما

المكان	الصفحة
بيروت	١٣١، ١٧٧، ٢٤٤، ٢٤٧
تدمر	٢٨٦
تونس	١٤٥، ٢٦٨
تيارت	١٤٣
ثمود	٢٨٦
ثنية العقاب	١٦٦
جبل قاسيون	١٩٨
الجزائر	١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ٢٥٥، ٢٦٨
الجزيرة	٢٦٩
جلق	١٠٥، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٨، ١٦١، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢٦٨
الحجاز	١٠٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٤٢، ٢٨٣
الحجرة النبوية الشريفة	٢٠٤
الحديبية	٢٦٨
حصون بعلبك	٢٨٦
حلب	١٢٣
حنين	٢٨٠
خيبر	٢٨٢
دجلة	٢٦٨، ٢٩٣
درنا	٢٥٥
دمر	١٣٢، ٢٤٤، ٢٤٧

رفع المسيهما

المكان	الصفحة
دمشق	٥٣، ٥٦، ١١٠، ١٥٨، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٥، ٢١٠، ٢٢٦، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٩٢
دومة	١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٥، ١٧٥، ١٨٧، ١٩٣
رأس العين	١٣٧، ١٦٧
سبأ	٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٩
سوريا	١٦١، ١٧٦، ١٩٤، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٧، ٣٠٤
سوق ساروجا	٧١
سينا	١٥٥
الشآم	٥٩، ٧١، ١٠٨، ١١٠، ١٣١، ١٣٢، ١٦٣، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٣٥، ٢٥٥، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٤
شط الفرات	٦٠، ٢٦٨
صنعاء	١٣٨
ضريح نبي الله ذي الكفل	٢١٩
طرابلس الغرب	٢٥٣، ٢٦٣
الطور	١٥٥
طيبة المختار	٦٤، ٢٧٩
العراق	٥٥، ٦٠
عولم	٢٥٤
الغار	٢٧٩

رفع المسيهما

المكان	الصفحة
الغوطة	١٣٧
فرنسا	١٤٢
الفيجة	٢٤٤
قبر الإمام ابن تيمية	٣٠٣
قبر نبي الله موسى	٥٦
القدس	٢٧٧، ٢٨٥، ٢٨٨
قريظة	٢٨٢
القسطنطينية	١٨٩، ٢٦٢
قصر سعيد بنا الدمشقي	٦٢
القطيفة	١٦٦
الكثيب الأحمر	٥٦
الكعبة	٢٤٢
لبنان	٢٣٩، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠
مدرسة الحديث الأشرفية بدمشق	٩٨، ١٢٠
مدرسة عبد الله باشا العظم	٢٧٣
مراكش	٢٦٨
المرجة	١٣٨
مرسيليا	١٣٢
المزة	٧١
المستشفى العام بدمشق	٢٧٣
مستغانم	١٤٠
مصر	٦٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٦٨، ٢٨٦
معسكر	١٤٣
مكة	٢٤٢، ٢٨٢

رفع المسيهما

المكان	الصفحة
الميدان	١٩٨
نابلس	٥٥
نجد	٥٥، ١٧٠
نهر الصفا	٢٣٩
النيل	٢٦٨
وادي موسى	٢٨٦
يبرود	١٦٧
اليمن	٢٨٨
اليونان	٣٠٢

* * *

رفع المسيهما

ثالثاً: فهرس القوافي

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
حيا الحيا دوما البديعة	الفيحاء	٤٦	الكامل	١٩٨	١٣٧
أزف الصباح فجد	الرمضاء	١٥	الكامل	١	٤٩
دع الأيام تفعل ما	انقضاء	٤	الوافر	٢٣	٦٨
إله الخلق ما هذا	انقضاء	٧	الوافر	٣٣٩	٢٢٦
وما اسم خماسي	خفاء	١١	الوافر	١٧١	١٢٢
وما اسم رباعي	بالبكاء	٢	الوافر	١٧٢	١٢٢
قال العواذل لم هجرت	الظلماء	٣	الكامل	٧٣	٨٣
مرت بحلة ديباج	ظلماء	٤	البسيط	٣٤٣	٢٢٧
بناء عن قديم الدهر	بناء	٣	الوافر	٢٣٧	١٦٦
يا بدر ما هذا الجفا	صاحبا	٢	مجزوء الكامل	٨٤	٨٦
ما انثنى إلا فؤادي	نهبا	٧	الرمل	٩٢	٨٨
فتن الفؤاد جمال حب	منقبا	٢	الكامل	١٣٥	١٠٧
أبا الفتح فتحت لكل	بابا	٢	الوافر	٢١٩	١٥٣
لله أشكو ذبابا	التهابا	٢	المجتث	٢٣٩	١٦٦
أعلى الفضائل تهذيب النفوس لمن	تأديبا	٢	البسيط	٢٩٧	٢٠٧
من مجيري والحب قد	صبا	٤	الخفيف	٣٤٤	٢٢٨

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
عمر الطيبي اجتناها	وطيبا	٨	مجزوء الرمل	٣٤٥	٢٢٨
مولاي إني صرت في شرك	مخرجا	٥	الكامل	٧٩	٨٥
نشر الصباح على الظلام	جناحا	٢١	الكامل	١٠	٥٩
ومن أرض الجزائر قد	صبحا	٤	الوافر	٢١١	١٤٦
يا روح روحي دع	عميدا	٢	مخلع البسيط	٣٥	٧٢
كيف احتيالي وما وفى	رشدا	٢٦	البسيط	١٢٤	١٠١
رب لطف من	طردا	٢	مجزوء الرمل	١٤٨	١١٣
بدر بأفق الحسن مطلعه	تأودا	٥	الكامل	٢٨٢	٢٠٠
لا زلت يا نزل الكرام	سعيدا	١٠	الكامل	٤٤٧	٣٠٦
إني وحقك في ودادك	تصبرا	٢	الكامل	٥١	٧٦
ما بين صدهم وتشتيت	تعثرا	٦	الكامل	٥٩	٧٩
هل بحالي يال ودي	نفرا	١١	الرمل	٨٧	٨٧
هذا الذي شهدت له	ولا افترا	٤	الكامل	٢١٨	١٥٣
ما المجد إلا ما أفاد	حبورا	٢١	الكامل	٢٢٨	١٥٩
هلال العدل أضحى	سرورا	١٩	الوافر	٢٥٢	١٧٦
فؤادي للهوى سلمت	أسرا	٣٠	الوافر	٣٤٧	٢٣٠
يقال بالجد يبغي المرء	أثرا	٢	البسيط	٤٣٤	٣٠٢
كمل الكمال له ورد	موسوسا	٤	الكامل	٤٨	٧٥
وأنا الذي أرعى الوداد	معا	٣	الكامل	٢١	٦٧
قلبي لغير ودادكم لن	عفا	٢	الكامل	٢٨٧	٢٠٢
ولين الأعطاف قاس	الجفا	٥	الكامل	٣٠٣	٢٠٩
سلام على الحب اللطيف	الجفا	٥	الطويل	٤٠٢	٢٦٦
أقول لهذا الدهر عتباً	صدقا	٤	الطويل	١٥٣	١١٥
ليت شعاع	الارتقا	٢	مجزوء الرجز	٤٣٠	٣٠٠

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
ولما أن تناهى في	ثقيلا	٣	الوافر	٣٠	٧٠، ٨٦
وقالوا مراد محب	قتيلا	٢	المتقارب	٨٨	٨٧
صريح الحق بالبرهان	حلا	٦	الوافر	١٧٠	١٢١
يا رب إني بالنبي	العلا	٢٢	الكامل	١٩٣	١٣٣
يا سعد قف لي بالعقيق	مقيلا	٢٥	الكامل	٢٢٧	١٥٨
يا سعد خذ لي للعذيب	نزيلا	٢١	الكامل	٢٤٧	١٧١
ورد المسرة قد غدا	وأصيلا	١١	الكامل	٢٦٧	١٨٧
يا أديباً رام أسباب	ما سلا	١٣	الرمل	٢٨٧	٢٠٣
أقول لظبي بالصدود	مماطلا	٤	الطويل	٢٩٠	٢٠٤
لما رأيت الحسن تعشقه	خبالا	٢	الكامل	٣٣٢	٢٢٣، ٢٣٢
يا لقومي في الهوى	الكفيلا	٢	المديد	٣٨٦	٢٥٨
صبراً وإن كان المصاب	جزيلا	٢٧	الكامل	٤٠١	٢٦٥
آيات حبك رتلت	نزيلا	٤٥	الكامل	٤٠٨	٢٨١
إن أضياف اللئيم	نعيما	٣	مجزوء الرمل	٢٧٥	١٩٧
ورسام يفوق البدر	رسما	٢	الوافر	٣١٦	٢١٦
إذا جفاك حبيب كنت	أركانا	٤	البسيط	٢٢	٦٧
جلسنا في رياض الأنس	علينا	٢	الوافر	١١٦	٩٧
يا بارقاً من نجود وما	أخبارنا	٢١	الرجز	١٢٢	١٠٠
أبدى ببديع الفكر	سنا	٩	المحدث	١٤٩	١١٣
قد يا غزال كيف	القنا	١٣	الرمل	١٦٤	١١٨
من مظهر السر	ساقينا	٢٠		٢٢١	١٥٤
من كان يأمل للنجاح	أمينا	١٧	الكامل	٢٢٩	١٦٠
إذا المرء عداه الحظ	حزنا	٢	الوافر	٢٣٨	١٦٦
وكم من قائل «لو» بعد	زمانا	٣	الوافر	٢٦٥	١٨٧

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
قد تجلى الحظ والنحس	ديدنا	٨	الرمل	٣٢٧	٢١٩
بشرى لنا فالسعد أقبل	متفننا	٢١	الكامل	٣٥٢	٢٣٤
إذا قدر الرحمن قرب	أيامنا	٢	الكامل	٣٧١	٢٤٦
هذا ضريح ابن عبيد	الثنا	٤	الكامل	٣٩٠	٢٦٠
يا جنة عن رياض الخلد	دينا	٢٦	البسيط	٤١١	٢٨٤
زر روضة الأنس التي أوحى	أطلالها	٤	الكامل	١٤٥	١١٢
مر الغزال على محبيه	بكمالها	٣	الكامل	٣١٤	٢١٥
إن بلاداً طبعها	وأهلها	٢	الكامل	٤٠٩	٢٨٣، ٢٩٦
يا ذوات الخدر	واطلبوها	٥	مجزوء الرمل	٤٣٦	٣٠٢
آيات مجدك قد حلا	سرورها	٥	الكامل	٤٤٢	٣٠٥
لمع البرق بالغوير	حيا	١٣	الخفيف	٢٦	٦٩
لساكن ذا الضريح جزيل	رخيا	٣	الوافر	٣٢٦	٢١٩
قلب المتيم كاد أن	أتى	٦	الكامل	٣٢١	٢١٧
خل الصبابة لا يمل	الهدى	٤	الكامل	٣٦	٧٢
من يكن يرضي الغواة	الردى	٥	الرمل	١٦٣	١١٨
راح يختار التهاني	اهتدى	١٠	الرمل	٣٢٩	٢٢١
سل فاتن الولدان مذ	انبرى	٨	الكامل	٤٢	٧٣
فلم يبق مني الشوق غير	الورى	٢	الطويل	١٠٨	٩٤
يا حادي الركب مل نحو	سرى	٣٣	البسيط	٢٥٧	١٨٠
لما تكامل ذا الهلال	سرى	٤	الكامل	٣٤٨	٢٣٢
فاقت دمشق بفخر الدين	سرى	٦	البسيط	٤٠٣	٢٦٧
ما ملت عن عهد الوداد	وشى	٨	الكامل	٤٧	٧٥
يا ليت شعري هل	انقضى	٢	مجزوء الكامل	٣١	٧١
كف الصياح فإن صبري	قضى	٣	الكامل	٣٦٩	٢٤٦

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
يا من رماني بالجفا	وكفى	٢	مجزوء الرجز	٩١	٨٨
عظم الهيام فصار صعب	الملتقى	٤	الكامل	٨٢	٨٥
حبيب قلبي جفاني	تولى	٢	المجتث	٩٠	٨٨
حيا المهيمن تربة أمسى	المنى	٤	الكامل	١٦١	١١٧
هذا ضريح الطفلة التي	المنى	٤	الكامل	٢١٣	١٤٧
حزت المفاخر من سنا	المشتهى	٢٢	الكامل	١٣	٦٣
كلما ازداد اللقا ازداد	الهوى	٢	الرمل	٥٠	٧٦
يوم الوداع أطار لبي	والجوى	٦	الكامل	٥٤	٧٧
والنجم من أفق الجمال إذا	هوى	١٤	الكامل	١١٢	٩٥
سر هذا الكون يطوي	انطوى	٤	الرمل	٣٣٥	٢٢٤
واصل الصب وقد طال	شوى	٤	الرمل	٣٣٧	٢٢٥
إن الهدية خير ما صان	الأحباب	٦	الكامل	٣٤٢	٢٢٧
وغادة تسألني	الحساب	٢	مجزوء الكامل	٤٢٣	٢٩٦
ما نحوكم لج العلا في	كثب	١١	الكامل	٢٤٩	١٧٤
حيا زروداً وحيا موطن	السحب	٤٦	البسيط	٤٠٦	٢٧٦
جواهر العلم ما انضمت	بالأدب	٢	البسيط	٢٩٨	٢٠٧
نسبة التحقيق أعلى	الأقرب	١	الرمل	٣٠١	٢٠٨
إن المحب كثير الغم ذو	حرب	١٠	البسيط	٣٧٧	٢٤٩
سافرت يا حسني بأيمن	المغرب	٤	الكامل	٤١٨	٢٩٥
ما بال أحباب الفؤاد	أنسب	١٧	الكامل	٢٥٠	١٧٥
وروض حله شهم	حسب	٦	الهزج	٣٠٤	٢٠٩
خير فضل للفتاة	تنتسب	٤٩	الرمل	٤١٣	٢٨٨
عذولي عن سبيل الرشد	راغب	٢	الوافر	١٥٩	١١٧
روحي الفداء لغادة	يقلب	٥	الكامل	٥٣	٧٧

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
محيا الناس للفطن	القلوب	٥	الوافر	٤٣٩	٣٠٣
عاتبت دهري في تقدم من	يؤب	٢	الكامل	١٥٥	١١٥
حبيبي بالصدود جرحت	الطبيب	٢	الوافر	١٠١	٩١
هل في أفق عظيم	يغيب	١٤	الرمل	٢٨١	٢٠٠
رح يا رسول إلى الحبيب	التعذيب	٤	الكامل	٣٠٨	٢١٢
رح يا رسول إلى الحبيب	رقيب	٤	الكامل	٣٠٩	٢١٢
رح يا رسول إلى الحبيب	عجيب	٤	الكامل	٣١٠	٢١٣
رح يا رسول إلى الحبيب	لقريب	٤	الكامل	٣١١	٢١٣
رح يا رسول إلى الحبيب	لبيب	٤	الكامل	٣١٢	٢١٣
ألا يا عاذلي في الحب	غريب	٢	الوافر	٣٧٦	٢٤٨
ابن تيمية جاري	قريب	٩	مجزوء الرمل	٤٤٠	٣٠٣
لنور العلم يهدي كل	العجائب	١٥	الوافر	١٤٠	١٠٩
ما انثنى إلا فؤادي	نهبا	٧	الرمل	٩٢	٨٨
أضحى الهوى والجفا والبعد	لاحتجبا	٤	البسيط	٢٣٦	١٦٥
لا يألف المجد إلا السادة	انتخبا	٣٤	البسيط	٣٠٧	٢١٠
أبشري يادرة الغواص	النجبا	٥	الرمل	٤١٩	٢٩٥
غزال دعاني بهجري	الرقيبا	٢	المتقارب	٦٤	٨١
حيا الحيا أرض الجزائر	أغدقت	٥	الكامل	٢٠٦	١٤٤
كم قد رأينا	محتجبة	٧	مجزوء الرجز	٤٢٩	٣٠٠
علوم من الوهاب أعظم	نفحة	٤	الطويل	٥	٥٣
غادة قد أسرت عقولنا	صبيحة	٣	الرمل	٤٤٦	٣٠٦
يا شمس أفلاك الجمال	السافرة	٧	الكامل	٤١٦	٢٩٤
الفال والزجر وفن	مبتكرة	٥	الرجز	٤٣١	٣٠١
لما سألت عن	المزة	٤	مجزوء الكامل	٣٢	٧١

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
ناشدته بالله أنشد	طبيعة	٣	الكامل	٢١١	١٤٦
وشيخ أخبث الثقلين	النبوة	٤	الوافر	١٣٣	١٠٧
أهيف قد قد قلبي	الجؤذرية	٢	مجزوء الكامل	٤٠	٧٣
زفرت القلب إذا	آنية	٢	المحدث	٩٨	٩٠
أيا بحر العلوم وشمس	مضية	٧	الوافر	٢٧٩	١٩٨
شمسنا الشمس المضية	اليازجية	٢٠	مجزوء الرمل	٤٤٨	٣٠٧
لهفي على زمن مضى	بمائة	٢	الكامل	٣٨٦	٢٥٨
الناس للخير ما أحلى	محتاج	٤	البسيط	١٥٠	١١٣
طاف على الندمان بالراح	ابتهاج	٢	الرجز	٣٦٠	٢٤٠
سقامي من نفارك	الجراح	٤	الوافر	١٠٠	٩١
يا ندمي قد دنا	راح	٤١	الرمل	٢٤٨	١٧٢
فقدت من الغرام فضل	صلاح	٤	الوافر	٣٦٣	٢٤٣
أتى والقلب في	مجروح	٣	الهزج	٩٥	٨٩
بالحمد ما بزغ الهلال	ألوح	٦	الكامل	١٢٧	١٠٤
صاح لا تسأل لماذا	البلاد	٢	الرمل	٨٩	٨٨
أتى شهر الصيام بكل	ناد	٤	الوافر	١٨٢	١٢٥
يا زمن المأمون عودك	تتردد	١٥	الكامل	٤١٥	٢٩٣
منهل الأشجان	ورد	٥	مجزوء الرمل	١٣٨	١٠٨
زان خد البدر	ورد	٦	مجزوء الرمل	٢٩٥	٢٠٦
وافى على رغم العدا	مفرد	٢٦	الكامل	٣٥٥	٢٣٦
يا منهلاً للوارد	الحاسد	١٨	الكامل	٣٣٣	٢٢٣
يا منهلاً عذباً صفا	الحاسد	٢١	الكامل	٣٥١	٢٣٣
ومملك الحسن البديع لقد	بالصد	٤	الكامل	٦٥	٨١
هيفاؤكم سفكت دما	الغد	٢	الكامل	٨١	٨٥

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
طيبي ثناء يا دمشق	الفرقد	١٠	الكامل	٤	٥٣
فمن أطاعك فانفعه	والحمد	٤	البسيط	١٧	٦٥
أيا بدر العلا لا زال	أحمد	٥	الوافر	١٩١	١٣٢
أنفح البان من وادي	عود	٧	الوافر	١٢	٦٢
يا لقومي من لصب	صدود	٢	الرمل	٣٧	٧٢
يا طيف حب معيدي	الصدود	٤	المجتث	٤٥	٧٤
وكنت أظن أن الورد	الصدود	٣	الوافر	٦٨	٨٢
هذا ضريح ضم من أهل	الجدود	٥	الرجز	٢٠٢	١٤٣
أيا قانون ويحك زاد	يعود	٤	الوافر	٣٧٥	٢٤٨
يا روضة ضمت سمي	بالجود	٤	الكامل	٤٠٠	٢٦٥
يأبى الحبيب وضا سوى	بالتفريد	٣٣	الكامل	٢٤٥	١٦٨
وروض حله شهم	الحميد	٤	الوافر	٢٩٣	٢٠٥
مه يا سفين البر مالك	تكيد	٤	الكامل	٣٦٨	٢٤٦
أصعب ما لقيته في	أريد	٢	الرجز	٤٢٤	٢٩٦
يا من بدا بصبابتي له	زائد	٤	الكامل	٥٥	٧٧
عذار معذبي ببديع	أرادا	٢	الوافر	٣٨٦	٢٥٨
حل السرور بأرض الشام	وفدا	١٥	البسيط	٢٦٩	١٨٩
في طالع السعد من أفق	وفدا	١٨	البسيط	٣٨٣	٢٥٤
لله روض ضم طيب	الجودا	٥	الكامل	٢٨٥	٢٠٢
ظبي رماني بالبعاد	لائذ	٢	الكامل	٢٧	٧٠
ماذا تؤمل من زمان	الإضرار	٦	الكامل	١٥٧	١١٦
علي العلق يسمو بافتخار	كالحمار	٢	الوافر	١٨٥	١٢٦
أهديتكم رسماً بديعاً	تذكار	٢	الكامل	١٩٦	١٣٧
لقد مر بنا من قوم	الفخار	٢	الوافر	١٩٧	١٣٧

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
حي العذيب ورامة	الأسحار	٣٣	الكامل	٢٧٤	١٩٥
الكون يظهر كامن	للأخيار	٢٧	الكامل	٣٨٥	٢٥٦
ومهفهف الأعطاف خمري	بواتر	٣	الكامل	٧٢	٨٣
إني نزيل بالكريم ومن	متواتر	٣	الكامل	١٤٦	١١٢
هذا الصدود فأين العهد	تستتر	٢	البسيط	٣٨٦	٢٥٨
مهما تكلف للسلو ترى	تتكاثر	٢	الكامل	١١٤	٩٦
بالله صل مضناك يا بدر	الكوثر	٢	الكامل	٢٧٧	١٩٨
يا سعد مل للرقمتين	الهاجر	٤٦	الكامل	٤٠٧	٢٧٨
جاء قوم غاب ضرغام	الشجر	٢٢	الرمل	٤٢٧	٢٩٧
ما لاح برق بالعذيب	مفاخر	٢١	الكامل	٢٧٣	١٩٤
يا روضة قد جادها صوب	القادر	٦	الكامل	٣٢٨	٢٢٠
لعبد القادر الميداني	مكرر	٤	الوافر	١٤٢	١١٠
كل من يصحب غير	وضرر	٣	الرمل	١٦٨	١٢١
سبحان من قسم الحظوظ	البشر	٤	مجزوء الكامل	٤٢١	٢٩٦
تلخيص قولي بحال الحب	مختصر	٤	البسيط	٦٧	٨٢
حييت لبنان في الآصال	المطر	١٧	البسيط	٣٧٨	٢٤٩
ما رمت في روض المحاسن	نواظر	٥٧	الكامل	٣	٥٠
إني ذكرتك والقانون ذو	سعر	٤	البسيط	٣٧٤	٢٤٨
شرع الجمال بذاك أفتى	مفر	٧	الكامل	٨٦	٨٦
أبدى التجني	ظافر	٢	مجزوء الكامل	١٠٣	٩٢
إليك ربي أرفع	الظفر	٦	مجزوء الرجز	١٧٥	١٢٣
صبح أوقات التهاني	أسفر	٢١	مجزوء الرمل	٣٥٨	٢٣٨
بدر تم عن جمال قد	المفر	٥	الرمل	٣٥٩	٢٣٩
حلف الزمان لينسيني	فكفر	٣	الكامل	٣٧٠	٢٤٦

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
كانت المرأة في روض	مسفر	٢٧	الرمل	٤٢٨	٢٩٨
يا رب هذا العشاق	سقر	٣	البسيط	٩٧	٩٠
له راح لو أن معشار	ذا فقر	٤	الطويل	٣٦١	٢٤٠
مر النسيم على الأغصان في	البكر	٧	البسيط	١٩٠	١٣٢
قد يا صاح الصبر وهى	الذكر	١٣	المحدث	٢٢٥	١٥٦
هذا خيالي شعاع الشمس	الفكر	٢	البسيط	٣٥٧	٢٣٨
لي في فنون الحب أحسن	وعمر	٣	الكامل	٧٥	٨٤
له الله ظبياً قد أسال	السهر	٣	الطويل	٧٠	٨٢
إن المقدم في الشفاعة	الطاهر	٥	الكامل	٢٣٢	١٦٤
تجلى جمال الحق في عالم	الدهر	٢٤	الطويل	٢٦٨	١٨٨
فيلومينا شمس الحسن	أزهر	١٩	المحدث	٤١٠	٢٨٣
إذا ما قيل من روح	طاهر	٢	الوافر	٢٦٦	٢٨٧
حسن المآثر من دعواك	مقهور	٨	البسيط	١٨٧	١٢٧
دولة الإقبال	سرور	٢٤	الرمل	٢٣٠	١٦١
حيا الإله روضة العفو	وسرور	٤	الكامل	٣٩٩	٢٦٤
أهجر وصبر واشتياق	نصير	٢	الطويل	٣٨	٧٢
بنان النائبات إذا	النصير	٤	الوافر	٢٨٩	٢٠٤
يا قلب لا تبدي التضجر	صائر	٤	الكامل	٢	٥٠
كم ليلة قد بت فيها	ستائر	٢	الكامل	٧١	٨٣
إنما العيد أتاك	الافتخارا	٧	الرمل	٢٣٥	١٦٥
هل بحالي يال ودي	نفرا	١١	الرمل	٨٧	٨٧
من بعد نفي القرب عني	أصفرا	٤	الكامل	١٢٠	٩٩
خطب به عقل اللبيب	أحمرا	١٥	الكامل	٢٠٣	١٤٣
رشا من الأتراك شاد	المياس	٢	الكامل	٦٩	٨٢

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
ماس يزهو في رياض	القبس	٤	الرمل	٩٣	٨٩
في رياض طيبها الذاكي	السندس	١٧	الرمل	٧	٥٦
لاح للمشتاق من نحو	الغلس	٣٢	الرمل	٢٤٦	١٦٩
يا رعى الله زماماً	الغلس	٣٧	الرمل	٤١٤	٢٩١
عرج على قاضي النحوس	الفلوس	٥	الكامل	١٤٣	١١٠
أقمت في فرنسا عند	الخسيس	٧	الوافر	٢٠٠	١٤٢
قد عاشرت أهل اللواط	نغصا	٢	الكامل	١٥٦	١١٦
يلاقيه الحبيب بكل	اغتماض	٣	الوافر	٢٥٩	١٨٢
دع ذكر سعد والزمان	الأمراض	٤٢	الكامل	٤٠٤	٢٦٧
قبلته شغفا فقطب	وأعرضا	٢	الكامل	٩٤	٨٩
شيخنا المصري	اللواط	٤	الرمل	١٣٤	١٠٧
أنسمة الفجر أم نشآت	البسط	٣٢	البسيط	٦	٥٤
قد كنت أحسب أن الدر	البسط	٢	البسيط	١٣٦	١٠٨
ما في الهيولى سوى	ألفاظ	١		٢٥٥	١٧٨
ولو شئت أن أبكي دماً	مودع	٢	الطويل	١٠٩	٩٤
إن تكن تبغي	نافع	٢	مجزوء الرمل	٤٤٣	٣٠٥
ولما تبدت للرحيل	الأضالع	١٢	الطويل	٢٦٣	١٨٤
يا ليالي الوصل في نادي	رجوع	٢٢	الرمل	٣٣٠	٢٢١
لما اجتمعنا والحبيب	وتمنعا	٢	الكامل	٢٢٣	١٥٦
أهدي مقاماً على الجوزاء	اتضعا	١٥	البسيط	٢٩٩	٢٠٧
بلغ الزنى سيل الغرام	يعرف	٣	الكامل	٢٣٤	١٦٤
يا من شمائله أرق	الأظرف	٢٤	الكامل	٣٤٦	٢٢٩
يا صاحبي ما أنصفت	اتصف	٣	الكامل	٤٣	٧٤
إلى دار البقا كرما	واللطف	٤	مجزوء الوافر	١٨٤	١١٠، ١٢٦

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
من لي بهذا الصاحب البر	الألوف	٢	الكامل	٦٦	٨١
لقد ملك المكارم	الشريف	٩	الوافر	٢٠١	٤٢
لله روض قد زها حلمي	لطيف	٣	الكامل	٣٩١	٢٦٠
ذممت فراق حبي ثم	والفراق	٢	الوافر	٧٤	٨٣
قد كان مصطلح الحديث	بمحاق	٣	الكامل	١٨٠	١٢٥
بدر على كرسي الخدود	الأشواق	٢	الكامل	٣١٥	٢١٦
على بيروت ومني كل	عابق	٢	الوافر	١٢٨	١٠٤
سقياً الأيام بـ«يبرود»	يعبق	٣	الكامل	٢٤١	١٦٧
يهدى السلام أخو الصبابة	الطارق	٦	الكامل	١٢٥	١٠٣
يا غربة كلما طال المدى	والأرق	٤	البسيط	١٨٩	١٣٢
يا مدعي نظم القريظ	ناهق	٢	الكامل	١٦٥	١٢٠
سلام على الشهباء	غبوق	٢	الطويل	١٧٤	١٢٣
وقاسينا من التعب	الطريق	٢	الوافر	٢٤٠	١٦٦
إن الحبيب الذي ألفيه	الشرك	٢	البسيط	٣٧٩	٢٥٠
ظبي عقول العاشقين لقد	ملك	٢	الكامل	٥٢	٧٦
يا غصن بان قد	أمالك	١١	مجزوء الكامل	١٠٤	٩٢
شرفت أرضاً طالما اشتاقت	إليك	٢٦	الكامل ثم الرمل	١٩٩	١٤٠
أرسلت لحظا بقلب الصب	أفتاكا	٦	البسيط	٩٦	٩٠
أيحل في شرع الهوى قتل	برضاكا	٢	الكامل	١١٠	٩٥
لقد زعموا بأني ذو	هواكا	١	الوافر	١١٨	٩٧
ألذ العشق ما كان	بالدلال	٢	الوافر	١١٥	٩٧
قالوا فلان قد بدا في	السروال	٣	الكامل	٢٩٦	٢٠٦
يا منزلاً قد صار أبهى	الهطال	٤	الكامل	٣٨٤	٢٥٥
يا منزلاً قد صار أبهى	التهطال	٣	الكامل	٣٩٢	٢٦١

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
للحر ظن كنوز الشمس	الرجل	٢	البسيط	٢٥	٦٨
كفى أعداءنا أنا	وجل	٢	الوافر	٢٥١	١٧٦
يقبل الأرض مملوك	ومرتحل	٢	البسيط	٢٥٨	١٨٢
قدر الله وما شاء	زحل	٣	الرمل	٤٣٢	٣٠١
من لامني في لإعتزال	اعتزل	٤	الكامل	١٦	٦٥
ظبي من الأتراك حيا	الغزل	٤	الكامل	١٠٦	٩٣
أحلى وأعذب من رحيق	ومنزل	١٩	الكامل	٢٦٢	١٨٣
خليل صح في بدئي	حاصل	٧	الوافر	١٧٣	١٢٢
يا مرتع الأحباب بلغت	الهاطل	٢	الكامل	٢٨	٧٠
مواهب الفضل من عهد	خطل	٣٣	البسيط	٢٧١	١٩٢
دهر يريك الجهل أفضل	العاقل	٢	الكامل	١٨	٦٦
يا أوحداً فوق أوج الشمس	والعمل	٥	البسيط	٢٧٨	١٩٨
إن ترم مجداً سما هام	بالعمل	٤٧	الرمل	٤١٢	٢٨٦
قضيت عمري في جهد	أمل	٦	البسيط	٤٢٠	٢٩٥
إن جزت بان الحمى	مبتهل	٢٨	البسيط	٢٥٦	١٧٨
بالصبر يصفو مورد	المنهل	٣٧	الكامل	٢٦٤	١٨٥
فتك القوام بمهجتي	تصول	٢٩	الكامل	٩	٥٧
ما بال قلبك يا بدران	مسبول	٤	البسيط	٥٧	٧٨
إن رمت في التحقيق	الفحول	٢	مجزوء الكامل	١٧٩	١٢٤
اليأس إحدى الراحتين	مشغول	٣	الكامل	٣٩٤	٢٦١
صبا قلبي لأحداق تصول	نزيل	٩	الوافر	١٠٢	٩٢
ما بال قلبك لا يلين	تميل	٢	الكامل	٢١٧	١٥٣
زماني سعيد إن أراك	طويل	٢	الطويل	٣٨٦	٢٥٧
أعن نعت الحبيب كشفت	والدلالا	٢٦	الوافر	٢١٤	١٥١

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
فصل الشتاء لنعم الفصل لو	الأملا	٢	البسيط	١٣٩	١٠٩
فصل الشتاء لنعم الفصل إذا	الأملا	٢	البسيط	١٨٣	١٢٦
يا سائل الرسم إن الركب	الأملا	١٤	البسيط	٣٧٣	٢٤٧
أرى في الشرق نوراً قد	هلا	١٤	الوافر	٣٨١	٢٥٢
إن رمت تصطبح الجمال	الشآم	٢	الكامل	٣٤	٧١
حير الألباب لما	التمام	١١	الرمل	٩٩	٩٠
ما بعد جلق للغرام	حرام	٢	الكامل	١٢٩	١٠٥
ما تبدى النور أم بدر	الغمام	٥	الرمل	١٣٧	١٠٨
حبذا المعطار لما	السلام	٤	الرمل	١٤٧	١١٢
لقد أوقعتني يا بدر	غرام	٤	الوافر	٢٠٥	١٤٤
يا نسمة الأسحار عني	سلام	٢	الكامل	٢٠٨	١٤٥
نفسي سئمت في	تسأم	٣	المحدث	٤٢٥	٢٩٧
عجبت من الأحباب كيف	رغبتم	٣٣	الطويل	٣١٣	٢١٤
قلبي وروحي في يديك	وارحم	٢	الكامل	٤٩	٧٦
هيج داع بالصفا قلبي	قدم	٢	الرجز	٣٠٠	٢٠٨
سلوه لم يعاملني	مغرم	٢	الوافر	٣١٧	٢١٦
على مقلتي هجر الرقاد	يعظم	٨	الطويل	٢٩١	٢٠٥
يا صاحبي اشرح لنا	أسراركم	١	الرجز	١٢٢	٩٩
وزمان فيه الصغير	تحكم	٤	الخفيف	١٥٢	١١٤
حكم الغرام على القلوب	تألم	٥	الكامل	٦٢	٨٠
ولو أنني في جنة مع	جهنم	٢	الكامل	٤١	٧٣
لنا صولة نحو العداة	تذودهم	٨	الطويل	١٩	٦٦
دار الأنام ولا تأمن	تعاشرهم	٤	البسيط	١٥١	١١٤
إياك إياك ممن	لديهم	٤	المجتث	٣٤٠	٢٢٦

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
تطوى المظاهر ثم ينشر	القيوم	٧	الكامل	٣٥٦	٢٣٧
زر تربة القاع التي من	النعيم	٣	الكامل	١٣١	١٠٦
لله رأس العين إن	متيم	٢	الكامل	٢٤٢	١٦٧
سرى كوكب الإعزاز شوقاً	متيم	١٦	الطويل	٢٧٢	١٩٣
بميدان الحصا بزغت	العميم	٥	الوافر	٢٨٣	٢٠١
لله روض حل فيه	الرحيم	٤	الكامل	٣٤٩	٢٣٢
ألا يا بن الصبابة	الغراما	١٣		١١٩	٩٨
صب يكابد لوعة	أقاما	٤	الكامل	٢٢٦	١٥٧
هل يا ترى حالي لحالك	وأحجما	١٥	الكامل	١٢٣	١٠١
لله محروس الخدود	المغرما	٢	الكامل	٢٣٣	١٦٤
بشرى لنا إذ مجدنا الزاهي	ترنما	١٧	الكامل	٤٤١	٣٠٤
إن كنت يا بدر السماء	التسليما	٥		٣٧٢	٢٤٧
وقفت النفس في طلب	الزمان	٥	الوافر	١٤	٦٤
حظ المحب من الأحباب	أعوان	٣	البسيط	٣٩	٧٣
ولقد بليت بأعظم العشق	الهجران	٧	الكامل	٥٨	٧٩
أيا علماء جلق	الزمان	٧	الوافر	١٨١	١٢٥
عهدت له ألا أهيم	ضمان	٢	الطويل	٢٦٠	١٨٢
وافت الأفراح	أمان	٤	الرمل	٣٢٤	٢١٨
وشادن قد سلب النوم	بالشجن	٣	الرجز	١٠٥	٩٣
يا ثغر إيطالية قد زدت	البدن	٢	البسيط	١٩٢	١٣٣
لله شهم بالفضائل يهيم	حسن	٢	الكامل	١٦٧	١٢٠
ظبي به البدر	اكتمن	٤	مجزوء الكامل	٢٥٣	١٧٧
لا تلم رسولك في	الزمن	٣	الرمل	٤٣٣	٣٠١
وقائلة لما ضيعت	المصون	٤	الوافر	٢١٥	١٥٢

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
وقائله لما ضيعت	الفنون	٤	الوافر	٢٢٢	١٥٥
عيون عن السحر المبين	فنون	٤	الطويل	٣٨٩	٢٦٠
إلهي بالشفيع	الطاهرين	٨	الوافر	١٣٠	١٠٥
ذا علي في رياض	العالمين	٥	الرمل	١٣٢	١٠٦
أيا دار السعادة أنت	الأمين	٢	الوافر	٣٦٧	٢٤٥
إله الجمال في القلوب	يلين	٤	الطويل	٣٨٨	٢٥٩
وإن حن المتيم	الحنينا	٦	الوافر	٢١٠	١٤٦
لا تركنن مدى الزمان	كربه	٥	الكامل	١٦٠	١١٧
يا من تولع بالجمال	بقلبه	٤	الكامل	٣٩٥	٢٦٢
معمول قلبي من عوامل	حالاته	٣	الكامل	٧٧	٨٤
ومن يجعل الإفك العظيم	حياته	٢	الطويل	٣٠٦	٢١٠
صبري لقد أنفقته	مزقته	٤	الكامل	٣٤١	٢٢٧
يا لائماً مغرماً قد رام	يجرحه	٤	البسيط	٣٠٢	٢٠٨
بأبي غزالاً بالنفار	بعاده	٢	الكامل	٦٣	٨١
سلم على الشهم الأديب	ببعده	٧	الكامل	٢٣١	١٦٣
من لم يجد وصل الحبيب	وببعده	٢	الكامل	٢٤٤	١٦٧
يا مالك الألباب ملكاً	بعده	٣	الكامل	٣٦٤	٢٤٣
بشرى رشيد في كمال	مولوده	٥	الكامل	٤١٧	٢٩٤
كلنا منبع	مراده	٤	الرمل	٤٣٨	٣٠٣
سلم على الظبي الغرير	بهجره	٢	الكامل	٢٩	٧٠
قالوا تركت البعض عن	تنكره	٢	البسيط	١٦٩	١٢١
يا من تلاعبت الهموم	وعسره	١٨	الكامل	١٩٥	١٣٥
قل للغزال وقد تجنى	هجره	٢	الكامل	٢٠٧	١٤٥
الكون أشرق والسرور	سميره	١٤	الكامل	٢٨٠	١٩٩

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
الوقت يعشق أن ترى	أنصاره	٥١	الكامل	٣٦٢	٢٤٠
مدبر الجسم لقد	تدبيره	٣	مجزوء الكامل	٤٤٤	٣٠٦
ملكت قلوب العاشقين	عزيزه	٢	الرمل	٤٤٥	٣٠٦
عجبت له كيف استهام	بنفسه	٢	الطويل	٣٢٠	٢١٧
فلسفة اليونان قد	بفلسفه	٢	الكامل	٤٣٧	٣٠٢
بأبي غزال حرت في	أعطافه	٤	الكامل	١١١	٩٥
لو يعلم ابن عساكر أن	صنفه	٢	الكامل	٢٢٠	١٥٤
بحر إذا رمت النوال	هوكه	٢	الكامل	١٦٢	١١٨
لا تعتبن على الزمان	مثله	٥	الكامل	٢٤	٦٨
قام الحبيب مصلياً	أجمله	٢	مجزوء الكامل	٦٠	٧٩
هذا كتاب لم	مثله	٢	مجزوء الكامل	١٧٨	١٢٤
أفعال يأتي من جموع	وفعله	٢	الرجز	٣٣٤	٢٢٤
روض بروح ثم ريحان	هاطله	٥	الكامل	٣٣٨	٢٢٥
بدر المسرة في بروج	بفعاله	٣١	الكامل	٣٨٢	٢٥٣
سمح الحبيب بعطفه	ودلاله	٢	الكامل	٣٨٦	٢٥٨
يا قلب صبراً في الغرام	أحكامه	٢	الكامل	٤٦	٧٥
لما سباني بنور الصبح	يحكمه	٤	البسيط	٥٦	٧٨
بدر بحسن جماله	حكمه	٢	مجزوء الكامل	٨٥	٨٦
زر مرقداً قد جاده غيث	شميمه	٥	الكامل	٢٨٤	٢٠١
هذي دمشق لقد تكامل	مقامه	٤	الكامل	٣٠٥	٢١٠
لأبي الصفاء المالكي لقد	بنعيمه	٤	الكامل	٣٥٤	٢٣٦
حل المشيب بعارضي قبيل	سنه	٣	الكامل	١٧٦	١٢٤
بادر النيل المجد في	خلانه	٤	الكامل	٢٠٩	١٤٥
روضة حلت بها بنت	ساكنه	٤	الرمل	٣١٨	٢١٦

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
وساق دار بالكاسات	إليه	٢	الوافر	١١٧	٩٧
ربه الحسن	الجؤذريه	٢	الرمل	٤٣٥	٣٠٢
لله شكوى القلب من	عزائه	٢٥	الكامل	٣٨٠	٢٥٠
مالي يغالطني الخيال	يذهبوا	١١	الكامل	٣٦٦	٢٤٥
قد أكثروا في القول عن	وأكثروا	٢	الكامل	٢٠٤	١٤٤
ما للمعالي سوى آل النهى	يحلو	٢٥	البسيط	٢٧٠	١٩٠
أيا من بالتجني قد	لاموا	٥	الوافر	٢٩٢	٢٠٥
وكم بهذا العصر من شخص	كالأنبابي	٢		١٧٧	١٢٤
حتام يا بدر التمام	لحالتي	٢	الكامل	٨٠	٨٥
هذه أظعنهم	منيتي	٢٠	مجزوء الرمل	١٤٤	١١١
يا حادي الركب يمم يمنة	النادي	٥	البسيط	٤٤	٧٤
بروحي من تركت بغير	ودي	١٢	الوافر	٦١	٨٠
في التصابي أطاب حبي	فؤادي	٧	الخفيف	١٠٧	٩٤
يا فريداً في المعالي	الأعادي	٢	الكامل	١٢١	٩٩
زرت الحبيب بليلة لا	ردي	٣	الكامل	٢١٦	١٥٣
أحب الراء تهياماً	رشدي	٣	الوافر	٣١٩	٢١٧
أذهب التقريب صدي	رشدي	٤	الرمل	٣٢٣	٢١٨
بمحمد فوزي إذا دهري	مسعدي	١٤	الكامل	٣٨٧	٢٥٨
يا مفرداً في الحسن قد فتن	لمفتري	٢	الكامل	٧٦	٨٤
سألت المجد هل لك من	نوري	٢	الوافر	١٢٦	١٠٣
كبار زماننا أضحوا	ساري	٤	الوافر	١٥٤	١١٥
بلغ سلامي لها أيها	داري	٢	البسيط	١٩٤	١٣٥
في جوار صاحب الكفل	المشتري	٨	الرمل	٣٢٥	٢١٩
يا صباحاً كان فيه	زائري	٢	الرمل	٤٢٦	٢٩٧

رفع المسيهم

أول المقطع	القافية	عدد الأبيات	الوزن	رقم المقطع	الصفحة
ببدر الدين مولانا	وإيناسي	٢	الهزج	٨	٥٧
حي النديم بكأس الشاي	جلاسي	٢	البسيط	٢٧٦	١٩٧
إن من أضنى	إنسي	٣	مجزوء الرمل	٢٩٤	٢٠٦
يا سائراً وسفين البحر	أنفاسي	١٩	البسيط	٣٦٥	٢٤٤
يا حاضراً في فؤادي	الواشي	٥	البسيط	٢٥٤	١٧٨
يا رامياً بسهام اللحظ	إتلافي	٢	البسيط	٢٤٣	١٦٧
ولما أن تفصى عن	اشتياقي	٢	الوافر	٧٨	٨٤
طبع الكرام مطيتي	أوائلي	٩	الكامل	١٥	٦٤
(م) ما لي لدى وعدك الممطول	أملي	٥	البسيط	١١٣	٩٦
إذا طابت أصول المرء	المعالي	٢	الوافر	١٨٦	١٢٦
ما كان أسرع نقض الود	رسلي	٧	البسيط	١٨٨	١٣١
فؤاد ليس يصحو من	العلي	٢	الوافر	٢٢٤	١٥٦
طهور الذيل إن نظرت	يبالي	٦	الوافر	٣٩٣	٢٦١
يا دهر هلا تؤوب اليوم	علي	٢٩	البسيط	٣٩٧	٢٦٢
كم ليلة منع الغرام	سقامي	٥	الكامل	٣٥٣	٢٣٥
يا روضة في فراديس الجنان	الهاشمي	٤	البسيط	٣٩٨	٢٦٤
لله أشكوا الذي قاسيت	ضرمي	٤٨	البسيط	٤٠٥	٢٧٣
هواني في هوى الغيد	اليماني	٤٥	الوافر	١١	٦٠
من منصفي من غادر	أضاعني	٤	الكامل	٢٠	٦٧
خيال ما أرى أم ذات	التجني	٩	الوافر	١٦٦	١٢٠
يعاهدني ألا أهيم	مكاني	٤	الطويل	٢٦١	١٨٢
دواعي الأنس بالأفراح	الأماني	٤	الوافر	٣٢٢	٢١٨
قلت لما خفق القلب	غيني	٤	الرمل	٣٣٦	٢٢٥

* * *

رفع المسيهم

رابعاً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* مقدمة المحقق	٥
* طريقة التحقيق	٩
* ترجمة الشاعر	١١
ـ اسمه ونسبه	١١
ـ ولادته ونشأته	١٣
ـ وظائفه وأعماله	١٦
ـ رحلاته	١٨
ـ صلاته	١٩
ـ إجازاته	٢٠
ـ عقيدته	٢١
ـ مذهبه	٢٢
ـ اختياراته الفقهية	٢٤
ـ شعره	٢٥
ـ مكتبته	٢٦
ـ مؤلفاته	٢٨
ـ ثناء العلماء عليه	٣١
ـ وفاته	٣٣

رفع المسيهما

الموضوع	الصفحة

* صور المخطوطات ٣٥

[النص المحقَّق]

* مقدمة المؤلف ٤٣

❐ الباب الأول: فيما قلته وأنا في دمشق ٤٧

* الفصل الأول: في المدائح ٤٩

* الفصل الثاني: فيما قلته في الفخر والحماسة ٦٣

* الفصل الثالث: فيما قلته في الغزل والتشبيب والنسيب ٦٩

* الفصل الرابع: في بعض ما قلته في المراسلات والباقي لعبت بمسودته أيدي الذاريات ٩٨

* الفصل الخامس والبستان الآنس: الحاوي على ورد بعض الغزل، ونرجس التاريخ وجريال النصيحة، وحصباء الهجو، وبحسب ما وجد، وإن كان حمله قد فقد، وبه ختام النظم الدمشقي، والمورد العشقي ١٠٥

❐ الباب الثاني: فيما قلته أثناء سفري إلى الغرب والورود إلى ذلك المنهل العذب، وأشرت فيه إلى تقلبات الزمان، وعجائب الملوان، وهو نذر يسير، أودعته «الرحلة المغربية»، ولا ينبئك مثل خبير ١٢٩

❐ الباب الثالث: فيما قلته حال إقامتي في «دومة» وفي أثناء رواحي إلى غيرها حسب التنقل ١٤٩

❐ الباب الرابع: السوانح في المستشفى ٢٧١

❐ الفهارس العامة ٣٠٩

أولاً: فهرس الأعلام ٣١١

ثانياً: فهرس الأماكن ٣١٨

ثالثاً: فهرس القوافي ٣٢٣

رابعاً: فهرس الموضوعات ٣٤٢

* * *

رفع المسيهم